رسائل الجزائري

الثالثة

ست عشرة رسالة
في مواضيع دينية وإصلاحية مختلفة

عني بنشرها وتصحيحها
مؤلفها

أبو بكر جابر الجزائري
الواعظ بالمسجد النبوي الشريف
بالمدينة المنورة



Abu Baker Jaber Al Jazaery
Profit Mohd. Mosque's Teacher
Madina Munawarah
Tel. 8371500
P.O.Box: 871 Saudi Arabia



أبو بكر جابر الجزائري
المدرس بالمسجد النبوي الشريف
المدينة المنورة
هاتف ٨٣٧١٥٠٠
ص.ب ٨٧١ المملكة العربية السعودية

DATE ....

التاريخ ٢/٥/١٤١٥هـ

تفويض

فوضت أنا الموقع أدناه أبو بكر جابر الجزائري المؤلف
فوضت مكتبة أضواء المنار ودار لينة للنشر والتوزيع وعليها
محمد شكري عبد الحليم الخولي لطباعة رسائل الجزائري الأولى
والثانية والثالثة والرابعة، وهذا تفويض مني بذلك

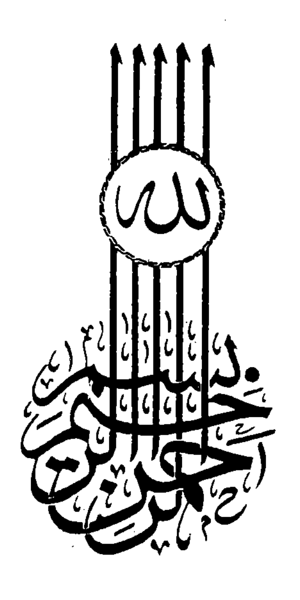
المفوض
أبو بكر جابر الجزائري
٢/٥/١٤١٥هـ

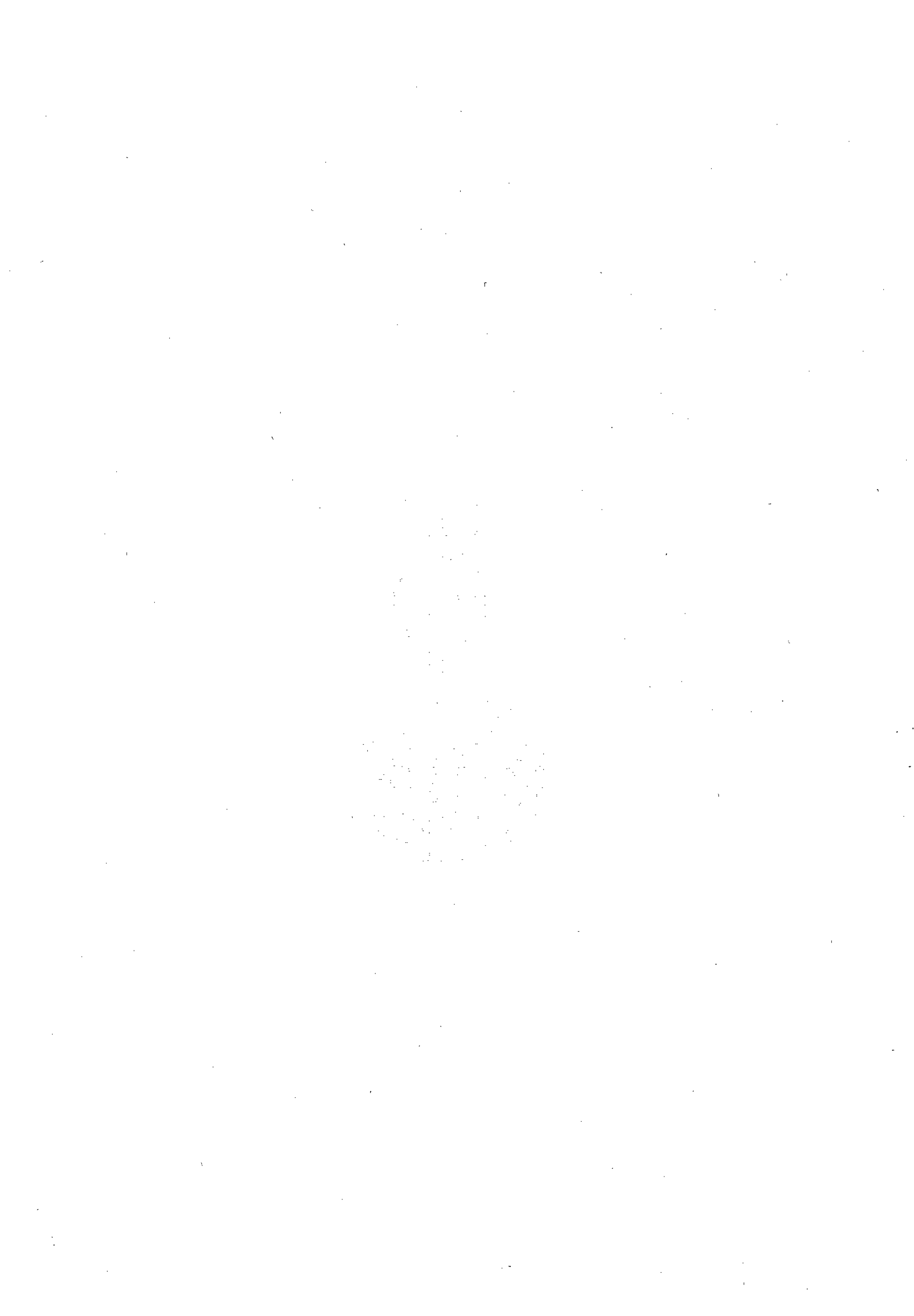
أبو بكر جابر الجزائري
المدرس بالمسجد النبوي الشريف

الطبعة الأولى : ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م
الطبعة الثانية : ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤ م



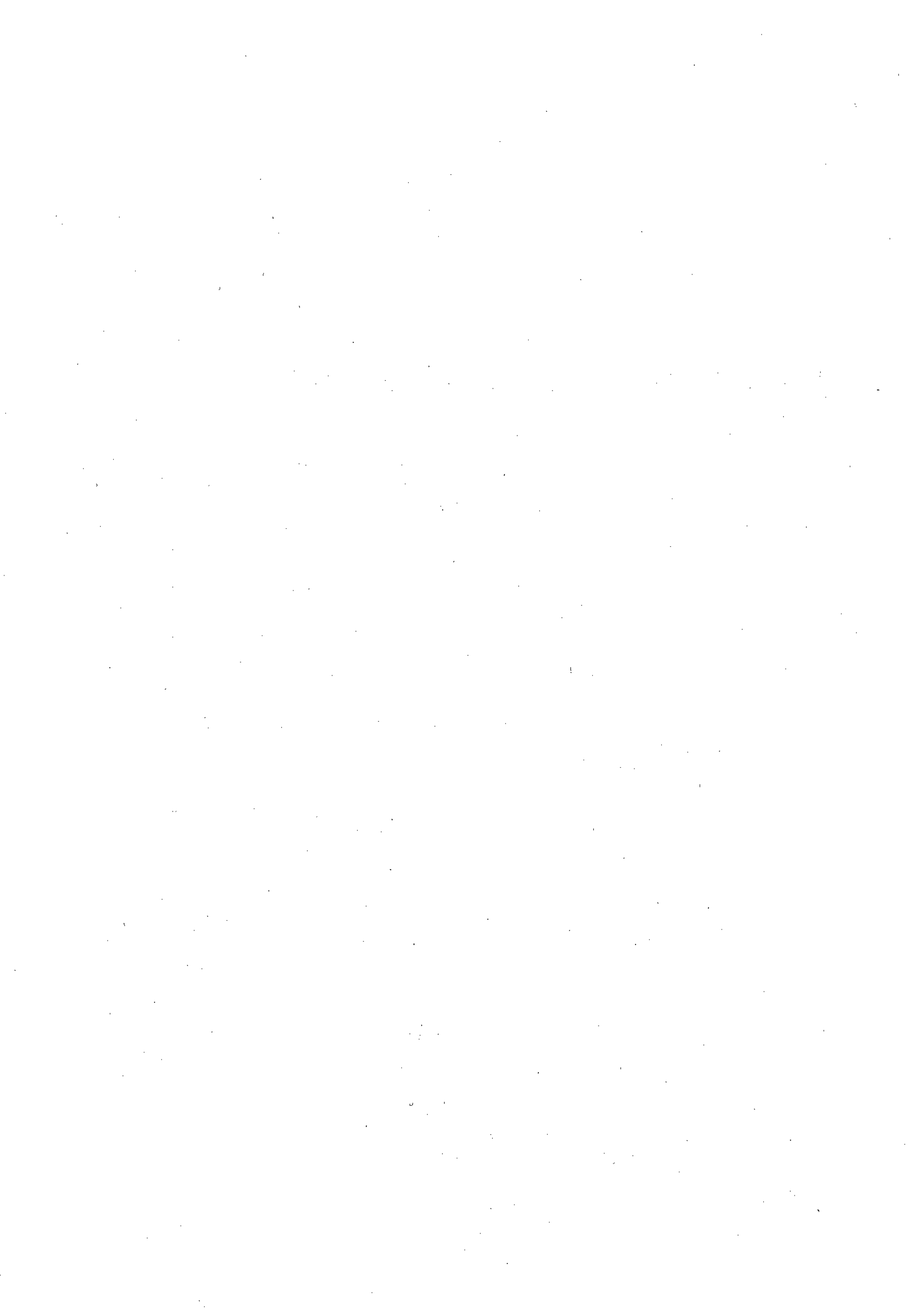
دمنهور ت - ٣٣٨١٩٩٠/٠٤٥


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

الرسائل التى تضمنها هذا السفر المبارك الكريم



●● الرســالة الأولــى

الصـــــلاة



الصـــــــلاة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه .

وبعـــــــد :

الصلاة(١) ما الصلاة ، (٢)وما أدراك ما الصلاة ! ؟ علة(٣)الوجود وضريبة الحياة هي الـذكـر وهي الشكـر(٤) الإقرار بها إيمان ونكرانها كفران أولى العبادات (٥) وآخرها ومبدأ الصالحات ومختتمها(٦) سلم الوصول(٧) ومعراج القبـول الحـد الفاصل(٨)بين الكفر والإيمان والبرزخ الحاجز للشك عن الإيقـان شقيقـة(٩) الزكاة ، وصاحبة(١٠)الحياة لا تباين الأولى ولا تفارق

١) : الصـلاة : لغـة : الـدعاء . وشرعا : عبادة روحية بدنية ذات ركوع وسجود ، وتلاوة ، وتسبيح ودعاء ، قوامها الخشوع فيها . تفتتح بالتكبير ، وتختم بالتسليم .

٢) : ما اسم استفهام مبتدأ والصلاة خبر والجملة خبر الصلاة ، والرابط تكرار المبتدأ ، والاستفهام للتفخيم من شأنها والتعظيم لقدرها .

٣) : كون الصلاة علة الوجود ظاهر فى قوله تعالى : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . وقوله فى الحديث القدسى : يا ابن آدم لقد خلقت كل شىء من أجلك وخلقتك من أجلى . فعلة الوجود الإنسان وعلة وجود الإنسان العبادة ، والعبادة هى الصلاة فالصلاة إذاً هى علة الوجود فلذا جُرم تارك الصلاة جرم من أفسد الكون كله ، وعطل الحياة جميعها !!

٤) : لقوله تعالى : « وأقم الصلاة لذكرى » وقوله : « اعملوا آل داود شكراً » فلما أمر آل داود بالشكر قام فيهم داود خطيباً . وقال أكفونى النهار أكفكم الليل . فما شئت بعدها أن ترى فى مسجد آل داود راكعاً أو ساجداً أو قائماً فى أية ساعة من ليل أو نهار إلا رأيته حتى أن سليمان عليه السلام مات وهو قائم يصلى فى المحراب .

٥) : نعم أول ما فرض من العبادات البدنية والمالية الصلاة : إذ فرضت فى السنة العاشرة من البعثة ولم يكن قد فرض قبلها سوى كلمة التوحيد (٦) لحديث آخر ما تفقدون من دينكم الصلاة .

(٧) : بها يصل العبد إلى مقام الولاية والتقوى ، ومنازل القرب قال تعالى « فاسجد واقترب » وفى الحديث « أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجـــــد » .

(٨) الحديث : « مابين العبد والكفر إلا ترك الصلاة فمن تركها فقد كفـر » .

٩) : وذلك لاقترانها بها فى آى القرآن : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » ، وقول الصديق الزكاة شقيقة الصلاة والله لأقاتلن من فرق بينهما .

١٠) : صاحبة الحياة : إذ لاتسقط عن المؤمن إلا بانتهاء الحياة بوفاة الإنسان .

الثانية ما بقيت الحياة .(١٠)

الصلاة ما الصلاة وما أدراك ما الصلاة ؟ فى السماء كان فرضها(١١) وفى الأرض بركتهـا ونـورهـا ، قرة(١١)عين النبى وروح (١٢) كل ولى ملاذ الفـزع(١٣)الخائف ومأمنه وعدة المجاهد المصابر ومسلحته(١٤) وصاة(١٥) محمد النبى الامى ومنتهى مهمة ابن الخطاب الأبى طب القلوب وشفاؤها وزكـاة النفـوس(١٧) وصلاحها ، أولى(١٨) وصفـة الـدواء وآخـرتهـا وآمره النفس(١٩) المؤمنة وناهيتهـــــــا .

الصلاة ما الصلاة وما أدراك ما الصلاة ؟ بها كان الإسراء ، ولها كان المعـراج حدثان لم يشهد الكون مثلهما ، الصلاة سرهما وعلة حدوثهما ، تلك هى الصـلاة جَنّـة الحياة وفـردوسهـا ، داخلهـا الرَّوْح والريحان ، وخـارجها شواظ النار ولهيبها . سجدتها (٢٠) تزن الدنيا وما فيها ؛ إذ بها

---

١٠) : الإجماع أن الصلاة فرضت فى السماء ليلة الإسراء والمعراج .

١١) :لقوله صلى الله عليه وسلم : « جعلت قرة عينى فى الصلاة » .

١٢) :الـروح : الراحة والفرح فأولياء الله هم المؤمنون المتقون يجدون فى الصلاة الراحة والفرح ويشهد لهذا حديثا : « أرحنا بها يابلال » . « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » .

١٣) : إذ كان النبى ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

١٤) :المسلحة : مركز أمامى للجنود ، كما هى موضع السلاح . والجماعة ذوو السلاح .

١٥) :لحديث « أوصيكم بالصلاة وما ملكت أيمانكم » .

١٦) : لحديث الموطأ : أن عمر كتب إلى عماله يقول لهم : إن أهم أمركم عندى الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها فهو لما سواها « أحفظ » الحديث ..

١٧) :كل العبادات مشروعة لتزكية النفس والصلاة من أكبر العبادات تزكية للنفس .

١٨) :وذلك أن الله تعالى لما ذكر هلع الانسان وهو داء خطير ذكر وصفة لعلاج الهلع فابتدأها بالصلاة ، وختمها بالصلاة ، وذلك فى قوله تعالى « إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » إلى « والذين هم على صلاتهم يحافظون » فوصف الدواء وجعله مركبا من ثمانية أرقام أولها الصلاة وآخرها الصلاة اقرأ الآية من سورة المعارج .

١٩) : إشارة إلى قوله تعالى . « وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» . فإنها بما توجده فى النفس من الصفاء يصبح العبد يرى المعروف فلا يتركه ، ويرى المنكر فلا يرتكبه .

٢٠) : صح عن ابن عمر رضى الله عنهما قوله : لو أعلم أن الله تعالى تقبل منى سجدة واحدة لما كان غائب أحب إلى من الموت : لأن الله تعالى : إنما يتقبل الله من المتقيـــن .

يقرب (٢١) البعيد ويبعد القريب ، سر إبلاس إبليس (٢٢) ، ومعيار النفيس من الخسيس

الصلاة ما الصلاة وما أدراك ما الصلاة ! فريضة لاتسقط إلا (٢٣) بالموت ، وواجب لا يؤخر ولا يفوت . جبريل أول من (٢٤) أمّ بها ، والبيت الحرام أول محرابها . مواقيتها مواعيد (٢٥) مَراقٍ وتلاق .. أول وقتها رضوان ، وآخره غفران ، (٢٧) ووسطه الروح والريحان . ينادى لها من على المنارات بأعلى الأصوات ولم يكن هذا لغيرها من سائر العبادات . فكان ذلك آية فضلها ، وعلامة شرفها على غيرها من كل الطاعات وسائر القربات .

الصلاة ما الصلاة وما أدراك ما الصلاة ؟ ! بالحسن والمعروف آمرة ، وعن الفحشاء والمنكر ناهية ، الطهارة مفتاح بابها ، والله (٢٨) أكبر كلمة السّر فيها ، الخشوع روحها العلويّة ، والتسبيح (٢٩) أنفاسها الزكيّة . إنها الإيمان ، وقوامُ الإسلام ، وشاهد الإحسان . قوامها الجامع والجماعة ، بهما يضاعف (٣٠) أجرُها ، وتمّ للمشائين (٣١) لها نورُها ، هى العهد

---

٢١) : لقوله تعالى: فاسجد واقترب . قرب بها سلمان وأبعد بها أبو طالب .

٢٢) : إبلس إبليس لتركه السجود ، ولذا ورد أن المؤمن إذا قرأ السجدة فسجد صرخ إبليس واويلاه !! أمر ابن آدم بالسجود فسجد فكانت له الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيت فكانت لى النار .

٢٣) : أو بالجنون فإن المجنون رفع عنه القلم حتى يفيق ومثله النائم .

٢٤) : لما فى الموطأ من أن جبريل نزل فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نزل فصلى . الحديث فى أوقات الصلاة .

٢٥) : لأن الصلاة معراج العبد بروحه إلى ربّه عز وجل .

٢٦) : لحديث « المصلى يناجى ربّه ، وأن الله تعالى ينصب للعبد وجهه فى الصلاة » .

٢٧) : لحديث . « أول الوقت رضوان الله ووسطه رحمة الله وآخره مغفرة » .

٢٨) : إذ لا تصح الصلاة إلا بتكبيرة الإحرام وبلفظ الله أكبر فقط .

٢٩) : سبحان ربى العظيم فى الركوع وسبحان ربى الأعلى فى السجود ثلاثا فأكثر .

٣٠) : لحديث « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة » .

٣١) : لحديث : « بشر المشائين فى الظلمة بالنور التام يوم القيامة » .

والوعد . تعهّد الله لمن أداها وحافظ عليها أن (٣٢) يدخله جنته ، وأن يلبسه حلتــه .

الصلاة ما الصلاة وما أدراك ما الصلاة ! ؟ هى الخير وجماعه ، وعنصر الكمال فى الإنسان وقوامه . سبب (٣٣) خيبة الشيطان ، وعلة خسران تاركها من إنس وجان . هى الرحمة والرحموت (٣٤) ، والفضل والفضلوت ، القائم فيها على رأسه البر (٣٥) يذر ، ومنتظرها الملائكة تدعو له وتستغفر (٣٦) . حامية النظام ، وحارسة الأنام . أغنت عن الدرك (٣٧) والبوليس وما أغنى عنها غال ولا رخيص . سر الحياة وعقد نظامها ، بها الحياة مشرقة طاهرة زاهرةً ، وبدونها عفنة مظلمة وحالكة كالحة .

الله ، الله عبد الله فى الصلاة ، فإنها العروة الوثقى ، والدوحة العظمى ، المتمسك بها آمن من الانقطاع والمستظل بوارف ظلها ما ظمأ ولا جاع .

٣٢) : لما صح من قوله ﷺ : « خمس صلوات كتبهن الله على العباد إلى قوله كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة » الحديث .

٣٣) : إشارة الى أنه أمر بالسجود فأبى فأبلسه الله تعالى وخيّبه .

٣٤) : الرحموت كالملكوت الاسم من الرحمة دال على الكثرة والاتساع .

٣٥) : البر : الخير وهذا الحديث « إذا قام العبد فى صلاته ذر البر على رأسه » الحديث .

٣٦) : لحديث الصحيحين : والملائكة يصلون على أحدكم مادام فى مجلسه الذى صلى فيه يقولون : اللهم اغفر له اللهم ارحمه مالم يحدث .

٣٧) : دليل هذه القضية واقعان الأول واقع دولة الرسول صلى الله عليه وسلم والراشدين بالمدينة النبوية فإن تلك الدولة تحقق لها من الأمن والطمأنينة مالم يتحقق لغيرها بحيث انعدمت فيها الجريمة انعداماً كاملا ، وفى نفس الوقت لم يكن فيها نظام شرطة ولا درك قط . وما ذاك إلا بإقامة الصلاة . والثانى واقع دولة الملك الصالح عبد العزيز آل سعود رحمه الله تعالى، فإنه تحقق لدولته من الطهر والأمن مالم يقع نظيره فى دنيا الناس إلا ماكان من دولة الراشدين . وماذاك إلا بإقامة الصلاة . حيث أقيمت الصلاة فيها بصورة ما وجدت إلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والراشدين . وسرّ ذلك أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فمتى أقيمت انعدمت الفحشاء والمنكر . وهما أصل كل فساد وشر وإذا انعدما انعدمت الجريمة معهما ولم يحوج الأمر إلى درك ولا بوليس . أما مع عدم إقامة الصلاة فو الله لاينفع شىء أبداً . وهل نفع أمريكا دركها وأوربا بوليسها ؟

فالصلاة ياعبد الله الصلاة ، والسلام عليك ما أقمتها وأدمتها ، ورحمة الله !! واسمح لى أخى الحاج قبل أن أنهى حديثى معك على هذه الوصية أن أنبهك إلى أمر مهم جداً وهو أن العبادة التى هى سرّ الحياة ، وجنة الدنيا والاخرة يفسدها الشرك فيها وعدم الإخلاص فيها لله تعالى فاحذر ذلك غاية الحذر كما قد يبطل مفعولها فى تزكية النفس وتطهيرهاالإخلال بأدائها على الوجه المشروعة عليه فلذا وجب مراعاة كيفيتها الواردة من الشارع عليها فلا يزاد فيها ولا ينقص منها ولا يقدم منها مؤخر ، ولا يؤخر مقدم فاذكر هذا واعتن به .

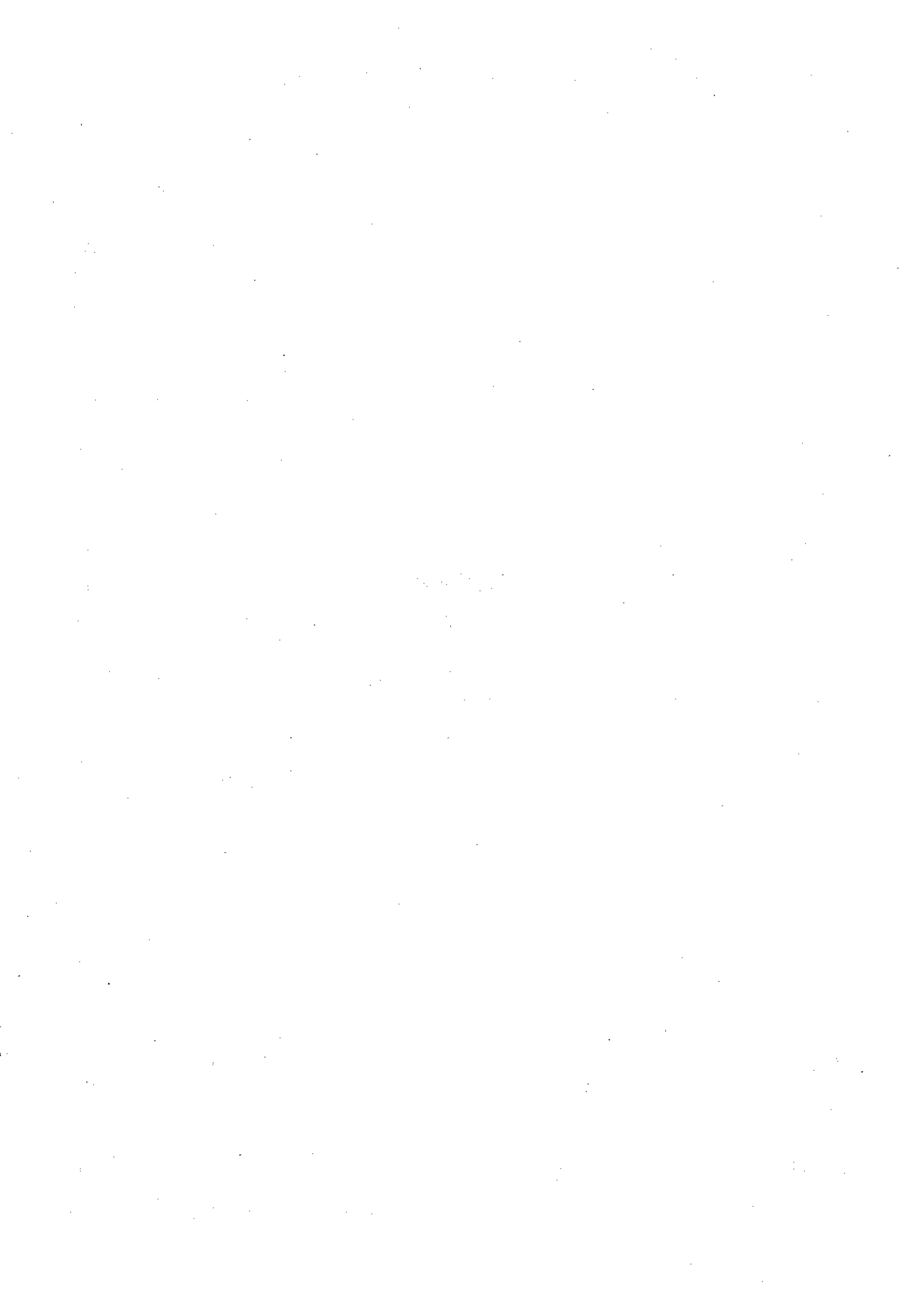
وأخيرا وفاء بما وعدتك به من بيان كون العبادة جنة الدنيا والآخرة معا أقول لما كانت الجنة هى دار النعيم والنعيم هو كل ما خلا من الحزن والخوف والهم والغم ووافق مزاج الإنسان ، ولاءم طبعه من سائر الطيبات والمستلذات والمتع الجسميّة والروحيّة فان العبادة سبب وجود هذا النعيم للعبد فى الدنيا والآخرة .

ومن هنا أطلقنا عليها اسم جنة الدنيا والآخرة من باب إطلاق السبب وإرادة المسبب . أمّا كونها سببا لجنة الآخرة فإن ذلك ثابت فى القرآن الكريم قال تعالى : وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون ، وما عملهم إلا العبادة . وأما كونها سببا لنعيم الدنيا وسعادتها فإنه ثابت أيضا بالقرآن الكريم قال تعالى : ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة والحياة الطيبة هى الخالية من الخبث والهم والغم والخوف والحزن وقال تعالى : ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض وقال ولو أن أهل الكتاب أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، وما الإيمان والتقوى فى الآية الأولى ، ولا إقامة التوراة والإنجيل وما أنزل من وحى الله وشرعه فى الآية الثانية إلا العبادة ، وما البركات المفتوحة من السماء

والأرض ، وما الأكل من فوق ومن تحت إلا عبارة عما يعم الله تعالى به أهل عبادته من الخيرات والبركات مع ذهاب الخوف والحزن مع اشراقات الروح وأنس النفس بذكر اللّه تعالى ومراقبته ، وبذلك تتحول الحياة الدنيا إلى جنة أشبه بجنات الآخرة .

●● الرسالة الثانية

الُجمل فى زكـــاة العُمَـــل



بســــم الله الرحمـــن الرحيم

مقدمة الرسالة

الحمـد لله ربِّ العـالمـين ، والصلاة والسلام على محمد المرسل رحمة للعالمين وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين .

وبعــد :

فقد كثرت تساؤلات الإخوة المسلمين عن نصاب زكاة العُملِ المختلفة حيث نابت عن العين [١] ، وقَامَتْ مقام النقدين ولم يك بُدٌّ من معرفة نصاب كل عملة من تلك العمل التى تجاوزت العشرات إلى المئات ؛ إذْ لكل دولة عملتها الخاصة بها ، وذلك كالريال السعودى والدينار الأردنى والدرهم المغربى والليرة السورية والجنيه المصرى والروبية الباكستانية وما إلى ذلك مما يكثر عدّه ، ولا يفيد ذكـــره..

ومعرفة نصاب كل عملة من هذه العمل المتعددة المختلفة لا يتم إلاَّ بالرجوع إلى الأصل وهو معرفة الدرهم والدينار الشرعيين ، وزنتهما بالجرام المتداول عالميا اليوم ، فإذا عرف ذلك عرف نصاب كل عملة يراد زكاتها من هذه العمل كما سيأتى ذلك مبيَّناً فى هذه الرسالة ـ إن شاء الله ـ عند الكلام على زكاة العين : الذهب والفضة .

---

(١) العين : الذهب والفضة وكذا النقـدان ..

ونـظراً إلى حاجـة المسلم إلى معرفة جملة من أحكام الزكاة عامة فقد ضمنت هذه الرسالة التى سميتها « الُجمل فى زكاة العُمل (١) » بيانا عَامًّا لأكثر أحكام الزكاة فذكرت حكم الزكاة وحكمتها ، وعقوبة مانعها ، وما تجب فيه الـزكـاة من العـين والحرث والماشية ، وما لا تجب فيه الزكاة ، وأنصبة الزكاة فى كل المزكيات ، وبيان مصارف الزكاة عامَّة ، وزكاة الفطر خاصـة ، وبـذلك كانت الرسالة وافية ، والله أسأل أن ينفع بها ، وألا يحرمنى أجرها ، إنه قدير وبالإجابة جدير ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

---

(١) العمل جمع عملة ، والعملة مايعطاه العامل من أجرة ولما كانت هذه الأوراق تُعطى أجرة العامل قيل فيها عملة ، وجمعت بالدارجة على عمل وعمــلات .

حكـــم الزكـــاة

لاخلاف بين المسلمين فى فرضية الزكاة ووجوبها على كل مسلم ملك نصابا من المال سواء كان المالك ذكراً أو آنثى كبيراً أو صغيرا ، وذلك لأدله الكتاب والسنة ، وإجماع الأمة .

فمن أدلة الكتاب قول الله تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ وقوله جل شأنه ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ فى عدَّة مواضع من كتابه العزيز . وقوله عز وجل فى المشركين : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين ﴾ فجعل تعالى الأخوة فى الدين متوقفة على إيتاء الزكاة ، فمن منع الزكاة فلا أخوة له بين المسلمين بل يجب أن يُقاتل عليها حتى يؤديها أو يهلك فيها .

ومن أدلة السنة قوله ﷺ فى الصحيح : « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان » . فكون الزكاة قاعدة بنى عليها الإسلام دليل على وجوبها لتوقف بناء الإسلام وتمامه عليها . وقوله عليه الصلاة والسلام فى حديث معاذ فى الصحيح : إنك تأتى قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم .

ومن أدلـة الإجمـاع قتال أبى بكر الصديق رضى الله عنه أهل الردة ما نعى الزكاة وقوله : والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه وقد وافقه على ذلك كافة الصحابة رضى الله عنهم وقاتلوا معه أهل الردة بإجماع لم يشذّ عنه أحد .

حِكمــــــة الزكاة

الزكاة كغيرها من سائر العبادات ماشرعها الله تعالى وهو العليم الحكيم إلاَّ لِحِكَم عالية تدور كلهـا على إكمال الإنسان المؤمن وإسعاده فى الحياة الدنيا والآخرة .

ومن تلك الحِكم العالية التى شرعت لها الزكاة فى الإسلام ما يلــى :

١ ـ تطهير روح المؤمن من رذيلة الشح والبخل ودائها الفتاك .
٢ ـ تزكية نفس المؤمن من أوضـار الـذنـوب والآثام وآثارهما السيئة على القلوب .
٣ ـ كفـاية الفقـير المسلم وسـد حاجتـه وإكرامه عن ذُلٍّ سؤال غير ربه تعالـــى .
٤ ـ التخفيف من هَمِّ المدين المسلم بسداد دينه وقضاء ما وجب عليه من ديون الغرمـــــاء .
٥ ـ جمع القلوب المشتتة على الإيمان والإسلام والانتقال بها من الشكوك والاضطرابات النفسية لعدم رسوخ الإيمان فيها إلى الإيمان الراسخ واليقين التام .
٦ ـ تجهيز المقاتلين فى سبيل الله ، وإعداد العدد والعتاد الحربى لنشر الخير ورفع راية العدل بين الناس حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .
٧ ـ تحرير الأرقاء بشرائهم من مالكيهم وإعتاقهم فى سبيل الله ليتمكنوا من الحياة الحـرة التى يعبـدون فيهـا الله تعـالى عبـادة تكملهم وتسعدهم .
٨ ـ مساعدة المسلم المسافر إذا انقطع فى طريقه ولم يجد ما يكفيه مؤونة سفره مساعدة من الزكاة بما يسد حاجته حتى يعود إلى داره .
٩ ـ تيسير تداول المال وانتقاله من يدٍ إلى يد ومن شخص إلى آخر للانتفاع

به ؛ إذ لو لم تفرض فيه الزكاة لبقيت أموال كثيرة مجمدة مكنوزة عند أصحابها أزمنة طويلة معطلة لا ينتفع بشيء منها .

١٠ ـ تطهير المال المزكى ونماؤه ببركة طاعة الله تعالى فيه .

وبعد ؛ فهذه جملة من الحكم السامية التى شرعت لها صدقة الزكاة وغيرها كثير ؛ إذ لا يحيط بأسرار الشرع وحكمه إلا الله عز وجل . وقد جاء أكثر هذه الحكم التى ذكرناها فى آية مصارف الزكاة من سورة التوبة فى قوله تعالى : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل** ﴾ .

عقوبة مانع الزكاة

اعلم أن مانع الزكاة إما أن يكون منعه لها ناتجاً عن جحود بوجوبها وإنكار لفرضيتها ، وهو فى هذه الحال كافر لا سبيل له إلى دخول الجنة إن مات على هذه الحال من الكفر والجحود ، وإماً أن يكون المانع لها ليس عن جحود بوجوبها ولا إنكار لفرضيتها ، ولكن عن شح نفس وبخل بالمال ، وهذا المانع لها إن قدر عليه فأخذت منه قهراً وكرهاً أجزأته ولا يحاسب عليها يوم القيامة.ولكن إذا لم يقدر عليه ، ولم تؤخذ منه ومات وهو مانع لها فهذا الذى يعاقب عليها يوم القيامة ويعذب بها . وهاك دليل ذلك وبيانه من الكتاب والسنة .

أما دليل الكتاب فقول الله تعالى : ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** [1] ﴾وقوله تعالى : ﴿ **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيُطَوَّقُونَ ما بخلوا به**

---

(١) من سورة النساء .

يوم القيامة(١) ﴾

وأما دليل السنة فقد روى البخارى أنّ النبى ﷺ قال : من آتاه الله مالا فلم يؤد زكـاتـه مُثِّـل له يوم القيامـة شجاعاً أقرع له) زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بِلِهْزمتيه يعنى شدقيه ، ثم يقول : أنا مالك أنا كنزك ثم تلا : لا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية .

وروى مسلم وأحمد عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : ما من صاحب كنز لايؤدى زكاته إلا أحمِىَ عليه فى نار جهنم فيجعل صفائح فيُكوى بها جنباه وجبينه حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيلَهُ إمَّا إلى الجنة وإما إلى النار .

وما من صاحب إبل لا يؤدى زكاتها إلا بطح لها بقاع (٢) قرقر كأوفر مَا كانت تستنّ(٣) عليه ، كلما مضى عليه أخـراها ردت عليه أولاها حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، ثم يَرَى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار .

ومـا من صاحب غنم لا يؤدى زكـاتـهـا إلا بطح لها بقـاع قرقر كأوفر ما كانت فتـطـؤه بأظـلافهـا ، وتنـطحـه بقـرونها ، ليس عقصـاء(٤) ولا جلحاء ، كلما مضى عليه أخراها ردت عليه أولاها حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » الحديث .

وروى مسلم قوله ﷺ : « ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها ، وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس .

---

(١) من سـورة آل عمـران ..

(٢) القاع : المستوى من الأرض وكذلك القرقر .

(٣) تَسْتَنّ : تعدو وتجرى مرحة نشطة يقال استن الفرس إذا عدا لمرحه ونشاطه .

(٤) العقصاء : الملتوية القرون ، والجلحاء التى لاقرن لها .

ما تجـــــــب فيه الزكاة من المال

إن ما تجب فيه الزكاة من الأموال هو مابينه رسول الله ﷺ بقوله أو عمله أو تقريره ، إذ القرآن الكريم أجمل ذلك ولم يفصله ، وعَمَّمه ولم يخصصه بنـاءً على أنَّ السنة النبوية هى التى تتولى بيان ذلك وتفصيله ، كما قال تعـالى : ﴿ **وأنـزلنـا إليـك الـذكر ؛ لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون** [1] ﴾

ومن الآيات الآمرة بالزكاة وهى مجملة تحتاج إلى بيان وفيها عموم يحتاج إلى تخصيص قولـه تعـالى : ﴿ يا أيهـا الـذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ، ومما أخرجنا لكم من الأرض [2] ﴾ فقد تضمنت الآية الأمر بالزكاة فى المكتسب من المال والخارج من الأرض ، وكذا قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مَمَّا رزقناكم [3] ﴾ تضمن الأمر بالإنفاق مطلقا فيشمل الـزكـاة وغـيرهـا . فالآية الأولى لم تبـين مقـدار ما تجب فيه الزكاة وهو النصاب ، ولم تبين ما يزكى من الخارج من الأرض كالبر والتمر وما لا يزكى كالخضر والفواكه مثلا ، والآية الثانية أجملت الأمر بالنفقة ، ولم تفصل : هل المراد من النفقة الزكاة ، وإذا كانت الزكاة فما هو نوع المال الذى يزكى وما مقداره ؟ وما الذى لا يزكى مما هو عفو لاتجب فيه الزكاة ؟ ومن هنا جاءت السنة النبوية ببيان ذلك وتفصيله وإلَيْكَهُ فيما يلـــى :

١ ـ الـذهب والفضـة وهمـا النقـدان وما يقوم مقامهما من أنواع العُمل المختلفـــــة .

٢ ـ عروض التجارة المدارةُ منها والمحتكرة على حد سواء .

٣ ـ الركاز وهو دفن الجاهلية ، وهو المال يوجد مدفونا فى الأرض .

---

(١) من ســورة النحـل .

(٢) من ســورة البقـرة .

(٣) من ســورة البقـرة .

٤ ـ المعادن النافعة كالحديد والنفط والفحم الحجـرى .

٥ ـ الماشية وهى الإبـل والبقـر والغنـم .

٦ ـ الحبوب من مقتات مدخر كالبر والشعير والتمر والزيتون .

شروط وجوب الزكـــاة

إن لوجوب الزكاة فى مال المرء المسلم شروطا لابد من توفرها ، وإلا فلا زكاة تجب فى مال لم تتم فيه شروط زكاته وهى :

١ ـ المِلْك التام بأن يكون المسلم مالكاً لذلك المال ملكاً تامًّا بحيث يكون بيده وتحت تصرفه ، ولا يخل بشرط الملكية أن يكون المال تحت يد غيره إذا كان يقدر على تحصيله متى شاء تحصيله ليصبح فى يده ، وذلك كالدَّين يكون على ملىء أو غير مُعْسر .

٢ ـ النضجُ والطيب فى التمر والحبوب ، إذ لا زكاة على حب قبل اشتداده ولا على تمر قبـل نضجـه واستوائه . قال تعالى : ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** [1]﴾

٣ ـ الحـول وهـو مضى السنة من يوم ملك النصاب فى ذلك على النقدين والأوراق المالية والماشية .

٤ ـ النِّصاب وهو بلوغ المال حدًّا معينا وضعه الشارع لزكاته ، والنصاب يختلف باختـلاف الأمـوال المزكاة فالنصاب فى الماشية غيره فى المال والحـــرث .

وهـذا بيان الأنصبـة :

١ ـ فى النقدين : الذهب والفضـة .

إن نصاب الذهب سواء كان تبراً أو كان مَصوغاً عشرون ديناراً ، والدينار وزنه اثنتان وسبعون حبة شعير من الشعير المتوسط المنزوع الطرفين . ووزنها بالجرام ثلاثة جـرامات ونصف جرام .

---

(١) من سـورة الأنعام .

وعليه فإذا ضربت الثلاثة جرامات والنصف فى عشرين كان الحاصل سبعين جراماً ، وهو نصاب الذهب ، فمن ملك هذا المقدار من الذهب وقد حال عليه الحول فقد وجبت فيه الزكاة .

والواجب فى زكاة الذهب ربع العشر، وعليه فالواجب فى سبعين جراما : جرام وثلاثة أرباع الجرام ، وما زاد فبحسابه مهما بلغ ، ففى كل مائة جرام جرامان ونصف ، أوقيمتها من العُمل المتداولة بين الناس اليوم .

٢ - فى الفضة وهو خمس أواق والأوقية أربعون درهماً فالأربعون مضروبة فى خمسة فالحاصل مائتا درهم وهو نصاب الفضة لحديث الصحيح : « ليس فيما دون خمس أواق صدقة » .

والدرهم زنته إحدى وخمسون حبة شعير ، ووزنه بالجرام جرامان وثلاثة من عَشر جرامات [٣ و ٢] فإذا ضربت فى مائتين كانت أربعمائة وستين جراما وهو نصاب الفضة والواجب فيه ربع العشر كالذهب . وعليه ففى أربعمائة وستين جراما : أحد عشر جراما ونصفا ، أو قيمتها من العُمل المتداولة ، وعليه فمن ملك أربعمائة وستين جراما من الفضة أو قيمتها من العمل وحال عليه الحول فقد وجب عليه زكاته وهو ربع العشر أى بنسبة اثنين ونصف فى المائة .

٣ - فى الإبل وهو خمس ذود أى خمسة من الإبل لقول الرسول ﷺ فى الحديث الصحيح : « ليس فيما دون خمس ذود [1] صدقة » .

فمن ملك خمسة أبعرة وحال الحول عليها وهى مملوكة له فقد وجب عليه زكاتها وهى شاة من الغنم .

٤ - فى البقر وهو ثلاثون بقرة فمن ملك ثلاثين بقرة وحال عليها الحول فقد وجب عليه زكاتها . والواجب فيها عجل تبيع يتبع أمه ولا يستقل

(١) الذود : الإبل لايتجاوز عددها الثلاثين ولا يقل عن الثلاثة وهو جمع لا واحد له .

بنفسه لصغر سنه لحديث معاذ رضى الله عنه : « بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن وأمرنى أن آخذ من كل ثلاثين من البقر تبيعاً أو تبيعة ومن كل أربعين مسنة » (١)

٥ - فى الغنم وهو أربعون شاة فمن ملك أربعين شاة ضأنا كانت أو معزاً خليطا منهما وحال عليها الحول فقد وجب عليه فيها شاة أوفت سنة ودخلت فى الثانية لحديث أنس رضى الله عنه : « وفى صدقة الغنم فى سائمتها إذا كانت أربعين ففيها شاة إلى عشرين ومائة فإذا زادت ففيها شاتان إلى مائتين » (٢)

٦ - فى الحبوب والثمار وهو خمسة أوسق لقول الرسول ﷺ : « ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة » . والوسق ستون صاعا والصاع أربعة أمداد بمد الرجل المتوسط غير قابض كفيه ولا باسطهما (٣)

وعليه فمن ملك خمسة أوسق من حب أو تمر بحصوله عليها من زرعه أو نخله أو شجره فقد وجب عليه فيها زكاتها وهى عشرها إن كانت تسقى بماء السماء أو العيون أو كانت عثرية لا تسقى بماء وإن كانت تسقى بالسواقى والمكائن أو الدلاء والآبار ففيها نصف العشر . ففى كل خمسة أوسق نصف وسق أو ربعه .

٧ - فى الركاز وهو الخمس لقول الرسول ﷺ : « فى الركاز الخمس » والركاز هو دفن الجاهلية وعليه فمن وجد كنزاً مدفونا من كنوز الجاهلية وجب عليه أن يزكيه بمجرد العثور عليه بنسبة عشرين فى المائة وهى الخمس .

---

(١) رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة .

(٢) رواه البخارى رحمه الله .

(٣) بناء على هذا فإنّ لكل فلاح أن يتخذ آنية تتسع لأربعة أمداد بلا زيادة ولا نقصان ويكيل بها ثماره وحبوبه فستون كيلة منها بوسق ومن ملك خمسة أوسق زكاها بنصف وسق أو بربعه كما تقدم حسب سقى الزرع .

٨ - فى المعادن وهو ربع العشر كزكاة النقدين غير أنه لا يشترط له الحـــــول .
وعليه فكلما استخرج صاحب المعدن كمية بلغت نصاب الذهب أو الفضة زكاها فور استخراجها ولا ينتظر بها الحول . هذا الذى قرره مالك فى موطئه مستدلا عليه بما شاع بين أهل المدينة أن رسول الله قطع لبـلال بن الحارث المزنى معادن القبلية وهى من ناحية الفُرع فتلك المعادن كان لا يؤخذ منها إلا الزكـــــــاة .

٩ - فى الحـلى وهـو ما يتحـلى به النســاء من مصوغات الذهب والفضة ويشترط لوجوب الزكاة فيه ما يلى : أن يبلغ نصابا وأن تنوى صاحبته مع التحلى الادخار للحاجة وأن تمنع إعارته إن طلبت منها وعليه فإن لم يبلغ الحلى نصاباً أو كان لمجرد التحلى به ولم تمنع إعارته فلا زكاة فيه على مذهب جمهور العلماء من السلف والخلف .

بيان كيفيــة زكاة الماشيــة

أ - الإبــل :

إذا ملك المسلم خمس ذوْد من الإبل وحال عليها الحول وهى فى ملكه وجب عليه فيها شاة من الضأن وإذا ملك عشراً وجب عليه فيها شاتان ، وإذا ملك خمس عشرة وجب عليه فيها ثلاث شياه ، وإذا ملك عشرين وجب عليه فيها أربع شياه ، وإذا ملك خمساً وعشرين وجب عليه فيها بنت مخاض [١] ، وهى ما أوفت سنة ودخلت فى الثانية فإن لم يجدها أجزأه ابن لبون [٢] وهو ما أوفى سنتين ودخل فى الثالثة حتى تبلغ سِتًّا وثلاثين فيجب فيهـا بنت لبـون وهى ما أوفت سنتين ودخلت فى الثالثة حتى تبلغ ستة وأربعين ففيها حِقَّة [٣] وهى التى أوفت ثلاث سنوات ودخلت فى الرابعة

(١) بنت مخاض : بنت الحامل يقال مخضت الناقة فهى ماخض إذا حملت .
(٢) ابن لبون : اللبون من الإبل ماوضعت حملها الثانى .
(٣) الحقة : والجمع حقاق وهى مابلغت سنا يطرقها الفحل فيها .

حتى تبلغ فإذا بلغت إحدى وستين إلى خمسة وسبعين ففيها جذعة[١] وهى التى أوفت أربع سنين ودخلت فى الخامسة وهى أكبر أسنان الإبل حتى تبلغ تسعين ففيها بنتالبون، حتى تبلغ مائة وعشرين فيها حقتان فإذا زادت على ذلك ففى كل أربعين بنت لبون وفى كل خمسين حقة .

وهذا جدول يوضح ذلك :

جدول رقم (١) فى بيان زكاة الإبل

من	إلى	الواجب
٥	٩	شاة
١٠	١٤	شاتان
١٥	١٩	ثلاث شياه
٢٠	٢٤	أربع شياه
٢٥	٣٥	بنت مخاض
٣٦	٤٥	بنت لبون
٤٦	٦٠	حقة
٦١	٧٥	جذعة
٧٦	٩٠	بنتا لبون
٩١	١٢٠	حقتان

فإذا زادت على المائة والعشرين فالواجب فى كل أربعين بنت لبون وفى كل خمسين حقة وهكذا مهما بلغت .

---

(١) الجذعة : هى ماجذعت مقدم أسنانها أى أسقطته .

ب ـ البقـــر :

إذا ملك المسلم ثلاثين بقرة إلى تسع وثلاثين وجب عليه فيها عجل تبيع أو فى سنة كاملة ، وإذا ملك أربعين إلى تسع وخمسين وجب عليه فيها مسنة أوفت سنتـين كاملتـين وإذا ملك ستين إلى تسع وستين وجب عليه فيها عجلان تبيعان وإذا ملك سبعين إلى تسع وسبعين وجب عليها فيها مسنة وتبيع ثم فى كل ثلاثين تبيع وفى كل أربعين مسنة وهكذا مهما بلغـــت .

وهذا جدول يوضح ما سبـــق :

جـــدول رقم (٢) فـــى بيان زكاة البقـــر

من	إلى	الواجـــب
٣٠	٣٩	عجل تبيع
٤٠	٥٩	مسنـــة
٦٠	٦٩	تبيعـــان
٧٠	٧٩	مسنة وتبيـــع

ثم إذا بلغت ثمانين فما فوق ففى كل ثلاثين تبيع وفى كل أربعين مسنة وعليه ففى الثمانين مسنتان وفى التسعين ثلاثة عجاجيل وفى المائة مسنة وعجـــلان تبيعـــان .

ج ـ الغنـــــم :

إذا ملك المسلم أربعين رأساً من الغنم إلى مائة وعشرين وجب عليه فيها شاة فإذا زادت واحدة إلى مائتين ففيها شاتان. فإذا زادت واحدة إلى

ثلاثمائة ففيها ثلاث شياه فإذا زادت واحدة إلى أربعمائة ففيها أربع شياهَ فإذا زادت واحدة إلى خمسمائة ففيها خمس شياه ، ثم فى كل مائة . شاة مهما بلغـــت .

وهـذا جدول يوضح ذلك ويبيّنـه :

جـدول رقم (٣) فى بيان زكاة الغنـم

من	إلـى	الواجـب
٤٠	١٢٠	شـاة
١٢١	٢٠٠	شاتـان
٢٠١	٣٠٠	ثلاث شياه
٣٠١	٤٠٠	أربع شيـاه
٤٠١	٥٠٠	خمس شياه

تنبيهـات تتعلق بزكاة الماشيـة

الأول : الوقص لا زكاة فيـه

والوقص هو العدد بين الفريضتين ، والإجماع قائم على أنه لا زكاة فيه ؛ والـوقص لا يكون إلا فى زكاة الماشية فقط ؛ أما زكاة الحرث والعين فلا وقص فيها ؛ إذ مازاد على الفريضة يزكى بحسابه قلة وكثرة .

ومثـال الـوقص فى الإبل : أن يملك المسلم تسعا من الإبل فإنه يزكى الخمس ذود بشـاة ، ولا يزكى الأربعـة الأبعرة الباقية حتى إذا زادت فأصبحت عشرا فإنه يزكيها بشاتين . ومثاله فى البقر : أن يملك المسلم ثلاثين بقرة فيزكيها بعجل فإذا زادت واحدة أو أكثر فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ، فالعدد ما بين الثلاثين والأربعين وقص لا زكاة فيها . ومثاله من الغنم : أن يملك المسلم أربعين شاة فيزكيها بشاة واحدة فإذا زادت فلا زكـاة فيما زاد حتى تبلغ مائة وإحدى وعشرين فيزكيها بشاتين ، فالعدد مابين الأربعين إلى مائة وعشرين وقص ولا زكاة فيه .

الثانى : الأنواع يضم بعضها إلى بعض . فالضأن والمعز نوعان ، والبقر والجاموس نوعان ، والبُخْتُ (١) والعراب (٢) نوعان،ويضم كل نوع إلى نوعه فى الزكاة،وتخرج الزكاة من أكثر النوعين .

الثالث : الخليطان يتراجعان بالسويَّة .

إذا كان هناك اثنان لكل منهما عدد من الإبل أو البقر أو الغنم وكان راعيهما واحداً ، ومراح ماشيتهما واحداً ، والفحل واحدا فهما خليطان ، فإن للمصدِّق أخذ الواجب فى تلك الماشية ، وهما يتراجعان بالسويَّة وذلك كأن يكون لهما أربعون شاة فيأخذ المصدِّق منها شاة ، فالذى أخذت الشاة من غنمه يرجع على صاحبه بما أخذ منه، إذ الساعى أو المصدق ينظر إلى الماشية المختلطة فيعدها ويأخذ ما وجب فيها والخليطان يتراجعان بينهما بالسوية .

الرابع : لايجمع بين مفترق ، ولا يفرق بين مجتمع خشية الزكاة .

نهى رسول الله ﷺ عن جمع المفترق ، وتفريق المجتمع خشية الصدقة (٣) ومثاله أن يكون لرجلين مائتا شاة وشاتان ، فالواجب عليهما ثلاث شياه فإذا شعرا بمجىء المصدِّق فرقا غنمهما فأصبح لكل واحد مائة شاة وشاة فقط فيجب عليهما شاتان بدل ثلاث .

أو يكون لكل واحد منهما أربعون شاة مستقلة فإذا شعرا بمجىء المصدق جمعاها حتى لايجب فيها إلا شاة واحدة ، إذ لو تركت متفرقة لوجب فى كل أربعين شاة ولكن إذا جمعاها وأصبحت غنما واحدة فإن فيها شاة واحدة .

---

(١) البُخت : الإبل الخراسانية .

(٢) العراب : كرائم الإبل السالمة من الهجنة .

(٣) رواه أهل الصحاح .

الخامس : اشتراط السوم فى الماشيــة :

الجمهور من أهل العلم على أن السوم شرط فى وجوب الزكاة . وعليه فمن كانت له ماشية يعلفها ولم تكن ترعى فى المراعى العامة فلا زكاة فيها وإن بلغت نصاباً لقول الرسول ﷺ : « فإذا كانت سائمة الرجل ناقصة من أربعين شاة واحدة فليس فيها صدقة »(١).

فقولـه : سائمـة الـرجل اعتبر به السوم شرطا عند الجمهور وعملوا به فأسقطوا الزكاة على المعلوفة نظراً لكلفة العلف .

السادس : الخيــل لا زكاة فيهــا .

الإجماع على أنه لا زكاة فى الخيل لقول الرسول ﷺ : « ليس على المسلم فى عبده ولا فى فرسه صدقة »(٢)

غير أن الخيل إذا كانت للنسل بأن كانت ذكوراً وإناثاً يرى بعض أهل الفقه الزكاة فيها فيخرج عن كل فرس ديناراً سنويا . وهو رأىٌ ضعيف لم يره الجمهــور .

السابع : السخلة تعد ولا تؤخذ هى ولا الأكولــة :

إن السخلة والجمـع سخـال : بنت الشـاة التى ما زالت صغيرة يحملها الراعى لصِغَرِها وعدم قدرتها على المشى . هذه السخلة يعدها المصدق على أصحـابهـا ولا يأخذها فى الصدقة وإنما يأخذ الكبيرة . كما لا يأخذ الأكولة وهى السمينة المُعَدَّة للأكل ولا الرُّبَّى وهى التى تربى ولدها ، ولا المخاض وهى الحاملَ ولا الفحل لأنّ هذه المذكورات من كرام الأموال . والـرسـول ﷺ قال لمعاذ رضى الله عنه : « إياك وكرائم أموالهم » وهى خيارها لما فى ذلك من أذى أهل المال المسلمين وأذية المسلم حــرام .

---

(١) رواه البخـــارى .

(٢) رواه مالك عن أبى هريرة رضى الله عنه فى الموطـأ .

بيان كيفيـــة زكاة الثمـــار والحبوب

أ ـ الثمـــار .

الثمار جمع ثمرة ، ثمرة كل شيء نتاجه والمراد بالثمار هنا ثلاثة أشياء : هى التمـر والزيتون والعنب ، إذْ غيرها لم يصح عن النبى ﷺ ولا عن أصحابه رضى الله عنهم ما يدل على وُجوب الزكاة فيه ، ومن احتج بآية البقرة [١] على زكاة ما عدا الثلاث المذكورة آنفا فإنه محجوج بأن الآية مجملة والسنة مبينة ، ولم يأمر رسول الله ﷺ الأنصار وكانوا أهل حقول بزكاة غير التمر والعنب والزيتون من سائر أنواع الثمار ، ولذا الجمهور على أنه لا زكاة فى الفواكه كالتفاح والرمان ولا فى الخضر كالقثاء والبطيخ ، ولا فى البقول كالبصـل والثـوم ولا فى القَضْب كالبرسيم لعلف الدواب والغنم . وإنما الـزكـاة فى الثمار والحبوب التى تقتات [٢] وتدخر ، أما القضب والبقول والفواكه والخضر فلا زكاة فيها لأنها لا تقتات ولا تدخر وما كان منها مقتاتا فإنه لا يدخر وما كان يدخر فإنه لا يقتات والاقتيات والادخار هما الوصف الملائم لوجوب الزكاة .

الواجب فى زكاة الثمـــار والحبـــوب :

والواجب فى زكاة الثمار والحبوب هو العشر ، فمن ملك نصاباً وهو خمسة أوسق من تمر أو زيتون ، أو عنب فقد وجب عليه زكاة فإن كان يسقى بماء العيون والأمطار والأنهار أو كان عثريا [٣] فإن الواجب فيه العشر ، وإن

---

(١) هو قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ماكسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ﴾ .

(٢) المقتات : مايتخذ قوتا يعيش عليه الإنسان فى حال الاختيار لافى حال الضرورة

(٣) العثرى : هو البعل وهو مايشرب بعروقه ولا يسقى بماء .

كان يسقى بالحبال والدلاء أو المكائن ففيه نصف العشر لقول الرسول ﷺ : « فيما سقت[٢] السماء والعيون والبعل العشر ، وفيما سُقى بالنضح[٣] نصف العشر » .

تنبيهات

الأول : العنب إن صلح أن يكون زبيباً فإنه يزكى بعد أن يصير زبيباً إذا بلغ خمسة أوسق ، والزيتون يزكى بعد عصره فتخرج الزكاة من زيته إذا بلغ نصاباً وهو خمسة أوسق .

الثاني : ما كان من الرطب والعنب والزيتون لا يصلح أن يكون تمراً وزبيباً وزيتاً خُرِصَ[٣] فإذا بلغ نصاباً زكى ثمنه بعد بيعه رطبا وعنبا وزيتونا .

الثالث : الجنس إذا اختلفت أنواعه جودة ورداءة أخرجت الزكاة من وسطه فيُتحاشى خيارُهُ كما يتحاشى أردؤه ويخرج من وسطه ، وذلك كالتمر فإن منه الجيد جداً كالعجوة ومنه الردىء جداً كالحُلَيَّة والجعرور وما إلى ذلك ، وهذا تمشيا مع إرشاد الرسول ﷺ إذ قال لمعاذ رضى الله عنه : « إياك وكرائم أموالهم » . وقول عمر رضى الله عنه : عُدَّ عليهم السخال ولا تأخذها منهم . والسخال : الصغير من الغنم .

الرابع : ما كان من الثمار كاللوز والجوز ، والفواكه كالتفاح والخوخ والبرتقال والكُمَّثْرَى يبلغ خمسة أوسق ويزيد ، الأحوط لدين المسلم أن يزكى ماباعه منه بأثمان كبيرة ، ولو بنسبة اثنين ونصف فى المائة كزكاة العين كما قيل فى زكاة الخيل إذا كانت للنماء والنسل .

الخامس : لو بلغ العسل[٤] كميات كبيرة كخمسة قناطير من العسل

---

(١) رواه مالك فى الموطأ .

(٢) المراد من النضح : السقى بالسواقى والمكائن والدلاء إذا النضح هو الرش بالماء .

(٣) خرص : قدر بالحزر وهو على الشجرة و النخلة قبل جداده أو قطفه .

(٤) ورد فى زكاة العسل حديث ضعيف ولذا الجمهور على عدم زكاته ولأن العادة لايجنى منه كميات كبيرة تبلغ خمسة أوسق أو تزيد .

فأكثر فإن الأحوط زكاته كذلك ولو بزكاة ثمنه بربع العشر كالنقدين .

السادس : من باع تمرا قبل بدو صلاحه ، أو زرعا قبل اشتداد حبه واستوائه فزكاته على المشترى إلا أن يشترط عدم زكاته فيكون عندئذ على البائع ، ومن باع التمر بعد بدو صلاحه والزرع بعد استوائه فزكاته على البائع بلا خلاف .

ب ـ الحبـــوب :

المراد من الحبوب فى باب الزكاة ما كان مقتاتاً (١) مدخرا من سائر أنواع الحبـوب كالـبر والشعير والفول والحمص والعدس والسلت والذرة والأرز واللوبيا والجلبانة وما شابه ذلك من أنواع الحبوب والقطنيَّة.

فمن حصد من ذلك خمسة أوسق فما فوق وجب عليه زكاته وهى العشر فيما يسقى بدون مؤونة ونصف العشر فيما يسقى بمؤونة ، وذلك بعد حصـاده ودرسه وتصفيته لقول الله تعالى : ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ (١)

تنبيهـــــــات

الأول : أنـواع الجنس الواحد يُضم بعضها إلى بعض فى الزكاة ، فالـذهب يُضم إلى الفضـة ، والبر والشعير والذرة والسلت والأرز يضم بعضها إلى بعض فإذا بلغ المجموع خمسة أوسق وَجَبَتْ فيها الزكاة وإلا فــلا .

والقطنية كالفول والحمص والجلبان واللوبيا والعدس يُضم بعضها إلى بعض فإن بلغت خمسة أوسق زكيت وإلا فلا . والزيتون تضم أنواعه إلى بعضها ، ويزكى إن بلغ خمسة أوسق والتمر جنس تحته أنواع بلغت أكثر من مائة نوع منها الجيد ومنها الردىء يضم بعضها إلى بعض فإن بلغت خمسة أوسق وجبت فيها الزكاة وإلا فــــلا .

(٢) قيد الاقتيات يخرج به مثل الفلفل والبصل والبرسيم وقيد الادخار يخرج به الفواكه والخضر كالبطيخ والطماطم .
(١) الآية من سورة الأنعـام .

الثانى : الدّين لايسقط زكاة الثمار والحبوب :

إنّ الدين يسقط زكاة النقدين فمن كان له ألف درهم وعليه دين أسقط دينه أولا وما بقى زكاه إن بلغ نصاباً .

غير أن الدين لايسقط زكاة الثمار والحبوب والماشية فمن حصد ألف قنطاريُّا وعليه مائة درهم مثلا فإنه يجب عليه أن يزكى بُره بلغ دينه ما بلغ ، لأن الزكاة متعلقة بعين الحب والثمار لا بذمة صاحبه كما هى الحال فى النقدين : الذهب والفضة .

اللهم إلا أن يكون قد استدان صاحب الحرث لأجل الحرث كشراء بذر ، أو استئجار آلة حرث أو حصاد ، أو دياس ففى هذه الحال يسقط دينه المترتب على الحرث ويزكى مابقى . هكذا رأى بعض أهل [1] العلم ، وهو رأى حسن يتفق ورحمة الإسلام بأهله .

الثالث : لا زكاة على شريك لم تبلغ حصته نصاباً .

إذا كان فى النخل أو العنب أو الزيتون أو الحرث مطلقا شركاء فجدُّوا تمرهم أو قطفوا عنبهم أو جنوا زيتونهم ، أو حصدوا زرعهم واقتسموه بينهم بحسب أنصبتهم فى الشركة، فإن من حصل منهم على نصاب أى خمسة أوسق زكى نصيبه، ومن حصل منهم على أقل من نصاب فلا زكاة عليه .

بيان كيفية زكاة النقدين

أ ـ الذهب :

الذهب ويقال له التِّبر قبل أن يضرب أو يصاغ ، وَاحِدُه ذهبة : جوهر كريم معروف ومنه الأحمر والأصفر . وتجب الزكاة فيه إذا بلغ نصاباً ،

(١) يروى هذا عن عطاء وهذا نص قوله فى المجموع للنووى : تكون المؤونة من وسط المال لايختص بتحملها المالك دون الفقراء ؛ لأن المال للجميع فوزعت المؤونة عليه . كما يروى عن ابن عباس وعمر رضى الله عنهم وكذا سفيان الثورى رحمه الله تعالى .

ونصابه عشرون ديناراً ، والدينار زِنَتَه اثنتان وسبعون حبة شعير ، وزنتها بالجرامات ثلاثة جرامات ونصف جرام ، فإذا ضربت فى عشرين ديناراً صارت سبعين جراماً وهى نصاب الذهب ، فمن ملك هذا المقدار ملكاً تاماً وحال عليه الحول وجب عليه زكاته وهى ربع العشر : جرام وثلاثة أرباع الجرام ؛ إذ فى الأربعين جرام وفى الثلاثين ثلاثة أرباع جـــــرام .

ومن ملك أقل من سبعين جراماً وملك من الفضة أو العُمل النقدية ما يكمل به سبعون جراما وجبت عليه فيه الزكاة ، إذ الفضة تضم إلى الذهب والعُمل قائمة مقامهما . وذلك لحديث الصحيح : وفى الرقة ربع العشـــــر .

ب : الفضَّـــة :

الفضة ويقال لها الرِّقة والورق : جوهر كريم أبيض تضرب منه الدراهم كما تضرب الدنانير من الذهب ، ويصاغ منها الحلى للنساء كما يُصاغ من الذهب ، وتتخذ منها الأوانى للأكل والشرب ، ويحرم الأكل والشرب فى آنيتهما على المسلم لقـول الرسول ﷺ : « لا تشربوا فى إناء الذهب [١] والفضة ، ولا تلبسوا الديباج والحرير فإنه لهم فى الدنيا وهو لكم فى الآخرة يوم القيامة » .

وتجب الزكاة فى الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة إذا بلغت نصابا والنصاب فيها خمس أواق ، لقول الرسول ﷺ : « ليس فيما دون خمس أواق صدقة [٢] » .

والأوقية أربعون درهماً ، فإذا ضرب الأربعون فى خمسة عدد الأواقى كان الحاصل مائتى درهم وهو نصاب زكاة الفضة بالدراهم ، والدرهم إحدى وخمسون حبة شعير وزنتها بالجرامات : جرامان وثلاثة من عشرة هكذا (٣ و ٢) فإذا ضربت فى مائتين عدد الدراهم كان الحاصل أربعمائة

---

(١) رواه مسلم .

(٢) فى الصحيح .

وستين جراما ، وهو نصاب الفضة بالجرامات ، والواجب فيه ربع العشر كالذهب سواء بسواء .

وعليه فمن ملك أربعمائة وستين جراما من الفضة ملكاً تاما وحال عليها الحول وجب عليه زكاتها بربع العشر ، وهو أحد عشر جراما ونصف جرام ومن ملك أقل من نصاب وكان معه ذهب أو عملة يكمل بها النصاب وجب زكاة ذلك لأن الذهب يضم إلى الفضة ، والفضة إلى الذهب والعُمل قائمة مقامهما فتضم إليهما ويطلق على الكل لفظ النقد أو العين .

ح : عروض التجارة :

العروض جمع عرض بفتح العين وسكون الراء : مايُعرض للبيع والشراء من سائر السلع والبضائع . ووجبت الزكاة فيها لأنها أموال مُعَدَّة للنماء والزيادة ولحديث : فى الإبل صدقتها وفى البقر صدقتها وفى البز صدقته [١] .

وحديث أبى دواد [٢] : كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذى يُعَد للبيع . ولا زكاة فى العروض واجبة إلا إذا توفرت فيها ثلاثة شروط وهى : المِلْك التام ، وحول الحول ، ونية الاتجار بها فإن نقص شرط فلا زكاة .

وكيفية زكاة العروض أن ينظر فيها أولاً : هل هى محتكرة أو مُدَارة ، فإن كانت مُدارة أى تدخل وتخرج كلما باع صاحبُها كمية اشترى أخرى ليبيعَها وهكذا لاتستقر البضاعة عنده حتى يبيعها ويشترى أخرى

---

(١) الحديث رواه البيهقى والدار قطنى والحاكم وصححه . والشاهد منه قوله « وفى البز صدقته » إذ البز : الكتان وهو من عروض التجارة ، وكذا الإبل والبقر إذا كانت للتجارة فإنها تزكى زكاة الأموال لازكاة الأنعام .

(٢) الحديث ضعفه بعضهم وسكت عنه أبو داود . وماسكت عنه أبو داود يحتج به أهل العلم ويصلح للعمل بـه .

كاصحاب الحوانيت والدكاكين من بائعي البقول والأقمشة وأدوات البناء وأواني الطبخ وما إلى ذلك فصاحب هذه العروض التجارية عليه أن يقوم الموجود بدكانه رأس كل حول ، ويضيف إليه الناض من النقود ويزكيه بنسبة ربع العشر أي اثنين ونصف في المائة إذا بلغ الجميع نصاباً .

وإن كانت محتكرة وهي التي يترصد بها التاجر غلاء الأسعار ، ولا يبيعها إلا إذا غلت وارتفعت أسعارها ، ولو مكثت عنده سنين عديدة ، وذلك كالاتجار في الأراضي والمباني والمواشي من خيل وإبل وبقر وغنم وبعض الأثاث المنزلي وما إلى ذلك مما لا يديره التاجر ، وإنما يحتكره حتى يبيعه بغلاء فزكاة هذه العروض عند مالك رحمه الله تعالى وهو المذهب الذي اخترناه في هذه المسألة بالذات لما فيها من الرفق . والتيسير أن يزكيها صاحبها يوم يبيعها إن بلغت نصابا لعام واحد ولو مكثت عنده أعواماً . ووجه الرفق فيها : أن المسلم قد تكون عنده نقود فيشتري بها قطعة أرض أو منزل أو بهيمة ينتظر بها الغلاء لعل الله تعالى يكسبه منها ربحاً فيحول الحول ولم تبع ، وما عنده من النقد ما يفضل عن قوته فيقع في حرج كبير إذ ليس له ما يزكي به ذلك العرض الذي اشتراه بنية الربح فيه . فمن الرفق به أن يمهل حتى يبيع ولو بعد سنين، فإذا باع عرضه زكاه فورا لعام واحد إذ لو طالبناه بزكاة سنين قد تستغرقه الزكاة، وهذا يتنافى مع رحمة الإسلام وعدالته . مع العلم أنه لا نص صريحاً في المسألة ولا إجماع بل الظاهرية لا يرون الزكاة في العروض التجارية بالمرة لعدم الدليل القاطع في ذلك ، ومع هذا فلو أن المسلم زكى ما يحتكره كل سنة لكان أحب إلينا ، لا سيما والتطوع محمود وفي الحديث : « إلا أن يشاء ربها » . وإذا باع المحتكر عروضه زكاها فوراً ولا ينتظر بثمنها الحول . والوجب فيها هو الواجب في النقدين : ربع العشر أي اثنين ونصف في المائة .

د ـ الديـــون :

الديون جمع دين وهو ما تعلق بذمة إنسان لآخر من عرض أو نقد إلى أجل معين أو إلى غير أجــــل .

وكما يكون المسلم دائنا يكون مدينا ، فالدائن إذا حال الحول على ما عنده من نقد أو عرض تجارة فإنه ينظر إلى ديونه التى له على الغير فإن كانت مرجوّة الحصـول عليها ، وذلك بأن كانت بذمة مقرٍّ بها غير معسر فإنه يحصيهـا ويضمها إلى ما عنده من مال أو عرض تجارة حال عليه الحول ويزكيها معه . وإن كانت ديونه ميئوساً منها أو شبه ميئوس لكونها بذمة منكر لها أو مقر بها وهو معسر لا سداد له فإن هذه الديون يزكيها يوم قبضها ولو بقيت سنوات، شأنها شأن عروض التجارة المحتكرة فإنها تزكى يوم بيعها لعام واحد ولو بقيت سنوات عدة والمدين إذا حال الحول على ما عنده من نقد أو عرض تجارة فإنه يحصى ما عليه من الديون ويسقطها مما عنده فإن بقى به ما تجب فيه الزكاة زكاه وإلاَّ فلا . مثاله : أن يكون لمسلم مائة ألف درهم حال عليها الحول وعليه دين هو مائة ألف أو أكثر فإنه لازكاة عليه ، وإنما عليه أن يسدد ديون الغير التى بذمته ، وإن كان له ألف درهم وحال عليه الحول ، وعليه دين وهو أربعمائة درهم فإنه يسقطها من الألف فيبقى ستمائة فيزكيها ، دون الاربعمائة لأنها لغيره وليست له ولأن صاحبها سوف يزكيها يوم يقبضها أو قبل قبضها .

تنبيهات

الأول : إن فى مسألة زكاة الديون خلافاً طويلا بين أهل كل مذهب ، وَمَا مشينا عليه هو مذهب مالك وقد استدل عليه فى الموطأ بعمل عثمان بن عفان رضى الله عنه وعمل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ،

والاقتداء بالخلفاء الراشدين خير من القول بالرأى .

الثانى : أنَّ من قبض شيئا من دينه ينظر فيه فإن كان بالغاً نصاباً ، أو كان عنده مال غيره وجبت فيه الزكاة ضمه إليه وزكاه معه ، وإن كان ما حصل عليه من الدين لم يبلغ نصاباً عرف عدده حتى إذا تسلم قدراً آخر من دينه ضمه إليه وزكاه إن بلغ نصابـــــاً .

الثالث : إن كان لمسلم دين على فقير لا يجزئه أن يجعلَه من الزكاة ويبرئه منه ، لأن هذا الفقير معسر لايقدر على سداد هذا الدين ، وعليه فقد أصبح المالك غير قادر عليه فملكه إذاً غير تام والزكاة تجب بشرط الملك التـام . ولـذا لا يزكى هذا الـدين حتى يتسلمـه ولو بقى سنوات بذمة الفقير ، ولا يزكيه إلا مرة واحدة كما تقدم بيانـــــــه .

هـــ المال المستفــاد :

إن المراد من المال المستفاد : مَا حصل عليه المسلم من إرث أو هبة أو عطية ، أو أجرة عمل أو كراء دابة أو سيارة ، أو أجرة منزل أو دكان ، أو أرض وما إلى ذلك . فهل فى هذا المال زكاة ؟ وهل يشترط له الحول ؟ وهل حوله خاص به ؟ أو هو حول ما عند صاحبه من مال سابــق ؟

والجواب : أنه مادام هذا المال المستفاد عيناً أى ذهبا أو فضة أو عملة تقـوم مقـام الـذهب والفضة فإن فيه الزكاة ، لأن الزكاة تجب فى العين والحـرث والمـاشية ، وهـذا المـال المستفاد عين فالزكاة واجبة فيه إذاً بلا خلاف ، وأما الحول فعامة المسلمين من صدر الإسلام إلى اليوم على أنه شرط فى زكاة المال المستفاد ، فمن استفاد مالاً بإرث أو هبة أو كراء أو إجارة أو عمل قام به فإنَّ هذا المال لا يزكى حتى يحول عليه الحول ، أو يكون للمسلم مال غيره حال عليه الحول فإنه يجمعه معه ويزكيهما معاً ، أمَّا أن يزكى المـال المستفـاد فور استفادته بدون مرور الحول عليه فهذا مخالف

لإجماع المسلمين [١] ، فقد كان أبو بكر رضى الله عنه [٢] إذا أعطى الناس أعطياتهم يسأل الرجل : هل عندك مال وجبت عليك فيه الزكاة ؟ فإن قال : نعم . أخذ من عطائه زكاة ذلك المال ، وإن قال : لا ، أسْلَمَ إليه عطاءه ولم يأخذ منه شيئا ، ومعنى هذا أن يستقبل بها أُعطيه من مال حولا كاملاً من يوم تسلمه .

وهذا الذى عليه المسلمون من عهد نبيِّهم ﷺ إلى اليوم : أن من استفاد مالاً لا يزكيه حتى يحول عليه الحول ، أو يكون له مال وجبت فيه الزكاة فإنه يضمه إليه ويزكيهما مَعـــاً .

فالمسلم يرث المال أو يعطاه هبة أو يحصل عليه بعمل قام به أو باستئجار منزله أو دابته أو أرضه فإنه ينفق منه على نفسه وأهله ويتصدق منه فإذا حال الحول وبقى منه شىء يبلغ نصاباً زكاه ، أو يكون له مال آخر حال عليه الحول فإنه يزكيه ولو لم يحل الحول على المال المستفاد لوجود مال سابق وجبت فيه الزكاة ، وقد تقدم أنَّ أبا بكر إذا أعطى الرجل سأله : هل عندك مال وجبت فيه الزكاة ؟ فإذا قال : نعم أخذ الزكاة من أعطيته التى هى مال مستفـاد .

ولو قلنا بزكاة المال المستفاد فور الحصول عليه إذا بلغ نصاباً لكنا قد أبطلنا قاعدة شرعية وهى الحول ، وهذا مالا نقدر عليه ، إذ اشتراط الحول أمر مجمع عليه بين المسلمين ، فليس من حق أحد أن يسقطه باجتهاد .غير أن هناك طريقاً سليما لا بأس أن يوجه المسلم إليه وهو أن يقال لذى الدخل الكبير من رواتب عالية إيراد إجارات كبير يزيد على نفقة المسلم إن هذه الأموال نعمة من الله تعالى فأنفق منه فى وجوه البر والإحسان ، ولا تكتف

---

(١) خالف فى هذا عثمان ووافقه ابن عباس رضى الله عنهم ثم انعقد الإجماع على أن المال المستفاد لازكاة فيه حتى يحول عليه الحول وابن عباس قال بعدم اشتراط الحول فى مسألة الأعطية السنوية ، التى كان الخلفاء يعطونها للمسلمين من بيت المال كل عام لافى كل مال مستفاد .

(٢) رواه مالك فى الموطـأ .

بالزكاة من الحول إلى الحول فإن فى المال حقا غير الزكاة . وقد قال رسول الله ﷺ لعمر رضى الله عنه : « إذا جاءَك من هذا المال شىء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه وكل وتصدق » . فمثل هذا التوجيه والإرشاد نافع ، ويصبح المسلم معه ينفق من ماله أكثر من واجب الزكاة .

و ـ زكاة الأوراق الماليـــة :

إن المـراد من الأوراق المـالية تلك العمل المختلفة كالدولار والفرنك والـدينار والريال والدرهم والجنيه والليرة والروبية المصنوعة من الورق أو النيكل أو الحديد ، وأصبحت بديلا عن الدينار الذهبى والدرهم الفضـــى .

هذا وبـما أن الجمهـور من الفقهـاء يرون ضَمَّ الذهب إلى الفضة ، والفضة إلى الذهب فى تكميل النصاب وإخراج الزكاة من أحدهما بدلا عن الآخر فإنه لا مانع من تقويم العملة النقدية بالذهب أو الفضة وإخراج زكاتها بما قُوِّمَتْ به إن بلغ نصاباً ، فإذا كان نصاب الذهب : سبعين جراما كما تقدم وكان مابيد العبد من العملة يساوى هذا القدر جاز إخراج زكاته بحساب نصاب الذهب ، كما أنه إذا كان نصاب الفضة أربعمائة وستين جراما ـ كما تقدم ـ وكان عند المرء المسلم مبلغ من العملة يساوى هذا القدر من الفضة جاز له أن يخرج زكاته بحسابه إذْ هو فى الحالين لا يعطى ذهباً ولا فضة ولكن يعطى عملة بلده من الريال أو الدرهم أو الدينار أو الجنيه مثلا .

بيـــان وتوضيح :

لقد علمنا مما سبق أن نصاب الذهب سبعون جراما وذلك لأننا أخذنا بما قَرَّره سلف الفقهـاء المـالكية من أن الدينار زنته اثنتان وسبعون حبة شعـير ، فأخذنا الاثنتين والسعين حبة من الشعير فوزناها بميزان دقيق

فوجدناها تساوى ثلاثة جرامات ونصفا فضربنا فى عشرين ديناراً نصاب الذهب الشرعى فكانت سبعين جراما . وعليه فمن كان لديه من العملة ما يساوى قيمة سبعين جراما من الذهب فقد وجبت عليه الزكاة، فيزكى ماعنده من العملِ بنسبة ربع العشر أى اثنين ونصف فى المائة وبهذا أصبح الأمر ميسراً سَهْلاً إذ مَا على المسلم إذا حال الحول على ما عنده من المال الذى هو عُمل فى الغالب ما عليه إلا أن يأتى بائع ذهب ويسأله عن قيمة سبعين جراماً من الذهب أو أربعمائة وستين جراماً من الفضة فإذا أعلمه بها نظر هل هذا المبلغ الذى ذكره له عنده أولا ؟ فإن وجده عنده علم أنَّ الزكاة وجبت عليه وزكى ما عنده وإن كان ما عنده أقل مما أخبره به بائع الذهب علم أن ماله لم يبلغ نصاباً وأنه لا زكاة عليه فيه .

وزيادة فى التوضيح لينظر فى الجدول التالى رقم (١)

الدينار	وزنه بالشعير	وزنه بالجرام	النصاب بالدينار	قدره بالجرام	الواجب
١	٧٢	٣	٢٠	٧٠	١

وذلـك أنَّنـا لما عرفنا أن الدينار الشرعى زنته ٧٢ حبة شعير ووزناها فوجـدنـاها ثلاثة جرامات ونصفا ، ضربناها فى عشرين نصاب الذهب فوجدناها سبعين جراما فعلمنا أنه نصاب الذهب . وبما أن الواجب هو ربـع العشر ففى الأربعـين جرام وفى الثـلاثـين جرام إلا ربعاً أى ثلاثة أرباع ، وهو الواجب فى السبعين جراما نصاب الذهب [١]

(١) ليعلم من يقرأ هذه الرسالة : أننا نظرنا فى كتب الفقة القديمة والحديثة ، وأنَّ مَارجحناه من أن نصاب الذهب هو سبعون جراماً ، ونصاب الفضة هو أربعمائة وستون جراما فى حين أن من قائل من يقول : نصاب الذهب خمسة وثمانون جراما ونصاب الفضة خمسمائة وخمسة وتسعون جراما .

إن مارجحته قائم على الحقائـــق التالية :

(أ) أن الأخذ بالأقل هو الأحوط لدين المسلم وأنفع للفقير المسلم .

(ب) أن زنـة الـديـنـار باثنين وسبعين حبة شعير وزنة الفضة بخمسين حبة وخُمْسَاحبة عليه الفقهاء المالكية وهو أضبط وأيسر وأحـــوط .

(ج) قيمة الخمسة والثمانين جراما من الذهب تساوى مايقارب ثلاثة آلاف ريال وزيادة من الريالات السعودية وهذا مبلغ لم يقل أحد اليوم أنه نصاب الريالات أو أية عملة أخرى وذلك لكبره وكثرته !!!

كما أننا أخذنا بتقدير المالكية فى الفضة لانضباطه وحياطته وسهولته ويسره ، إذ نصاب الفضة خمس أواق والأوقية أربعون درهما ، وعليه فمائتا درهم هى نصاب الفضة ، والدرهم زنته خمسون وخمسا[1] حبة شعير وقد وزناها بالجرامات فكانت جرامين وثلاثة من عشرة ، فضربناها فى المائتين نصاب الفضة الشرعى فوجدناها أربعمائة وستين جراماً .

وعليه فمن ملك من العُمل المختلفة ما تساوى قيمة أربعمائة وستين جراما من الفضة فقد وجبت عليه الزكاة فليخرجها من عُملته بنسبة ربع العشر أى اثنين ونصف فى المائة .

وهذا جدول توضيحى لذلك رقم (٢) .

الدرهم	زنته بالشعير	زنته بالجرام	النصاب بالدرهم	قدره بالجرام	الواجب فيه
١	٥١	٢,٣	٢٠٠	٤٦٠	١١,٥

وذلك أننا لما عرفنا أن الدرهم الشرعى زنته إحدى وخمسون حبة شعير ووزناه فوجدناها جرامين وثلاثة من عشرة ضربناها فى مائتين نصاب الفضة بالدرهم فوجدناها أربعمائة وستين جراما . فعلمنا أنه نصاب الفضة ، وبما أن الواجب هو ربع العشر ، ففى الأربعمائة : عشرة جرامات ، وفى الستين : جرام ونصف الجرام ، وهو الواجب فى الأربعمائة والستين جراما نصاب الفضة .

---

(١) تنبيه : قد ذكرنا أن زنة الدرهم بالتقدير المالكى الذى اعتمدنا عليه وحياطته ويسره هو خمسون حبة شعير وخمسا حبة ، غير أننا فى الوزن والتقدير ألغينا الكسر وأتممنا الحبة فجعلنا الكمية إحدى وخمسين حبة ، وذلك للإعتبارات التالية .
(أ) أن المسألة اجتهادية إذ هناك من قال بأكثر من هذا العدد .
(ب) أن الحب الشعير قد يختلف وزنه بعض الشىء بحسب الخصب وعدمه ، فزيادة ثلاثة أخماس الحبة غير ضائر .
وحسبنا أنا قدرنا الكمية الواجب فيها الزكاة بأربعمائة وستين ومن الفقهاء من قدرها بخمسمائة وخمسة وتسعين جراما ومن هنا فلا خوف فى زيادتنا ثلاثة أخماس حبة شعير فى كل درهم .

مصارف الزكـــاة

إن الجهـات والأشخـاص الذين تصرف لهم الزكاة مما تولّى الله تبارك وتعالى بيانه ولم يكله إلى غيره ، وقد أجمل تعالى ذلك فى آية واحدة من كتابه وهى قوله تعالى من سورة التوبة :

﴿ إنـما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفـة قلوبهم ، وفِي الـرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيـم ﴾ .

وهذا بيـــان ذلك :

١ ـ الفقـراء : جمع فقـير وهو من لايجد كفايته وكفاية من يعول من زوجة وولد إن كان له زوجة أو ولـــد .

والمراد من الكفاية : ما يكفى من طعام وشراب ، وكساء ومسكن

(٢) المسـاكين : جمع مسكين هل هو من له شىء لا يكفيه مؤونة حياته فيكون أحسن حالاً من الفقير ، أو هو من لاشىء له بالمرة ، ولا يقدر على الكسب لزمانة أو عائق آخر فيكون أسوأ حالاً من الفقير ؟؟

فى التفرقة بين الفقير والمسكين خلاف . ولذا لم يضر المسلم إذا لم يفرق بينهـما لاسيما وأن الجمهـور على جواز إعـطاء الـزكـاة لصنف واحد من الأصناف الثمانيـــة .

(٣) العاملون عليها : جمع عامل وهو من يعمل فى جبايتها وتحصيلها أو فى كتابتها وتدوينها أو حراستها وحمايتها أو تفريقها وتوزيعها . والأولى أن يكون العاملون عليها من بنى هاشم من آل البيت حتى يأخذوا كفايتهم منها برسم الوظيفة لأن الصدقة لا تحل لهم لشرفهم ، إذ قال رسول الله ﷺ : « إن الصدقة لاتحل لآل محمد ، إنما أوساخ الناس »[1] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

فالعاملون عليها يُعطون أجر عملهم ولو كانوا أغنياء غير محتاجين ؛ إذ لكل عامل أجر وهم قد عملوا على جمعها وتفريقها فيعطون منها لقاء ذلك العمـــل .

(٤) المؤلفة قلوبهم وهم أناس يكون لهم شأن وخطر اجتماعى بمعنى أنَّ لهم أثرا ما فى الحياة الاجتماعية فيعطون من الزكاة دفعا لشرهم ، أو جلبا لخيرهم وقد يكون أحدهم مؤمنا ضعيف الإيمان وقد يكون كافراً . فالمؤمن منهم يُعطى ليسكن قلبه وتطمئن نفسه بالإيمان فينقطع شره ويصل خيُره . والكافر يُعطى ليرغب فى الإسلام ويدخل فيه ، أو يحترمه ويقف موقف المدافع عنه المناصر لــــه .

والمؤلفة قلوبهم قد يوجدون أيام ضعف المسلمين وينقطعون أيام عزّه لذا فإن عمر رضى الله عنه قد أوقف جريان هذا المصرف لعزة الإسلام على عهده .

(٥) فى الرقاب : الرقاب جمع رقبة والمراد بها العبد أو الأمة يشترى بمال الـزكـاة ليعتق فتكمـل حريته ويتم تصرفه فيصبح عضوا نافعا فى الهيئة الاجتماعية ويتمكن من عبادة الله كحضور الجُمع والجماعات والجهاد والحج والاعتمار وما إلى ذلك مما كان مقيداً عنه لا يمكنه آداؤه مع الرق والعبودية لغيره . ولذا يشترط أن يكون الرقيق مسلمــــــا .

ويعطى العبد لتحرير كله أو بعضه إن كان مبعضاً . ويعطى المكاتب ما يتمم به نجوم كتابته ليتم تحريره فى أقرب وقت .

(٦) والغارمين جمع غارم وهو المدين لغيره بدين عجز عن سداده لقلة ذات يده فأهَمَّه ذلك فيعطى من الزكاة إذا كان قد ارتكب الدين لأحد أمــــرين .

أولهما : إصلاح ذات البين [١]

ثانيهما : إصلاح نفسه وأهله فيكون ما أنفقه مرتكبا به الدين قد أنفقه

(١) المراد من إصلاح ذات البين أن يكون هناك خلاف بين جماعتين أو فردين فيتدخل المؤمن ليصلح بينهما فينفق فى سبيل إصلاح ذات بينهم أموالا استدانها لذات الغرض

فى غير معصية الله تعالى بحيث لم ينفقه فى حرام ، ولا فى إسراف أو تبذير .

(٧) فى سبيل الله المراد من سبيل الله : الجهاد فى سبيل الله بهذا فسره عامة أهل العلم فيشترى من الزكاة العتاد الحربي ويعطى المجاهدون المتطوعون [٢] مايسدد حاجتهم من الزكاة وألحق عمر رضي الله عنه وكثير من أهل العلم الحج والعمرة بسبيل الله فيعطى الحاج أو المعتمر ما يساعده على أداء حجه أو عمرته إن لم يكن قد حَجَّ فرضه واعتمـــــــر .

(٨) ابن السبيل المراد من ابن السبيل المسافر يحتاج فى سفره إلى ما يواصل به سفره حتى عودته إلى بلاده فيعطى من الزكاة ما يساعده على ذلك وهل يشترط أن يكون السفر مباحاً ؟ نعم ينبغى أن يكون المسلم قد سافر لغرض صحيح ، اما إذا كان سفره لمعصية فلا يعطى من الزكاة لما فى ذلك المساعدة على المعصية وهذا مما لايجوز ولا يقر عليه أحد

هذه مصارف الزكاة الثمانية التى جاءت فى الآية الكريمة وليس هناك للزكاة مصارف غيرها ، غير أن هناك مسائل ينبغى التنبيه إليها وهى :

١ ـ الجمهور على جواز دفع الزكاة لصنف أو أكثر من الأصناف الثمانية .

وليس واجباً أن توزع الزكاة على كل الأصناف الثمانية فى حال وجودها فى وقت واحد .

٢ ـ يجوز إعطاء الغارم ما يسدد كل دينه أو بعضه .

٣ ـ لايجوز اعطاء الزكاة لكافر أصالة أو مرتد ، ولا لتارك الصلاة للقول بكفـــــره .

٤ ـ لايجوز إعطاء الزكاة لغنى لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لَا حظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب » .

٥ ـ لايجوز إعطاء الزكاة لمن تجب النفقة عليهم كالزوجة والولد والوالديـــــــن .

٦ ـ يجوز إعطاء المرأة زكاة مالها لزوجها إن كان فقيرا لإعطاء امرأة ابن

---

(١) أما المندون من المرتزقة وهم الذين يأخذون رواتب شهرية من الدولة ، فلا يعطون من الزكاة .

مسعود زكاتها لزوجها عبد الله وإقرار الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك .

٧ - لايجوز إعطاء الزكاة لبنى هاشم ، ولا بأس أن يوظفوا فيها ليأخذوا أجرهم منها مقابل عملهم .

٨ - لاتنقل الزكاة من بلد إلى بلد إلا من ضرورة تستدعى ذلك كمجاعة أو يكون إمام المسلمين هو الذى ينقلها لمصلحة العامة .

٩ - من استفاد مالا وجبت فيه الزكاة فى غير بلده أخرج زكاته فى البلد الذى اكتسبه فيه،ولا ينقله إلى بلده إلا من ضرورة كما قدمنا .

١٠ - يجوز اعطاء الفقير من الزكاة ما يكفيه لعدة أشهر أو لسنة كاملة .

١١ - إذا كان الرجل معروفا بقبوله الزكاة لظهور فقره لا بأس بعدم إعلامه بأن ما أعطيه من الزكاة وإلا وجب إعلامه بأن ما أعطاه إياه من الزكاة ، ثم هو إن شاء أمسكه أو رده إن علم أنه من غير أهل الزكاة .

صدقة الفطر

تعريفها ، وحكمتها :

صدقة الفطر ، ويقال لها زكاة الفطر وزكاة النفوس والفطرة : هى صدقة يخرجها المسلم قبل صلاة عيد الفطر شكراً لله تعالى على نعمة التوفيق لصيام رمضان وقيامه يختم بها المسلم عمل رمضان يرجو بركتها ومثوبتها ويغنى بها أخاه الفقير المسلم عن السؤال يوم العيد يوم فرح المسلمين بنعمة الإسلام .

حكمها :

صدقة الفطر واجبة على كل مسلم ذكراً كان أو أنثى ، كبيراً أو صغيراً حرًا أو عبداً ، تجب على المسلم وعلى من يعولهم وينفق عليهم من زوجة وولد وخادم .

فرضها رسول الله ﷺ وبين مقدارها كما جاء ذلك فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما « فرض رسول الله زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعاً من شعير على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين . »

بيـــان مقدارهـــا :

زكـاة الفطر صاع أو أربعة أمداد ، والمد : حفنة الرجل المعتدل غير قابض أصابعه ولا باسطها لحديث ابن عمر فى الصحاح : « صاعاً من شعير » الحديث . والأحوط أن يزاد على أربع حفنات مثل نصف حفنة لاحتمال نقصان حفنة الرجل اليوم عن حفنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

بيـــان ماتخرج منـه :

تخرج زكاة الفطر من غالب قوت أهل البلد من بُرٍّ أو شعير أو أرز أو تمر أو زبيب أو إقط [1] ولا خلاف فى هذا . وكل ما كان أجود فهو خير وأفضـــــل .

هل يجوز اخراجهـــا نقوداً ؟

الجمهور على عدم الجواز وهو الصحيح لأن النبىَّ ﷺ لم يذكر ديناراً ولا درهما وكان التعامل بهما قائما . غير أنه إذا تعذر اخراج الطعام يجوز ضرورة إخراج النقدين بدلاً عن الطعام حتى لا تتعطل الفريضة .

وقت إخراجهـــــا :

وقت إخـراج زكـاة الفـطر المستحب : مابـين صلاة الصبـح وصلاة العيد : ويجوز إخراجها قبل ذلك ، إذ تجب زكاة الفطر بدخول ليلة العيد وإخـراجهـا بعـد صلاة العيد فما دون ذلك إلى الغروب مُجزىء لحديث السنن : فَرض النبى ﷺ صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمةً للمساكين ، من أداها قبل صلاة العيد فهى زكاة ومن أداها بعد

(١) الإقط : اللبن المجفف .

صلاة العيد فهى صدقة من الصدقـات .

ويحرم تأخيرها عن يوم العيد إلا لضرورة كغيبة المال أو آخذها ، وذلك لحديث : « أغنوهم فى هذا اليوم عن المسألة » .

كما يجوز إخراجها قبل يوم العيد بيوم أو يومين أو ثلاثة لحديث مالك عن نافع أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يبعث بزكاة الفطر إلى الذى تجمع عنده قبل الفطر بيومين أو ثلاثة

مصرفـــــــــها :

مصرف زكـاة الفـطر على الصحيح أنـه الفقـراء والمسـاكـين لحديث « أغنوهم ـ يعنى المساكين ـ فى هذا اليوم عن المسألة » إلا أن يرى الإمام غير ذلك فهو له ؛ إذ تصرفه مبنى على أساس المصلحة العامة للمسلمين ، إذ من الجائز أن تجمع زكاة الفطر ويتولى الإمام إخراجها حيث يرى النفع للمسلمين .

مسألتـــــــان :

الأولى : يجوز إعطاء زكاة الفطر الواحدة إلى اثنين من الفقراء أو أكثر ، كما يجوز إعطاء عدة فطرات إلى فقير واحد وهو مذهب الجمهـــــــــور .

الثانية : تسقط زكاة الفطر عمّن لم يكن له فضل عن قوته وقوت من يعول يوم العيد ، وتجب على من يكون له فضل عن قوته وقوت من يعول يوم العيـــــــــــــد .

الفهـــــــرس

الموضـــــوع



●● الرسالة الثالثـــة

هكـــذا
الحج المبرور والزيارة



بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد
أخي المسلم . . . إذ أردت أن يكون حجك مبرورا تخرج به من ذنوبك كيوم ولدتك أمك ، ويكون جزاؤك عنه الجنة فاتبع كيفية الحج التالية :

إذا عزمت على الخروج إلى مكة فقلم أظفارك وتنظف ، واغتسل والبس إزاراً ورداء نظيفين ، والبس نعلين ، وإذا وصلت الى الميقات « آبار على » فصل ركعتين ، ثم انوِ نسكك ، وإن كنت تريد التمتع ـ وهو أفضل ـ فلبِّ قائلاً : لبيك اللهم عمرة . وان كنت تريد الافراد ـ وهو أفضل لمن اعتمر قبل أشهر الحج ـ فقل : لبيك اللهم حجاً . وان كنت تريد القران ـ وهو أفضل ان سقت معك هديا ـ فقل لبيك اللهم حجاً وعمرة . ثم واصل التلبيـــة .

لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك .

وإن كان خروجك الى مكة بطريق الجو فتنظف واغتسل والبس إزارك ورداءك ونعليك وصلِّ ركعتين بمسجد المطار واركب طائرتك ، فإذا ارتفعت الطائرة من أرض المطار وفارقته بقدر دقيقة فانو نسكك ولبِّ وواصل التلبية حتى تصل الى مكة المكرمة واحذر وأنت محرم ما يلـــى :

لبس الثياب ، تغطية الرأس ، مس الطيب ، قص الشعر ، قلم الظفر ، مباشرة النساء . النطق بفحش . وأكثر من فعل ما يلـــى :

التلبيـــة ، الدعاء ، الصلاة على النبى ﷺ ، الصدقة ، بذل المعروف من قول وفعل . وإذا وصلت مكة المكرمة فتطهر واقصد

المسجد الحرام ، فإذا وصلته فادخل من أى أبوابه تيسر لك وقدِّم رجلك اليمنى وقـل : بسم الله ، اللهم صل على محمد وآله ، اللهم اغفـر لى ذنـوبى ، وافتـح لى أبواب رحمتك . وإذا رأيت البيت ـ حرسه الله ـ فقل اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريمًا ومهابة وبـراً وزد من شرَّفـه وكـرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفاً وتعظيمًا وتكـريمًا ومهابة وبراً ثم ادخل المطاف كاشفاً عن كتفك الأيمن وتقدم الى الحجر الأسود وقبله إن تيسر أو المسه بيدك أو أشر اليه ناويا الطواف . ثم طف جاعلا البيت عن يسارك قائلاً : بسم الله والله أكبر اللهم ايماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ وواصل طوافك مهرولا فى الأشواط الثلاثة الأولى وماشياً فى الأربعـــة الباقية تدعو بما فتح الله عليك وتختم كل شوط بدعاء : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وكلما مررت بالركن اليمانى لمسته بيدك وبالحجر الأسود قبلتـه أو لمستـه أو أشرت اليه حسب امكـانـك وإذا فرغت من الطواف سبعة أشواط فأت مقام ابراهيم فصل خلفه ركعتين ولو بعيداً منه . تقرأ فى الأولى الفاتحة والكافرون ، وفى الثانية الفاتحة والصمد ، ثم إيت زمزم فاشرب منه وأكثر وادع بعد الشرب بما تحب من الخـير وان قلت اللهم إنى أسـألـك علمًا نافعـاً ورزقاً واسعاً ، وشفاء من كل داء وعافية من كل بلاء فحسن ، ثم تخرج إلى المسعى من باب الصفـا تالياً قول الله تعـالى : « **إن الصفـا والمـروة من شعائر الله . . الى عليم** » (١) . فإذا وصلت الصفا فاصعده واستقبل البيت وارفع يديك قائلاً : الله أكبر (**ثلاثاً**) لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل

---

١) تمام الآية : فمن حجَّ البيتَ أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما . ومن تطوع خيراً : فإنّ الله شاكر عليم .

شيء قدير . لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، وادع بما شئت من الخير ، وانزل ساعياً الى المروة ، واذا كنت بين الميلين الأخضرين فخبّ (**أى مسرعا دون الركض**) واذا وصلت الى المروة فاصعده واستقبل البيت وقل ما قلته على الصفا ثم انزل ساعياً الى الصفا . وهكذا حتى تتم سبعة أشواط بثماني وقفات (**أربع على الصّفا وأربع على المروة**) واذا فرغت من السعى فقصر شعرك « **ان كنت متمتعا** » والبس ثيابك فقد تمت عمرتك وان كنت مفرداً أو قارنا ، فلا تقصر ولا تتحلل ، وإنما إبق على إحرامك حتى ترمى جمرة العقبة يوم النحـــــــر .

تنبيـه : أنبهك أخى المسلم الى ان شأن مكة والحرم عظيمان فاحذر أن ترتكب فيهما أى ذنب ، فإن الله تعالى يقول : « **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** » فإياك والكذب والظلم والفحش وسماع الأغانى والباطل وحلق لحيتك وأذية عباد الله فى بيته وحرمه .

هذا واذا كان يوم التروية ثامن الحجة فاغتسل وتجرد من ثيابك والبس إحرامك (**ان كنت قد تحللت**) وانو الحج ملبياً به واخرج الى منى ضحى ملبياً فبت بها واقض جل هذا الوقت فى التلبية والدعاء والصلاة والسلام على النبى ﷺ . واذا صليت الصبح من يوم عرفـة (**تاسـع الحجـة**) خرجت الى عرفة فنزلت بها ، واذا أمكنك أن تأتى مسجد نمرة فتصلى الظهر والعصر مع الإمام جمعا وقصرا فافعل فإنه خير . ثم توجه بعد ذلك الى جبل الرحمة فقف به مستقبـلا القبلة وقف حيث تيسر لك الوقوف لأن عرفة كلها موقف ، وأكثر من الذكر والدعاء وأفضل الذكر : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، حتى اذا غربت الشمس افضت من عرفات الى مزدلفة فإذا وصلت

فصلَ المغرب والعشاء قصراً (جمع تأخير) ثم بت فيها واذا صليت الصبح وقفت مستقبلاً القبلة تذكر الله تعالى كثيراً وتدعوه الى قرب طلوع الشمس ثم تنفر الى منى بعد ان تلتقط ان شئت سبع حصيات لرمى جمرة العقبة ، واذا وصلت الى منى فارم جمرة العقبة قبل الزوال بسبع حصيات تكبر مع كل حصاة (الله أكبر) فإذا فرغت نحرت هديك وحلقت رأسك ولبست ثيابك وقصدت مكة المكرمة لطواف الافاضة ، فإذا وصلتها فطف بالبيت حرسه الله كما طفت عند قدومك غير انك لا تكشف عن كتفك ولا تهرول فإذا فرغت فصل ركعتين خلف المقام واخرج الى المسعى فاسع ان كنت حججت متمتعاً وان كنت مفرداً أو قارناً فإن سعيك الأول يجزئك ، ثم عد الى منى لتبيت بها ثلاث ليال ، وقد تم حجك .

وإذا زالت الشمس من اليوم التالى للعيد فارم الجمرات الثلاث كل جمرة بسبع حصيات تكبر مع كل حصاة ، وتدعو بعد الفراغ من الرمى عند كل جمرة إلا جمرة العقبة فلا تدع بعدها وابدأ فى الرمى بالجمرة الصغرى التى تلى مسجد الخيف واختم بجمرة العقبة ، وهكذا افعل فى اليوم الثانى . وان شئت تعجلت فخرجت من منى (قبل الغروب) الى مكة وان شئت بت ورميت فى اليوم الثالث ، ثم أتيت مكة المكرمة لطواف الوداع . وعندما تعزم على السفر طف طواف الوداع على النحو الذى طفته فى طواف الإفاضة ، ثم اخرج عائدا الى بلادك قائلا : آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون ، لا إله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

تنبيهـــــات

١ ـ لاتطف إلا وأنت متوضىء ، وأما السعى فيجوز بدون وضوء .

٢ ـ لاتترك التلبية فى ذهابك من مكة الى منى ، ومن منى الى عرفات ، ومن عرفات الى مزدلفة ، ومن مزدلفة الى منى حتى ترمى جمرة العقبـة ، ثم استبدل بها التكبير بعد الصلوات الخمس أيام منى الثلاثة .

٣ ـ لا تخرج من عرفات قبل غروب الشــمس .

٤ ـ بت بمزدلفة واذا كنت مضطـرا الى الخروج منها فعلى الأقل انزل بها وصل العشائين واسترح بها الى أن يمضى جزء كبير من الليل واذكر الله وادع ثم اخرج منها الى منـــــى .

٥ ـ لا ترم قبل الزوال ، وان اضطررت الى التأخير فأخر الى المساء .

٦ ـ العاجز والمريض ينيب من يرمى عنه ولا حـــرج .

٧ ـ يجوز أن تشـترط أثنـاء احرامك فتقول : لبيك اللهم لبيك محلى من الأرض حيث تحبسنى ، فانه إن نزل بك حادث منعك من مواصلة الحج تحللت ولا شىء عليـــــك .

٨ ـ يجوز للمفـرد والقارن تأخير السعى الى ما بعد طواف الإفاضة إن لم يتيسر بعد طواف القدوم .

٩ ـ علامـة قبول حجك أن تجد نفسك عند رجوعك الى بلدك تحب الخير وتعمله وتكـره الشر وتجتنبـه ، تلازم المسـاجد والصلاة فيها ، وتبتعد عن المقاهـى والجلوس فيهـــا .



الزيـــــارة

أخى المسلم . وإذا أردت أن تكون زيارتك مقبولة تثاب عليها فاتبع فيها ما يلى :

إذا عزمت على الزيارة فانو زيارة المسجد النبوى الشريف أولاً ، ثم اذا وصلت المـدينـة فانو التشرف بالوقوف على قبر النبى ﷺ والسلام عليه وعلى صاحبيه ، إذ الزيارة طاعة وكل طاعة تحتاج الى نية . وإذا وصلت فتـطهر وادخل المسجد النبوى مقدماً رجلك اليمنى قائـلا : **« بسم الله والصـلاة والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك ، ثم ايت الروضة الشريفة أو ما جاورها من المسجد وصل ركعتين ، فاذا فرغت فاقصد الحجرة الشريفة واستقبل المواجهة وسلم على النبى ﷺ قائلا السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، صلى الله عليك وعلى آلك وأزواجك وذرياتك أجمعيـــن »** .

ثم سلم على أبى بكر قائلا **« السلام عليك أبا بكر الصديق صفى رسول الله وثانيه فى الغار »** .

ثم سلم على عمر قائلا : **« السلام عليك عمر الفاروق ورحمة الله وبركاته »** .

ثم انصرف فى أدب ، واجلس فى ناحية المسجد ، وادع الله تعـالى واسـأله من خير الدارين وبهذا تمت زيارتك (**وإن شئت أقمت بالمدينة لتكثر من الصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ فإن فى ذلـك أجراً كبيراً وخيراً كثيراً**) . وإن أمكنك زيارة مسجد قباء للصلاة فيه فافعل فإن الصلاة فيه كأجر عمرة . وإن زرت قبور الشهـداء بأحد وقبور أزواج النبى ﷺ وبناته وأصحابه والمؤمنين بالبقيع فحسن . وأنبهك أخيراً الى ما يلى :

١ - لاترفع صوتك عند السلام على الرسول ﷺ ولا في مسجده أبداً .

٢ - لا تفعل ما يفعله الجهال من طول الوقوف عند القبر الشريف والدعاء ورفع الصوت وإنما سلم كما بينت لك وانصرف واجلس في المسجد وادع بما شئت من الخير ، تأدبا مع الرسول ﷺ .

٣ - لا تكثر من التردد على القبر الشريف ومزاحمة الزائرين عنده وأذيتهم ، فإنه يكفيك أن تزوره عند قدومك ، وعند سفرك الى بلادك ، وأكثر من الصلاة والسلام على رسول الله وآله وأنت جالس مستقبل القبلة في مسجده الشريف ، وأكثر من دعاء الله تعالى بالخير لك ولإخوانك المسلمين ولمن قدم لك هذه النصيحة في هذا البيان :

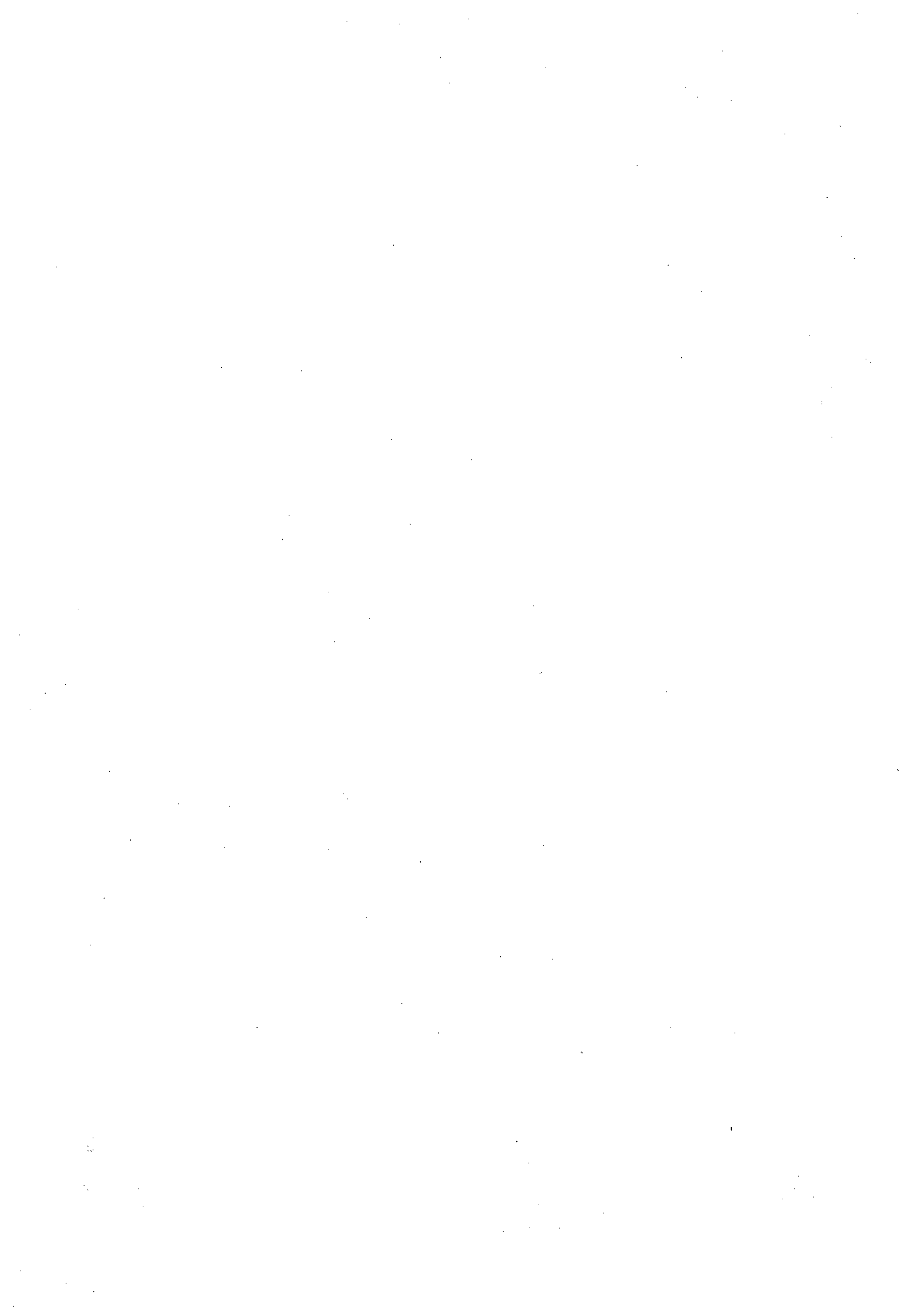
أبو بكر الجزائري غفر الله له

وعفا عنه آمين



●● الرسالة الرابعــة

حُسن المقال فى ثبوت رؤية الهــلال



بســـم الله الرَّحمن الرَّحيم

مقدمة

الحمد لله فالق الحبِّ والنَّوىٰ ، وجاعل الليل سَكَنا ، والشمس والقمر حسبانا ، وهو العزيز العليم . والصلاة والسلام على النبىّ الأمىّ محمد المبعوث رحمةً للعالمين ، وعلى آله وصحابته أجمعين .

وبعـد : فقـد كثـر فى هذه الأيام القيل والقـال ، حول ثبـوت رؤية الهلال ، وتوحيد الفطر والصيام . واضطربت لذلك نفوس ، وحارت له عقول وأفكار ، وتطلع المسلم إلى معرفة الحق فى هذه القضية الإسلاميّة . وكان لابد من كلمة شافية (وإن لم تكن كافية) تنير الطريق ، وتهدى إلى معرفة الحق فى هذه المسألة التى أصبحت تُحدِث فى كل عام مشاكل وتثير تساؤلات وأصبح لها ـ فعلا ـ آثار سيئة فى بعض بلاد المسلمين . وما كان مثل هذه ليكون لو عرف الحق فى هذه المسألة وقبلته نفوس المسلمين .

فكتبت هذه الكلمة إسهاماً منّى فى حل هذه المشكلة ، وهى تدور على سؤالين اثنين :

بم يثبت الصوم والإفطار ؟ وهل توحيد الصيام والإفطار بين المسلمين مع تباعد ديارهم ممكن ؟

وبسم الله تعالى أقول : إنه بمعرفة ما يثبتُ به الصيام والإفطار شرعاً والالتـزام به تنحل هذه المشكلة العويصة الحل ، التى أوجدت متاعب لبعض المسلمين فى بلادهم .

وأما مسألة توحيد الصيام والإفطار بين المسلمين على اختلاف بلادهم وتنائى ديارهم فهى فى الحقيقة مشكلة ليس مما ينبغى للمسلمين أن يرهقوا أنفسهم فى البحث عن حلها ـ كما سنبيّنه إن شاء الله تعالى أثناء البحث فيها .

هذا ـ والله تعالى أسأل أن ينفع إخوة الإسلام حكوماتٍ وشعوباً بهذه الرسالة التى حملت إليهم كلمة الحق واضحة ، والمعرفة سهلة ميسرة اللهم آمين . وسلام على المرسلين . والحمد لله ربّ العالمين .

السؤال الأول

بم يجب الصوم والإفطار ؟

الحمدُ لله والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد فإن الصيام عبادة محضة تَعبَّد الله تعالى بها الأمم والشعوب قبل هذه الأمة ، وعلته حصول ملكة التقوى التى بها يقى العبد نفسه خزى الدنيا وعذاب الآخرة . قال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياما معدودات ﴾**(١) .

وقد عيّنَ الله تعالى زمن هذه العبادة وأنها شهر رمضان فقال عز وجل : **﴿ شهرُ رمضان الذى أُنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبيّناتٍ من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصُمْه ﴾**(٢) .

وحدد وقتها وأنه من طلوع الفجر إلى غروب الشمس من كل يوم من شهر رمضان فقال عز من قائل : **﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾**(٣) .

وبيّن الرسول ﷺ معنى قوله تعالى : **﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾** وأنه رؤية هلال رمضان وسواء رآها الفرد المسلم أو رآها غيره ، وبلغته وهو حاضر غير مسافر ، وصحيح غير مريض .

فقال ﷺ : **« إذا رأيتموه فصوموا ، وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غُمّ عليكم فاقدروا له »**(٤) . وقال : **« صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن**

---

(١) الآية من سورة البقرة .
(٢) الآية من سورة البقرة .
(٣) الآية من سورة البقرة .
(٤) رواه مسلم .

غَبِىَ عليكم فكملوا عدة شعبان ثلاثين »[٥] .وقال : « الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه فإن غُمّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين »[٦] . وقال : « إنا أمة أميّة لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا مرة تسعة وعشرين ، ومرة ثلاثين » .

ونهى ﷺ عن صيام يوم الشك فقد أخرج أبو داود والترمذى والبخارى تعليقا عن عمار بن ياسر رضى الله عنه قوله : « من صام اليوم الذى يشك فيه فقد عصى أبا القاسم » .

وأجاز الصيام برؤية الرجل الواحد فقد روى أبو داود والترمذى والنسائى أن أعرابيا جاء النبىّ ﷺ فقال رأيت الهلال ، فقال : أتشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . قال : يابلال أذن فى الناس فليصوموا غداً » .

وعلى ضوء هذه النصوص من الكتاب والسنة ، والتى صام عليها المسلمون وأفطروا أربعة عشر قرنا وبضع سنوات نقرر الحقائق التالية . وفيها الجواب الشافى عن سؤالنا السابق : بم يجب الصوم والإفطار ؟

---

(٥) رواه الشيخان وغبى بفتح الغين وكسر الباء مخففة بمعنى غمّ عليكم أى حال دون الرؤية سحاب أو ضباب وقتر .
(٦) رواه مسلم .

الحقيقة الأولى
لا يجب صيام ولا إفطار
إلا بيقين الرؤية

بسم الله وبعد فإن صيام رمضان كإنهائه لا يتم شرعا وديناً إلا بيقين دخول شهر رمضان وانقضائه ، لأن الصوم عبادة محضة فلا تصح فى غير زمنها إذ المقصود منها تطهير النفس وتزكيتها ، ولا يتم ذلك ولا يحصل من العبادة إلا إذا أدّيت فى وقتها المحدد لها بيقين مع استيفاء باقى شروطها .
واليقين فى ثبوت الصيام أو الإفطار يتم بأحد شيئين لا ثالث لهما وهما :

الأول : الرؤية أى رؤية الهلال بالعين المجردة ، وذلك فى حال الصحو للسماء ، وعدم السحاب والغيم والقتر ، وذلك بأن يرى الهلال عدل من المسلمين وإن خفت العدالة فى الناس لغلبة الجهل وعدم التربية الدينية استكثر من الشهود .

وقولنا : بالعين المجردة يخرج الرؤية بالمجاهر ومكبرات النظر فإنها لايعتد بها لأن الله تعالى ورسوله ﷺ لم يكلّفانا بما فيه عسر ومشقة ولم يتعبدنا الله تعالى بما فيه الحرج قال تعالى :
﴿ **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾ . ومطالبة المسلم باتخاذ آلة تكبر المرئيات من العسر والحرج المنتفيين بنص الكتاب العزيز . والرسول ﷺ قال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » وهو لا يعنى بقوله هذا إلا الرؤية بالعين المجردة حسب واقع الذين خاطبهم بهذا اللفظ الكريم من نبىّ رحيم .

الثانى : إكمال شعبان ثلاثين يوما للصيام وإكمال رمضان ثلاثين يوما للإفطار ، وذلك فى حال وجود غيم أو سحاب ليلة الثلاثين من شعبان أو رمضان . ودليل هذه قوله ﷺ : « فإن غمّ عليكم فاقدروا له » . وفى

بعض ألفـاظ الحديث المروى بها « فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » . وعبـارة « فاقـدروا » تدل على إكمال شعبان فى حال الغيم ثلاثين وإكمال رمضان كذلك ثلاثين فى حال السحاب أو القتر أو الغيم ، إذ لا فرق بين الصيام والإفطار ، لأنّه لا يصام إلا رمضان ولا يفطر إلا شوال .

وبما تقدم يتقرر مبدأ أن لاصيام ولا إفطار إلا بيقين ، وهو مدلول قوله ﷺ : « صومـوا لرؤيتـه وأفـطروا لرؤيتـه » المقرر لمبدأ اليقين فى الصوم والإفطار ، إذ اليقين ثبت برؤية الهلال ، أو بإكمال الشهر ثلاثين يوماً ، إذ لاشهر أكثر من ثلاثين يوماً وعليه فمتى اكتمل شعبان أو رمضان ثلاثين يوما كان الصيام أو الإفطار يقينياً لا شك فيه .

وهذا هو المطلوب للعبادة ذات الوقت المحدد لا يصح وقوعها إلا فيه وبيقين تام . فمن شك فى طلوع الفجر لا يصح أن يصلى الصبح حتى يتيقن طلوع الفجر . ومن شك فى غروب الشمس لا يصلى المغرب إلا بعد اليقين من غروب الشمس . لما تقرر من أن العبادة لا تثمر زكاة النفس وطهارة الروح إلا إذا استوفت شروطها من الوقت وغيره إذا كانت مرتبطة بوقت معين .

الحقيقة الثانية

الشهر تسعة وعشرون يوماً أو ثلاثون

إن كون الشهر لا تزيد أيامه على الثلاثين يوماً ولا تنقص على التسعة والعشرين, أمرُ مُسلَّمٌ)لا نزاع فيه . ومرد ذلك إلى تنقل القمر فى منازله ، فإذا كان آخر منازله أصابه المحاق الذى هو أشبه بالكامل فلا يرى ليلة الثلاثين فيكون الشهر ثلاثين يوماً . ويرى أحيانا ليلة الثلاثين فيكون الشهر تسعة وعشرين يوما قال تعالى : ﴿ **والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم** ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ **هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل : لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون** ﴾ .

قرر هذه الحقيقة العلمية النبىُّ ﷺ بقوله : « الشهر تسعة وعشرون يوما فإذا رأيتم الهلال فصوموا . وإذا رأيتموه فافطروا فإن غم عليكم فاقدروا له »(١) . وقال ﷺ : « الشهر هكذا ، وهكذا . . . مرة تسعة وعشرين يوماً ، ومرة ثلاثين »(٢) .

وهكذا تتقرر هذه الحقيقة العلميّة بما لا يتطرق إليه الشك بحال وهو أنَّ الشهر كما أراد الله وعز وجل يكون بحسب سُنة الله تعالى فى الهلال من كونه يبدو صغيراً ، ويتكامل حتى يكون بدراً ، ثم يتناقص حتى يصيبه المحاق فى آخر أيامه وهى أيام الثامن والعشرين والتاسع والعشرين والثلاثين . وبغض الطرف عن السبب الناشىء عنه ذلك ، فإن الشهر يكون تسعة وعشرين يوما ، ويكون ثلاثين وذلك لأن رؤيته ليلة الثلاثين

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه البخارى .

من شعبان ممكنة ، وإنما لدقة الهلال ومحاقه ليلة الثلاثين قد لا يرى في أغلب البلاد . ولو عنى به في سائر البلاد لرؤى إن شاء الله تعالى ذلك .

وقول علماء الفلك قد تكون الرؤية ليلة الثلاثين غير ممكنة باطل ، إذ الهلال ما مات ولن يموت حتى يولد كما يزعمون حتى قال بعضهم : إن من ادَّعَى رؤية الهلال ليلة الثلاثين وهو لم يولد كمن ادَّعى أنه رأى الولد ولمسه وغسله وهو لم يولد ما زال في بطن أمه ، وإنما القمر هو هو في جسمه وحجمه الذى خلقه الله تعالى عليه يتنقل في منازله التي قدرها الله تعالى له لفائدة الإنسان وصالحه ، وإنما يغيب ويظهر بحسب ما يظلله من جرم الشمس التي هي أخته تنتقل في بروجها بحساب دقيق لا يقدر عليه إلا الله خالقهما وخالق كل شيء .

ومن تنقل الشمس في بروجها والقمر في منازله تكونت الأيام والشهور والأعوام والقرون والدهور . كما قال تعالى : ﴿ **يسألونك عن الأهلة . قل هي مواقيت للناس والحج** ﴾[١] . وقال تعالى : ﴿ **هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً . وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب** ﴾[٢] . وقال عز وجل : ﴿ **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ، والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمرَ ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون** ﴾[٣] .

وأخيرا فبهذا قد تقرر قطعيا أن الشهر يكون تسعة وعشرين يوما ، ويكون ثلاثين كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ وقرره بقوله ـ فداه أبى وأمى ـ « الشهر هكذا وهكذا : مرة تسعة وعشرين يوما ، ومرة ثلاثين » .

---

(١) الآية من سورة البقرة .
(٢) الآية من سورة يونس .
(٣) الآية من سورة يس .

الحقيقة الثالثة

وجوب ترائى الهلال ، وحرمة ترك ذلك للحساب

لِيَعْلَم القارىء الكريم مرة أخرى أن الصيام كالإفطار : صيام رمضان وإفطار أول شوال مما تعبد الله تعالى بهما أمة الإسلام على لسان نبيّه محمد ﷺ ، إذ قال : « صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته » . فلا يجب صوم إلا برؤية ولا فطر كذلك . ومن هنا وجب على المسلم الذى يعيش فى مكان ما منفرداً بنفسه ، كما يجب على الجماعة كثروا أو قلوا فى الحاضرة كانوا أو بادية يجب على الجميع أن يطلبوا رؤية هلال شعبان لأجل رمضان ، وتطلب رؤية رمضان لرمضان ، وشوال وتطلب رؤية شوال للفطر فى أوله .

أما طلب رؤية شعبان فمن أجل أننا إذا عرفنا أول يوم من شعبان[1] . وغم علينا ليلة الثلاثين منه لوجود سحاب أو غيم أو قتر لم نصم يوم الثلاثين لأنه يوم شك ، لأن الشهر كما تقدم وتقرر أن الشهر قد يكون ثلاثين يوما وقد يكون تسعة وعشرين . ونحن لا نصوم إلا على يقين تام ، فلذا وجب أن نكمل عدة شعبان ثلاثين يوما ، إن من الجائز أن يكون شعبان تاما أى ثلاثين فلا يجوز أن نصوم آخر يوم من شعبان ، لأنه غير رمضان والله تعالى لم يتعبدنا بصيام غير رمضان .

وأما طلب رؤية هلال رمضان : فلأجل صيام رمضان الذى فرض الله تعالى علينا صيامه . فمساء التاسع والعشرين من شعبان وعند غروب الشمس وجب على المسلمين فى أىّ مكان كانوا أن يَتَراءَوْا هلال رمضان ، فإن رأوه صاموا ، وإن لم يروه لغيم ونحوه لم يصوموا وأكملوا شعبان ثلاثين يوماً ، ثم صاموا فى اليوم التالى فإنه من رمضان قطعا ، إذ الشهر لا يكون

---

(١) يبدو أن فى العبارات تكراراً نعم فيه بعض التكرار استلزمه واجب البيان للعامة .

واحداً وثلاثين أبداً كما قرر ذلك رسول الله ﷺ بالوحى الإلهى(١) الذى لا يتطرق إليه الإغفال أو الخطأ أو النسيان . بحال من الأحوال .

وأما طلب رؤية هلال شوال : فلأجل أن لا نصوم غير رمضان ، ونحن متعبدون بصيام رمضان لا بصيام غيره ، فليلة الثلاثين من رمضان يجب على المسلمين أن يتراءوا الهلال ويبذلوا جهدهم فى تحرى الرؤية فإن رؤى الهلال أصبحوا مفطرين ، وكان رمضان تسعة وعشرين يوما وهو شهر شرعىّ لا فرق بينه وبين الشهر الكامل . وإن لم نر الهلال لغيم ونحوه فلا يحل أن نفطر لاحتمال أن يكون رمضان ثلاثين يوما ، ونحن متعبدون بأن لا نصوم ولا نفطر إلا على يقين تام ، فلذا أوجب أن نكمل رمضان ثلاثين يوما ثم نفطر . ويكون فطرنا على يقين كما كان صومنا على يقين .

وإذا عُرف هذا وتقررت حقيقة : ألا صوم ولا فطر إلا بيقين ، وأن اليقين لا يحصل إلا برؤية هلال رمضان فى الصوم وهلال شوال فى الإفطار أو إكمال شعبان ثلاثين يوما فى حال الغيم ، وإكمال رمضان ثلاثين يوماً أيضا فى حال عدم الرؤية لغيم أو قتر . وأنه يجب على المسلمين أن يتراءوا هلال شعبان لأنه وسيلة إلى معرفة رمضان « وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » . وأن يتراءوا هلال رمضان لصيامه وهلال شوال لفطره تمشياً مع قول الرسول ﷺ : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » . فإذا عرف هذا وذاك فليعلم أن ترك الرؤية وإهمالها إعتماداً على الحساب أمر باطل شرعا ، ولا يحل للمسلمين أن يأخذوا به . وإن هم فعلوا ذلك فقد عصوا الله ورسوله وتعرضوا لفتنة تصيبهم أو عذاب أليم لقولة تعالى : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾(٢) وقد رأينا مصداق هذا الوعيد الإلهى فى إقليمين من بلاد المسلمين زيّن الشيطان لبعض علمائهم وبعض أمرائهم الصيام والإفطار على الحساب الفلكى

---

(١) لقوله تعالى من سورة النجم : ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ .

(٢) الآية من سورة النور .

فتركوا ترائى الهلال واعتمدوا على الحساب فكانوا يعلنون بكل جرأة أن بداية صيام رمضان يوم كذا ، ونهاية رمضان وبداية الإفطار يوم كذا ، وذلك قبل دخول رمضان وشوال بأيام . فإذا رؤى هلال رمضان قبل اليوم الذى قرروه له صام بعض مواطنيهم ، وكذا فى الفطر ، لأن المسلم الصحيح الإسلام لا يمكنه أن يرى هلال رمضان ولا يصوم ، أو يرى هلال شوال ولا يفطر طاعة للعلماء والأمراء ، لأن الطاعة واجبة لهم فى المعروف لا فى المنكر ، وترك الصيام أو الإفطار بعد ثبوت الرؤية معصية الله ولرسوله ﷺ ، لأن الله تعالى قال : ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ ، والرسول ﷺ قال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » ، وهما أمران من الوحى الإلهى مقتضيان للوجوب وترك الواجب معصية محرمة بإجماع . وإذا صام أو أفطر المسلمون من مواطنيهم قياما بالواجب بطشوا بهم ، ونالوا منهم ، وتعيش لذلك بلادهم كل عام فى قلق واضطراب فى بداية رمضان وفى نهايته . وما سبب ذلك إلا ترك العمل بصريح الكتاب والسنة . ولولا أنهم حرموا توفيق الله عز وجل بسبب ذنوبهم لما تكرّرت هذه المحنة بينهم ، إذ يكفيهم أن يعرفوا أن مواطنيهم مسلمون وأنهم لا يطيعونهم فى غير المعروف فيرجعوا إلى الحق والرجوع الى الحق فضيلة ويكونوا لجاناً لرؤية الهلالين أو الأهلة فى أطراف الإقليم ووسطه لترائى الهلال ، وبحسب الرؤية إثباتاً أو نفياً يعلنون الصيام أو الإفطار ، وبذلك يرضون ربهم ، ويريحون مواطنيهم من ألم القلق والتعب كل عام .

ولكنّهم مع الأسف مصرون على الخطأ عناداً وكبراً وأصبح حالهم حال من قال الله تعالى فيهم : ﴿ **أفمن زُين له سوء عمله فرآه حسناً ؟** ﴾ وجواب هذا الاستفهام محذوف تقديره : فمن يهديه إلى معرفة الحق والعمل به بعد الله تعالى ؟ لا أحد لا أحد أبداً .

الحقيقة الرابعة

اختلاف المطالع معتبر شرعا

لا أحسب أن هناك عالماً بالكونيات يجهل تأثير خطوط العرض والطول على الأقاليم الأرضية . إن من المحسوس المشاهد طول الليل والنهار وقصرهما فى بلاد دون بلاد بحسب موقع البلد من خطوط الطول والعرض ، وبحسب الفصول من صيف وشتاء وربيع وخريف . وهو أمر تابع لتنقل الشمس فى بروجها ، وموافاة الأرض ومسامتتها لها . كما أن من المحسوس المشاهد أن الليل يدخل فى شرق البلاد قبل غربها ، ويطلع النهار كذلك ، وهو ناشىء عن دورة الشمس فى فلكها . ولا يقال عن دورة الأرض ، إذ الأرض إن دارت فدورتها ينبغى أن لا تتنقل فيها من برج إلى آخر ، وإنما تدور فى فلكها الخاص بها دورانا منتظما بحيث لا تزحف فيه أدنى زحف بتقدم أو تأخر أو ارتفاع أو انخفاض وعلى مدى الحياة .

ومن هنا كانت مطالع الشمس والقمر مختلفة ومعتبرة شرعاً ، قال تعالى : ﴿ **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب** ﴾ . فاختلاف الليل والنهار كما يكون بدخول آخر وخروج الثانى لمصالح الناس وانتظام الحياة ، يكون كذلك بقصر هذا وطول ذاك . وقصر الليل وطول النهار والعكس ناشئان قطعا عن مطالع الشمس المختلفة نتيجة تنقل الشمس فى بروجها التى تنزل فيها بدقة حسابيّة فائقة .

هذا والذى نريد أن نصل إليه من بيان هذه الحقيقة هو أن اختلاف المطالع ثابت ، وأن الشارع قد اعتبره ، وهو ظاهر فى الصلاة ، فلم يكن من الممكن بحال أن يتحد المسلمون فى الصلوات الخمس ولا حتى فى

صلاة واحدة منها ما دامت ديارهم متنائية ، وبلادهم متباعدة ، إذ يدخل الوقت فى إقليم ولا يدخل فى آخر . وبما أن الوقت المعين للعبادة يعتبر جزءاً منها فإنها لا تصح إلا فى وقتها المحدد لها ، ولهذا امتنع أن يتحد المسلمون فى صلاة واحدة . والصيام كالصلاة فى كون الوقت معتبراً فيه . وقد رأى الحبر ابن عباس رضى الله عنه هذه الحقيقة وطبقها فعلا فقد رُفع إليه نبأ أن أهل الشام رأوا الهلال[1] يوم كذا ، ولم ير أهل المدينة فيه هلال فاختلف صومهم فلم يأمر أهل المدينة بالفطر تبعاً لأهل الشام بناءً على أن لكل أهل إقليم رؤيتهم ، وبمقتضاها يصومون ويفطرون . ولهذه القاعدة أثر عظيم فى راحة المسلمين كما سنبيّنه فى الحقيقة التالية إن شاء الله تعالى .

---

(١) الحديث رواه مسلم وأصحاب السنن ونصه : عن كُريب مولى ابن عباس أن أم الفضل بعثته إلى معاوية بالشام فقال فقدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة . ثم قدمت المدينة فى آخر الشهر . فسألنى عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما . ثم ذكر الهلال فقال : متى رأيتم الهلال ؟ فقلت رأيناه ليلة الجمعة . فقال أنت رأيته ؟ فقلت : نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية . فقال : لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه . فقلت : ألا نكتفى برؤية معاوية وصيامه ؟ فقال : لا . هكذا أمرنا رسول الله ﷺ .

الحقيقة الخامسة

اختلاف المسلمين فى الصيام والإفطار تبعاً لثبوت الرؤية وعدمها أمر محمود وغير مذموم شرعاً

يرى كثير من المسلمين فى هذه الأيام أن اختلاف المسلمين فى الصيام والإفطار أمر منكر لا يجيزه الشرع ، وأنه مظهر من مظاهر الضعف فى المسلمين وعلامة على تفرقهم وسوء سياستهم . وهو خطأ وجهل بالشريعة وحقائقها كخطأ وجهل من ألغى الرؤية واعتمد على الحساب بحجة أن الحساب ينهى الخلاف فى الصيام والإفطار بين المسلمين ، متشبثاً بقول الرسول ﷺ : « إنا أمة أميّة لا تكتب ولا تحسب ، الشهر هكذا وهكذا » . فظن هذا البعض أنه متى أصبحت أمة الإسلام تكتب وتحسب ، ولها مراصد فلكية وعلماء فلك استغنت عن الرؤية وتخلت عنها نهائيا وأصبحت تصوم وتفطر على ما يضعه كل سنة علماء الفلك والحساب من تقاويم حسابيّة .

وما علم هؤلاء أن رؤية الهلال كثيراً ما تختلف مع التقويم ، فيثبت التقويم الرؤية وهى تنفيها ، وينفى التقويم الرؤية وهى تثبتها يقيناً ، وهذا أمر ثابت ومتكرر ويقينىّ ، وإبطاله يعتبر مكابره وعناداً يشينان صاحبهما ويزريان به بين العقلاء .

وبناءً على هاتين الحقيقتين : وهما لا صيام ولا إفطار إلا بيقين ، وإن اختلاف المطالع معتبر شرعا فإن صيام أهل إقليم ما من بلاد المسلمين ، وإفطارهم لعدم ثبوت الرؤية اليقينية عندهم هو مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية ، وهو بالتالى عين الإيمان وآية الإسلام أيضا ، والصائمون كالمفطرين مأجورون على صومهم وإفطارهم . وليس بينهم مذموم ، ولا

فيهم غير محمود ، إذ الكل عامل بطاعة الله وطاعة رسوله متبع لشرع الله ورسوله ﷺ . ولا يذم المسلمين فى هذا الاختلاف أو يشنع عليهم إلا جاهل بشرع الله ورسوله ﷺ . كما أن هذا الاختلاف القائم على اساس طاعة الله ورسوله فى ثبوت الرؤية وعدم ثبوتها هو مظهر من مظاهر الإيمان والإسلام كما قدمنا ، لأن التمسك بطاعة الله ورسوله إيمان ، والتفريط فى ذلك وعدم المبالاة به كفر وعصيان .

وأمر آخر وهو أن أمة الإسلام عاشت قرونا طويلة كغيرها والمواصلات السريعة معدومة بينها ، وهى تصوم فى إقليم وتفطر فى آخر بحسب الرؤية وعدمها ولا يلوم أحد أحداً ، ولا يؤمر الناس بقضاء ما نقص بحسب عدم الرؤية ، وما ذاك إلا لاعتبار اختلاف المطالع والعمل به ، وفيه من الرحمة ونفى الحرج والعسر ما يدركه العاقل بأدنى تأمل أو تفكر ، ولكن أكثر الناس لا يفكرون .

الحقيقة السادسة

فى وجوب التأكد من صحة الرؤية

إنه تمشيا مع قاعدة الشك لا يُبطلُ اليقين، وأن الصيام كالإفطار لا يتمَّان إلا على أساس من اليقين التام بدليل حرمة صوم يوم الشك فى حديث عمار : « من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم » . فإنه يجب التأكد من صحة الرؤية فلا يلتفت إلى رؤية من يدعى أنه رأى الهلال ليلة التاسع والعشرين من شعبان أو رمضان أو رجب قبل شعبان وذلك لأن الرؤية ليلة التاسع والعشرينَ غير ممكنة ، لأن الهلال يطلع فيها من المشرق قبل طلوع الشمس بزمن لا تدركه الشمس فيه ، وسيغرب الهلال قطعا قبل غروبها . وحينئذ تتعذر رؤيته إن لم تستحل وذلك لدقة الهلال ورقته وشدة ضوء الشمس وقوته . كما أن عامة الفقهاء يشترطون لرؤية هلال شوال عدلين من المسلمين كما أن أكثرهم يشترط ذلك لرؤية هلال رمضان أيضا ، ومن اكتفى منهم بعدل واحد عملا بحديث الأعرابى الذى أتى النبىّ ﷺ فقال : إنى رأيت الهلال فاستشهده النبىّ ﷺ أى قال له : أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؟ فشهد ، ثم أمر بلالاً أن يؤذن فى الناس أن يصوموا فصام المسلمون فإنه يُقال : إن الأعرابى كان صحابيا والصحابة عامتهم عدول ومع ذلك فإنّ رؤيته أقرها الوحى الإلهىّ ؟ إذ لو لم تكن ثابتة فى نفس الأمر لنزل الوحى يبينُ عدم صحتها ، وردها الرسول ﷺ لذلك .

ومادمنا متفقين على اشتراط العدالة فى مدّعى الرؤية انفرد أو تعدّد ، لأن الله تعالى اشترطها فى كتابه فى قضايا مشابهة كالطلاق والرجعة والبيع ونحوه كما أن الرسول ﷺ اشترطها فى الأعرابى مدعى الرؤية حين سأله

عن إسلامه كما تقدم ، فإن العدالة اليوم فى أكثر المسلمين هى شبه معدومة ، إذ العدل فى الإسلام من يجتنب الكبائر ويتقى فى الغالب الصغائر ، ومن هو الذى لم يغش الكبائر ويندر منه فعل الصغائر إلا من قلَّ ، ورحم ربى عز وجل ؟

ولهذا وجب التأكد من صحة الرؤية ولا يؤمر المسلمون بصوم أو فطر إلا بيقين تام ، وذلك يتم بما يلى :

١ ــ أن تكون الرؤية ممكنة ، وذلك كأن تكون ليلة الثلاثين لا ليلة التاسع والعشرين .

٢ ــ أن يدعى الرؤية أكثر من واحد لعدم توفر شروط العدالة فى أكثر الناس ، والفقهاء رحمهم الله تعالى يقولون : إذا خفَّت العدالة استكثر من الشهود جَبْراً لنقص شرط العدالة .

٣ ــ لا تقبل رؤية فاسق أو أكثر بحال لعدم اعتبار الشارع بشهادة الفاسق إذ قال تعالى : ﴿ **فلا تقبل لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون** ﴾[١] .

٤ ــ أن يمثل مدعى الرؤية أمام قاض عادل أو حاكم عالم بصير يسأله ويحقق معه فى صفة رؤيته وكيفيتها . فإذا جاءت الرؤية على طريق سليم واضح ، مراعى فيه ما ذكر من الشروط الأربعة قبلت ، وأعلن للمسلمين عن ثبوتها وأمروا بالصيام أو الإفطار ، فيصومون أو يفطرون على يقين من صحة صومهم أو فطرهم وهذا هو المطلوب لتعظيم شعائر الله ، والله يقول : ﴿ **ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** ﴾[٢] .

---

(١) الآية من سورة النور .
(٢) الآية من سورة الحج .

الحقيقة السابعة

فى بيان حكم من رأى الهلال
ولم تقبل شهادته

إذا رأى المرء المسلم هلال رمضان وتأكد من صحة رؤيته ، ولم يبق فى نفسه شك أنه رأى الهلال ، ولم تقبل شهادته لعدم عدالته أو لكونه واحداً لا ثانى معه ، أو أن التحقيق الذى أجرى معه من قبل القاضى لم يصحح رؤيته ، أو لأى اعتبار آخر ، وجب عليه أن يصوم فى خاصة نفسه ولا يأمر أى أحـد من المسلمـين أن يصوم معه حتى لو كان زوجه أو ولده أو أباه أو أمه ، ولا ضرر عليه فى ذلك ، وهو بخير وعافية والحمد لله .

وأما إذا رأى هلال شوال ولم تقبل رؤيته لقصورها ونزولها عن المستوى الذى تقبل فيه الرؤية كما قدمنا فإن عليه أن يتهم نفسه بالقصور ، ويذكر أنه رأى الهلال وحده وفى الأمة من هو أحدُّ منه بصراً ، وأعرف بمكان الرؤية منه ، فكيف يراه هو وحده ، ولا تراه أمة كاملة معه ، ويصوم مع الناس ولا يفطر وحده أبداً ، وهذا أمر اقتضاه الاحتياط لدين العبد فإن رؤيته غير يقينيّة وصيامه يقينىّ ، وفطره لم يقم على أساس اليقين ، واليقين لا يزول بالشك . ومثل هذا من يسمع بالرؤية بواسطة المذياع فى إقليم غير الإقليم الذى هو فيه فإن عليه أن يصوم احتياطا لدينه ، إذ قد سمع بالرؤية ، وليس له ، ولا عليه أن يدعو الناس إلى الصيام ما داموا لم يروا الهلال فى إقليمهم .

وكذلك الحال بالنسبة إلى الإفطار فإنه إن سمع برؤية هلال شوال ، ولم يره أحد من أهل إقليمه فلم يفطروا فإن عليه أن يفطر فى خاصة نفسه ولا يتجاهر بالفطر بل عليه أن يُسر إفطاره ويخفيه تمام الإخفاء ، ولا يعلنه أبداً

كما ليس له أن يطلب من أحـد أن يفطر ولو كان أقرب قريب ، وليترك الناس يصومون ويفطرون بيقين الرؤية عندهم .

هذا كله فى أهل إقليم يعتنون بالرؤية ويطلبونها بجد وصدق ثم لم تثبت عنـدهم . وذلك لاختلاف المطالع كما قدمنا . أما إذا كانوا لا يعتبرون الرؤية ولا يعتمدونها فى صيام ولا إفطار ، وإنما يعتمدون على الحساب فإن عليه أن يصوم على الرؤية المسموعة ويفطر هو وأهل بيته الذين يأتمرون بأمره من ذوى قرابته ، ويدع أمر العامة خشية الفتنة والأذى يصيب المسلمين .

هل توحيد الصيام والإفطار بين المسلمين ممكن ؟

بسم الله وبعد : فإن فى الإجابة عن هذا السؤال ثلاث حقائق الأولى وهى [**ثامنة الحقائق**] التى تضمنتها هذه الرسالة .

وبيانها : أنه لم يسبق للمسلمين طيلة أربعة عشر قرنا أن اتحدوا فى صوم أو فطر قط ، وذلك لتنائى الديار ، وتباعد البلاد والأقطار ، وعدم وجود مواصلات سلكية أو لاسلكية تنقل أخبار الرؤية وتصل بها إلى المسلمين فى شتى بلادهم ، ومختلف أقــطارهم طيلة هذه الحقبــة الــطويلة من حياة المسلمين . فهل يتم اليوم توحيدهم فى صيام أو إفطار ؟ إنه أمر مستبعد غير أنـه ممكن ، وهذا ما سنتحدث عنه فى الحقيقة الثانية وهى [**تاسعة الحقائق**] فى هذه الرسالة .

وبيانها : أنه قد يتم توحيد الصيام والإفطار بين بلاد المسلمين فى هذه الأيام بأحد أمرين :

الأول : وضع تقويم حسابى فلكى يتفق عليه المسلمون ويوزع عليهم فيصــومون ويفطرون عليه . وهذا ما سبق أن بيّنا أنه لا يصح بحال ، والإسلام لا يجيزه ، ولذا فلا يمكن أن يتم عليه توحيد صيام أو إفطار حتى أهل إقليم واحد فضلا عن أقاليم شتى متباعدة بعضها فى المشرق وبعضها بالمغرب .

ثانيــا : أن يعهد إلى حكومة الحرمين « السعودية » وهى متوسطة بين أقطار العالم الإسلامى ، يعهد اليها أن تتلقى أنباء الرؤية من كافة أنحاء البــلاد الإســلاميّة وذلك ليلة الصيام وليلة الإفطار ، وتذيع ذلك بأدلته اليقينيّة على العالم الإسلامىّ بواسطة التليفون والتلكس والإذاعة ، وعليه

يصـوم المسلمـون ويفطرون(١) سواء منهم من رأى الهلال ومن لم يره ، وبذلك يتم توحيد المسلمين فى الصيام والإفطار . وهو أمر ممكن وجائز ، غير أنه ما دام المسلمون ـ ما عدا السعوديين ـ لا تحكمهم شريعة الله ، ولا يساسون بسياسة الإسلام العادلة الرحيمة فإن اتفاقهم على أن يعهدوا لمثل الدولة السعودية لتتلقى منهم أنباء الرؤية ، ثم تذيعها لهم ليصوموا أو يفطروا عليها ويقبلوها ، أمر متعذر إلى حد الاستحالة ، إذ قد جربوا فى أبسط من هذا فلم يتفقـوا عليه ولم يتحـدوا فيه ، وذلـك لفقـدانهم الاستعداد الروحى لقبول الحق والإذعان له ، وأكثرهم معرض عن ذكر الله ، ولا يخاف الله ولا يرجوه مع أن اتحاد المسلمين فى أىّ شىء وعلى أىّ شىء يفزع أعداء الإسلام ويخيفهم فلذا يعملون على عدم تحقيقه بحال من الأحوال ، ويساعدهم على ذلك سوء حال المسلمين ، ويعدهم عن الله عز وجل بترك عبادته والإعراض عن ذكره ، والعياذ بالله تعالى .

هاتان حقيقتان والثالثة وهى [عاشرة الحقائق] فى هذه الرسالة .

وهذا بيانها : وهو أن يُعلم أن فرصة إمكان توحيد الصيام والإفطار فى العـالم الإسلامىّ موقوفة على بقاء هذه المواصلات العصريّة الحديثة وإلا فإنها يوم تنتهى الطاقة بأن تنفد أو بحرب ذريّة تقضى على مسخّريها ، وعلى الصناعة وصناعها لا يبقى من مطمع فى توحيد صيام ولا إفطار ، ويعود الأمر كما بدأ : الإقليم الواحد بعض مدنه صائم والبعض الآخر مفطر ، ولا يلوم أحـد على أحـد ، والكـل معذور ومأجور ، وذلك لبعد ما بين البلاد ، وليس هناك مواصلات غير عادية من تليفون أو مذياع ، ولم يبق إلا البريد العادى والذى لا يصل فيه خبر الرؤية من بلد إلى آخر إلا فى فترة أسبوع من الزمن أو أكثر كما كانت الحال قبلا .

وإذا عرف هذا فلم يبق من معنى لتأسف الكثيرين وإعلان سخطهم

---

(١) يستثنى من ذلـك من يختلفـون عن بلاد المسلمين بالليل والنهار كسكان أمريكا مثلا إذ ليلنا نحن سكان الشرق الأوسط نهارهم ، ونهارنا ليلهـم .

على الحكـومات الإسلامية التى لم تَسْعَ فى توحيد الصيام والإفطار ، ولم تعمل على تحقيقه بين البلاد الإسلاميّة .

وإلى هنا نكون قد أجبنا على سؤالنا : هل توحيد الصيام والإفطار بين المسلمين ممكن ؟

وخاتمة القول فى هذه القضية :

- أن على أهل كل بلد إسلامىّ أن يتحروا بكامل العناية رؤية هلال كلٍّ من شعبان ورمضان وشوال .
- وأن لا يصوموا أو يفطروا إلا على رؤية ثابتة يقينيّة ، وذلك لقول الله تعـالى : ﴿ فمن شهـد منكم الشهر فليصمه ﴾ وقول الرسول ﷺ : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » .
- وأن تتم الرؤية بالعين المجردة ، فلا يلتفت فيها إلى مكبرات النظر ولا إلى القواعد الحسابيّة الفلكية ، إذ الله تعالى لم يتعبدنا إلا بما هو دائم فى مكنتنـا واستـطاعتنا ، إذ نحن أمة كبيرة بعضنا فى الشرق وبعضنا فى الغـرب ، ومنـا الحضـارى ، ومنا البادى ، ومنا العالم ومنا الجاهل ، وشريعتنا باقية ببقاء الكون ، تتغير الحياة ، ولا تتغير هى ولا تتبدل .
- وأن الرؤية تتم برؤية الهلال ليلة الثلاثين ، أو بإكمال شعبان أو رمضان ثلاثين يوما .
- وأن يتأكد من صحة الرؤية فلا تقبل رؤية غير العدل من الناس ، وأن تكون الرؤية ممكنة بأن تكون ليلة الثلاثين لا ليلة التاسع والعشرين .
- وأن من رأى الهلال من المسلمين ولم تقبل شهادته بالرؤية لعدم استيفائها شروط الصحـة المشروطة لها فإن عليه أن يصوم احتياطا لدينه ، وإن كانت رؤيته لهلال شوال فلا يفطر احتياطاً لدينه كذلك .
- وأن الفرد أو الجماعة إذا بلغتهم الرؤية بواسطة الإذاعة وأهل إقليمهم تحروا الرؤية ولم تثبت عندهم ، لهم أن يصوموا أو يفطروا ولكن سرّاً فلا يستعلنوا بصيام ولا إفطار ، أمّا إذا كان أهل بلادهم لا يتحرون الرؤية

ولا يعتمدونها فإن عليهم أن يصوموا ويفطروا على خبر الإذاعة مع عدم استعلانهم بصيام أو إفطار خشية الفتنة .

- وأن المسلمين لو اغتنموا فرصة وجود هذه المواصلات الحالية فصاموا أو أفطروا متحدين لكان ذلك خيراً لهم وأبرأ لذمتهم وإن هم لم يفعلوا فلا حرج ، ولا إثم فيما أرى والله أعلم .

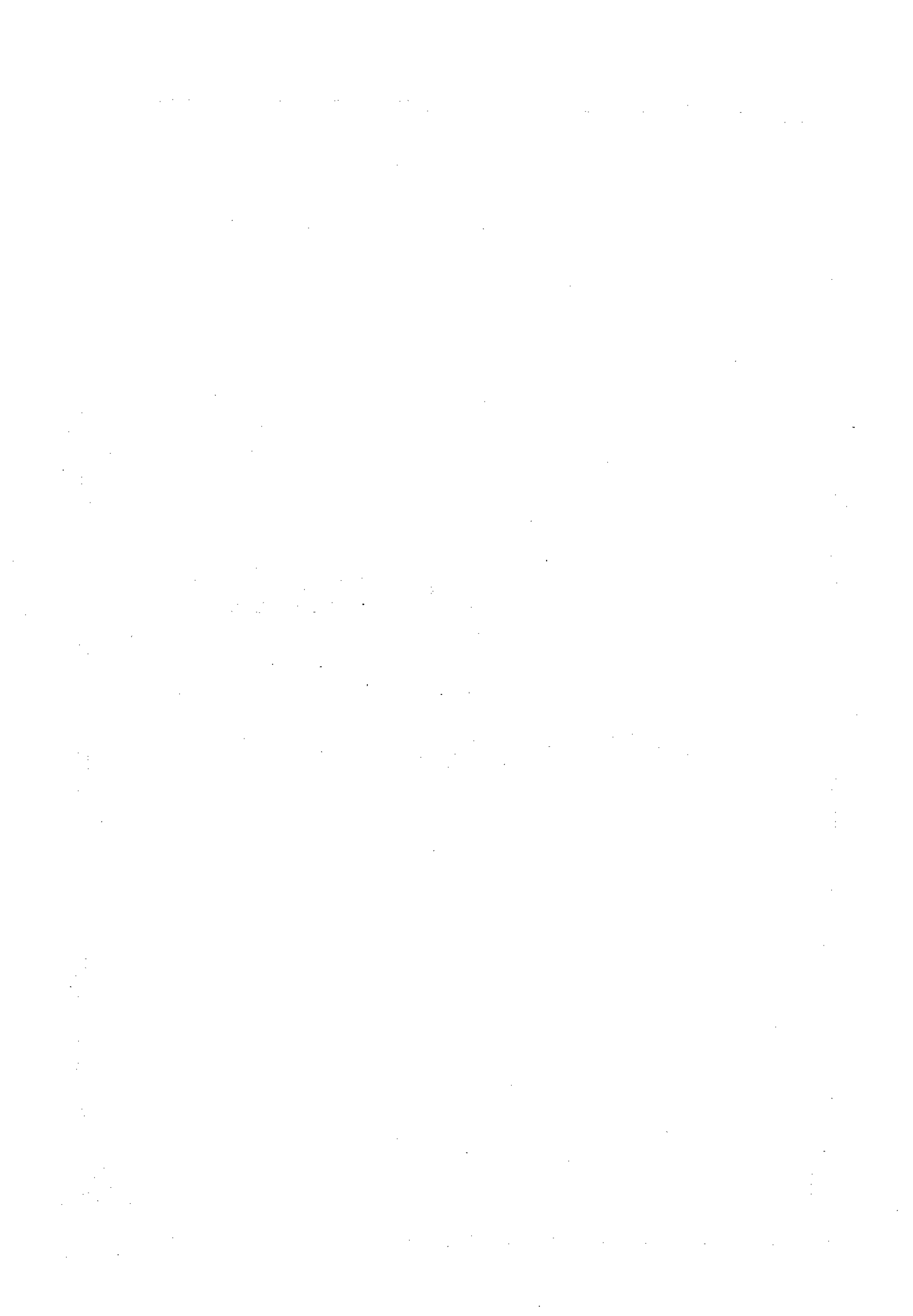
وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وآله وصحبه وسلم .

أبو بكر جابر الجزائرى
باريس فى ١٧ / ١١ / ١٤٠٣ هـ

فهـــرست

●● الرســالة الخامسـة

من المسئول عن ضياع الاسلام



من المسئول عن ضياع الإســـلام



بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

بين يدى الرسالـــة

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ، ودين الحق ، ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون . والصلاة والسلام على محمد رسول الله ، وخيرة خلق الله ، المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته أجمعين .

أما بعد :

فإنّ واجب البيان الذى أخذ الله تعالى على أهل الكتاب فى قوله : **﴿ وإذ(١) أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَتُبيِّنُنَّه للناس ولا تكتمونه ﴾** .

وتحريمه تعالى كتمان ما أنزل من البينات والهدى فى قوله : **﴿ إن الذين(٢) يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾** .

وَجَعلَ الرسول ﷺ الدين النصيحة فى قوله : **﴿ الدين النصيحة (٣) لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ﴾** .

---

(١) الآية من سورة آل عمران .

(٢) الآية من سورة البقــرة .

(٣) الحديث أخرجه مسلم بلفظ أتم .

هذه الأمور الثلاثة هى التى اقتضت مِنّى أن أكتب هذه الرسالة وأتشرف بتقديمها إلى مسئولى أمة الإسلام ، وعامتهم .
والقصد إبراء الذمة مع رجاء أن يجعلها الله جل وعلا سببا لحفظ ما بقى من الإسلام ، واسترداد بعض ما ضاع منه (١) ، فإن هذا على الله يسير ، والله على كل شىء قدير .

الإسلام الضائع

لا شك فى أن أكثر الناس لا يعرفون الإسلام . وأن تصور أكثرهم له تصور خاطىء وذلك لأسباب كثيرة منها :
١ ـ غلبة الجهل بين المسلمين فى حقبة طويلة من الزمن قد تزيد على خمسمائة عام .
٢ ـ عدم قيام حياة أغلب المسلمين على أصوله وفروعه وأحكامه وآدابه .
٣ ـ بُعد زمان تطبيقه فى الأرض ، وعدم رؤية أكثر المسلمين لتطبيق شرائعه وأحكامه فى واقع الحياة .
٤ ـ ما طرأ على عقائد المسلمين من الشرك والخرافات ، وعبادتهم من البدع والمحدثات .
٥ ـ تشويه أعداء الإسلام له . وطمس أكثر معالم الجمال والكمال فيه بألسنتهم وأقلامهم وأفلامهم تنفيرا للناس منه ، وصداً لهم عن الأخذ به حتى لايكملوا ولا يسعدوا .
لهذا وجب تحديد مفهوم كلمة الإسلام ، وتعيين المراد منها إذا هى

---

(١) المراد من ضياع الإسلام : ترك العمل به لا فقد شئ من شرائع الإسلام فإن شرائع الإسلام محفوظة فى بطون الكتب وإنما الضائع من الإسلام هو العمل به ، حيث عطلت أحكامه ، وضيعت فرائضه وسننه فى أكثر بلاد المسلمين . فإنهم ....

أطلقت ، لاسيما ونحن ندعو إلى المحافظة على مابقى منه ، وإلى استرداد ما ضاع بسبب ترك أكثر المسلمين لفرائضه وسننه وآدابه بعد تعطيل أحكامه ، والإعراض عن كتابه .

فالإسلام هو دين الله وشرعه الذى أوحاه إلى نبيّه محمد ﷺ لإصلاح البشر وإكمالهم فى عقولهم واخلاقهم ، وإسعادهم فى أرواحهم وأجسادهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وذلك نتيجة عملهم به : عقائد ، وعبادات ، وأحكاما ، وأخلاقا ، وآدابا .

هذا هو الإسلام ، وضده الكفر وهو عدم العمل بالإسلام : عقائد ، وعبادات ، وأحكاماً ، وأخلاقا ، وآدابا ، ولازم الكفر بقاء الإنسان فاسداً غير صالح ، وناقصا غير كامل فى عقله وخُلقه ، شقيا غير سعيد فى جسده وروحه ، وذلك فى الدنيا والآخرة معاً .

دفع شبهة :

قد يقول قائل هنا : إنَّ ما سَبَقَ أنْ قُلْتَه إنَّما هو مجردُ دعوىٰ ، فهل لك أن تثبتها بالبرهان العقلى ؟

فنقول : نعم ، ونحن معك فى أن أية دعوى إذا لم تقم عليها بَيِّنَةٌ فهى دعوى ساقطة ، لاتناقش بل لا ينظر فيها مجرد النظر .

ولكن ما قلناه نحن وادّعيناه من كون الإسلام هو أداة الإصلاح والإكمال والإسعاد البشرى . والكفر الذى هو ضد الإسلام هو أداة الإفساد والخسران والشقاء الإنسانى فى الدنيا والآخرة معاً ، نقيم عليه أكثر من بيّنة ، ونبرهن على صحته بأكثر من برهان . ولكن حسبنا من ذلك البينتان التاليتان والبرهان الآتى بعدهما :

البيّنة الأولى : حال العرب فى شبه جزيرتهم قبل الإسلام ، إذ كانوا يعيشون على أسوأ الأحوال ، وشر الظروف : وثنيّة وكهانة ، فوضىٰ فلا نظام ولا قانون ، جهل فلا علم ولا معرفة ، فقر ولا غنى ، غلظة فى الطباع وجفاء فى النفوس

يما أن جاء الإسلام وآمنوا به وعملوا به ــ وفى ربع قرن فقط وهى فترة زمانية قصيرة قد لاتكفى لإقامة مشروع صناعىّ ، والقيام عليه حتى ينتج ويتحسن إنتاجه ـ حتى تبدّلت الوثنيّة والكهانة إلى ربانية صادقة لها نورها وهـدايتهـا ، والفـوضى إلى نظام دقيق محكم ، وشرع شامل انتظم كل جوانب الحياة ، فلم يُغفِل منها جانبا ، إذ تعلق بحياة الإنسان كلها من ساعة وجوده نطفة فى رحم أمه إلى أن يُوارىٰ فى قبره بعد موته . والجهل وعدم المعرفة إلى علم واسع ومعرفة شاملة تعلقت بالحياة والكون كليهما . والفقر وعدم الغنىٰ إلى غنىً واسع لم تشهد ديارهم مثله منذ أن كانت . فقد سجل التاريخ الصحيح أن عامل إفريقيا الشمالية كتب يوما إلى الخليفه يقول : إنا لم نجد من يقبل الزكاة فى هذه الديار فماذا نصنع بأموال الزكاة ؟ فكتب إليه الخليفة أن اشتر بها عبيداً وحررهم فى سنبيل الله عز وجل . والغلظة والجفاء إلى ظُرْف ولُطْف ومودة وإخاء صادقين قلما وجد[١] لهما نظير فى حياة الناس . وبالجملة فقد أصبحت تلك الديار بعد أن أشرق فيها نور الإسلام تمثل المدينة الفاضلة التى طالما حلم بها فلاسفة اليونان ولم يروها فى عالم الوجود ، حتى تجلت فى ديار العرب بعد أن أشرق فيها نور الإسلام المحمدىّ . هذه بيّنَةٌ . . . وأخرى وهى :

البيّنة الثانية : وهى أنه لما ساءت حال المسلمين فى كل ديارهم بتخلّى أكثرهم عن العمـل بالإسـلام ، واضْـطَربَ حبـل النـظام ، وسـادت الفـوضى ، وعم الفساد وانتشر الشر فى كل جزيرة العرب والتى كانت بالأمس القريب معقل الفضائل والكمالات ، ومحط الإشراق والهدايات ، شاء الله تعـالى أن يُرىَ عبـاده آية كبرى تشهـد بصحـة الإسلام وصدق قضاياه ، وسلامة قوانينه ، ونجاعة الأخذ به ، وأنه لاسبيل إلى الإكمال البشرى والإسعاد الإنسانى إلا بالأخذ بالإسلام وتطبيق شرائعه ، فجاء

(١) اعتبر لفظ الظرف واللطف شيئا واحد ، ولفظ المودة والإخاء شيئا واحداً ولذا عاد اللفظ مثنى عليهما فى صادقين . وفى لهما .

تعالى بعبده المؤمن الصالح عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى فاقام دولة على أساس الإسلام وجعل شعارها الذى تحمله رايتها : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » بمعنى أن الأرض التى تظللها راية تحمل كلمة الإخلاص والتوحيد لايُعبد فيها إلا الله ، ولا يتبع فيها إلا رسول الله ﷺ . وتصدى رحمه الله للعقيده التى فسدت فأصلحها وللصلاة التى تركت فاقامها ، وللزكاة التى مُنعت فجباها . وأحيا مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فكوّن هيآته فى كل البلاد وخولهم سلطة مطلقة مكنتهم من أداء واجبهم فأمروا بالمعروف حتى عُرف ، ونهوا عن المنكر حتى أنكر وزال فساد تلك الديار التى تظللها راية التوحيد أمْنٌ وسلام ومودة وإخاء وطهر وصفاء عادت بها الحياة سيرتها الأولى أيام كانت دولة الخلفاء الراشدين .

وإلى الآن نورها وبركتها يعيش فيهما المواطنون السعوديون ومن نزل دارهم حياة والله لا يوجد نظيرها فى دنيا الناس اليوم أجمعين !!

وبعد : فَتَانِكَ[١] الْبَيِّنَتَانِ اللتان لا تردان ، والحجتان اللتان لا تدحضان .

وأما البرهان فإنا نقول لطالبه : انظر معنا بعين الجد والصدق إلى الكون كله فإنا نجده قد ربطه خالقه عز وجل بنظام ثابت دقيق عليه مدار اسْتِمْرَارِيَّتِهِ وبقائه صالحاً يؤدى وظيفته إلى نهاية أجل الحياة ، ونجد سنن الحياة ظاهرة فى كل الكائنات الحيّة ، وأنها لاتتبدل ولا تتغير ، ومن تلك السنن أن الجسم البشريَّ يقوم على أساس الغذاء والهواء والماء وعلى هذه الثلاثة ينمو ويصلح ويبقى يؤدى وظائفه إلى نهاية أجله ، وإن هذه السنة فيه لاتتبدل ولا تتغير بحال من الأحوال ، فإذا علمت هذا فاعلم أيضا أن الخالق عز وجل قد وضع لغذاء الإنسان الروحيّ ، ولكماله العقلى

---

(١) تان : تثنية « تا » وهو اسم إشارة للمؤنث يقابله « ذا » اسم إشارة .

والخلقى ، والجسمى ، وإسعاده فى روحه وجسمه وفى كلتا الحياتين الأولى هذه والآخـرة الحتمية الإتيان ، قد وضع لذلك « الإسلام » فما من فرد أو جماعـة أو أمة أخذ به فى جدّية وصدق إلا حصل له الكمال والإسعاد وبمعناهما الكامل الشامل . ومامن فرد ، أو جماعة أو أمة أعرضت عنه فلم تأخذ به إلا حصل لها العكس وهو النقصان والخسران والشقاء وفى كلتا الحياتين معاً . وفى تلك سنة الله ، « ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

ومـا إخالك ياصاحبى تطلب بعد هذا البرهان برهانا . وإنِ ارتبت فجرب الإسلام فإن التجربة أكبر برهان . أو أسلم تسلم وآمن تأمن . وما وراء هذا البيان بيان !!

وأخيراً زيادة فى التأكيد وتطمينا للخواطر ، وإبعاداً لسحاب الشكوك ، ودخان الظنون الفاسدة أقسم الله تعالى على ثبوت هذه الحقيقة وصحتها وسلامتها وهى أنه لا كمال ولا سعادة فى الحياتين للإنسان إلا على مبدء الأخـذ بالإسـلام كل الإسـلام ، عقـائده وعباداته وأحكامه ، وأخلاقه وآدابـه . فأقـول والله العـظيم الـذى لا إلـه غيره ولا ربّ سواه : إنّ الإنسان(١) لا ينجو من الخسران ، ولا ينعم بالكمال والإسعاد فى الدنيا والآخرة إلا على العمل بالإسلام دين الله الحق لايقبل دينا سواه .

وهكذا نبالغ فى النصح والبيان ، ليهلك من يهلك عن بيّنة ويحيا من يحيا عن بيّنة . والله من وراء القصد . والحياة والفوز للإسلام والآخذين به ، والهلاك والخسران للمعرضين عنه .

---

(١) وذلك لأن الله تعالى قد أقسم على هذه الحقيقة فى كتابه فى قوله : ﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ .

كيف ضاع الإسلام ؟

ذَلِكَ قولنا عن الإسلام الضائع وهو كما عرّفناه : آلة الإكمال الإنسانى ، والإسعاد البشرىّ .

أما عن كيف ضاع فإنا نقول ـ والأسى يملأ القلب ، والحسرة تمزق النفس ـ : إن الإسلام فى حد ذاته لم يضع ولن يضيع ، وذلك لتولى الرب تعالى حفظه بحفظ كتابه كما قال تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون** ﴾(١) .

وإنما الذى ضاع ويضيع هو العمل به ، حيث أصبح اليوم ومنذ عدة قرون لا يظهر على أغلب حياة المسلمين ، فكان وكأنه ضاع ، وهو فى الحقيقة لم يضع ، إذ هو موجود قائم يكمل ويسعد عليه بعض المؤمنين غير أن العبرة كل العبرة ليست بوجوده كنزاً محفوظاً لا ينتفع به ، وإنما العبرة بالعمل به ، والانتفاع بعقائده وشرائعه وقوانينه وأحكامه ، والتحلّى بآدابه الرفيعة وأخلاقه السامية بين الناس .

ومن هنا صح لنا القول بأن الإسلام ضائع . ولما كان السؤال هو كيف ضاع الإسلام أى ماهى الأسباب التى جعلت المسلمين يتخلون عنه فى الجملة ، حتى اختفى من مظاهر حياة أكثرهم أو كاد ، اللهم إلا ماكان من مثل الأذان والصلاة والصيام . فالجواب : أن هناك عوامل كثيرة اقتضت ضياع الإسلام بترك العمل بشرائعه بين المسلمين حتى تعسوا وشقوا ، بعد أن هانوا وذلوا زمناً غير قصير . ومن أهم تلك العوامل مايلى :

١ ـ الجهل به أى بالإسلام عقائد وشرائع وأحكاما وأخلاقا وآداباً .

بحيث أصبحت نسبة من يعرف الإسلام بين المسلمين لا تزيد

---

(١) الآية من سورة الحجر .

على عشرة فى المائة ، وعلى أكثر تقدير . وهى نسبة غير كافية فى حمل الناس على العمل بالإسلام . وفى المثل : من جهل شيئا عاداه(١) . وهذه حقيقة لا يسع المرء إنكارها إذ العالمون بالإسلام العارفون بأنـه مصدر سعادتهم وكمالهم لايتأتى لهم أن يعيشوا بعيدين عنه ، ولايقدرون أن يحيوا بدونه بحال من الأحوال ، والله يقول : ﴿ **إنَّما يَخْشى الله مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ** ﴾(٢) .

٢ ـ ما ألصق به أى بالإسلام من بدع وضلالات حجبت عن الناس كثيرا من حقائقه ، وسترت عنهم معظم معارفه الصحيحة ، وحالت دون تذوق المسلم طعم الإيمان وحلاوته .

٣ ـ حرمـان أكثـر المسلمـين من تطبيق الأحكام الشرعية فى بلادهـم . وإنفاذها فى أنفسهم زمناً طويلا ، الأمر الذى سبب الجرأة الكبيرة على انتهاك حرمات الشرع الإسلامىّ ، وتَعَدّى حدوده .

هذه أهم العـوامل التى كانت السبب المباشر فى ضياع الإسلام بين المسلمين مع الأسف !

---

(١) لما كان المثل هو القول السائر بين الناس فهذه الجملة أصبحت سائرة بين الناس فصح إطلاق لفظ المثل عليها ، وإن لم تكن من أمثال العرب المأثورة عنهم فى دواوين اللغة والأدب .

(٢) الآيـة من سورة فاطـر .

من المسئول عن ضياع الإسلام ؟

هذا السؤال فرض نفسه ، والإجابة عنه متعيّنة وذلك مادمنا نبحث عن طريق استعادة الإسلام ؛ لنكمل به ، ونسعد عليه قناعة منا بأنه لا سبيل إلى الكمال والسعادة فى الدنيا ولا فى الآخرة إلا بالإسلام ، والإسلام فقط ، ونجيب عن السؤال فنقول : إن مسئولية ضياع الإسلام مسئولية مشتركة بين أعدائه وأوليائه أى أعداء الإسلام وأوليائه : فأعداؤه كادوا له ، وأولياؤه فرطوا فيه ، وبين كيد الأعداء ، وتفريط الأولياء كان ضياع الإسلام مع الأسف !!

ومن هم الأعداء ، ومن هم الأولياء ؟

أمّا الأعداء فهم المتحالفون ضده وعليه وهم المجوس واليهود والنصارى . المجوس الناقمون على الإسلام الذى أسقط عرش كسرى ، وأخمد نار فارس . واليهود الحاسدون للعرب على النبوة المحمديّة ، والرسالة الإسلامية وانتقال مجدهما إلى أولاد إسماعيل بدل بنى إسرائيل ، والحاقدون على الإسلام الذى كاد يقضى على الأمل اليهودى الصهيونى فى إعادة مملكة إسرائيل من النيل إلى الفرات . والنصارى الصليبيون الخائفون من نور الإسلام أن يشرق على الديار الأوربيّة فيغمرها بالهدى ، والنور فتتهاوى كنائسهم ، وتسقط عروش ملوكهم لا سيما بعد أن شاهدوا آثار هداية الإسلام فى بلاد الأندلس . والإسلام إسلام !!

وأمّا الأولياء فهم الأمراء والعلماء ، فالأمراء فرطوا فى إقامة الشرع ، وحماية حدوده بما أوتوا من قوة ، وماخُوِّلوا من سلطان . وأما العلماء فقد فَرَّطوا فى العمل به(١) ، والدعوة إليه ، بعد بيان أحكامه ، وتعليم شرائعه وآدابه .

---

(١) هذا بالنسبة إلى من فرط وإلا فغير المفرطين كثير ، ولكن المفرطين أكثر وبتفريطهم ضاع الإسلام .

وإن قيل : لقد عرفنا تفريط أولياء الإسلام فيه ، فما هو كيد أعدائه له ؟ قلنا : إن كيد التحالف الثلاثى للإسلام كان بإثارة النزعات والنعرات بين أمم الإسلام وشعوبه ، كما كان فى إيجاد المذاهب المتعددة والطوائف المختلفة ، والطرق الملتوية المنحرفة بعد بذر بذور الفرقة والشقاق فى صفوف أمة الإسلام ، فسرى ذلك اللوث إلى العقائد ففسدت ، وإلى الأخلاق فساءت ، وإلى الأعمال فحبطت . ولما سقطت أمة الإسلام نتيجة ذلك الكيد من علياء مجدها وأوج كرامتها أجهز عليها الصليبيّون فجزروها وتقاسموها واستعمروها واستذلوها واستعبدوها زمناً غير قصير . وبرحمة من الله وفضل استعادت أمة الإسلام إلا قليلا منها وجودها واستردت سلطانها ، ولكن مع الأسف لم تَسْتَعِدْ عقلها ، ولم تسترد قلبها ، فأصبحت تفكر بعقلية الغرب ، وتعيش بلا قلب !!

وهنا احتار المصلحون ووقفوا أمام هذه المعضلة مدهوشين ، يرددون هذه الجملة الاستفهامية : كيف تصلح أمة لا قلب لها ، وهى تفكر بعقلية عدوها الكافر بدينها وحقها وقيمها ؟ ؟

وكان لابد من اتخاذ خطوة فى سبيل إصلاحها وهى إقناعها أولاً بوجوب التفكير بعقليتها الإسلاميّة لا بعقلية عدوها الإلحاديَّة . وثانيا العمل على إعادة قلبها المؤمن الذى يؤمن بالله ولقائه ، والوحى وضرورته ، ذلك القلب الذى يعقل عن الله كلامه ، ويفقه مراد الله من خطابه فى مثل قوله تعالى : ﴿ **فإمّا يأتينكم منىّ هدى فمنَ اتّبعَ هُداى فلا يَضلُّ ولا يَشقى ، وَمَنْ أعرض عن ذكرى فإنّ له مَعيشةً ضنكاً ، ونحشُرُهُ يومَ القيامة أعْمَى ، قال ربّ لم حشرتَنِى أعمَى وقد كنتُ بصيرا ؟ قال كذلك أتتك آياتى فنسيتَها وكذلك اليوم تُنسى ، وكذلك نَجزى من أسْرفَ ولم يؤمنْ بآيات ربّه ، ولعذاب الآخرة أشدّ وأبْقى** ﴾[١] !!

---

(١) الآيات من سورة طه .

وإلى الآن لم تنجح هذه الخطوة فى أكثر أمة الإسلام ويالأسف !
وللتدليل على صحة ما قلنا نذكر التالى :

إن العالم الإسلامى كله من أندونسيا شرقا إلى المملكة المغربية غرباً شريعة الله التى هى وحيه وهداه معطلة فيه بنسب متفاوتة حتى إن بعض البلاد لاتطبق فيها أحكام الشريعة الإسلاميّة إلا بنسبة عشرة من مائة ، وأعلى نسبة قد لاتزيد على ثلاثين من مائة . والمملكة العربية السعودية وحدها التى تطبق فيها شريعة الإسلام بأعلى نسبة إذ قد تزيد على خمس وتسعين من مائة ، ولذا صح أن نقول : إنها البلاد الوحيدة التى يُطبّق فيها شرع الله فى بلاد المسلمين اليوم . وقد نال السعودية من تطبيق الشريعة وتحكيمها الخير الكثير ، ومن مظاهر هذا الخير الأمن الذى يسودها ، والطهر الذى تعيش عليه ، والعزة والكرامة التى يتمتع بها أبناؤها إلى جانب يُسر الحياة وهناءة العيش فيها . والحمد لله ؛ إذ الفضل فضله فى ذلك كلّه وحده .

وكان المفروض فى المسلمين كلّ المسلمين من غير سكان هذه المملكة التى سعدت بتحكيم شريعة الله فيها أن يعتزوا بهذه الدولة ويفاخروا بها ؛ لأنها دولة الإسلام ، وأن يحيطوها بهالة من التقديس ؛ لأنها تحمى حَرَمَيْهم ، وتطبق شريعة ربّهم ، وتمثّل إسلامهم ولو تمثيلا غير كامل - والكمال لله - غير أن الواقع مع الأسف كان خلاف ذلك ؛ إذ المرء - والله - لايكاد يسمع كلمة ثناء بخير على هذه الدولة فى الوقت الذى يسمع آلاف كلمات الطعن والانتقاص ، بذكر النقائص والعيوب !!

ويعجب المرء من هذا الموقف العدائى السافر ، ويبحث عن أسبابه ومبرراته فلا يجد له سبباً ولا مبرراً بحال ؛ إذ المفروض فى المسلم أن يستر عن أخيه المسلم ، ويعذره إن أخطأ ماوجد له عذراً . وأن يحسن الظن به ويحمله على أحسن المحامل ما أمكنه ذلك ، هذا فى حال وجود العيب والخطإ به ، فكيف مع البراءة والسلامة ، ولا سيما إن فى هذه الدولة

المسلمة من الكمال والخير الشىء الكثير . وفوق ذلك أنها حامية الحرمين ، وحاملة راية التوحيد : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

فلم يعبد فيها إلا الله ، ولم يتبع فيها غير رسول الله . وهى ميزة لعمر الله ـ لا توجد فى بلد من بلادنا الإسلاميّة سواها .

فلماذا إذاً هذا الموقف الشاذ عن الفكر الإسلامى ، والبعيد كل البعد عن العقليّة الإسلاميّة ، وحتى الوعى الإسلامى من جانب المسلمين كل المسلمين إلاّ ما قل وندر ، وما هى أسبابه الحاملة عليه ، وبواعثه الدافعة إليه ؟؟

وليسمح لى كل مسلم وإنى معتذر إليه إن قلت فى الجواب : إن مرد هذا الموقف الشاذ من أغلب المسلمين وإن كان ما قدّمنا من أن أمة الإسلام لا قلب لها ، وأنها تفكر بعقلية أعدائها نتيجة الغزو الفكرى الذى غزاها بعد احتلال بلادها واستغلال خيراتها واستعباد أحرارها وتغيير معالم حضارتها كما سبق أن ذكرنا فإن مرده إلى السببين التاليين :

الأول : هو تسمم الفكر الإسلامى من جراء قبوله كل مايأتى من الغرب من خير وشر وحسن وقبيح بدون مافرْز وَلاَ تخيير ، ولا نقد ولا تعيير ، والغرب وهو مشطور إلى شطرين : صليبىّ متعصب ، وشيوعى بلشفى حاقد يستحيل أن يرضى عن أمة إسلامية أو بلاد إسلاميّة تطبّق فيها شريعة الله ، ولا تطبق فيها قوانينه الغربيّة الوضعية ؛ فيذكرها بغير الطعن والانتقاص ، والسخرية والازدراء ، وهذا شأن الكافر مع المسلم طوال الحياة . وبما للغرب من إعلام قوى : صحافة وإذاعة ورواية وتمثيل طبق أقطار الأرض كلها وملأها بالكذب والتضليل فأصاب ذلك البلاد الإسلاميّة فأصبح المسلمون يرددون أنشودة عدوهم ويتغنون بأغانيه وكلها انتقاص للإسلام وشرائعه ، وتهكم وازدراء للقائمين به ، والداعين إليه ، فتورط المسلمون فى هذه الفتنة إلا من رحم الله وهم قليل . وقد يتحفظ الغرب الكافر فى طعنه فى دولة الإسلام وانتقاصه لها أحيانا إلاّ أن مُتَبنِّى

الفكر الماركسى من المسلمين ، وكذا المحركين منهم بأصابع اليهودية العالمية كالروافض لا يتحفظون فتراهم يجاهرون بعداوتهم الكاملة للسعودية فضلا عن سبها وشتمها بعد انتقاصها والكيد لها والمكر بها . هذا سبب ! ! !

الثانى : أن الساسة فى بلاد المسلمين وخاصة الأجهزة الحاكمة منهم مضطرون إلى الستر عن أنفسهم من معرّة حكم المسلمين بغير شرعة ربهم ، وهم يطالبونهم بذلك ويلحون عليهم ، وهم معرضون عن ذلك مصروفون عنه بما لا يعرف له سبب معقول . فهم من هنا لا يستطيعون أن يذكروا السعودية بخير وإن كانت تحسن إليهم ، ولها أكبر حق عليهم قد سبق أن أشرنا إليه آنفا ، فلا نرى الإعلام الإسلامى يذكر أىّ جانب من جوانب الخير فى الديار السعودية ، أو يبرز أىّ مظهر من مظاهر الخير والكمال فيها . فهذا الإغفال المتعمد ، خاضع طبعاً للحكم القائم جعل المواطنين المسلمين فى كل بلادهم لا يعرفون خيراً فى السعودية ولا يذكرونه بحال ، بَيْد أن ذكر المثالب ، وتعداد المعايب فهى على طرف لسان أكثرهم وهم لا يشعرون !!

هذا وإن كان الطعن والانتقاص وإخفاء الحقائق ، وستر الفضائل ، ونشر المعايب والمثالب من الغرب الكافر الحاقد الحاسد قد يتحمل لأنه عدو فإن ذلك من إخوة الإسلام والمصير والحال والمآل لا يتحمل ولا يطاق (١)

---

١ **تنبيـــــه**

إنى أشعر فعلا أنى قد مسست بجناب الحاكم المسلم . وما كان ينبغى لى ذلك ؛ لأن إجلال الحاكم المسلم واجب ، واحترامه معروف ، ولهذا فإنى أعتذر وأكرر اعتذارى طالبا الصفح عنى والعفو . مع تنبيهى إلى أن ماذكرته مما اعتذرت منه حق وأن على الحاكم المسلم المضطلع بأعباء مسئولية حكم المسلمين أن يتعود سماع كلمة الحق وقبولها لا سيما إن كانت من شخص لا غرض له إلا الخير والإصلاح . هذا ولظنى الجميل فى أكثر حكام المسلمين اليوم أنى أعتقد أن مثل هذا النقد الهادف والذى اضطررت إليه سوف لايكون مانعاً لهم من القيام بواجبهم الذى أدعو إليه فى هذه الرسالة وهو تطبيق كل من خطتى المحافظة على مابقى من الإسلام داخل بلاد المسلمين وخارجها . وشكرى مع احترامى لهم سلفــا .

وقديما قال الشاعر :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة

على النفس من وقع الحسام المهند

وشىء آخر وهو إن كان للساسة المسلمين مايبرر سكوتهم أو سترهم وإخفاءهم لآثار تحكيم الشريعة فى البلاد السعودية من الخير والكمال فإن العلماء والصلحاء والمفكرين والمصلحين فى العالم الإسلامى لا يوجد ما يبرر سكوتهم عن ذكر الخير فضلا عن تورط أكثرهم فى العيب والانتقاص ، وإنكارهم لتطبيق الشريعة الإسلامية فى البلاد السعودية مع أن آثار ذلك التطبيق مرئية محسوسة ، وهذه عدد منها ننشرها على سبيل المثال فَلْيُنْظر إليها :

١ - إقام الصلاة فى طول المملكة وعرضها بكيفيّة إلزاميّة .

٢ - جباية الزكاة جباية كاملة تطبيقا لأمر الله عز وجل .

٣ - وجود هيآت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كل قرية ومدينة عَمَلاً بقول الله تعالى : ﴿ **الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** ﴾ . وهذه هى الأسس الأربعة التى يجب أن تنبنى عليها كل دولة إسلامية ، ومع الأسف فقد قامت للمسلمين فى بلادهم دول ، ولم تُبن واحدة منها على هذه الأسس فحرمت أمة الإسلام من جراء ذلك خيراً كثيرا .

٤ - لا يوجد فى طول البلاد السعودية وعرضها تمثال ، ولا قبة ، ولاتذكار لم يأذن فيه الإسلام ، كما لا يوجد فيها قبر ولا ضريح ولا شجر ولا حجر يُعبد من دون الله بأىّ نوع من أنواع العبادة . فى حين أن بلاد المسلمين الأخرى غارقة فى ذلك وفى شر منه .

٥ - إقامة حدود الزنى ، والقذف ، وشرب الخمر ، والردة والكفر .

٦ - القصاص فى الأطراف والنفس ، وأخذ الديات الشرعية ، والأرش فى الجنايات حسب تقدير الشريعة الإسلامية فى ذلك .

٧ ـ عدم السماح بظهور أيّة بادرة إلحادية من أىّ فرد ، وذلك كالطعن فى الإسلام ، أو سب الله تعالى أو الرسول ﷺ ، أو التمذهب بمذهب إلحادى كافر كالمذهب الشيوعى أو البهائى أو القاديانى فى حين أن بلاد المسلمين تعج عجيجا بهذه العظائم مع كامل الأسف .

٨ ـ منع اختلاط النساء بالرجال منعا باتا ، ومن لازم ذلك عدم السماح بتوظيف المرأة المسلمة وعملها مع الرجال وفى أيّة دائرة حكومية أو مؤسسة أهلية ، أو غير أهلية .

٩ ـ استقلال التعليم النسائى عن الرجالى استقلالا كاملا وفى كل مرحلة حتى إن سائق سيارات حمل البنات إلى مدارسهن يجب أن تركب امرأته إلى جنبه حتى لا يضطر إلى مخاطبة الطالبة المسلمة .

١٠ ـ منع الخمر إنتاجا ، وتصديراً وتوريدا وبيعا وشربا ، وكل مسكر محرم .

١١ ـ التعليم ، والعلاج ، وتجهيز الموتى ودفنهم مجانا بلا أدنى مقابل .

١٢ ـ لاضريبة تذكر على المواطن السعودى الأمر الذى لا وجود له فى كل العالم ولم يكن هذا أيام الرخاء السعودى فقط بل هو من أيام قيام هذه الدولة الإسلامية وذلك لأن الإسلام يحرم إثقال كواهل المسلمين بالضرائب وإذلالهم بأنواع الخراج .

وأخيراً فهذه بعض مظاهر الخير والكمال وقد تجاوزت العشرة المظاهر عدًّا ما كانت لتكون بحال لولا تطبيق الشريعة الإسلاميّة فى تلك الديار .

وسبحان الله فكيف عمى عنها أكثر المسلمين فهم يرونها ولايذكرونها فى حين أن ألْسنة أكثرهم مشغولة بترديد مايذكره إعلام الغرب العدو الكافر من أن الأمير فلانَ فعل كذا . . . والسعودى الفلانى ترك كذا . . . والسعودية أصبحت أمريكية ، إلى غير ذلك من قَذِر الكلام وساقطه الذى يُذيعه وينشره على عمد من سبق أن ذكرنا من أجهزة المثلث المجوسى

اليهودى الصليبى صرفا لأنظار المسلمين عن الإسلام وفضائله ، وتطبيق الشريعة الإسلامية وبركاتها من جهة ، وإطفاءً لهذا القبس المتبقى للمسلمين يشع بنور الله ويضىء للملتفين حوله سبيل السعادة والنجاة من جهة أخرى ، وحتى لايبقى للمسلم المطالب بشرع الله والمنادى بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسول الله مايستشهد به ويشير إليه فى دنيا الناس قاطبة . وياللأسف الشديد . وسبحانك اللهم أخيراً كيف لا يعرف هذا المسلمون . وكيف يجهلون أو يتجاهلون !!

تنبيه

إنى لا أشك فى أن قارىء هذه الرسالة وَقَدْ قُدّمت إليه ، ووضعت من أجله ، لأنه مسلم يجب أن يتحمل مسئولية إسلامه . سيلاحظ أن حماساً شديداً قد كتبت به هذه الفقرات المتعلقة بلوم المسلمين عن صمتهم عن ذكر مظاهر الخير والكمال فى السعودية نتيجة تطبيق الشريعة الإسلامية فيها ، وقد يتساءل عن سبب هذا الحماس فأجيب أخى بأن سببه أمران لاثالث لهما ويعلم الله أنى لم أشعر بدافع غيرهما أولهما : الانتصار للحق بإظهاره بعد تعمد الناس جحوده وكفرانه . وثانيهما : أنّ مِن خُلقى الذى وهبنيه ربى عز وجل أنى أتألّم فى حياتى أشد الألم من شيئين الأول سماع الكذب والبهتان ، والثانى رؤية جحود الفضل وإنكار المعروف لأهله .

وقد بليت بالتعايش مع أناس لا أسمع من أكثرهم إلا الكذب وقول الزور والبهتان . ولا أرى لأكثرهم إلا جحود الفضل ونكران الجميل والمعروف كما هى حال أكثر المسلمين مع السعودية ، لأن أمة الإسلام اليوم أكثر أبنائها ينظرون بعين الغرب ويفكرون بعقلية الغرب ولايعقلون عن الله كلامه ، ولايفهمون من خطابه مراده لتعذر وجود القلب المؤمن الموقن . وإنالله وإنا إليه راجعون .

كيف يحفظ ما بقى من الإسلام داخل بلاده وخارجها

الحمد لله ـ وبعد :

فإن مضمـون هذا العنـوان من هذه الرسالة هو المقصود بالذات من كتـابتها وتقديمها لخاصة المسلمين وعامتهم ، إذ هو البحث عن طريق يتـوصـل بها إلى الحفـاظ على ما بقى معمولا به من شرائع الإسلام بين المسلمين داخل بلادهم وخارجها . وذلك كالجاليات الإسلامية فى بلاد أوربا ، وأمريكا ، وبعض أقطار آسيا وأفريقيا .

وبعـد البحث الجَاد والتفكـير الطويل هدانى ربى عز وجل إلى أن الطريق بالنسبة إلى الجاليات الإسلامية لحفظ الإسلام بينهم ، ونمائه ونشره وتعميمه فى تلك الديار الكافرة به والتى يرجى لها أن تؤمن به فى يوم ما من الأيام فتسعد به ، وتكمل عليه إذ لا سبيل إلى الإسعاد البشرى ، والكمال الإنسانى إلا على الإسلام كما سبق أن بينا ووضحنا فى هذا البحث من هذه الرسالة . أقول إن الطريق للحفاظ على الإسلام بين الجاليات الإسلامية يكون على النحو التالى :

١ ـ تكوين هيئة عليا يمثل كل عضو فيها دولة من الدول الإسلامية فى العالم الإسلامى .

٢ ـ وضع ميزانيّة سنويّة تُسهم كل دولة إسلامية فيها بحسب قدرتها المالية قوة وضعفا . على أن لاتتخلف أيّة دولة عن الإسهام فى هذه الميزانيّة المشـتركة بحال من الأحوال حتى ولو تجمع قسطها من مواطنيها بطريق التبرع أو الضرائب الملزمة .

٣ ـ دمج جمعيات كل إقليم من الجمعيات الإسلاميّة فى جمعية واحدة تتولى إدارتها كافة المؤسسات الإسلامية من مساجد ومدارس ومكتبات وأندية رياضية فى ذلك الإقليم ، على أن تشرف عليها الهيئة العليا للدعوة الإسلامية والمحافظة على الإسلام بين أهله خارج بلاد المسلمين (راجع رقم واحد) من هذا النظام الخاص بالجاليات الإسلامية .

٤ ـ مهام الهيئة العليا تنحصر فى جمع المالية وإعدادها من دول الإسلام الصغيرة والكبيرة والغنيّة والفقيرة على حد سواء ، وتوزيعها وصرفها على الجمعيات الإسلامية الموجودة فى خارج البلاد الإسلامية بمقادير تتفاوت بحسب العمل الإسلامى فى ذلك الإقليم قوة وضعفاً . كما تقوم بالإشراف العام على سير العمل الإسلامى فى كل إقليم فيه جماعة إسلامية ، وتقدم التوجيه اللازم والإرشاد المطلوب لسير العمل الإسلامى واطراده ونمائه فى تلك الديار .

٥ ـ مهام كل جمعية تنحصر فى التالى :

- بناء المساجد وإعمارها بالأئمة والمؤذنين والمدرسين والوعاظ المرشدين
- إنشاء المدارس الدينيّة لتعليم أصول الدين الإسلامى وفروعه ، وذلك بحسب حال المسلمين كثرة وقلة
- تقويم نفوس المسلمين وتزكيتها ، وتهذيب أخلاقهم وترقيتها لتبلغ الكمال الخلقى والتهذيب النفسى المطلوب للمسلم القدوة الذى يدعو إلى الله تعالى بلسان حاله كما يدعو بلسان قاله ، والأول أبلغ وأنفع .

وينبغى أن يركز فى الجاليات الإسلامية على هذا الجانب أكثر من غيره إذ هو الغاية الشريفة والمقصودة من تنظيم العمل الإسلامى فى ديار غير المسلمين ، لأن الدعوة الإسلامية التى كانت واجبة بالجهاد والبيان قد أصبحت اليوم بالمقال وحسن الحال فقط ، ولم يبق من معنى للسلاح ، وأكبر بلاد العالم مفتوحة للدعاة المسلمين ، والناس يدخلون فى الإسلام أفواجاً . لاسيما فى أوربا الغربية وأمريكا واليابان .

٦ ـ توحيد المنهج التربوى والتعليمى بين سائر الجمعيات . فالعقيدة لا تكون إلا سلفية للإجماع على نجاة صاحبها . والفروع تكون على منهج الوحى الإلهىّ « قال الله » « قال رسول الله ﷺ » ، فتقرر وتدرس الكتب التى على غرار منهاج المسلم وعقيدة المؤمن لأبى بكر جابر الجزائرى ، وذلك لتوحيد قلوب المسلمين وأعمالهم ، والبعد بهم عن الفرقة والخلاف ، ولطلب السعادة لهم والنجاة فى الدنيا والآخرة .

٧ ـ إبعاد الجماعات الضالة والمضللة من ساحة العمل الإسلامىّ فى تلك الديار مثل البهائية والقاديانية والشيعة الروافض ، والطرق الصوفية الغالية فى التصوف من غلاة الحلولية والباطنيّة . وذلك بإظهار ضلالها ، وتحذير الناس منها ، والحيلولة بينهم وبين الاتصال بهم طلبا لنجاة الناس من شر هذه الفرق الضالة والمحسوبة على الإسلام وهو منها براء .

على نحو من هذه الخطة يمكن بفضل الله تعالى العمل فى حقل الدعوة الإسلامية خارج ديار المسلمين فيحفظ لمسلمى الجاليات بها إسلامهم ناميا مطرد النماء والانتشار بين سكان تلك الديار ، وبذلك تبرأ ذمة المسلمين من واجب الدعوة إلى الإسلام بين أمم العالم وشعوبه .

أمّـا المحافظة على ما بقى من العمل بالإسلام فى بلاد المسلمين فإنه بالنظر إلى عدم جَدْوَى العمل تحت شعار الأحزاب والجمعيات والمنظمات الدينيّة مطلقا حيث رأينا أن المنظمة أو الجمعية بمجرد ماتنمو ويأخذ عملها فى الظهور والانتشار حتى تصطدم بالنظام الحاكم فتتحطم عندئذ وتموت ، وتجـر عواقب سيئـة على الإسلام والمسلمين وبناء على هذا فقد تعيّن أن تُطلب سبيلٌ أُخْرى للحفاظ ـ على الأقل ـ على المتبقى من العمل بشريعة الإسلام بين المسلمين فى ديارهم وإلا فإن ربع قرن كاف لا قدر الله فى ضياع ما بقى من الإسلام فى بلاد المسلمين ، ويومئذ يحل ظلام وظلم لم تعرف بلاد المسلمين نظيره حتى فى عهد الجاهلية الأولى والعياذ بالله تعالى .

ولـذا فإنى أهيب بكل ذى قلب حىّ وروح طاهرة تحمل حب الخير والجميل أن يتبنّوا هذه الخطة التى أرسمها هنا وأن يعملوا على تنفيذها بكل صدق وإخلاص من أجل إنقاذ البقية الباقية من الإسلام فى بلاد المسلمين .

إن الإسلام يتعرض فى هذه الأيام الراهنة لهزة عنيفة ولولا لطف الله تعـالى لأودت به وأتت عليه ولم يبق من كتـابه إلا رسمه ولا منه هو أى الإسلام إلا اسمه . وفى الحديث « إن آخر ما تفقدون من دينكم الصلاة » .

وَمَـرَّةً أخـرى أهيب بذوى المـروءة الآدميّة والغيرة الإسلامية فى بلاد المسلمين من رؤساء حاكمين ، ومرءوسين محكومين أن يدرسوا هذه الرسالة دراسة صادقة وأن ينظروا فى خطتى العمل للحفاظ على الباقية من العمل بالإسـلام فى ديار المسلمـين وخـارجهـا ، وأن يتجردوا لله تعالى ويطلبوا رضاه ، وما عنده من خير الدنيا والآخرة ويعملوا على تنفيذ هاتين الخطتين بكل ما أوتوا من قوة وسلطان والله معهم ولن يترهم(١) أعمالهم .

والخطة الأولى قد تقدمت وهذه الثانية تلك للحفاظ على الإسلام فى بلاد غير المسلمين . وهذه للحفاظ على الإسلام فى بلاده وبين أهله . .

فإليكم أيها المصلحون الخطة مفصلة وإنها لسهلة ميسَّرَة لا كلفة فيها ولا أدنى مشقة . إنها لا تكلفكم أكثر من تَفَهُّمها بروح طيّبة ونيّة صالحة ، وعزيمة صادقة .

إنها : تشكيل لجنـة : فى كل مسجـد من مسـاجـد القرى والأحياء السكنيّة والمـدن الإسـلاميّة ، تتكـون اللجنـة من عمـدة الحىّ أو شيخ القـرية ، وإمام المسجد ومدرسه ورجل من أعيان الحىّ أو القرية يطلق عليها اسم لجنة القرية أو الحىّ .

---

(١) أى ولن ينقصهم أجر أعمالهم الخيرية الإصلاحيّـة .

مهـام اللجنة :

ومهام تلك اللجنة التى تقوم بها بالتعاون مع أفراد الحىّ او القريه هى :

١ - إجراء إحصاء عام لسكان الحىّ أو القرية لمعرفة الأفراد وأسرهم وأعمالهم وعناوينهم ؛ لأجل زيارتهم والاتصال بهم ، ومعرفة أحوالهم ؛ لمعونتهم عند حاجتهم إلى ذلك .

٢ - تربية وتعليم كافة أفراد الحىّ أو القرية رجالاً ونساء بواسطة الدروس التربويّة التعليميّة التى تلقى فى المسجد مساء كل يوم فيما بين صلاتى المغرب والعشاء ومن قبل مدرس المسجد وواعظه المختص بذلك .

٣ - تفقد كافة أفراد القرية أو الحىّ ومعرفة أحوالهم من صحة ومرض ، وغنىً وفقر ، واستقامة وانحراف ، وتقديم العون والمساعدة لهم عملاً بمبدأ الأخوة الإسلامية ، وحكم الجيرة والمواطنة ، وتنفيذاً لأمر الله تعالى فى قوله ﴿ **وتعاونوا على البر [1] والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب** ﴾ .

٤ - الإصلاح بين المتخاصمين ومساعدتهم على حل مشاكلهم بطريق الشرع مالم تستعص فإن استعصت أحيلت إلى المحاكم البلدية المختصة بذلك .

٥ - تأديب من يخل بأوامر الشرع ، أو يعبث بالآداب الإسلاميّة التى يعيش عليها المواطنون ، وبحسب حال المواطن يكون التأديب ، ولايكون إلا بعد تقديم النصح و الارشاد له وتعليمه بما ينبغى له ويجب عليه والإعذار إليـه .

---

(١) البر : الخير كله والآية من سورة المائدة .

وفى حالة عدم جدوى النصح والإرشاد والتأديب الأدبى المعنوى الذى تقدمه اللجنة . فإن أمره يرفع إلى حاكم الحىّ أو القرية ليتولى تأديبه بما يراه ، ولو بإبعاده من الحىّ أو القرية التى أفسد فيها ولم يصلح .

٦ ـ إنشاء صندوق مالى فى الحىّ أو القرية ، ومساهمة كل مواطن فيه بقدر معين بحسب حاله يساراً وإعساراً ، على أن يكون حِسبَة لله تعالى بمعنى أن القدر الذى يسهم به الفرد المواطن ينوى به ثواب الآخرة لامردود الدنيا ، ولذا يجوز أن توقف الأوقاف على هذا الصندوق حيث مصارفه هى مصارف البر والإحسان وإن كان خاصاً بأهل الحىّ أو القرية .

ومن مصادر تنمية هذا الصندوق الزكاة الواجبة ، وصدقات التطوع ، والنذور الشرعية .

٧ ـ زيادة فى تقوية أواصر المحبة والإخاء بين سكان الحىّ أو القرية يفتح صندوق مالى يحفظ فيه المواطنون الزائد من المال على حوائجهم الضروريّة ، وينمى لهم بواسطة إنشاء متجر فى الحىّ رابح ، أومصنع منتج ، أوزراعة مغلة مثمرة ، وتكون الأرباح والخسائر بحسب المقادير التى يضعها المواطنون .

ومن لم يرغب فى تنمية زائد ماله ، يحفظ له بلا ربح ولا وضيعة إذ هو أمانة إذن فى التصرف فيها وهى محفوظة له مضمونة يتسلمها كلاً أو بعضا متى شاء بلا وكس وَلاَ مُمَاطلة .

٨ ـ فتح معهد مهنىّ بحسب حال القرية أو الحى يتعلم فيه بعض أبناء المواطنين بعض المهن اليدوية التى تساعدهم على اكتساب العيش فى عزة وكرامة .

٩ ـ فتح ناد رياضىّ يزاول فيه أبناء القرية أو الحىّ الرياضات الإسلامية المختلفة كالسباحة والرماية والمسابقة تقوية لأبدانهم ، وتنمية لأفكارهم وعقولهم ، إذ العقل السليم في الجسم السليم كما قيل .

وبعد فهذه أهم الواجبات التى تقوم بها لجنة الحىّ أو القرية المكونة فى المسجد ، وهى مهام لعمر الله جديرة بالتقدير والاحترام ، ومتى قامت بها اللجنة وتمت على أحسن وجوهها فإنها تكون مثلا عاليا للإصلاح البشرى النابع من روح الإخاء الإسلامىّ ، والتعاون الإيمانى وهو أمر واجب القيام به فى أمة تؤمن بالإسلام وتعمل به لتكمل وتسعد .

هل يعود الإسلام ، ويكمل الناس ويسعدون عليه ؟ ؟

للإجابة عن هذا السؤال نقول : أمّا كون الإسلام إذا عاد للحياة من جديد وعمل به الناس كملوا وسعدوا عليه فهذا أمر مقطوع به ولا شك فيه بحال ؛ لأن الإسلام وُضع وَضع السنن والقوانين الثابتة التى لاتتخلف نتائجها أبداً . فلا يمكن أن تعمل جماعة أو أمة أو حتى فرد بالإسلام عقائد وعبادات ومعاملات وآدابا وأخلاقا ثم تتخلف النتائج الموضوع الإسلام لها فلا تكمل الجماعة أو الأمة أو الفرد عقليًا وخلقيًا ولا تسعد حالاً ومآلا ، وذلك لأن قانون الكمال والإسعاد البشرى هو الإسلام حيث شاء الله ذلك وأراده . وقد جرب الإسلام وصحت التجربة فكمل العاملون بالإسلام وسعدوا فى غير ما زمان ومكان ، والتجربة أكبر برهان كما يقال . فإن العرب قد سعدوا وكملوا بالإسلام فى عصره الأول عندما طبق الإسلام التطبيق المطلوب منه ، وأصبح العرب الذين كانوا قبل الإسلام أسوأ الناس حالاً أصبحوا أكمل وأسعد من على الأرض قاطبة ، وفى تلك الظروف الصعبة الشديدة القاسية فكيف لو طبق الإسلام اليوم فى عصر الذرة وغزو الفضاء فى أمة أو جماعة ؛ فإنه بلا شك ستصبح تلك الأمة المطبق فيها الإسلام أكمل الناس وأسعدهم ولتكونن حياتها فى كمالها وسعادتها أشبه بحال أهل النعيم المقيم فى دار السلام بالملكوت الأعلى يوم القيامة .

وأما هل يعود الإسلام أو لايعود إلى الحياة من جديد ليحيلها إلى كمال بشرى وسعادة إنسانيّة لم يسبق لها مثيل فهذا مالا يملك أحد الإجابة الصحيحة عنه سواء بالنفى أو الإيجاب ؛ إذ هو من الغيب والغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى . وإنّما عودة الإسلام ممكنة وجائزة وليست

هى من قبيل المحال وليس من حق أحد أن ينفى عودة الإسلام بصورة جازمة ؛ إذ الأقرب إلى سنن الكون ونظام الحياة أن يعود الإسلام من جديد لتكمس عليه أمم العالم وشعوبه ويسعدون عليه . لاسيما وقد جرب الناس فلسفات شتى وأنظمة عديدة مختلفة من وضع البشر وتقنينهم وقد أفلست جميعها . ولم يتحقق بها كمال الإنسان ولا سعادته .

فأى مانع إذاً أن تقوم أمة عظيمة كألمانيا الغربية أو بريطانيا فى يوم من الأيام وتطبق الإسلام عقيدة وشريعة وآداباً وخلقاً فتكمل وتسعد عليه ، ويتحقق موعود الله تعالى لها فى قوله : ﴿ **ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل ، وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم** ﴾ الآية والمراد بما أنزل إليهم من ربهم القرآن كتاب الإسلام والجامع لشرائعه والحاوى لكل ما فى الإسلام من عقائد وعبادات ومعاملات وآداب وأخلاق .

ومع هذا فإنه ينبغى أن لايغيب عن أذهاننا أن هناك إشارة قرآنية وأخرى حديثيّة تدل كل واحدة منهما على عودة الإسلام وظهوره فى الأرض وسيادته .

فالإشارة القرآنية فى قوله تعالى من سورة التوبة والفتح والصف :

﴿ **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون** ﴾ - أو - ﴿ **الكافرون** ﴾ .

وأما الحديثيّة فأظهرها ما جاء فى أحاديث المهدى وفيها « يملأ الأرض عدلاً وقسطا بعدما ملئت ظلما وجورا » . كما إن هناك سنة صحيحة تشير إلى عودة الإسلام وظهوره وسيادته على غيره من الأديان ، ولفظها : « ليبلغن هذا الدين مابلغ الليل والنهار ، ولا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا دخله الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل » . أو كما قال ﷺ .

بيدَ أنـه لما كان الإسـلام قائما موجوداً ومعمولاً ببعض شرائعه وسعد وكمـل عليه القـائمـون به ، وكانت حاجَة البشر اليوم ماسة إلى الكمال والإسعـاد فإنا ندعو ونلح فى الدعاء كافة الراغبين فى الإصلاح والكمال والإسعاد من عرب وعجم ومسلمين وغير مسلمين الأخذ بالإسلام دين الإكمال والإسعاد وننعى عليهم هذا التسويف والتباطؤ ، والبشرية تعانى من طغيان المادة وإجحافها ومن الجوع الروحى والخواء النفسى والهبوط الخلقى ، والضَياع الشخصىّ ، الأمر الذى لا ينكره عاقل ، ولايجاحد فيه أحد أو يكابر إلا من سفه نفسه ، ورضى أن يكون فى عداد البهائم من الحيوانات .

لاسيما وأن التعصب الدينىّ قد خف كثيراً إن لم يكن قد انقرض فى كثير من بلاد العالم . فلم يبق من مانع يمنع من الأخذ بالإسلام بوصفه الأداة الحقة لإكمال البشرية وإسعادها جسما وروحاً ودينا وآخرة .

فإلى الإسلام ياعقلاء الناس فإنه الآلة الرافعة للبشرية من سقوطها فى وهدة المادة وطغيانها . وإن أبيتم فالخسارة عليكم . وما على الرسول إلا البلاغ **!!**

خلاصة ما جاء فى الرسالة من حقائق علميّة ثابتة

الحمد لله وبعد : فإلى القارىء الكريم خلاصة ما اشتملت عليه هذه الرسالة من حقائق علمية ثابتة هى جديرة بالتأمل والأخذ بعين الاعتبار ممن يريد الإصلاح والخير لنفسه وللناس أجمعين .

١ ـ لم يكن الباعث على تقديم هذه الرسالة سوى ما وجب على العلماء من البيان ، وماتحتم من واجب النصيحة لحكام المسلمين وعامتهم .

٢ ـ إن أكثر الناس يجهلون معنى الإسلام ، ولهذا هجره من هجره منهم ، وحاربه من حاربه منهم ، ولم ينتفعوا به فى حياتهم فعاشوا أشقياء ناقصين فى كل مجالات حياتهم الروحيّة والجسميّة معاً .

٣ ـ الإسلام هو دين الله الذى أوحاه إلى نبيّه محمد ﷺ لإصلاح الناس وإكمالهم فى عقولهم وأخلاقهم ، وإسعادهم فى أجسامهم وأرواحهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وذلك إن هم عملوا به عقائد وعبادات وأحكاما وأخلاقا .

٤ ـ إقامة بيّنتين وبرهان عقلى على صحة أن الإسلام هو آلة الإكمال والإسعاد البشرى : الأولى حال العرب فى الجاهلية ، ثم فى الإسلام ، والثانية سكان شبه الجزيرة العربية بعد فساد الحكم فيها وضياع الشرع الإسلامى بينها ، ثم بعد أن حكمها القرآن وسادها الإسلام الصحيح على عهد حكم السعوديين . والبرهان : أن الإسلام وضع وضع السنن التى لا تتخلف نتائجها مثل الماء يروى والطعام يشبع والنار تحرق والحديد يقطع فإن كانت هذه لاتتخلف نتائجها فكذلك شرائع الإسلام لاتتخلف نتائجها فى الإكمال والإسعاد .

٥ ـ عوامل ضياع العمل بالإسلام هى جهل الناس به ، وما ألصق به من بدع وخرافات ، وحرمان أكثر المسلمين من تطبيق شرائعه بينهم .

٦ ـ بيان كيف ضاع الإسلام بين أعدائه وأوليائه ، ومن هم أولياؤه ، ومن هم أعداؤه .

٧ ـ استردت أمة الإسلام استقلالها ، ولكن لم تسترد عقليتها ولا قلبها المؤمن الحىّ البصير .

٨ ـ ضرب مثل لتعطيل الشريعة الإسلامية بنسب متفاوتة فى بلاد المسلمين وأن أعلى نسبة لتطبيقها هى فى المملكة السعودية ، وبيان كيف نالها بذلك الخير الكثير الذى لم يحظ به سواها من بلاد المسلمين قاطبة وكون المسلمين عميا عن هذا الخير لايرونه ولا يذكرونه .

٩ ـ موقف البلاد الإسلامية الشاذ من دولة السعوديّة وردّ ذلك إلى عاملين الأول تسمّمُ الفكر الإسلامى نتيجة قبول المسلمين كل ما يأتى من الغرب ، والثانى ستر الحكام المسلمين عن أنفسهم فضيحة حكمهم المسلمين بغير شريعة ربهم .

١٠ ـ مظاهر الخير وآثار فائدة تطبيق الشريعة الإسلامية فى البلاد السعودية وهى أكثر من عشر مظاهر تجلت فيها فائدة تطبيق الشريعة الإسلامية .

١١ ـ بيان طريقة لحفظ ما بقى من الإسلام خارج بلاد المسلمين ، بذكر تكوين هيئة عليا للدعوة الإسلامية ومساهمة أمة الإسلام فى صندوق ميزانيتها ، وبيان مهامها التى تقوم بها .

١٢ ـ المحافظة على ما بقى من الإسلام داخل بلاد المسلمين ، وذكر طريقة ناجحة لذلك إن اتبعت بصدق وحزم ، ودعوة المسلمين إلى اتباع هذه الطريقة للحفاظ على ما بقى من الإسلام .

١٣ ـ تفصيل الخطة وذكر لجان الحىّ والقرية ، وبيان مهامها التى تقوم بها من الإصلاح بين المواطنين ، وبيان أن الخطتين المذكورتين للحفاظ على مابقى معمولا به من الإسلام بين المسلمين داخل بلاد المسلمين وخارجها هو المقصود من كتابة هذه الرسالة ونشرها وتقديمها للمسلمين .

١٤ - إمكـان عودة الإسلام إلى الحياة وسعادة الناس وكمالهم عليه ، وتقرير الحقيقة السابقة وهي أن لاكمال ولا سعادة إلا بالإسلام .

١٥ - بشـارة الكتاب والسنة بظهور الإسلام ، وتطبيقه الأرض كلها حتى لا يبقى بلد إلاّ ويدخله ويسعد أهله عليه ويكملون به

المحتـــوى

●● الرســالة السادسة

الى التصوف يا عباد الله



بسم الله الرحمـــن الرحيـم

مقدمـــــــة

الحمد لله على نعمة الاسلام ، وكفى بها نعمة . والصلاة والسلام على محمد نبى الاسلام وكفى به نبيا ورســـولا .

ورضى الله عن آل نبينا وصحابته فاضلا ومفضــولا .

وبعـد فانه ـ ويا للاسف الشديد ـ قد ظهرت الدعوة للتصوف من جديد ، وبعد أن ظن المصلحون أنها قد مضت فلا ترجع ، وماتت فلا تنشر . وذلك بعد أن أظهروا زيفها ، وكشفوا عوارها ، وأزحوا الستار عما تخفى وراءها من جيوش الخراب والدمار ، تلك الجيوش الكافرة الفاجرة التى ما فتئت تضرب فى جسم أمة الاسلام حتى مزقته أشلاء ، وطرحته لكــلاب الاستعـمار أجـزاء ، فامتصـوا دمـه ، وأكلوا لحمـه ، وكسروا عظمه ، ، وواروه التراب ، وظنوا أنه لايبعث الى يوم الحساب .

ومـا ان نشر الله أمة الاسلام بعد موتها ، وعادت الى الحياة من بعد

مفارقتها ، ورآها العدو الثالوث المركب من اليهود والمجوس والنصارى ، رآها وقد تحررت ديارها ، وتخلصت من نير الاستعمار الغربى بلادها وأقطارها ، فلم يعد فيها سلطة لكافر ، ولا سلطان لكفار آلمها تحررها ، وأكربها وأحزنها خلاصها واستقلالها حتى راح يبحث عن عملائه الأقدمين ، وجنوده المخلصين من دعاة التصوف ، وأدعياء المتصوفين ، فأخذ يجمع شتاتهم ويحرك طلائعهم ويدفع بهم فى المعركة لضرب أمة الاسلام مرة أخرى ليوهنوها ويضعفوها ويومها يضعها مرة أخرى تحت كلكله ليمتص دمها ويأكل لحمها وعظمها كما فعل بها فى المرة الأولى ـ والعياذ بالله تعالى .

ومن هنا ـ وقد رأينا بأم أعيننا تحرك أدعياء التصوف الزائف ، ودعاة المتصوفة المرتزقة نحو أمة الاسلام ليزيدوا فى محنتها ، وتوسيع هوة الشقاق، والخلاف بينها ، فهذا يؤلف كتابا ويكتب رسالة ، وذاك يفتح زاوية ويوزع مناشير ، وآخر يعقد مؤتمرا ويقيم احتفالات يشكك فى الدعوة الاصلاحية السلفية ، ويطعن فى دعاتها وحماة راياتها قديما وحديثا .

وساعد على تحرك هذا الباطل وأعان على انتشاره تخوف بعض الحاكمين فى أغلب بلاد المسلمين من الدعوة السلفية التى أحياها بعد موتها فى العالم الاسلامى الامامان الجليلان :

أحمد بن عبد الحليم بن تيمية فى الديار الشامية ، ومحمد بن عبد الوهاب فى الديار النجدية .

اذ الأول نشر الله تعالى تراثه الفكرى والعلمى الاصلاحى على أيدى الحكام السعوديين ـ جزاهم الله خيرا ـ وذلك بعد أن طوقها الزمان بأيدى دعاة التصوف والضلال ، فأقبل طلبة العلم فى كافة أنحاء العالم الاسلامى يقرءون لابن تيمية أفكاره الاصلاحية ، ويتقمصون شخصيته السلفية الطاهرة النقية ، فأظهر الله دعوة الحق الدعوة السلفية فى كافة أرجاء العالم الاسلامى .

وأما الامام الثانى وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، فحسبه أن أثمرت دعوته المملكة العربية السعودية هذه المملكة التى احتضنت دعوته السلفية فبلغت بها من الكمال ما أصبحت به تحاكى دولة الراشدين السلفيين من الصحابة والتابعين .

أعود فأقول : لقد ساعد على تحرك المتصوفة فى هذه الأيام ، واظهار دعوتهم تخوف بعض الحكام فى بلاد المسلمين من الدعوة السلفية ، إذ رأوا فيها ما يبعث على الانقلاب الفكرى والروحى قد يؤدى أخيرا الى انقلاب ادارى شامل يقضى على مظاهر الفسق والفجور فى ديار المسلمين ، ويعود بالأمة الاسلامية الى عهد سلفها الصالح عهد تحكيم الكتاب والسنة والهجرة والجهاد الى أن تبلغ أمة الاسلام غاياتها فى الطهر والصفاء والعزة والكرامة حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله .

لهذا التخوف تحالف بعض جهال الحكام مع ضلال المتصوفة على محاربة دعاة الدعوة السلفية الاسلامية بين المسلمين فترى بعضا منهم لا يؤمنون بالله ولقائه لما أصاب قلوبهم من الالحاد الماركسى يساعدون على نشر التصوف الباطل فيسهمون فى اقامة الحفلات الصوفية ويسهلون أمور القائمين عليها ، ويحوطونهم بعناية وحماية فى الوقت الذين يضطهدون دعاة الاصلاح ، وينكلون بهم ، ويسكتونهم .

ومن هنا ـ اخى المسلم ـ وجب التنبيه بسرعة الى خطر هذه الدعوة الصوفية الجديدة قبل استفحال أمرها ، وانتشار شرها بين المسلمين ، والتى يخشى أن تضع بلاد المسلمين مرة أخرى تحت وطأة الاستعمار بعد أن أنقذها الله تعالى منه بدعوة الاسلام التى حمل رايتها السلفيون وجاهد المسلمون تحتها حتى تحررت ديار المسلمين وبلادهم من الاستعمار الغربى الغاشم الظلوم .

وقياما بهذا الواجب أكتب هذه الرسالة وأنشرها بين المسلمين اعلاما لدعاة التصوف المزيف أن يكفوا عن دعوتهم فانه لا مجال اليوم بين المسلمين

لقبول هذه الدعوة الزائفة ، وقد استضاءوا بنور الوحى ، واستناروا بهدى الكتاب والسنة واهتدوا عليهمـــا .

وعرفوا ما أصابهم وما حل بديارهم من المحن والفتن قرونا طويلة من جراء دعاة التصوف ، وما رموا به أمة الاسلام من قاصمات الظهر .

وتحـذير لأمـة الاسلام عن أن تنخدع مرة أخرى بشعارات التصوف وبهـرجـه الكـاذب ، وزخـرفه الباطل ، والمؤمن لايلدغ من جحر مرتين وحسبى أن أقول للجميع ، أن التصوف اما أن يكون هو الاسلام ، أو يكون غيره ، فان كان هو الاسلام فحسبنا الاسلام ، وان كان غيره فلا حاجة بنا اليـــه .

وعليه فلا تصوف بعد اليوم ، ولكن الكتاب والسنة تعلما وعلما وعملا ودعـوة . فهذا سبيل النجاة ، وطريق الكمال والاسعاد لأمة الاسلام فى الدنيا والآخـــرة .

وحتى يكون المسلمون على بصيرة من أمر التصوف ، وشعاراته الزائفة ودعاوى دعاته الباطلة ، فلا يقعوا فى مصائد دعاته وحبائل حاملى شعاراته الكـاذبـة أقدم لهم فى الصفحات التالية صورة واضحة للتصوف المحذر منه ، والمنتبه الى خطره ، حتى اذا ما عرفوه ابتعدوا عنه ، وبذلك يسلمون من شره وينجون من خطـــــره .

كما أقدم لهم أخيرا صفحات مشرقة هى البديل عن التصوف المنبوذ ، الذى حذرناهم منه ونبهناهم الى خطره ، بما يعرفون به الطريق الى الله تعالى والسير اليه ، فيكملون بطاعته ويصفون بذكره ، ويسعدون بأنسه والقرب منه . حقق اللهم لى ولهم ذلك ، انه على ذلك قدير وبالاجابة جديـــــر .

التصـــوف وأصـــوله

(أ) التصـوف :

ما هو التصوف ؟

لقد اختلف منتحلوه فى وضع حد له حتى بلغت تعاريفهم له نحوا من ألفى تعريف ، كلها حدود ورسوم لا واقع لها فى الخارج .

والتعريف الصحيح للتصوف هو : أنه بدعة « ضلالة » من شر البدع ، وأكثرها اضلالا ، وأكبرها ضلالة ، اذ لم يعرف التصوف فى زمن نزول الوحى . ولا بعده والى أن انقرض من شاهد نزول الوحى المحمدى وعاصر نبيه صلى الله عليه وسلم فلم يرد لفظ التصوف على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ، فلم يحدث عنه ولم يخبر به ، اللهم الا ماكان من تحذيره صلى الله عليه وسلم من البدع والاحداث فى الدين فى مثله قوله : « اياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »[1]

وقوله : « من احدث فى امرنا هذا ما ليس منه فهو رد »[2] .

فانه قطعا يدخل فى البدع والمحدثات التى أشار اليها الحديث النبوى الشريف .

وكما أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يحدث عنه ولم يخبر به فضلا عن أن يشرعه ويدعو اليه ، فان الصحابة رضوان الله عليهم لم يؤثر عن أحد منهم أنه عرف التصوف أو نطق به ، وكذا التابعون من أبناء الصحابة وأبناء أبنائهم وهم أهل القرون المشهود لهم بالخيرية والفضل فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم « خيركم قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » فانه لم يعرف بينهم ولم يؤثر عن أحد منهم ، لا بالعبارة ولا بالاشارة ، فلذا هو بدعة قطعا ولا شك فى بدعيته واحداثه .

(١) رواه أبو داود والترمذى وهو حديث صحيح .

(٢) رواه مسلم .

وحتى أهـل اللسان العربى انكروا ان يكون لفظ التصوف عربيا اذ صيغـة التفعـل لا بد وأن تكون مشتقة من فعل لازم يؤتى بها لأغراض كالمطاوعة أو التكلف كالتعلم والتشجع من فعلى علم ، وشجع اللازمين ، والتصوف ما هو الفعل المشتق منه ؟

هل فعله صفا يصفو . أو صف يصف ، والجواب لا فلم يرد من صفا التصوف ولا من صف كذلك . ولذا التصوف بدعة فى شكلها وموضوعها يأباها الكتاب والسنة ، ولغتهمـــا معـا .

وغير ضائرنا قول أحد الراكضين فى الدعوة إلى التصوف فى هذا الأيام [1] أن أنكار بعض الناس علي هذا اللفظ (التصوف) بأنه لم يسمع فى عهد الصحابة والتابعين مردود ؟ اذ كثير من الاصطلاحات أحدثت بعد زمان الصحابة واستعملت ولم تنكر كالنحو والفقه والمنطـــق .

وفات هذا الشيخ أن انكار السلفيين للفظ التصوف ومعناه أن التصوف استعمـل معـولا لهدم الاسـلام ، وتفتيت عقـائـده ، وابـطال شرائعـه وأحكـامه . وأما لفظ النحو والفقه فقد استعمل لحفظ الاسلام والابقاء عليه ، ولفهمه ومعرفة ما جاء به من الهدى والنور والخير ، وشتان ما بين الاصطلاحين : ان الأول وضع للهدم والتخريب ، والثانى وضع للبناء والتعمير ومن يسوى بين ما يبنى وما يهدم ؟

ان التصوف ـ أخي المسلم ـ ليس هو كما يقول دعاته باطلا وزورا : انه علم تعرف به أحوال تزكية النفس وتصفية الأخلاق ، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية ، ولا هو استعمال كل خلق سنى ، وترك كل خلق دنى ، ولا هو كل ما عرفوه به ووضعوا له من حدود ورسوم لا تعدو كونها حبرا على ورق .

---

(١) هو عبد القادر عيسى شيخ الطريقة الشاذلية بالشام ، فى كتابه حقائق عن التصوف . والذى دلس فيه وغش أمة الإسلام بحيث لم يذكر من التصوف إلا الوجه المشرق ، وأخفى عن علم الوجه المظلم الملىء بالشرك والبدع المحرمة والكفريات .

وانما هو بحسب واقع المتصوفين منذ أن نشأ التصوف فى القرن الرابع واستغله الزنادقة والباطنية وغلاة الحاقدين على الاسلام من يهود ومجوس وصليبيين لضرب العقيدة الاسلامية ووحدة المسلمين وقوتهم ، وانما هو أى التصوف أسلوب من الاحتيال والنصب والتدجيل يبتدىء بذكر الله وينتهى بالكفر به والعياذ بالله تعالى . أوله اتباع وآخره ابتداع ، ظاهره التقوى والطهر ، وباطنه الفجر والعهر .

الله ، الله ياعباد الله ، كم عانت أمة الاسلام من الفرقة والانقسامات بسببه ، وكم ضيمت ونالها من الشر والسوء على أيدى دعاته ومتبنيه ، واستعان به الاستعمار على فتح الدار ، والحاق العار ، كم اتخذ العدو المداهم لبلاد المسلمين فى الشرق والغرب من عيون تدله على ضعف المسلمين وعوراتهم ، وألسن تخبره عما يخفيه المسلمون عن عدوهم من أمور حربهم وسلمهم ، وذلك من مشايخ الطرق والتصوف ، والتاريخ حافل بهذه المخازى وصفحاته تقر بذلك ولا تنكره وتعترف به وتشهد عليه .

وسوف نذكر صورا حية ، وأمثلة صادقة عن ذكر كل أصل من أصول التصوف والتى ظاهرها مشرق وباطنها محرق ، والتى مازال المضللون والمخدوعون المغرورون يعرضون الوجه المشرق منها ويخفون الوجه المظلم المحرق ، ولا أدرى ما يحملهم على ذلك ، ألم يكن فى هدى الله ورسوله من فنون التربية ، وأنواع العبادة ما يزكى النفوس ، ويطهر الأرواح ، ويهذب الأخلاق ، ويوصل العبد الى حضرة القدس ، ويذيقه طعم الأنس بربه سبحانه وتعالى .

بلى : ان فى ذلك لغنى كبيرا عن شطحات التصوف ، وخيالات المتصوفين ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

(ب) أصـــول التصـــوف :

ان للتصوف أصولا تواضع عليها أهل هذه البدعة منذ نشأتها ، فلا تعرف حقيقة التصوف الا بالنظر فى تلك الأصول ، والوقوف على ما فيها من حق وباطل ، وخطأ وصواب وسنكتفى بذكر أصول منها وهى أهمها ، ومن خلال استعـراضها نتبين ما جرته هذه البدعة على أمة الاسلام من أضرار وأخطار .

والغرض من هذا كله تنبيه أمة الاسلام وتحذيرها من الوقوع فى حبائل هذه البدعة مرة أخرى ، حيث نشط اليوم دعاتها من أدعيائها والمغرورين ببهرجها وزخرف القول فيها ، ولا يبعد أن يكون المحرك لأدعياء التصوف فى هذه الأيام بالذات أصابع الماسونية العالمية ، لما رأت من تحرك الشباب المسلم نحو الاسلام واقباله على التدين الصحيح المستقى من الوحيين : كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخافت من عاقبة هذه الصحـوة أن تنقلب نهضـة اصـلاحية شاملة فتنقذ العالم الاسلامى من سيطرتها ، وتخلصه من أنيابها ، وتنتشله من أظفارها الناشبة فيه منذ أن أردتـه صريعـا بسكـين التصـوف الـزائف البغيض ، وها هى ذى تلك الأصول نستعرضها أصلا بعد أصل ، لنرى ماتحمله من خراب ودمار لأمة الاسلام الخيرية الكريمـــــة .

الأصـــــل الأول

الطريقـــة

ماذا تعنى كلمة الطريقة ؟

انها تعنى اتصال المريد [١] بالشيخ وارتباطه به حيا وميتا [٢] وذلك بواسطة ورد من الأذكار يقوم به المريد باذن من الشيخ أول النهار وآخره ، ويلتزم به بموجب عقد بينه وبين الشيخ . وهذا العقد يعرف بالعهد ، وصورته أن يتعهد الطرف الأول وهو الشيخ بأن يخلص المريد من كل شدة ويخرجه من كل محنة ، متى ناداه مستغيثا به ، كما يشفع له يوم القيامة فى دخول الجنة ، ويتعهد الطرف الثانى وهو المريد بأن يلتزم بالورد وآدابه فلا يتركه مدى الحياة كما يلتزم بلزوم الطريقة وعدم استبدال غيرها من سائر الطرق بها .

هذه هى الطريقة عند المتصوفة ، وهى أحد أصول التصوف عند أصحابه ، وهذا بيان ما فيها من الباطل والشر والفساد :

١ ـ تقسيم أمة الاسلام بين مشائخ ضلال جهال يستغلونهم ويتحكمون فيهم ، ويحرمونهم من نعمة الوحدة الإيمانية والأخوة الاسلامية ، ان المعروف أن العداوة متأصلة بين طوائف الطرق الى حد أن بعضهم لا يجالس البعض ، ولا يؤاكله ولا يشاربه بل ولا يزوجه ولا يتعاون معه ويقول هذا ليس بأخى من الشيخ ، وكفى بهذه التفرقة بين المسلمين باطلا وشرا وفسادا .

٢ ـ تفريق أمة الاسلام ، وتمزيق وحدتها ، اذ ما قامت الطرق الا على

---

(١) المراد بالمريد من يريد الوصول إلى الله تعالى بطريق الأذكار والمحافظة عليها .

(٢) اذ مات الشاذلى مثلا واتباعه باقون إلى اليوم . وكذا سائر الطرق .

آساس تفرقة المسلمين وتجزئتهم وتفكيك عرى وحدتهم الروحية والسياسية ليسهل قهرهم والتسلط عليهم ، كما حصل لهم فى عهود الاستعمار البائدة ، وها هى ذى آثار ذلك باقية الى اليوم فأمة الاسلام أمم ، ودولتهم دول ، ـ ولا حول ولا قوة الا بالله .

٣ ـ افتراء الشيخ على المريد بأن يخلصه من الشدائد ، وينقذه من المهالك متى استعان به وناداه ، كما يحضر له عند الموت فيلقنه الشهادتين ، ويخاصم عنه فى قبره الملكين ، وأخيرا يشفع له يوم القيامة فيجوز على الصراط بمعية الشيخ ويدخل الجنة بشفاعته .

فهذا من الشيخ ، زيادة على أنه افتراء وكذب ، لا يحل مثله ولا يجوز بحال من الأحوال ، فان فيه تضليل المسلم والتغرير به ، وحمله على اعتقاد الباطل والعمل بموجبه الأمر الذى قد يفضى به الى الشرك والكفر والعياذ بالله تعالـى .

وتضليل المسلم وغشه وخداعه من أعظم الذنوب وأكبر الآثـام .

٤ ـ قطع المريد عن كل ما سوى شيخ الطريقة ، وذلك لاستغلاله والتحكم فيه ، حتى انهم ليحظرون عليه أن يزور أى ولى حيا كان أو ميتا ، فقد جاء فى كتاب الطائفة التجانية (الرماح) ما نصه : الثانى من شرط الطريقة عدم زيارة واحد من الأولياء الأحياء أو الأموات .

الأصـــل الثانـى

الشيخ المـأذون لـه

ان من أصول أصحاب الطرق من مشائخ المتصوفة ضرورة وجود شيخ مأذون له فى اعطاء الورد للمريد ، أو من ينوب عنه من خليفة للشيخ ، أو مقدم فى الطريقـــة .

وهذه لعمر الله احدى الوسائل التى يستعملها مشائخ الطرق لصيد عوام المسلمين وجهالهم من أجل تسخيرهم ، واستغلال كل طاقاتهم المالية والبدنية لخدمة الشيخ ونائبيه من مقدم وغيـــره .

وبيان هذه الوسيلة : أنه من باب كلمة حق أريد بها باطل فاتخاذ شيخ عارف بالله تعالى والطريق الى الله تعالى من أجل التعلم عنه والاقتداء به فى كمالاته الروحية والأخذ بتربيته الاسلامية ، أمر محمود ومأمور به ، اذ لايمكن لأى أحد ان يعرف الله تعالى ، ويعرف محابه ومساخطه ويعرف كيف يعبده ويتقرب اليه ، الا اذا تتلمذ لمشائخ العلم ، وتعلم منهم ، وتربى تحت رعايتهم وكامل عنايتهم ، ولكن الخطأ فى اشتراط أن يكون الشيخ مأذونا له فى اعطاء الورد ، وسلوك الطريقة ، ولو كان أميا جاهلا ، وهـذا هو الواقع اذ جل مشائخ الطريق أميون ، ومن علم منهم فعلمه محدود جدا لا يتجاوز معرفة بعض أركان الاسلام كالصلاة مثلا . إنهم لايعنون بالاذن أكثر من أن يكون من نصب نفسه شيخا للطريقة قد خدم شيخـا مثله من سلسلة مشائخ الطريقة خدمة طويلة فوهبه ذلك الشيخ الوارث لقب الشيخ وأعطاه الاذن باعطاء الورد ، والمشيخة على كل أتباع الطريقـــــة .

ومن هنا أصبحوا يدعون أن طرائقهم الباطلة ذات سند متسلسل الى

الحضرة النبـوية ـ سبحـانك هذا بهتان عظيم ، ومنهم من يدعى عدم الحاجة الى تسلسل السند ، اذ هو قد أخذ طريقته عن النبى صلى الله عليه وسلم مباشرة يقظة لا مناما كالشيخ أحمد بن محمد التجانى ، إذ جاء فى كتابه : جواهر المعانى صفحة ٩٧ ما نصه : « وأما سند الطريقة المحمدية (التجانية) فانه أخبرنى فقال : انا اخذنا عن مشائخ عدة فلم يقض الله منهم بتحصيل المقصـود ـ وانما سندنا وأستاذنا فى هذا الطريق عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، فقد قضى الله بفتحنا ووصولنا على يديه صلى الله عليه وسلم ، فليس لغيره من الشيوخ فينا تصرف .

وأما فضل أتباعه[1] فقد أخبره سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن كل من أحبه فهو حبيب للنبى صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يكون وليـا قطعا .

فانظر أيها المسلم البصير كيف يفترى القوم الكذب على الله ورسوله والمؤمنين بدون حياء ولا خوف ولا وجل ؟

ومن العجيب ما رأينا من افتراءات المتصوفة أن شيخ الطريقة الشاذلية بالديار الشامية عبد القادر عيسى قد ذكر عن مورثه الطريقة الشاذلية وهو الشيخ محمد الهاشمى التلمسانى الجزائرى[2] ذكر بسلسلة مشائخ الطريقة منـه الى النبى صلى الله عليه وسلم وهى سلسلة ضمت كثـيرا من غلاة الباطنية ودجاجلة المتصوفة والعياذ بالله تعالى ، والسلسلة مشتركة بين أربع طرق : القـادرية والشاذلية والدرقاوية ، والعليوية ، ومن أفظع الكذب وشره أن ترفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويكون الرسول فيها ـ فداه أبى وأمى ـ محابيا لثلاثة من أصحابه وهـم أبو بكر الصديق وأنس بن مالك وعلى بن أبى طالب دون سائر أصحابه رضى الله عنهم وأرضاهـم أجمعـين ، اللهم انـا نبرأ اليك من الكذب على رسولك واتهامه بالمحاباة

---

(١) يريد أتباع الشيخ أحمد التجانى .

(٢) فى كتابه دقايق عن التصوف الذى ضلل فيه المسلمين ، حيث ذكر الوجه الجميل للتصوف وأغفل عن عمد الوجه القبيح له .

والتحيز فى ابلاغ الهدى وبيان سبيل الرشاد ، ونشهد أن رسولك محمداً صلى الله عليه وسلم قد بلغ كل ما أوحيت اليه وأمرته ببلاغـــه ..

ومما يفضح هذه الفرية القبيحة أن البخارى روى فى سنده الصحيح الى على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : ما عندنا شىء الا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « المدينة حرم ما بين عائر الى كذا » الحديث . . فنفى أن يكون رضى الله عنه قد خصه النبى صلى الله عليه وسلم بشىء لم يعلمه أمته ، وهذا مسلم أيضا روى فى صحيحه عن طريق أبى الطفيل : كنت عند على فأتاه رجال فقال : ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يسر اليك ؟ فغضب ، ثم قال : ما كان يسر الينا شيئا يكتمـه عن الناس ، غير أنه حدثنى بكلمات أربع . وفى رواية له : ما خصنا بشىء لم يعلم به الناس كافة الا ما كان فى قراب سيفى هذا فأخرج صحيفة مكتوب فيها : لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من سرق من الأرض [1] ولعن الله من لعن والده ، ولعن الله من آوى محدثـــــا .

والشاهد من هذا نفى على رضى الله عنه أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قد خصه هو وآل بيته بشىء لم يعم به كافة الناس .

وبابطال هذه الفرية الباطلة سقط بناء التصوف وانهدم فلا يقام ولا يرفع أبدا .

ان بدعة التصوف قامت على أساس ان النبى صلى الله عليه وسلم أسر لعـلى وأبى بكـر وأنس بعلم الحقيقة فكانوا يعرفون الحقيقة والشريعة ، وعـامـة الصحـابـة لا يعرفون الا الشريعة ، ومن هنا جاء علم الباطن والظاهر ، وضُرب الاسلام على أيدى غلاة الروافض والباطنية والزنادقة من اليهـود والمجوس المنتسبين الى الاسلام لهدمه وتقويض أركانه . وقد فعلوا مع الأسف ونجحوا ، ومن المحزن المؤسف أن يأتى بعد هذا رجال

(١) معناه : أنه غير العلامة الفاصلة بين الجار فى الأرض أو المزرعة .

يركضـون اليوم وهم يحملون نفـايات التصوف يبشرون به ويدعون اليه خيب الله سعيهم . وأحبط أعمالهـــــم .

والمقصـود من وراء وضع هذا الأصل من أصول الطرق الصوفية هو احتكـار الشيخ للطريقـة بسد كل الطرق الموصلة الى الايمان بالله تعالى ومعرفته ومعرفة محابه ومكارهه ، وكيفية عبادته والتقرب اليه للفوز بمحبته ومـرضاته وجناته بعد ولايته فى حياته ، وبذلك يجد العبد نفسه مضطرا للأخـذ بطريقة من الطرق الموضوعة فى الظاهر للهداية والتربية الروحية والسلوكية ، وفى الباطن للتجهيل والتضليل معا .

ولو كانت طرق المتصوفة وافية ببيان سبيل الله تعالى ، كافيةً فى تربية المسلم دينا وخلقا وعقلا وفكرا ، لهان الأمر ، ولكن المعروف بالضرورة عن مشائخ الطرق أنهم لا يعطون المريد أكثر من الورد ، وبعض التوجيهات الخاصة كالمحافظة على الصلوات الخمس ، والورد ومحبة اخوان الطريقة أو الشيخ ، كما يقـولون مع توصيته وتحذيره من أن يأخذ عن شيخ آخر أو ينتمى الى طريقة أخرى .

بهذا مضت فترة غير قصيرة على أمة الاسلام وهى جماعات متباينة لا يعـــطف بعـضهـــا على بعض . هذا قادرى ، وهـــذا شاذلى ، وهـــذا نقشبندى ، وهذا رفاعى ، وهذا درقاوى وذاك هبرى ، وعليوى .

وتمسـك كل فريق بشيخ وورد وطـريقة وجماعة ، ومن هنا سهل على أعداء الاسلام الاستيلاء على ديار الاسلام فوضعوا المسلمين قاطبة تحت حكمهم واستعمروهم واستغلوهم ، وهم الذين وضعوا للمسلمين الطرق والتصـوف لتفـرقتهم واذهـاب ريحهم ، ليسهـل أخذهم والتحكم فيهم واستعمار ديارهم واستغلال خيراتهم اذ هم القائلون (فرق تسد) [١] .

وبما يؤسف له ويتعجب منه أيضا أن تعود اليوم الطرق من جديد وينشط

---

(١) هذه الجملة عبارة عن قاعدة وضعها غلاة أعداء الإسلام ، حيث لا توجد إلا فى قواميسهم الاجرامية .

دعاتها ، بعد أن عرف المسلمون أذاها واكتووا بنارها . وعانوا من شرورها وأضرارها .

وكلمة أخيرة : ان من غريب التناقض فى الطرق الصوفية أن أصحابها يشترطون فى الشيخ المربى ذى الاذن الخاص أن يكون متحليا بصفات الكمال التى لايمكن أن توجد حتى فى بعض الأنبياء ، ومع هذا تراهم ينصبون مشائخ ويضعونهم على رأس طرق يعطون الورد ويربون ، وليس لهم من تلك الصفات معشار معشارها .

ولنستمع الى قراءة ما جاء فى جواهر المعانى للتجانى الجزء الثانى الصفحة الخامسة والثمانون بعد المائة : « أما ما هى حقيقة الشيخ الواصل فهو الذى رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر الى الحضرة الإلهية نظرا عينيا وتحقيقا يقينيا ، فان الأمر أوله محاضرة ، وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر كثيف ، ثم مكاشفة وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق ؟ ثم مشاهدة وهو تجلى الحقائق بلا حجاب لكن مع خصوصية ، ثم معاينة ، وهو مطالعة الحقائق بلا حجاب ولا خصوصية ، ولا بقاء للغير والغيرية عينا وأثرا ، وهو مقام السحق والمحق والدك وفناء الفناء ، فليس فى هذا الا معاينة الحق فى الحق بالحق .

فلم يبق الا الله لا شىء غيره فما ثم موصول ولا ثم واصل » . . الى أن يقول الشيخ التجانى فى جواهره : « فهذا هو الشيخ الذى يستحق أن يطلب ، ومتى عثر المريد على من هذه صفته فاللازم فى حقه أن يلقى بنفسه بين يديه كالميت بين يدى غاسله لا اختيار له ولا ارادة ، ولا اعطاء له ولا افادة . . ومتى أشار عليه بعمل أو أمر فليحذر من سؤال بلم ؟ وكيف ؟ وعلام ؟ ولأى شىء فانه باب المقت والطرد » .

هذا ولا ينكر القوم وجود هؤلاء العارفين بل يقرون بوجودهم ويحددون حتى أماكن وجودهم وتواجدهم .

واسمع صاحب الجواهر يقول : « وأما الشيخ الذى هذه صفته وكيف

يتصل به ، وبماذا يعرف ؟

فالجواب أن الشيوخ المتصفين بهذا الأمر كثيرون ، وأغلبهم فى المدن الكبار فانها مقرهم . وأما معرفتهم والاتصال بهم فانه عسير أغرب وجودا من الكبريت الأحمر لأنهم اختلطوا بصور العامة وأحوالهم . وذلك لعلة اقتضت منهم ذلك ، وهى أن العامة لفساد نظام الوجود لا يريدون أن يتعلقوا بهم الا من أجل ما يريدون من أغراضهم الدنيوية ، وشهواتهم المادية ، فلذا خلط العارفون عليهم بوجوه من التخليط استتارا عنهم باظهار أمور من الزنى والكذب الفاحش والخمر وقتل النفس ، وغير ذلك م الدواهى التى تحكم على صاحبها أنه فى سخط الله وغضبه . والأمور تى يقتحمها العارفون فى هذا الميدان انما يظهرون صورا من الغيب لا وجود لها فى الخارج ، انما هى تصورات خيالية يراها غيرهم حقيقة . وما فعلوا ذلك الا استتارا لهم عن العامة حفظا لمقاماتهم وتحريرا لآدابهم .

والآن أسألك أيها القارىء البصير : هل حقا يوجد هؤلاء العارفون بالصفات التى تقدمت نقلا عنهم ؟

لماذا يقرون بوجودهم ويقرونه ثم ينفون لقياهم والحصول عليهم ؟ هل مثل هذا الكذب والباطل يقره الاسلام ، أو يرضى به مسلم عاقل ؟ هل هناك فتنة أعظم وأعم من أن يرتكب أعظم الفواحش ، ويغشى أعظم الآثام من يكون وليا لله تعالى عارفا به ، يفعل ذلك كله من أجل أن لا يعرف أنه ولى الله عارف به حتى لا يتعلق به ويتطلب صحبته بحجة أن نظام الوجود قد فسد ـ وما فسد وانما هم الذين فسدوا ـ وأن العوام لا يطلبون صحبة العالم العارف الا للحصول على الدنيا ؟؟

آه ثم آه لقد عجزت عن ادراك هذه التخبطات او المخططات ، وما يراد منها ، وانى لفى حيرة من معرفة السبب الحامل لرجال من أهل العلم ينصبون أنفسهم دعاة لهذا الظلام ليلقوا بالأبرياء المساكين من عامة هذه الأمة المسلمة فى مثل هذا الباطل ولينشروا الفساد .

الأصـــل الثالـــث

العهد أو البيعة والمصافحة والتلقيـــن

ان من اصـــول طرق المتصـــوفـــة على اختـــلافهم وتبـاين أورادهم وأهدافهم : أن يعاهد المريد شيخ الطريقة أو خليفته فيها أو نائبه عنها ، يعـاهـده على الالتـزام بالـورد والطاعة والمحبة ، وملازمة الطريقة وعدم استبدال طريقة أخرى بها حتى الموت ، وذلك بأن يضعَ يده فى يد الشيخ ، ويشبـك أصـابعـه فى أصابع الشيخ ويغمض عينيه ويقول له الشيخ : عاهـدنى على التـزام الـورد بشروطـه ويلقنـه الورد ، ومن هذه العملية التقليدية وضعوا كلمات العهد والبيعة والتشبيك والتلقين .

ويستدلون على هذه العملية المصطنعة بما يتناقلونه حكاية عن على رضى الله عنه اذ قالوا : ان عليا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله دلنى على أقرب الطرق الى الله تعالى وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله تعالى ، فقال صلى الله عليه وسلم : يا على عليك بمداومة ذكر الله تعالى فى الخلوات ، فقال على رضى الله عنه : أهكذا فضيلة الذكر وكل الناس يذكرون ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ياعلى لاتقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله ، الله ، فقال على : كيف أذكر يارسول الله ؟فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غمض عينيك ، واسمع منى ثلاث مرات ثم قل انت ثلاث مرات وأنا أسمع فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا الـه الا الله ثلاث مرات مغمضـا عينيه رافعـا صوته ، وعلى يسمع ، ثم قال على رضى الله عنه : لا اله الا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع .

ذكر هذه الحكاية وهى لاشك كذب بحت على رسول الله صلى الله عليه

وسلم وعلى على بن أبى طالب رضى الله عنه وعلى سائر المؤمنين .

ذكرها صاحب الرماح بلفظ : روى الشيخ يوسف الكورانى المشهور بالعجمى فى رسالة أن عليا رضى الله عنه . . . . الـخ .

وعلى أساس هذه الفرية وضع القوم هذا الأصل من أصول الطريقة وهو العهد أو البيعة ، والمصافحة والتشبيك والتلقين .

فانظر أخى القارىء وقانى الله واياك شر الكذب والابتداع كيف وضع الطرقيون أصولا بنوا عليها طرائقهم وهى أوهى من بيت العنكبوت ، اذ مثل هذه الحكاية السخيفة ينزه العاقل لسانه عن ذكرها فضلا عن نسبتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، لكن القوم لايتورعون عن ذكر أفظع الكذب وأفحشه .

وقد يستدلون على أصل البيعة وأخذ العهد ببيعة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه وأخذ العهد على بعضهم فى الجهاد والنصح لكل مسلم ، ولكن شتان ما بين ذا وذاك .

والسلفيون لا ينكرون ان يطلب المربى ممن يربيه ان يعاهده على فعل الطاعات وترك المنكرات والالتزام بآداب الطلب والطالب ، رجاء أن يواصل الطالب العمل بطاعة الله ورسوله فعلا وتركا حتى يكمل ويسعد ، ولكن ننكر أن يكون العهد أصلا وطريقة متبعة فى دين الله تعالى .

اذ بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم هى بيعة المسلمين لمن يلون أمرهم من الخلفاء والأمراء والأئمة المسلمين ، هذه هى البيعة الشرعية لا المبايعة والمعاهدة على طاعة الله ورسوله ، ان هذه فى عنق كل مسلم يشهد أن لا الـه الا الله وأن محمـد رسول الله فبمجرد أن يشهد العبد لله بالوحدانية وللرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة فقد بايع والتـزام .

غير أن للمتصوفة الطرقيين غرضا هاما فى وضع هذا الأصل من أصول الطريقة هو الاستيلاء على أرواح المؤمنين والتأثير على نفوسهم ليبقوا سخرة

لهم يتحكمون فيهم كما شاءوا ولا حول لهم ولا قوة معهم ، بل لا ارادة ولا اختيار ، فقد رأيت من يخرج من نصف ماله لشيخ الطريقة ، ورأيت من يحلف بالله كاذبا ولا يحلف بالشيخ صادقا ، ورأيت من يخاف الشيخ ويرهبه أكثر مما يخاف الله تعالى ويرهبه . وانا لله وانا اليه راجعون .

وخلاصة القول أن أخذ العهد وان كان له أصل فى الشرع وهو بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبيعة المسلمين للامام فانه بدعة محدثة وأحدثت لاستغلال العوام والبسطاء من المسلمين للتأثير على نفوسهم بقصد تسخيرهم والتحكم فيهم لصالح شيخ الطريقة وأتباعه المقربين منه .

هذه حقيقة البيعة عند الطرقيين والمتصوفة .

أما التلقين وتغميض العين والتشبيك فهى بدعة أيضا ، الغرض منها ايجاد ناموس وطقوس خاصة يتم بها التأثير على نفسية العوام ، لايقاعهم فى شبكة الصيد وهى الطريقة لتسخيرهم والتسلط عليهم باسم الشيخ والعهد والطريقة كما أن الورد الذى اشترطت له هذه الشروط من الشيخ المأذون له العارف بالله والعهد والتلقين وتغميض العين والتشبيك ماهو الا بدعة فى شكله لم يرد عن الشارع أكثر أوراد المتصوفة ، وما ورد لم يشترط له أى شرط ، وانما يأتى به المؤمن عملا بهدى الرسول صلى الله عليه وسلم اتباعا له فى أى وقت أمكنه ذلك .

ومما يدل على أن الأوراد ماهى الا حبائل صيد صيد بها العوام نسبة الورد الى الشيخ فيقال ورد فلان وورد فلان فنسب الأوراد الى المشائخ بقصد الحصول على الرئاسة والرفعة على العوام وبينهم اذ لو أرادوا وجه الله تعالى لعلموا المسلمين الأذكار والأدعية الورادة عن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يأخذوا عليهم عهدا فيها ولا ميثاقا ، اذ هى من نوافل العبادات فلا يصح أن ترفع الى مستوى الفرائض والواجبات ، ويا ليت القوم اكتفوا

بتلقين وتعليم ما ورد عن الشارع ، بل انهم يحدثون أورادا من الأذكار والأدعية لا تخلو من ألفاظ الشرك ومقاصـــــــــــده .

وحسبك بورد (الياقوتة) عند الطائفة التجانية ، اذ هذا الورد عندهم من أفضل الاوراد وأقدسها حتى انهم يمنعون قراءته على غير المتطهر ، ويشـترطون أن تكون الطهارة مائية بمعنى يكون التالى للورد متوضئا لا متيمـما . فانـظر كيف أجاز الشارع قراءة كتاب الله بغير وضوء وهم لا يجيزون قراءة ورد الياقوتة بدون وضوء ؟ أليس هذا تفضيلا لكلام المخلوق على كلام الخالق ؟ ألم يكن تفضيل كلام المخلوق على كلام الخالق كفرا ؟ بلى انه لكفر لو كانوا يعقلون .

وكورد الياقوتة ورد الجزولى وهو ما يعرف بدلائل الخيرات فهذا الورد قدم له بأحاديث موضوعة ترغيبا للعامة فى قراءته ، حتى أصبح يناهض القرآن الكريم فتدخل المسجد فى بعض البلاد فتجد قراء دلائل الخيرات أكثر من قراء القرآن الكـــريم .

وما أكثر الأوراد البدعية والشركية عند القوم اذ هى بضاعتهم وسلم وصـولهم الى أغراضهم المادية . . وسنعرض لها ببعض البيان فى الأصل الرابع الآتى بعـــد .

الأصـــل الرابـــع

الاوراد الصوفية وما فيها من حق وباطـل

الأوراد : جمع ورد وهـو فى اللغـة : مكان الورود أو زمانه ، أو الماء المورود نفسه .

وفى عرف الشرع : ما يأتيه المسلم من نوافـل العبادات ، ويتعاهده طوال حياته .

وفى اصطلاح الصوفية وأصحاب الطرق هو أحد أصول الطريقة المهمة ذات الخطر والشأن فى حياة المريد ، وهى عبارة عن أذكار وأدعية يعطيها الشيخ العارف المأذون له ، أو نائبه عند تعذر لقياه والاتصال به لموته أو بعد داره ، يعـطيها للمريد ليصفو عليها باطنه ويصل بها الى مقام المكاشفة والمشاهدة والفناء فى ذات الله تعالى ، حتى لا يبقى واصل ولا موصول كما قال قائلهم :

فلم يبق الا الله فلا شىء غيره فما ثم موصول ولا ثم واصل

أمـا الادعيـة : فأكثـرهـا ينـظمونها فى شكل أحزاب فيقال حزب الشاذلى ، وحزب الحداد ، وحزب كذا وكذا .

ولا تخلو بحال من كلمات الشرك والكفر والابتداع كالتوسل بالأموات والاستغاثة بهم ودعاء غير الله تعالى .

وأما الأذكار : فمنها ما هو حق مشروع كالهيللة أى لا اله الا الله ويسمونه ذكر العامة ، ومنها ما هو غير مشروع كالذكر باللفظ المفرد نحو : الله ، الله أو حى ، حى ، يسمـونـه بذكر الخاصة ، ومنها ما هو باطل وضلال كالذكر بلفظ ضمير الغيبة نحو : هو ، هو ، هو ويسمونه بذكر خاصة الخاصة .

فانظر كيف يصنفون الذاكرين ثلاثة أصناف ، خيرهم يسمونهم العامة وشرهم يسمونهم خاصة الخاصة . نعوذ بالله من هذا الضلال المبين ، ونبرأ الى الله تعالى من هذا الكذب المشيـــن .

هذا ويأتى الخطأ فى الأذكار الصوفية فى صور هذه منهـــا :

١ ـ تحديد الأوراد فى كمياتهـا وكيفياتهـا وأوقـاتهـا ، وأعنى بكمياتها أعدادها ، فان كان الشارع قد أطلق لفظ الذكر ولم يحدده بكمية وعدد معين فلا يصح تحديده ولا تعيينه ، ومن حدد أو عين فقد ابتدع . والبدعة ضلالة ، وأعنى بالكيفية أن يؤتى بالذكر فى جماعة وبصوت واحد ، وهى كيفية مخالفة لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حال الذكر ، كما أعنى بالأوقات تعيين وقت معين لا يؤتى به الا فيــه .

٢ ـ وضع صيغ وألفاظ لم ترد عن النبى صلى الله عليه وسلم ومن المعلوم فى الشريعة بالضرورة أن أى ذكر لم يرد عن الشارع فهو باطل ، لأنه تشريع زائـــد .

٣ ـ الاجتماع عليه ورفـع الأصـوات به ، واحداث حركات منكرة كالتمايل والقفز والرقص والتصفيق .

٤ ـ مصـاحبـة الـذكـر بالعزف والتصفيق ، وهو ما يسمى بالمدائح والقصـائد فهذه لا تعذب لهم ولا تطيب الا على أنغام المرد ، وأصوات المعازف ، والدفـــوف .

٥ ـ وضع أجور معينة ومحددة على كل نوع من الذكر بأن يقال من قال كذا فله أجر كذا ، من غير أن يرد عن الشارع ، وعلى سبيل المثال قول الشيخ التجانى فى صلاة الفاتح ، وأنها تعدل كذا ، ولقائلها من الأجر كذا

ولنستمـع اليه فى كتاب الرماح ص ٦٩ من جـ ٢ وهو يقول : وأما صلاة الفاتح لما أغلق فانى سألته [1] صلى الله عليه وسلم عنها ، فأخبرنى أولا أنها بستمائة ألف صلاة ، فقلت له : هل فى جميع تلك الصلوات أجر

(١) سؤاله الرسول صلى الله عليه وسلم : يدعى التجانى أنه سأله يقظة لا مناما . وهو كذب محض .

من صلى بستمائة ألف صلاة مفردة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : نعم يحصل فى كل منها أجر من صلى بستمائة ألف صلاة مفردة .

وسألته صلى الله عليه وسلم هل : يقوم منها طائر واحد الحد المذكور فى الحديث لكل صلاة ؟ وهو الطائر الذى له سبعون ألف جناح الى آخر الحديث ، أم يقوم منها فى كل صلاة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة فى كل مرة ، وعدد ألسنة طائر واحد ، كما قال الشيخ رضى الله عنه ألف ألف ، ألف ألف ألف ألف ألف ألف لسان الى أن تعد ثمانية مراتب . وستمائة وثمانون ألف ألف ألف ألف ألف ألف لسان الى ان تعد سبع مراتب ، وسبعمائة ألف ألف ألف ألف لسان الى أن تعد خمس مراتب فهذا مجموع عدد الألسنة ، وكل لسان يسبح الله تعالى بسبعين لغة فى كل لحظة ، وثوابها للمصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فى كل مرة .

هذا فى غير الياقوتة الفريدة ، أما فيها فانه يخلق فى كل مرة ستمائة ألف طائر على الصفة المذكورة ، ثم قال رضى الله عنه وأرضاه وعنا به ، فسألته صلى الله عليه وسلم عن حديث : ان الصلاة عليه تعدل ثواب أربعمائة غزوة ، وكل غزوة تعدل أربعمائة حجة هل صحيح أم لا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : صحيح ، فسألتـه صلى الله عليه وسلم عن عدد هذه الغزوات ، هل يقوم من صلاة الفاتح لما أغلق مرة أربعمائة غزوة ، أم يقوم أربعمائة غزوة لكل صلاة من الستمائة ألف صلاة ، وكل صلاة على انفرادها أربعمائة غزوة ؟

فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه : ان من صلى بها أى بالفاتح لما أغلق . . . الخ مرة واحدة حصل له ثواب ما اذا صلى بكل صلاة وقعت فى العالم من كل جن وانس وملك ستمائة ألف صلاة من أول الدهر الى وقت تلفظ المصلـى بها .

والآن أخى القارىء المسلم البصير هل يسرك الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ هل الـذى يفـترى الكـذب على الله وعلى رسوله

والمؤمنين يعد من المؤمنين ؟

هل حقا أن الشيخ أحمد التجانى يخرج له الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة ويشافهه ويسأله كما سبق أن قرأت فى هذا الفصـــــل ؟

ان الله تعالى يقول : « انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ، وأولئك هم الكاذبون » (١) .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (٢)

أرأيت أخى المسلم كيف يبنى الطرقيون طرقهم على الكذب تغريرا بالمسلمـين وتضليلا لهم ، ان الـطريقـة التجـانية تعتبر من أكبر الطرق الصوفية وأوسعها انتشارا ، فان أتباعها يوجدون من نيجيريا غربا الى تركيا شرقا ، ومع هذا فقد رأيت كيف قامت هذه الطريقة على الكذب الذى لا يصـدق ؟ والبـاطل الذى لا يصح ولا يقبل ، وعلى مثلها فقس سائر الطرق التصوفية ، ومشائخ التصوف ، وابرأ الى الله تعالى منهم وأسأله أن يقيك والمسلمين شر فتنتهـــم .

وخلاصة القول فى هذا الأصل أن أوراد الصوفية من أذكار وصلوات وأدعية ومـدائـح وقصائد شعرية لا تخلو أبدا من الكذب وألفاظ الشرك ومعتقداته ، ولا يفارقها الابتداع فى ألفاظها وأعدادها ، وأوقاتها ، وأكثرها ما وضع الا لضرب أمة الاسلام بتمزيق شملها ، وتفتيت قوتها ، وادخال الزيغ والضلال فى معتقداتها والبدع فى عباراتها ، حتى لا تقوم لها قائمة ولا تزكو لها نفس ولا يستجاب لها دعوة - والعياذ بالله تعالى .

(١) سورة النحل .
(٢) رواه الشيخان وغيرهما .

الأصـــل الخامس

الخلـــوة

من أصول طرق الصوفية « الخلوة » وهى لغة مصدر خلا يخلو خلاء وخلوة إذا انفرد بنفسه عن غيره من سائر الناس - وفى اصطلاح الصوفية : انفـراد المـريد باذن الشيخ وتحت رقابته ورعايته فى سرداب أو دهليز من الأرض مدة لاتزيد على الأربعين ليلة ، ولا تقل على عشر ليال ، مستدلين على مشروعيتها بتحنث النبى صلى الله عليه وسلم قبيل البعثة بغار حراء ، حيث كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء الليالى ذوات العدد كما جاء ذلك فى الصحيـح .

وعلى مدتها بمواعدة الله تعالى نبيه موسى عليه السلام أربعين ليلة اذ قال تعالى : « **واذ واعدنا موسى أربعين ليلة** » (١) .

وبحديث « من صلى فى مسجد جماعة أربعين ليلة لا تفوته الركعة الأولى فى صلاة العشاء كتب الله له بها عتقا من النار » (٢) .

وبـاعتكـاف النبى صلى الله عليه وسلم عشر ليال فى رمضان التماسا لليلـة القـــدر .

وللخلوة عندهم شروط بلغوا بها ستة وعشرين شرطا ذكرها صاحب الرماح (٣) التجانى نقلا عن الوصـايا القدسية (٤) والخلاصـــة المرضيـة .

والمقصود من وراء تلك الشروط أنه اذا لم يف المريد بها أو لم يات بها

---

(١) سورة البقرة .

(٢) رواه ابن ماجه والترمذى بلفظ آخر .

(٣) جـ ٢ ص ١٧٧ .

(٤) لعلها للسهروردى .

على الوجه الأكمل لا يتم له مراده من الوصول الى الله تعالى حتى يصبح من أهل الكشف والمعرفة اللدنيـــة .

والشروط المذكورة أكثرها صالح معقول ، وذلك كأن يقوى المريد نفسه على السهر ، والذكر ، وقلة الأكل والشرب ، والعزلة ، وكملازمة الطهارة والصلاة والصيام .

ولكن هناك شروط فاسدة وباطلة وهى المقصودة بالذات من الخلوة عند واضعى هذا الأصـل المحدث للاضلال والتغرير والتضليل ، ومن تلك الشروط الباطلة الفاســـــدة ما يلـى :

١ ـ قولهم فى الشرط الرابع : أن يدخلها (الخلوة) كما يدخل المسجد مستعينا مستمدا من أرواح مشائخه بواسطة شيخــه .

ووجه الباطل فى هذا الشرط : أن الاستعداد وسواء كان بركة أو عونا أو فتحا لا يكون الا لله تعالى الذى بيده كل شىء ، وقدير على كل شىء ، أما ارواح المشائخ أو روح شيخه فلا تملك لنفسها ولا لغيرها شيئا ، فكيف يطلب منها مددا ليس فى حوزتها ولا فى استطاعتها ، ومن هنا كان هذا الشرط باطلا لأنه دعوة الى الشرك بالله وتقرير له بأسلوب المكر والخداع .

٢ ـ قولهم فى الشرط الســادس : وليشتغـل بالـذكـر حتى يتجلى له مذكوره وهو الله تعالى فى زعمهم قطعا ، فاذا أفناه عن الذكر به فتلك المشاهدة .

والضلال فى هذا الشرط الفاسد هو اعتقادهم أن الله تبارك وتعالى يتجلى بالذكر حتى يفنيه فيه ، وبذلك تحصل له المشاهدة لذات الرب أو أنواره جل وعلا ، وهذا كذب وباطل اذ الرب تعالى لم يتجل لأحد من خلقه فى الأرض . وقد تجلى تعالى للجبل فجعله دكا ، وخر موسى طالب الرؤية مغشيا عليه « فلما أفاق قال : سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين » فانظر الى الدجل والكذب الصوفى فى هذه وفى غيرها ، وما قام طريق القوم الا

على مثل هذا الكذب والافتراء على الله وعلى عباده ، والعياذ بالله تعالـــــى .

٣ - قولهم فى الشرط الثامن : « ثم يجعل خيال شيخه بين عينيه فانه رفيقه فى طريقه وهو معه بمعناه وبروحانيته ، فان من هو شيخ حقيقة تكون روحانيته رفيقة ومتعلقة بروحانية كل واحد من مريديه وان كانوا ألفـــا » .

فتأمل ايها القارىء البصير كيف يتلطف واضع هذا الضلال فى التدرج بالعبد الى ساحة الكفر حيث يجعل من الشيخ الها روحه المعبر عنها بالروحانية مع كل روح من أرواح مريديه حتى لو كانوا ألفا ، أليس هذا معنى قوله تعالى فى علمه واحاطته وقدرته : « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا » الآية من سورة المجادلة .

هذا وان كانت الخلوة تحمل فى بعض شروطها الكفر والضلال ، فان البعض الاخر يحمل البدع والإحداث الحرام وهذا بيان ذلك :

١ - أن تكون الخلوة مظلمة ، وهو شرط ما أنزل الله به من سلطان وكثيرا ما يتسبب ظلام الخلوة فى اختلاط المريد فيخرج منها كالمجنون فى نطقه وتفكيره وسائر عملـــه .

٢ - دوام السكوت طيلة ما هو فى الخلوة ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فى حديث أبى إسرائيل .

٣ - أن تكون الخلوة بعيدة عن حس الناس وأصواتهم مما أدى بهم الى جعلها تحت الأرض كالدهاليز المظلمة وهذه الوضعيه بدعة منكـرة .

٤ - أن لايتفكر المريد أثناء خلوته فى معنى آية قرآنية أو حديث نبوى بدعوى أن ذلك يشغله عن الواردات الحقيقية التى يطلبها بالذكر والخلوة ، وهذا الشرط فاسد وباطل لايقر عليه الشرع أبدا لما فيه من النهى عن طلب العلم والمعرفة من الكتاب والسنة .

٥ ـ أن لايدخل المريد الخلوة ولا يخرج منها الا باذن الشيخ المربى ، وأن يكـون بين يدى الشيخ كالميت بين يدى غاسله لايقترح ولا يعترض أبدا ، وفى هذا قتل لشخصية المسلم وهدر لكرامته وسلب لارادته ، وهذا لا يحل فعله بالمسلم أبـدا .

٦ ـ دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستعداد ، اذ هو الذى عينه الحق سبحـانـه وتعـالى للافـاضة على المريد ، ولا يحصل له الفيض الآ بواسطته دون غيره ، ولو كانت الدنيا كلها مملوءة بالمشائخ ، اذ متى يكون فى باطن المريد تطلع الى غير شيخه لم ينفتح باطنه الى الحضرة الوحدانيـــــــة .

فانظر أخى المسلم البصير كيف جعل الشيخ الها ثانيا حيث أمره أن يعلق قلبه دائما به بالاعتقاد والاستمداد ، وانظر كيف حجروا على المسلم أن يطلب العلم من غير شيخ الطريقة ولو كانت الدنيا كلها مشائـــــخ .

وانظر كيف كذبوا على الله تعالى بقولهم : أن الشيخ عينه الحق سبحانه وتعالى للافاضة على المريد ، من أعلمهم أن الشيخ عينه الله للافاضة ، وبماذا يفيض الشيخ على المريد ؟

سبحانك اللهم هذا بهتان عظيـم .

هذه هى الخلوة التى لم تعد أن كانت شبكة لصيد الرجال لاستعبادهم واستغـلالهم بقتـل شخصيتهم وافســاد عقـولهم وقلوبهم والهبوط بهم الى مستوى الدراويــش .

والسؤال الآن : هل الاسلام وهو دين التربية الكاملة للعقول والأرواح والأخـلاق جاء بالخلوة ، وربى بها ، من يثبت ذلـك بسند صحيح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الى أحد أصحابه أو التابعين لهم باحسان .

ان الاسلام برىء من هذه الخزعبلات والترهات والأباطيل لأنه دين

حياة وسعادة وكمـال .

نعم فى الاسـلام سنـة الاعتكـاف فى المساجد فى رمضان طلبا لليلة القـدر ، وفى الاسـلام الاعتزال اذا ساءت أحوال الناس وخاف المسلم الفتنة فى دينه ، أبيح له أن يعتزل الناس فيبقى فى منزله أو مزرعته أو فى باديتـه يرعى غنمـه كما جاء ذلك فى حديث البخارى « سيكون فى آخر الـزمان خير مال الرجل المسلم شويهات يتبع بهن شعاف الجبال ومواقع القطر فرارا بدينـــه » .

أمـا السراديب المـظلمة والدهاليز الموحشة فانها لقتل الأرواح وافساد العقول والقلوب وهذا من كيد أعداء الاسلام لأهل الاسلام ، والعياذ بالله تعالى .

الأصـل السـادس

الكشـف

ان الكشف وان كان أحد أصول الطرق الصوفية فهو فى الواقع غاية لما يصبو اليه المريد من أجله قبل الخلوة وحشر نفسه فيها ، واطرح بين يدى الشيخ متخليا عن كل شىء حتى عن ارادته وعقله فى سبيل الحصول على أن يصبح من أهل الكشف .

وحقيقة الكشف عند المتصوفة : هى أن ينكشف للقلب من أنوار الغيوب ما ينال به الصوفى من المعارف مالا يناله العقل منها ، ووراء مرتبة الكشف مرتبة أخرى أسمى هى مرتبة التجلى ، وهى أن تظهر الذات الالهية فى عين المظاهر الوجودية .

ومن عجيب المغالطات الصوفية أن يقول الشيخ للمريد اذا أدخله الخلوة لا يكن همك الكشف والتجليات ، اصرف قلبك عن ذلك بالمرة ، ان القصد هو صفاء روحك فقط ، وان انكشف لك شىء فلا تكتمه عن الشيخ فتكون قد خنته وهو مربيـك .

ولنتساءل هنا : ما الذى ينكشف لصاحب الخلوة ؟ اللهم لا شىء البتة ولم اذا هذه الطقوس والأوضاع والتراتيب الخلوية المبتدعة ؟

والملاحظ هنا فى تعريف القوم للكشف والتجلى أمران :

الأول : أن ادراك ما وراء العقل بواسطة الكشف محال وهم يرونه من باب الجائز الممكن وهى مكابرة خادعة ، اذ كل ماكان من وراء العقل ادراكه محال ، اذ المدركات من سائر الكائنات لا يتم ادراكها فتصورها الا بالعقل ، واذا فقد الانسان العقل انعدم ادراكه لأى شىء على حقيقته ، وصار يهذى فى كلامه ويقول مالا يعقـل .

والثانى : أن ظهور الذات الالهية (١) فى عين المظاهر الوجودية عندما يتم للمريد التجلى كما يزعمون كذبا وباطلا ، هو ما يعرف عند أهل العلم بوحدة الوجود ، وهو من أكفر الكفر وأبطل الباطل وأمحل المحال عند علماء الاسلام .

اذ وحدة الوجود منشؤها التخيلات الباطلة والتصورات الكاذبة التى يلقيها الشيطان فى قلوب طالبى الأسرار وكشف الحجب عن القلوب والنفوس لأجل رؤية الحق تبارك وتعالى والتلقى عنه بدون واسطة ، كما يشير الى ذلك قول رابعة العدوية فتأمله :

أحبك حبين حب الهوى ... وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى ... فشغلى بذاتك عما سواكا
وأما الذى أنت أهله ... فكشفك لى الحجب حتى أراكا

فقولها : فكشفك لى الحجب حتى أراك صريح فى طلب القوم لرؤية الرب تبارك وتعالى ، وهو من طلب الممنوع قضاء وقدرا وشرعا ، فلما عنى القوم بذلك وطلبوه بالخلوات والأذكار ، أتاهم الشيطان بتخيلات وتصورات فبدت لهم الكائنات ، وأن الله تعالى قد ظهر فيها فلا يرون الا الله تعالى فى زعمهم حتى قال أحد أئمتهم من غلاة التصوف وهو الحلاج الذى اذا ذكروه ترضوا عنه وترحموا عليه قال (٢) :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... فنحن روحان حلتا بدنا
فاذا أبصرتنى أبصرته ... واذا أبصرته أبصرتنا

هذا وان القوم لم يقفوا عند الحلول والاتحاد ، فان بعضهم قد بلغ بهم الضلال حتى ادعى من ادعى منهم أنه هو الله الرب تعالى ، وأنه يقول للشىء كن فيكون ولنسمع الى ماذكر صاحب جواهر المعانى للتجانى عن الشيخ عبد القادر الجيلانى اذ قال : وأمر لى بأمر الله أن قلت كن فيكون .

---

(١) طالع الرماح جـ ١ ص ١٥١ .

(٢) الحلاج هو أبو الحسن بن منصور ولد عام ٢٢٤ ومات مصلوبا عام ٣٠٩ على أيدى أحد الحكام المسلمين ، وفى أيامه انتقل التصوف من جانبه العملى إلى جانبه النظرى . كذا قيل .

وهذا الجيلى وهو من كبار الصوفية يقول :

لى الملك فى الدارين لم أر فيهما
سواى فارجو فضله أو فأخشاه

وقد حزت أنواع الكمال واننى
جمال جلال الكل ما أنا الا هو

وانى رب للأنام وسيـــد
جميع الورى اسم وذاتى مسماه

قولـه أقمـأه الله - انى رب للأنام وسيد جميع الورى ادعاء للربوبية صريح يكفر صاحبه ولا يصح تأويله بغير الكفر أبدا .

كما أن قوله : لى الملك فى الدارين ظاهر بل هو نص صريح فى ادعاء الربوبية أيضا . والعجيب ممن يدعون التصوف اليوم أنهم اذا ذكروا هؤلاء الـزنادقة الحلوليين يترضون عنهم ويترحمون عليهم ، كأنهم لم يعلموا أن الرضا بالكفر كفر ، وأن من يترحم على كافر فضلا عن أن يترضى عنه فقد ارتكب الجرائم ، وجنى على نفسه أعظم جناية .

والمقصـود - أخى المسلم - مما ذكرنا أن دعوى الكشف والتجلى هى التى جرت القـوم الى القـول بالحلول ، ووحدة الوجود ، ثم الى ادعاء الربوبية المطلقة والعياذ بالله تعالى من الحور بعد الكور ، ومن الغواية بعد الهدايـــــة .

الأصـــل الســـابع

الفنـــاء

من أصول المتصوفة الفناء . وحقيقته : أن المريد اذا داوم على الاكثار من الذكر تحصل له بذلك طمأنينة القلب (**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**) ثم يعتريه الذهول ثم السكر بحب المذكور ، ثم الفناء عن الأكوان بمعنى أنه لايصبح يرى شيئا ثم يفنى عن الفناء حتى اذا وصل الى هذا الحد انمحق الغير والغيرية بهدم جميع الرسوم والأطلال ، وانمحاق جميع الآثار . فلم يبق الا معاينة الحق فى الحق للحق وبالحق ، ويعرفون الفناء بأنه عبارة عن اضمحلال الكائنات ـ فى نظرهم ـ مع وجودها ، وأنه الغيبة عن نسبة أفعالهم اليهم أو هو بأن يكون الولى بحال لا يشاهد فيها شيئا غير الله تعالى ، كما لا يشاهد فى النهار الكوكب اذا طلعت الشمس .

هذا وعند ما توزن أقوالهم هذه فى الفناء فى ميزان الشرع وينظر اليها بمنظار الوحى : الكتاب والسنة لم يبق منها الا ما يحصل للقلب المؤمن من الطمأنينة والهداية بذكر الله تعالى ـ وعلى شرط أن يكون الذكر بالمشروع من الأذكار وعلى النحو الذى جاء الشارع به وبينه من الكمية والكيفية وذلك لقول الله تعالى : « **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** » .

أما تلك الشطحات والترهات من السكر والذهول والفناء وفناء الفناء والانمحاق ، فانها لا تعدو كونها مقدمات كاذبة باطلة فاسدة وضعوها لتنتج لهم شر النتائج وأفسدها وهى الحلول والاتحاد ووحدة الوجود . على هذا قولهم اذا وصل المريد هذا الحد انمحق الغير والغيرية ، ولم يبق يشاهد الا الله تعالى ، فتصبح الكائنات كلها الله فى زعمهم أقمأهم الله ولعنهم ، فما لهم عموا عن قول الله تعالى :

« ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » .
وقولـــه « قل هو الله احـــــــد » .
وقولـــه « ولم يكن له كفوا أحـد » .
كما عموا عن قول الله تعالى : « قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقـــــا » .
هذا وكى تعلم أيها المسلم انا لا نكذب على القوم ولا نشنع عليهم بغير باطلهم ، وما هم عليه من الكفر والزيغ والالحاد فلنسمع الى امامهم محيى الدين بن عربى وهو يقول : سبحان من خلق الأشياء وهو عينهـــــــا .
أليس قوله هذا هو عين وحدة الوجود ؟
ولنسمع الى قول اخر أو لاخوانه من أئمة الصوفية :

فيحمدنى وأحمده ويعبدنى وأعبـــده

ان معنى هذا القول فى هذا البيت من الناظم الفاجر ، أن الرب تعالى قد حل فى الشيخ فأصبحا واحدا يحمد بعضهما بعضا ، ويعبد بعضهمـا بعضا أى كفر أعظم من هذا وأى افتراء ودجل أقبح من هذا .
ولنسمع الى الجيلى أحد أئمة المتصوفة يقول مقررا للحلول والاتحاد .

وانى رب للأنام وسيـــد جميع الورى اسم وذاتى مسماه

فقد بالغ الشيخ فى ضلاله حتى أصبح يخبر بأنه هو الله لا غيره . كل هذا ناتج عن سكرة الحب الكاذب ، وضلال الفناء ، وباطل الانمحاق وانهدام الغيرية كما يزعمون ويفترون .
وبالجملة ان الفناء لم يرد به كتاب ولا سنة ولا عرفه سلف هذه الأمة ، وانما هو خدعة صوفية وخلسة شيطانية من وضع اليهودية العالمية والمجوسية الفارسية توصل بها الى تكفير الكثير من المسلمين بادخال عقائد المجوس والنصارى فى عقائدهم الاسلاميـــــة .
وهكذا يفعل الأعداء ، والويل لمن لم يعرف عدوه .

الأصـــل الثـــامن

الظاهر والباطن ، والشريعة والحقيقة

ان من أصول المتصوفة ، وقواعد طرقهم البدعية تقسيم العلم الى ظاهر وباطن ، والدين الاسلامى الى شريعة وحقيقة ، وأضافوا الى الدين الاسلامى (الطريقة) ، وقالوا : الطريقة هى الوسيلة ، والثمرة هى الحقيقة ، وهذا التقسيم للعلم والشريعة ، وتلك الاضافة للدين لاشك أنه من أكبر الاحداث فى دين الله تعالى ، وسبحان الله كيف يتصرفون فى دين الله وكأنهم مأذون لهم بالزيادة والنقصان ؟ وكأنهم عموا عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » . وقوله : « من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » .

وسبحان الله كيف لا يتورعون عن الكذب على أئمة الاسلام فينسبون اليهم شر البدع وأسوأها ، ولنسمع ما يقولون عن مالك امام دار الهجرة رحمه الله تعالى القائل من ابتدع فى الاسلام بدعة فرآها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة وذلك لأن الله تعالى يقول : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » .

انهم قالوا ان مالكا رحمه الله تعالى قال : من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق ، فانظر كيف يفترون على مالك الكذب وهو السيف المصلت على رؤوس المبتدعة وهم يعلمون ليبرروا بكذبهم ما وضعوا من أصول وقواعد لم ينزل الله بها من سلطان وكأنهم على وفاق مع واضعى قاعدة : (الغاية تبرر الواسطة) وهم اليهود ، والا فقل لى بربك كيف يكذبون على امام جليل من أئمة الاسلام مثل هذا الكذب الفاضح الممقوت .

فهل من المعقول أن يقول عالم بشريعة الله قائم بنشرها وتعليمها والذب عنها كمالك رحمه الله تعالى : ان من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق أى صار طالبا للفسق قائما به والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » (١).

وهل التصوف عرف على عهد مالك ، وأصبح ذا شأن حتى يقول مالك ما قالوا من الكذب والباطل ؟ اللهم لا ، لا ، إن التصوف لم يظهر ولم يعرف بين المسلمين الا بعد انقراض أهل القرون المفضلة ، وأخذ الشر والفساد ينتشران فى بلاد المسلمين .

والذى لايشك فيه أن للقوم من وراء هذا الأصل أهدافا يهدفون اليها ويريدون تحقيقها والوصول اليها وهى تتلخص فى النقاط التاليـــة :

* تحويل أمة الاسلام الى أمة سلبية ، لا تبدى ولا تعيد ، تعيش على الفقر والتزهد والاتكال حتى تبيد وتفنى ، وهذا هو الهدف الرئيسى الذى من أجله وضـع التصـوف ، وشـارك فى وضعه ونشـره والدعوة اليه أكبر خصـوم الاسـلام وأعـدائـه من زنـادقـة اليهـود والنصـارى والمجوس ، وساعدهم على ذلك أغرار المسلمين وجهالهم مع شديد الأسف .

استبـاحة المحرمات وغشيان كبائر الاثم والفواحش وبخاصة المشائخ المربين من رؤساء الطرق تسترا تحت شعار قولهم : الحقيقة غير الشريعة ، فكم ارتكبت من فواحش ، واستبيحت من حرمات بدعوى أن الحقيقة غير الشريعـة ، اذ يجوز لصـاحب الحقيقـة مالا يجوز لصـاحب الشريعة فى حكمهم وما تقتضيه أصولهـــــم .

ويحتجـون على هذا الباطل بخرق الخضر عليه السلام للسفينة وقتله للغلام الزكى ، واقامته لجدار اليتيمين ، وانكار موسى عليه ذلك بدعوى أن موسى كان من أهل الظاهر فأنكر ، والخضر من أهل الباطن فأقر ، وما دروا أن الخضر فعل ما فعل بأمر الله ووحيه اليه حسب شريعته التى تعبده

(١) رواه البخارى فى كتاب العلم .

الله تعالى بها ، ولهذا لما قال له الخضر : انى على علم مما علمنى الله ، وأنت على علم مما علمك الله ، سكنت نفس موسى واطمأن ، اذ كانت الشرائع تتعدد بتعدد الرسل ، ولم تجتمع الشرائع الا فى شريعة الاسلام حيث نسخ الله كل ما سبقها من الشرائع التى جاءت بها الرسل قبل النبى خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، وبذلك بطل العمل بغير شريعة الاسلام التى ظاهرها هو باطنها ، وباطنها هو ظاهرها شريعة واحدة لا ثانية لها ولا ثالثة .

وبنـــاء على هذافانه لا حجة لهم على تقسيم العلم الى ظاهر وباطن ، والدين الاسلامى الى شريعة وحقيقة .

* صرف المسلمين عن العلوم الشرعية ، وتزهيدهم فيها ، وشغلهم بما يسمونه بالعلوم الباطنية الخيالية ، ويدل على صحة هذا قول الجنيد ـ وهو امام المتصوفة فى زمانه : أحب للمبتدى ـ المريد ـ أن لا يشغل قلبه بهذه الثلاث والا تغير حاله : الكسب ، وطلب الحديث ، وأحب ان لا يقرأ ولا يكتب لانه أجمع لهمه ، فمعنى لايقرأ ولا يكتب ؟ انه لا يتعلم ، . واذا لم يتعلم فكيف يعبـد الله تعالى عبادة تزكى نفسه وتؤهله لولاية الله تعالى ، كأنهم يقولون : ان المريد ليس فى حاجة الى العلم ولا الى العبادة اذ يكفيه الـذكـر والأوراد يلازمها حتى يصبح من أهل الكشف والعلم اللدنى ، وبذلك يستغنى بعلم الباطن عن العلم الظاهر وبعلم الحقيقة عن الشريعة .

هذا هى النهاية التى وضعوا لها هذا الأصل وهو تقسيم العلم الى باطن وظـاهـر ، والدين الى شريعة وحقيقة ، وهو نهاية ينسلخ فيها العبد من المعرفة والايمان والتقوى ، ويعيش على الجهل والالحاد والفجور ، والعياذ بالله تعالى .

أقطـــاب الصوفية وأولياؤهـــم

الأقطــــاب :

الأقـطاب : جمع قطب ، والقـطب لغة : ما عليه مدار الشيء ومنه قطب الرحى ، وفي اصطلاح المتصوفة : القطب هو سيد الوجود في كل عصـــر [١] .

وهو للوجود بمنزلة الروح للجسد فكما أن الجسد لاقيام له الا بالروح فكذلك الوجود كله قائم بالقطب ، فاذا زالت روحانية القطب من الوجود انعدم الوجود كله ، وهذه القوة للقطب يقولون انها من تحمله لسر الاسم الأعظــــــم .

ويقولون في كيفية وصول القطب الى مرتبته القطبانية أن القطب يترقى في مراتب كمال المعرفة والمشاهدة والمراقبة حتى يصل له التحقق بالله في كل مرتبة وبذلك يكون سيدا للوجود .

هذا وما نقرره هنا أمور منهـــا :

١ ـ أن القوم يكذبون وأمرهم مبنى على الكذب ، ثم هم في نفس الوقت يدعون أنهم لايحيدون عن الكتاب والسنة قيد شعرة ، ويتبجحون بذلك بلا حياء ولا خجل . أرأيت لو قيل لهم : في أي آية أو في أي سنة جاء ذكر القطب وصفاته وخصائصه ، ومراتب ترقياته ، حتى وصل الى مرتبة القطبانية فأصبحت له السيادة على الوجود كله ؟

قطعا انهم لا ينطقون ونحن نقول : اللهم انه لا يوجد للقطب ذكر في كتاب ولا سنة ، وانما يوجد ذكره وصفاته ومراتب ترقياته في كتب الزنادقة من غلاة الباطنية الناقمين على الاسلام والمسلمين .

٢ ـ اذا كان الكون والوجود كله قائما بروحانية القطب فماذا بقي لله تعالى ؟ وما معنى قول الله تعالى : « **الله لا اله الا هو الحي القيوم** » ، اذا

---

(١) طالع في هذا المعنى كتابه : الجواهر / الرماح للتجانية .

كانت القيومية للأقطاب فى كل شىء وعلى كل شىء ؟؟

٣ ـ لو سألناهم عن كيفية تحمل القطب لسر الاسم الأعظم فهل يقدرون على الاجابة اللهم لا ، انهم يفترون الكذب ، والله لا يهدى القوم الكاذبين .

وسؤال آخر : كيف عرف أقطابهم بسر الاسم الأعظم دون سائر عباد الله ؟

ان الأحاديث النبوية الصحيحة تكاد تجمع على ان اسم الله الأعظم لايخرج عن كونه الله أو الحى ، أو القيوم وأن ليست خاصيته فى ادارة الملك والملكوت والتصرف فى الكائنات ، وانما هى فى أن العبد اذا سأل به ربه أعطاه من الممكنات ما كتبه له وقضى به له أزلا وقدره . وعلى شرط أن لايتعدى فى الدعاء فان الله تعالى حرم ذلك بقوله : « **ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لايحب المعتدين** » ومن الاعتداء أن يسأل مالم تجر به سنن الله تعالى بين الخلق فى هذا الوجود . ومن ذلك أن يسأل الله أن يجعله متصرفا فى الكون .

هذا ومن أغرب مايسمع عن القطب والقطبية ادعاء الشيخ أحمد بن محمد التجانى [٢]

أنه خاتم الاولياء والاقطاب فلا ولى بعده ولا قطب أبدا ، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا نبى بعده ولا رسول أبدا .

ما أبعد هذه المقارنة ، وما أغربها ؟ !!

الأولياء :

الأولياء جمع ولى وهو لغة من يتولى الأمر قياما به ، ومحافظة عليه ولذا يطلق على الحاكم ، والوصى ، والقريب . وفى عرف الشرع : الولى هو المؤمن التقى ، وذلك لقول الله تعالى : « **ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم**

---

(١) راجع الرماح والجواهر للتجانية .

ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيـم » (١)

وظهور الكرامات على يديه ليست شرطا فى اثبات الولاية ، وان كانت من لوازم الولاية ، والاستقامة على الشرع قياما بالأمر ، واجتنابا للنهى من أظهر الكرامات وأجلهـــــا .

وأما الولى عند المتصوفة ، فقد عرفه صاحب الطريقة التجانية بعد أن سئل عنه فقال : « الولى من تولى الله أمره بالخصوصية مع مشاهدة الأفعال والصفات » !! وهو كما ترى تعريف غامض لاشتراطه الخصوصية مع قيد المشـاهدة ، مع العلم أن الله تعالى لا يتولى الا المؤمن التقى ، ولا تتم التقوى الا بالعلم وهو معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته ، ومعرفة محابه ومكارهه ليفعل المحاب ، ويتجنب المكاره .

والسر فى غموض تعريف القوم للولى هو احتكارهم للفضائل كى لا تكون لغيرهم من سائر المؤمنين والمسلمين ، وبذلك تختص الولاية بمشائخ الطرق المأذون لهم فى اعطاء الورد والتربية الخلوية ، ومن هنا كان الولى عند الصوفية لا يعرفه الا الخواص ، أما عامة المسلمين فلا سبيل لهم الى معرفة الولى ، يشهد لهذه الحقيقة ويقررها مايلى :

سئل الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد التجانى عن الله تعالى وعن الولى أيهما معرفته أصعب ؟ (٢)

فقال : معرفة الولى أصعب من معرفة الله تعالى ، وعلل ذلك بقوله : لتمييز صفـات الله تعالى لمباينتها لصفات الخلق ، أما الولى فان صفاته كصفات سائر الناس من الأكل والشرب والنكاح . . . الخ .

فلذا هو لايتميز ولا يعرفه الا الخواص . وأبعد المرسى وهو من أئمة

---

(١) سورة يونس .
(٢) طالع الرماح والجواهر .

الصوفية فى تعريف الولى حتى قال : ان الولى لو كشف للناس لعبدوه لأن حقيقة الولى أنه يسلب من جميع البشرية ، ويتحلى بالأخلاق الالهية ظاهرا وباطنا ، ولذا لو كشف الولى للعبد لعبده .

وقالوا ان دائرة الولى أوسع من دائرة النبى .

وهذا تفضيل منهم للولى على النبى بأسلوب خفى [١] .

وعللوا ذلك بأن دعوة الأنبياء خاصة بأممهم ، ودعوة الولى عامة ، فلذا هو أوسع دائرة ، ولازم هنا أن الولى أفضل من النبى ، وهو كما ترى ضلال مبين .

واشترطوا للولى الأوسع دائرة أن يكون مأذونا له فى الدعوة بالاذن الخاص لا بالاذن العام ، الذى هو مثل قوله صلى الله عليه وسلم « بلغوا عنى ولو آية » [٢] .

والاذن الخاص يحصل عليه اما باذن الشيخ المأذون له ، واما بالكلام اللدنى الذى اقام جل أصحاب الطرق طرائقهم عليه ، وهو ضلال وكذب ، وكفر والعياذ بالله تعالى .

وقالوا : [٣] ان من نهض الى دعوة الخلق الى الله تعالى بالاذن العام وليس له شىء من الاذن الخاص لم يشفع بكلامه ، ولم يقع عليه اقبال ، فان لسان الحق يقول له بلسان الحال فى بساط الحقائق ، ما أمرناك بهذا ، ولا أنت له بأهل ، انما أنت فضولى .

ويعظمون من شأن الولاية حتى قالوا : من ادعى أنه ولى يموت كافرا والعياذ بالله ، والحكاية التالية تكشف لنا عن مدى بعد الولاية فى اعتقاد القوم واحتكارهم لمنصبها ومقامها .

ليبقى كل المؤمنين أعداء لله تعالى غير أولياء له الا ما كان من مشائخ

---

(١) يشهد لهذا قول بعضهم مقام النبوة فى برزخ فوق الرسول ودون الولى .

(٢) رواه البخارى .

(٣) الرماح والجواهر .

التصوف وأئمتهم فانهم الأولياء .

قال الشيخ أحمد التجانى فى كتابه الجواهر فى رجل لا يمشى الا ساترا وجهه قال : ولعله بلغ مرتبة الولاية ، فان من بلغها يصير كل من رأى وجهه لا يقدر على مفارقته طرفة عين ، وان فارقه وانحجب عنه مات لحينه ، وحسبك أخى المسلم بهذا التعريف للولى من تعريف ، انه سخرية وهزء بعقول المؤمنين .

هذا والذى يستنتج من صنع القوم فى تعريف الولى ، انهم يحتكرون هذه الألقاب لاستغلال العامة بها ، والتحكم فيهم بواسطتها .

فدل هذا على أن التصوف قد استغل استغلالا فاحشا فى ضرب أمة الاسلام وتحطيمها والقضاء عليها ، فكم عانت أمة الاسلام من اتعاب ، وكم ذاقت من ويلات ، وكم تعرضت لفتن أثارها استعمار الغرب لحل بلادها ، وذلك منذ أن ظهر التصوف النظرى الفلسفى فى حدود القرن الثالث الهجرى . ومع ظهور اليوم دعاة للتصوف ، اذ عز عليهم أن تحررت أمة الاسلام من الاستعمار الغربى ، فجاءوا يركضون يؤلفون الكتب وينشرون الرسائل يدعون الى التصوف من جديد وما علموا أن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .

لمحات من الوجه المظلـــم
للتصــــــوف

تبيانا للحق ، ومبالغة فى التحذير من الوقوع فى حبائل صيد المتصوفة ننشر بعض كلمات الكفر التى أثرت عن أئمة الصوفية .

١ - (ليس على المخلوق أضر من الخالق)

أبو طالب المكى صاحب كتاب قوت القلوب

٢ - (أنا أعشق الله والله يعشقنى)

أبو الحسن النـــورى

٣ - علماء الرسوم (الشريعة) يأخذون خلفا عن سلف .
والأولياء يأخذون عن الله مما ألقاه فى صدورهم .

ابــــن عربـــى

ومعنى هذا القول ان الأولياء فى غنى عن الشريعة الاسلامية حيث هم يتلقون عن الله تعالى مباشرة .

وهذا والله الكفر . وهو مذهب كثير من الروافض فليتأمل .

٤ - أنا المحق وصاحبى وأستاذى ابليس وفرعون .

الحـــلاج لعنـه الله

٥ - ان العارف من يرى الحق فى كل شىء بل يراه عين كل شىء وهذا هو معنى وحدة الوجود والحلول والاتحـاد .

صاحب هذا الكفر محيى الدين بن عربى

٦ - قيل للتلمسانى هذا ، اشارة الى جثة كلب أجرب ميت - أيضا هو ذات الله ؟ فقال وهل ثم شىء خارج عنهـا ؟

فلننظر كيف جعل التلمسانى وهو أحد أئمة الصوفية كل شىء فى ذات الله حتى الكلب الأجرب الميت .

أعوذ بالله من هذا الكفـــر العفن .

٧ ـ اللهم انشلنى من أوحال التوحيد وأغرقنى فى عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أجد ولا أمس الا بهـــا .

من أوراد الشاذليـــة

ان معنى هذه الجملة من الكفر ان صاحبها لا يرضى بلا اله الا الله ويرضى بأن يكون جزءا من الله ، تعالى الله ـ أن يحل فى مخلوقه ، أو يتحد به ، أو يتوحد ـ معه علوا كبيـــرا .

٨ ـ القرآن شرك كله ، وانما التوحيد فى كلامنا .

التلمسانى

٩ ـ وأمـا واضـع هذا العلم « التصـوف » فهو النبى صلى الله عليه وسلم ، علمـه الله بالـوحى والالهـام ، فنزل جبريل أولا بالشريعة فلما تقررت نزل ثانيا بالحقيقة فخص بها بعضا دون بعض ، وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا على كرم الله وجهـــــه .

ابن عجيبـــــة

انـظر كيف يبرر دجله بالكـذب على الله ورسـولـه وجـبريل وصالح المؤمنين . وبذلك قرر فرية أن الحقيقة تقابل الشريعة ، وأن كلا منهما مما شرع الله تعالى سبحانك اللهم هذا بهتـــان عظيـــــم .

١٠ ـ خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله

التجانـــى

ولازم قول التجانى هذا أن أقطاب الصوفية وهو على رأسهم أعلم بالله وأعرف بشرائعه المتضمنة محابه ومساخطه من الأنبياء .

أليس هذا هو الكفـــر ياعباد الله ؟

١١ ـ مقام النبوة فى برزخ   فوق الرسول ودون الولى

معنى هذا البيت الصوفى ـ خربه الله ـ أن الولى أفضل من النبى ومن يعتقد هذا كيف لا يكفر ؟

١٢ ـ أنا سيد الأولياء كما أن النبى سيد الأنبياء ، ولا يشرب ولى ولا يسقى الا من بحرنا من نشأة العالم الى النفخ فى الصور ، واذا جمع الله تعالى خلقه فى الموقف ينادى مناد بأعلى صوته حتى يسمعه كل من فى الموقف يا أهل المحشر هذا امامكم الذى كان مددكم منـــه .

أحمد التجـــانى

أناشدك الله تعالى أيها القارىء أن تقول ما اذا كان هذا الكلام كذبا على الله ورسوله وعلى المؤمنين . ولا أخالك الا قائــلا :

اللهم ان هذا كذب بحت عليك وعلى رسولك وعلى المؤمنين ، ان هذه الـدعـوى أخى المسلم لم يدعهـا نبى ولا رسـول ، فكيف يدعيها أحمد التجانى وتقبل منه يا للعجب ؟ !

١٣ ـ قد أخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأنى أنا القطب المكتوم منه الى مشافهة يقظة لا منامــــــا .

التجانــــى

وقد سئل عن معنى المكتوم فقال : هو الذى كتمه الله تعالى عن جميع خلقه حتى الملائكة والنبيين الا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، فانه علم به وبحاله ، وهو الذى حاز كل ما عند الأولياء من الكمالات الالهية واحتوى على جميعهـــــا .

فانظر كيف ادعى التجانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أخبره يقظة لا مناما ، ومشافهة لا بواسطة ، بأنه القطب المكتوم ، اللهم ان هذا كذب على رسول الله وعلى عبادك ، فالعن اللهم من كذب عليك وعلى رسولك وعلى عبادك المؤمنين .

١٤ ـ ان الفيوض التى تفيض من ذات سيد الـوجود تتلقاها ذوات الأنبياء ، وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتى ، ومنى يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم الى النفخ فى الصور وخصصت بعلوم بينى وبينه منه مشافهة لا يعلمها الا الله عز وجل بلا واسطة .

وقوله ـ لا رضى الله عنه ـ وهو يشير بأصبعه السبابة والوسطى روحى وروحه صلى الله عليه وسلم هكذا ، روحه تمد الرسل والأنبياء ، وروحى تمد الأقطاب والأولياء من الأزل الى الأبد .

التجـــانى

انـظر أخى المسلم كيف عد التجانى نفسه ربا أزليا روحه تمد أرواح الأقطاب والأوليـاء من الأزل الى الأبــد .

١٥ ـ لا يبلغ الرجل منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة ، وأولاده كأنهم أيتام ، ويأوى الى منازل الكلاب .

الشعرانــى

والسؤال هل فعل هذا أبو بكر الصديق حتى أصبح صديقا ؟ هل فعل هذا عمر بن الخطاب ، هل فعل هذا مالك بن أنس ؟

اللهم لا لا كيف اذا يدعى الشعرانى هذه الحقيقة ؟

اعلم أخى أن عامة أئمة التصوف فى ضلال وسعر ، انه لا يستغرب من الشعـرانى هذا الادعـاء البـاطـل والضلال المحموم . وهو صاحب طبقات الأوليـــاء .

واليك طائفة من أولياء الشعرانى فى طبقات أوليائه :

١ ـ محمد الحضرى : الذى صعد المنبر يوم الجمعة فخطب فقال : أشهد أن لا اله لكم الا ابليس عليه الصلاة والسلام ثم نزل فسل السيف فهـرب جميع المسلمـين من المسجد ، وزعـم الشعرانى أن هذا الولى قد خطب الجمعة يومئذ فى ثلاثين مسجدا من مساجد القطر المصرى [١] .

٢ ـ الرجل الذى يسكن فى ماخور المومسات (بيت الدعارة) يشفع لكل من يأتيهن ـ عند الله ـ ويمسكه الى أن يكاشف بقبول شفاعته فيه ومغفرة الله له .

٣ ـ أبو خوزة : كان رضى الله عنه كما يقول الشعرانى اذا رأى امرأة

---

(١) هذا بناء على أن الولى عند القوم يتمثل بالصور الكثيرة والأمكنة المختلفة كالشياطين والملائكة .

أو شابا أمرد راوده عن نفسه وحسس على مقعدته وسواء كان أميرا أو وزيرا ولو كان بحضرة والده .

٤ - على وحيش : كان كما يقول الشعرانى اذا رأى شيخ بلد أو غيره زله من على الحمارة ويقول له أمسك رأسها حتى أفعل فيها فان أبى شيخ لبلد تسمر فى الأرض لا يستطيع أن يمشى خطوة .

أخى المسلم وقانى الله واياك شر هذه الفتن أرأيت كيف يفقد الهوى أصحاب العقول ويذهب بأبصارهم وبصائرهم ؟ وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ روى عنه : « حبك الشىء يعمى ويصم »[1] .

فانظر كيف تجرد هؤلاء بأهدافهم من عقولهم ، وغضوا عن رؤية الحق أبصارهم ، فعميت بصائرهم فأصبحوا يرون أفسق الخلق ، وأكفرهم ، وشرهم وأفسدهم أولياء لله تعالى اذا ذكروهم ترضوا عنهم أو ترحموا عليهم كأنهم أصحاب الرسول أو تابعوهم .

هذا ولنختم هذه العجائب بأعجب منها وهى لامام التجانية ومددهم كما يدعون ويزعمون .

الأولى : أن القطب المكتوم « التجانى » هو الواسطة بين الأنبياء والأولياء فكل ولى لله تعالى من كبر شأنه ومن صغر لا يتلقى فيضا من حضرة نبى الا بواسطته رضى الله عنه من حيث لا يشعر به

انظر كيف ادعى التجانى أنه هو القطب المكتوم أو ادعى له بذلك وأنه الواسطة بين سائر الأنبياء ، فكل الأولياء من آدم الى قيام الساعة يتلقون من فيضه ، ولازم هذا أنه أزلى أبدى وهذا من أفظع الكذب ، وأسوأ الافتراء ، هذه الأولى والثانية أفظع .

الثانية : أن الفيوض التى تفيض من ذات سيد الوجود رضى الله عنه تتلقاها ذات الأنبياء ، وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتى ومنى يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم الى النفخ فى الصور ،

(١) رواه أحمد وأبو داود .

وخصصت بعلوم بينى وبينه [١] منه مشافهة لا يعلمها الا الله عز وجل بلا واسطة وأنا سيد الأولياء كما أنه سيد الأنبيـــاء .

أليست هذه أفظع ؟ ! و الثالثة أشد فظاعـــة .

الثالثة : قال وهو يشير بأصبعيه السبابة والوسطى : روحى وروحه صلى الله عليه وسلم ، هكـذا ، روحه صلى الله عليه وسلم تمد الرسل والأنبياء ، وروحى تمد الأقطاب والاولياء من الازل الى الأبـــد .

انظر أيها المسلم البصير كيف جعل الرجل نفسه ربا أزليا ، روحه تمد الأقطاب والأولياء من الازل ، اذ هو قديم الوجود ، الى الأبد اذ هو دائم الوجود ، أليس هذا هو الكفر والكذب معا ؟؟

الرابعـة : من ترك وردا من أوراد المشائخ لأجل الدخول فى طريقتنا هذه المحمدية التى شرفها الله تعالى على جميع الطرق آمنه الله فى الدنيا والآخرة فلا يخاف من شىء يصيبه لا من الله ولا من رسوله ولا من شيخ أيا كان من الأحياء أو الأموات ، وأما من دخل زمرتنا « طريقتنا » وتأخر عنها ودخل غيرها تحل به المصائب دنيا وأخرى ولا يفلح أبدا . فانظر أخى المسلم كيف كذب الشيخ واحتكر وادعى ما ليس له ، ولا ندرى ما السبب الحامل له على هذه الدعاوى والأكاذيب ، ان أمره والله لعجيب .

والخامسة : قال أخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما ، قال لى أنت من الآمنين ، وكل من رآك من الآمنين ان مات على الايمان ، وكـل من أحسن اليك بخـدمـة أو غيرها ، وكل من أطعمك يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب [٢] .

ان هذه الدعوى أخى المسلم لم يدعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لفاطمة رضى الله عنها : اعملى فانى لا أغنى عنك من الله شيئا .

وقال للرجل الذى قال : ادع الله تعالى أن يجعلنى منهم « سبقك بها عكاشة » وهو طلب أن يكون ممن يدخلون الجنة بغير حساب ، والتجانى

(١) يريد بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) كل هذه البوائق التجانية جاءت فى كتاب الجواهر الجزء الأول ص ٩٧ وما بعدها .

يقول له كل من خدمك أو أطعمك يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب .
أليس هذا هو الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرسول يقول « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » (١)

والأخيرة : قال : ان صلاة الفاتح لم تكن من تأليف البكرى (٢) ولكنه توجه الى الله تعالى مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فيها ثواب جميع الصلوات ؟ وسر جميع الصلوات ، وطال طلبه مدة ثم أجاب الله دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة فى صحيفة من النور . ثم قال الشيخ فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادة جميع الجن والانس والملائكة .

وقال : وقد كان أخبرنى صلى الله عليه وسلم عن ثواب الاسم الأعظم - فقلت : انها أكثر منها ، فقال صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم منها ، ولا تقوم له عبادة . . . الخ .

فانظر كذبه وافتراءه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أمته .
اللهم العن من كذب على رسولك والمؤمنين تغريرا بهم وتضليلا .

---

(١) رواه البخارى وغيره .
(٢) الجواهر .

الاســـلام نعم البديـــــل

اذا كنا قد هدمنا أركان التصوف ونقضنا أحواله وقطعنا فروعه لأنه نحلة مفتراة . وبضاعة مزجاة بلى بها المسلمين مروجوها وخدع بها المؤمنين واضعوها فانا نضع بين يدى طلاب السعادة والكمال فى الحال والمآل خير بديل يحقق لهم صفاء الروح وسلامة القلب وتهذيب الأخلاق وتطييب المشاعر وارهاف الاحساس ، ألا وهو الاسلام طريق السعادة وسلم الكمال .

الاسلام الذى أمر الله تعالى نبيه نوحا عيه السلام أن يكون من أهله اذ قال : « وأمرت أن أكون من المسلمين » (١) .

والذى دعا ابراهيم ربه أن يجعله وولده اسماعيل يدينان الله به ومن ذريتهما أمة تدين لله به كذلك فقالا فى دعائهما : « **ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك** » (٢) .

الاسلام الذى وصى به ابراهيم بنيه ويعقوب فقال « **يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون** » (٣) .

الاسلام الذى سأل يوسف الصديق والكريم ابن الكريم ربه أن يتوفاه عليه اذ قال فى ابتهاله ودعائه : « **فاطر السموات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين** » (٤) .

الاسلام الذى أخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن نفسه أنه أول أهله وأنه أمر أن يكون منه فى قوله : « **وأنا أول المسلمين** » ، « **وأمرت أن أكون من المسلمين** » .

الاسلام الذى أخبر الرب تعالى أنه هو الدين الحق عنده ، وأنه لا يقبل دينا سواه وذلك فى قوله تعالى : « **ان الدين عند الله الاسلام** » وقوله « **ومن**

---

(١) سورة يونس .
(٢) سورة البقرة .
(٣) سورة البقرة .
(٤) سورة فاطر .

يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاســـــرين ».

الاسلام الذى رضيه تعالى لأمة نبيه دينا فى قوله تعالى : « ورضيت لكم الاسلام دينـــــا ».

حقيقـــــة الاسلام

ذلـك هو الاسـلام البـديل عن التصـوف المبتـدع المضلل به وهـذه حقيقته ، ان للاسلام حقيقة واحدة لاتتعدد ، وهى ايمان العبد بالله تعالى ربا والها واسلام قلبه وجوارحه له مع مجاهدة وصبر فى مراقبة وافتقـــار .

تلك حقيقة الاسلام ، وهذا بيانهـا :

(أ) الايمان بالله ربـــا :

ان الايمان بالله ربا معناه : تصديق العبد بوجود الرب تعالى وتصديقه تعالى فى كل ما أخبر به عن نفسه ، وخلقه وقضائه وشرعه ، وأنه خالق كل شىء ومـالكـه ، قدير على كل شىء ، عليم بكـل شىء ، ذو الأسماء الحسنى ، والصفات العلا

(ب) الايمان بالله الها :

ان الايمان بالله الها ، معناه : أن الله تعالى هو المعبود الحق ، وأنه اله الأولين والآخرين فلا معبود لهم سواه ، خلق الانس والجن لعبادته ، من أطاعه منهم أكرمه فى دار كرامته [1] ومن عصاه أهانه وأشقاه فى دار المهانة .

(ج) اسلام القلب للرب :

ان اسلام القلب للرب تبارك وتعالى معناه أن القلب المسلم لله عز وجل لا يتقلب الا فى طلب مرضاة الله سبحانه وتعالى ، فلا يخشى ولا يرهب

(١) دار الكرامة الجنة ودار المهانة النار .

غير الله ، ولا يطمع ولا يرغب فى غير الله ، يحب بحبه ، ويبغض ببغضه يوالى فيه ويعادى فيه ، ولا يرى منة لأحد غيره .

(د) اسلام الجوارح للرب عز وجل [1] :

ان اسلام الجوارح للرب تعالى معناه : اخضاع الجوارح السبعة التى هى السمع ، والبصر ، واللسان ، واليدان ، والرجلان ، والبطن ، والفرج .

فالسمع لا يسمع الا ما أذن الله تعالى فى سماعه ، وكان فى مرضاته ، واللسان لاينطق به الاذاكرا لآلائه شاكرا لنعمائه أو داعيا اليه تعالى أو معرفا به ، أو محدثا بجلاله مخبرا بكماله ، وآمرا بمعروف أمر به ، أو ناهيا عن منكر نهى عنه .

واليدان لا يبطش بهما أحدا ، ولا يبسطهما معطيا الا بعد الأمر والاذن ، والا فهما مقبوضتان مسلمتان لله .

والرجلان لا تمشيان خطوة فما فوقها الا باذن أو فى مراد الله مشيى ولا سعى الا فى الله وباذن الله .

والبطن شهوته مقصورة على المباح من الطعام والشراب . فيأكل المسلم ويشرب مما أذن فيه الله وفى غير ترف ولا مخيلة ولا سرف [2] .

والفرج وهو أخطر الجوارح وشرها محفوظ بحفظ الله ومقصور على ما أذن فيه الله من زوجة ابتغاء الانجاب والاحصان ، أو سرية رحمة بها أو دعت الضرورة اليها [3] .

---

(١) سميت الجوارح جوارح لأن الإنسان يجترح بها أى يكسب الخير ويكتسب الشر .

(٢) الخيلاء والفخر .

(٣) السرية : الأمة يطؤها سيدها .

(هـ) المجاهـدة :

ان الجهـاد من الاسـلام ذروة سنامه ، اذ به تحمى بيضة الاسلام ، وتنشر راية عدله ورحمته بين الأنام ، والمجاهدة من الجهاد وهى قوام اسلام المرء وعماده بها يحسن اسلام العبد ويبلغ كماله .
وحقيقة المجاهدة أنها مقاومة ملل النفس وميلها بما يجعلها دائما تعمل فى نشـاط مع استقـامتهـا على المنهج الاسلامى الدائر بين الأفعال والتروك الظاهرة والباطنة ، والقائم على التجرد لله تعالى فيه والمتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم عليه .

(و) الصبـــــــر :

ان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فكما لاحياة لجسد بلا رأس فانـه لا اسلام بلا صبر ، ان الصبر ضد الضجر ، وما بعد الضجر الا الترك ، فاذا ضجر العبد من تحمل أعباء الاسلام ترك ، واذا ترك هلك .
ان العدو غادر وماكر والحمل ثقيل ، والعقبة كؤود والشقة بعيدة ، فكان لابد للسائر من صبر وللسالك من تحمل ، من البداية حتى النهاية ، والا كان الانقطاع وعقبه الخسران ، والعياذ بالرحمن منهما معـا .

(ز) المراقبـــة :

ان المـراقبة معناها مراقبة العبد ربه تعالى حال سيره اليه ، على درب الاسلام حتى الوصول الى دار السلام حيث الجوار الكريم ، والنعيم المقيـــــم .
وللمراقبة مرتبتان : عليا ، ودنيا ، فالعليا أن يكون العبد أثناء سيره الى الله تعالى بالذكر والشكر على حال كأنه يرى الله تعالى ويشهده ، وبذلك

يعظم خوفه منه ، ويقوى رجاؤه فيه ، ويكبر أنسه به . والمرتبة الدنيا أن يكون السائر أثناء سيره الى الله عز وجل بالفعل والترك على حال هو موقن فيها بأن الله تعالى مراقب سيره ، شاهد عمله فيه ، لا يخفى عليه شيء من ظاهر أمره ولا باطنه ، وثمرة المراقبة احسان السير واستمراره على درب الاسلام فى أمن وسلام حتى دخول دار السـلام .

والمراقبة بمرتبتيها علياها ودنياها اذا قومت تقويم عدل وانصاف ، وجدت أنها ملاك الأمر كله وعليها مدار الفلاح كله ، اذ قبول العمل متوقف على حسنه وجودته وكماله ، وما سيرنا الى الله تعالى الا أعمالنا الظاهرة والباطنة التى كلفنا بها وانتدبنا لها فان أديناها محسنين فيها قبلها منا وأثابنا عليها فأنزلنا دار كرامته ، وأنعم علينا برضوانه والنظر الى وجهه الكريم وذاك غاية الفوز العظيم ، وان أسأنا فيها ردت علينا فحرمنا ثوابها وانقلبنا خاسرين . ومن هنا كان الاحسان ثلث الاسلام كما جاء فى حديث جبريل الأمين [1] « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » .

وما الاحسان الا المراقبة بمرتبتيها فليأخذ المسلم نفسه بها ، ويجاهدها فيها حتى تكون حاله الغالبة وبذلك يأمن العثار فى سيره ، والانقطاع فى طريقـه

(ح) **الافتقـار :**

الافتقار لازم العبد ، اذ لا غنى له عن الله بحال وانما المطلوب من الافتقار اقرار العبد به واعترافه بواقعه واظهاره لله تعالى ، واطراحه بين يدى الله تعالى لا يملك لنفسه حولا ولا طولا ، فينشأ عنه التوكل الكامل والتفويض التام لله تعالى ، وفى كل شأن من شئون العبد وأحواله وأموره ، فيصدق بذلك اللجأ الى الله تعالى والفرار اليه دون سائر خلقه ، وبذلك تكمل انابة العبد الى ربه ، وتعظم رغبته فيه ، ورهبته منه ، وينجم للعبد عن هذه الحال حال أكمل وهى حال الاضطرار الدائم الى الله تعالى فى

(١) اذ فيه سأل جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان فكان الإحسان ثلث الدين الإسلامى .

اصلاح شأنه وتزكية نفسه ، ووقايته من الآفات ، وحفظه من المعوقات حتى يبلغ الكمال فى اسلامه الظاهر والباطن لله تعالى ، وبذلك يتأهل للفيوضات الالهية فيحبه الله ويحببه الى صالحى عباده ، أو يخلع حلة رضاه ويكون بمنزلة القرب التى هى أسمى المنازل وأشرفها اذا سأل صاحبها أعطى ، واذا دعا أجيب ، واذا استعاذ أعيذ ، واذا استنصر نصر ، واذا قبضه مولاه أدناه وأنزله منازل الابرار وخلع عليه حلل رضاه ورضوانه وتلك الحسنى وهذه الزيـــــادة .

وبعـد : فاعلم أخى المسلم أن الاسـلام البديل عن بدعة التصوف وضلال المتصوفين لا يتم للعبد الا بالعلم والمعرفة ، العلم بالله والمعرفة بمحابه ومساخطه ومصدر هذا العلم وهذه المعرفة هو الكتاب والسنة ، وهما لا ينالان الا بالدرس والطلب الجاد ، والحفظ والفهم ، ولابد لذلك من مشائخ علم متضلعين فى علم الكتاب والسنة ، عليهم أنوار العلم وعليهم سيماء الايمان وفيهم بركة التقوى ، فاطلبهم وارسل اليهم ولازمهم حتى تتعلم ما لابد منه لسيرك الى ربك ، ولا تطمعن فى الوصول بدون أن تبـذل هذا النـول [١] ، والا فأنت مفتـون مغرور ، وأعيذك ونفسى من الافتتان والغرور ، وأحذرك أن تصدق أن ولاية الله يحظى بها من لا يعرف الله تعالى ، ولا يعرف محابه ومكارهه من الاعتقادات والأقوال والأعمال ، فهيهات هيهات أن يطأ عبد بساط القدس وسواء كان من الجن أو الإنس ما لم تزك نفسـه وتطهر روحه ، وتفضل أخلاقه ، وذلك بواسطة الايمان والعمل الصالح وفق ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد اجتناب الشرك ومعصية الله ورسول الله .

---

(١) النول : ما يعطى من أجر السفينة للاركاب .

الأوراد النبويـــة

البديل عن

الأوراد الصوفيـة

ماهى الأوراد ؟

الأوراد جمع ورد ، وقد تقدم بيان ذلك لغة واصطلاحا أثناء الكلام على أصول التصوف عند الصوفية ، والذى يهمنا هنا أن نرشد المسلم الى بعض الأوراد النبوية لتكون بديلا له عن الأوراد الصوفية المحدثة والتى لا تخلو غالبا مما لايجوز التقرب به الى الله تعالى ، مما لا يزكى النفس ، ولا يهذب الروح والمشاعر ولا يطيبهمـــا .

(أ) مشروعية الأوراد :

ان الأوراد التعبـدية مشروعة بالكتاب والسنة ، أما الكتاب فقد قال تعـالى : « يا أيهـا الـذين آمنـوا اذكـروا الله ذكـرا كثـيرا وسبحوه بكرة وأصيـــلا » (١) .

وأما السنة فقد قال صلى الله عليه وسلم : « مثل الذى يذكر ربه والذى لايذكر مثل الحى والميت » (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « سبق المفردون ، قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات » (٣)

---

(١) سورة الأحزاب .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه مسلـــم .

(ب) تفاضل الأذكـــار :

لا شك أن بعض الأذكار أفضل من بعض بمعنى أنه أكثر أجرا وأعظم مثوبة عند الله تعالى ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الذكر لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله » [١] .

وكون بعض الأذكار أعظم أجرا دال على أنها أكبر تزكية للنفس وتطهيرا للروح وتطييبا للمشاعر ، اذ قرب العبد من الرب تعالى هو بحسب زكاة نفس العبد وطيب روحه .

(ج) من أفضل أنواع الذكر سبعة وهى :

١ - لا اله الا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . لحديث البخارى : « من قال لا اله الا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر منه » .

٢ - سبحان الله وبحمده : لحديث صحيح : « من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وان كانت مثل زبد البحر » .

٣ - سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم . لحديث الصحيحين « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » .

٤ - سبحـان الله والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر . لحديث مسلم : والترمذى : « لأن أقول : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله

---

(١) رواه النسائى وابن ماجه والحاكم وصححه

(٢) هذا ولا يفوتنا أن ننتبه إلى أن قراءة القرآن من أعظم أنواع الذكر وأن الحرف الواحد يعطى عليه تاليه عشر حسنات ، وان المسلم لابد له من ورد يومى يتلو فيه على الأقل مائة آية للأحاديث الواردة فى ذلك ومن أوراد الصالحين فى قراءة القرآن أنهم يختمونه فى كل أسبوع مرة .

والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس » وقوله فى رواية احمد وهى صحيحة : « أفضل الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر » ، وقوله فى رواية مسلم وغيره : « أحب الكلام الى الله تعالى أربع : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ، لا يضرك بأيهن بدأت ، وهن من القرآن » .

٥ ـ سبحان الله والحمد لله والله أكبر دبر الصلوات الخمس . لحديث صحيح ، وتقال مجتمعة هكذا سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثا وثلاثين مرة ، ويختم المائة بقوله لا اله الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . أو يقولها مفردة : سبحان الله ثلاثا وثلاثين والحمد لله ثلاثا وثلاثين والله أكبر ثلاثا وثلاثين ، ويختم المائة بقوله لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير .

وكذا تقال عند النوم من كل ليلة لحديث على وفاطمة فى السنن ، غير أن التكبير يكون أربعا وثلاثين فتتم المائة تسبيحة بدون ذكر لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير .

٦ ـ سبحان ربى العظيم وبحمده ثلاثا أو أكثر فى الركوع من كل صلاة فريضة أو نافلة لحديث السنن لما نزلت ، « فسبح باسم ربك العظيم » قال صلى الله عليه وسلم « اجعلوها فى ركوعكم » .

٧ ـ سبحان ربى الأعلى وبحمده ثلاثا أو أكثر فى السجود من كل صلاة لحديث السنن لما نزلت « سبح اسم ربك الأعلى » . . قال « اجعلوها فى سجودكم » .

(د) من أفضل أنواع المحامد :

من أفضل أنواع المحامد الخمسة التالية :

١ ـ يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك . لحديث أحمد وابن ماجه ، وفيه أنها عضلت على الملكين فلم يدريا كيف

يكتبانها لقائلها . . . الحديث (١) .

٢ ـ الحمد لله ، لحديث ابن ماجه فى سننه ، عن أنس بن مالك : « ما أنعم الله على عبد نعمة فقال : الحمد لله الا كان الذى أعطى أفضل مما أخذ » .

٣ ـ الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، لحديث الطبرانى واسناده حسن : « أن رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده لقد رأيت ثلاثة عشر ملكا يبتدرون كلمتك ـ أيهم يرفعها الى الله تبارك وتعالى » .

٤ ـ الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور ، عند القيام من النوم ، لحديث صحيح : « ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا استيقظ من نومه قال : الحمد لله . . . الخ » .

٥ ـ اللهم ما أصبح بى من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك . لك الحمد ولك الشكر . لحديث أبى داود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يصبح اللهم . . الخ فقد أدى شكر يومه ، ومن قال ذلك حين يمسى فقد أدى شكر ليلته » .

(هـ) من أفضل أنواع الاستغفار خمسة وهى :

١ ـ سيد الاستغفار لحديث الصحيحين عن شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا انت ، قال ومن قالها من النهار

(١) عضلت : اشتدت وعظمت واستغلق عنهما معناها .

موقنا فمات من يومه قبل ان يمسى فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنـة .

٢ ـ استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه لحديث الـطبرانى فى الأوسط وأبو داود والترمذى والنسائى عن البراء بن عازب عنه صلى الله عليه وسلم « من قال دبر كل صلاة أستغفر الله وأتوب اليه غفر له وان كان فر من الزحف »[١] .

٣ ـ أستغفر الله ثلاثا دبر كل صلاة لحديث صحيح « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم من صلاته قال ثلاثا استغفر الله أستغفر الله أستغفر الله » .

٤ ـ رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم ، لحديث ابن عمر رضى الله عنه فى السنن انه قال : « كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم مائة مرة فى المجلس الواحد » .

٥ ـ سبحـانـك اللهم وبحمـدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك لحديث الترمذى الحسن الصحيح « من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم . . الخ الا كفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك ، واذا كان المجلس مجلس خير كان ذلك الذكر كالطابع له » .

(و) ومن أفضل أنواع الاستعاذات ثمانية وهى :

١ ـ أعيذك بكلمة الله التامه من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة .

ويقول اذا عوذ نفسه أعيذ نفسى بكلمة الله التامة . . . الخ .

واذا عوذ غيره قال أعيذك . . . الخ .

---

(١) فى بعض ألفاظ الحديث زيادة وقد ذكرتها فى أول الحديث

لما جاء فى الصحيح « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بها الحسن والحسين رضى الله عنهما ويقول كان أبوكما يعوذ بها اسماعيل واسحق عليهما السلام » (١) .

٢ ـ بسم الله ، ثلاثا وأعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر ، سبعا لحديث مسلم : « ان عثمان بن العاص شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده فى جسده منذ أسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضع يدك على الذى يألم من جسدك وقل : بسم الله ثلاثا وقل : سبع مرات أعوذ بقوة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » .

٣ ـ اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال (٣)

٤ ـ أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ، لحديث أبى داود والترمذى والحاكم وصححه (تقال عند الفزع من النوم وعند بداية النوم وفى كل وقت) .

٥ ـ أعوذ بوجه الله الكريم وبكلماته التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ، وشر ما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ فى الأرض وشر ما يخرج منها ، ومن فتن الليل والنهار ، ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن .

(رواه مالك فى الموطأ)

٦ ـ أعوذ بوجه الله العظيم الذى ليس شىء أعظم منه وبكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر وبأسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وذرأ وبرأ .

(رواه مالك فى الموطأ)

٧ ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، تقال عند القراءة وعند

---

(١) المراد من ابيهما إبراهيم عليه السلام .

(٣) رواه أبو داود .

الغضب ، وعند الوسواس - لحديث مسلم وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : « انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده » (١)
لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .
٨ - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه تقال : عند فتتاح صلاة الليل (لما فى السنن والمسند لأحمد) .

(ز) من افضل انواع الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ما يلى :

١ - اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد - رواه البخارى .
٢ - اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد .

(متفق عليه)

٣ - اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد .

(رواه مسلم)

٤ - اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات .

(رواه البخارى ومسلم)

٥ - اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائدالخير ورسول

(١) الضمير فى لو قالها عائد إلى الرجل الغضبان المذكور فى القصة .

الرحمة ، اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد .

(رواه غير واحد من أصحاب الصحاح والسنن)

(ط) من أفضل الأدعيــة :

ان من أفضـــل الـدعـاء ما كان جامعـا للخـيرات مفيضـا باذن الله بالبركات . ومن الأدعية الجامعة ما يأتى :

١ ـ اللهم أعنى على ذكـرك وشكـرك وحسن عبـادتـك (يقال بعد الصلوات) رواه النسائى وأبو دواد .

٢ ـ اللهم انى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ، اللهم انى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى .

اللهم استر عوراتى وآمن روعاتـــى .

اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى [1] يقال فى الصباح والمساء .

٣ ـ اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيهـا معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى لها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر .

٤ ـ اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك .

(يدعى به لقضاء الدين ـ رواه الترمذى وحسنه)

٥ ـ اللهم اهـدنى فيمن هديت ، وعـافنى فيمن عافيت ، وتـولنى فيمن توليت ، وبارك لى فيما أعطيت ، وقنى شر ما قضيت ، فانك تقضى ولا يقضى عليك ، وانه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت ، تباركت

---

(١) الترمذى وحسنه .

ربنا وتعاليت .

وصلى الله على النبى (رواه النسائى عن الحسن بن على رضى الله عنهما) .

(يقال فى القنوت)

٦ - اللهم بك نصبح وبك نمسى ، وبك نحيا ، وبك نموت ، واليك النشور . وفى المساء يقول واليك المصير . . .

اللهم اجعلنى من أعظم عبادك عندك حظا ونصيبا فى كل خير قسمته فى هذا اليوم أو فى هذه الليلة وفيما بعده من نور تهدى به أو رحمة تنشرها أو رزق تبسطه أو ضر تكشفه أو ذنب تغفره ، أو شدة تدفعها ، أو فتنة تصرفها ، أو معافاة تمن بها برحمتك ، انك على كل شىء قدير .

***

وبعد فتلك ست مجموعات من أفضل أنواع الأذكار ، والمحامد والاستغفار والاستعاذات ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، والأدعية النبوية .

فاتخذ - أخى المسلم - منها وردك اليومى ، والزمه ولا تتركه تكن أن شاء الله تعالى من الذاكرين . وراع فيه عند أدائه حضور القلب ، والخشوع للرب تعالى تكن - ان شاء الله تعالى - من الصالحين .

وذلك أمل الآملين وغاية العاملين الصابرين .

اللهم حقق فيك رجاءنا وأدخلنا برحمتك فى عبادك الصالحين ، وصل اللهم وسلم وبارك على نبيك محمد وآله وصحبه أجمعين .

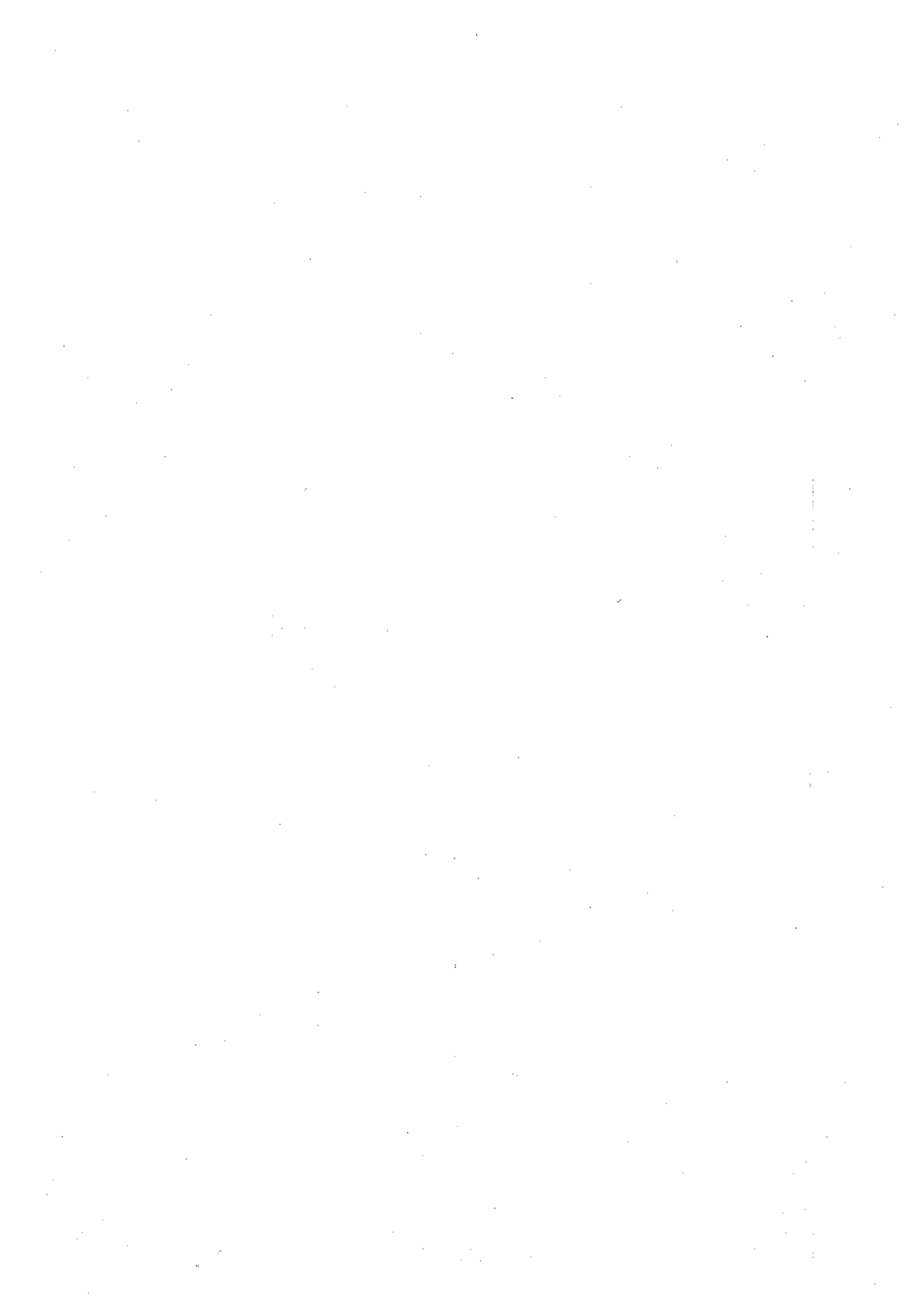
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

المدينة المنورة
فى جمادى الآخرة من عام ١٤٠٤ هـ .
كان الفراغ من تصحيحها فى المدينة النبوية .
فى شهر رجب الفرد من عام ١٤٠٤ هـ .

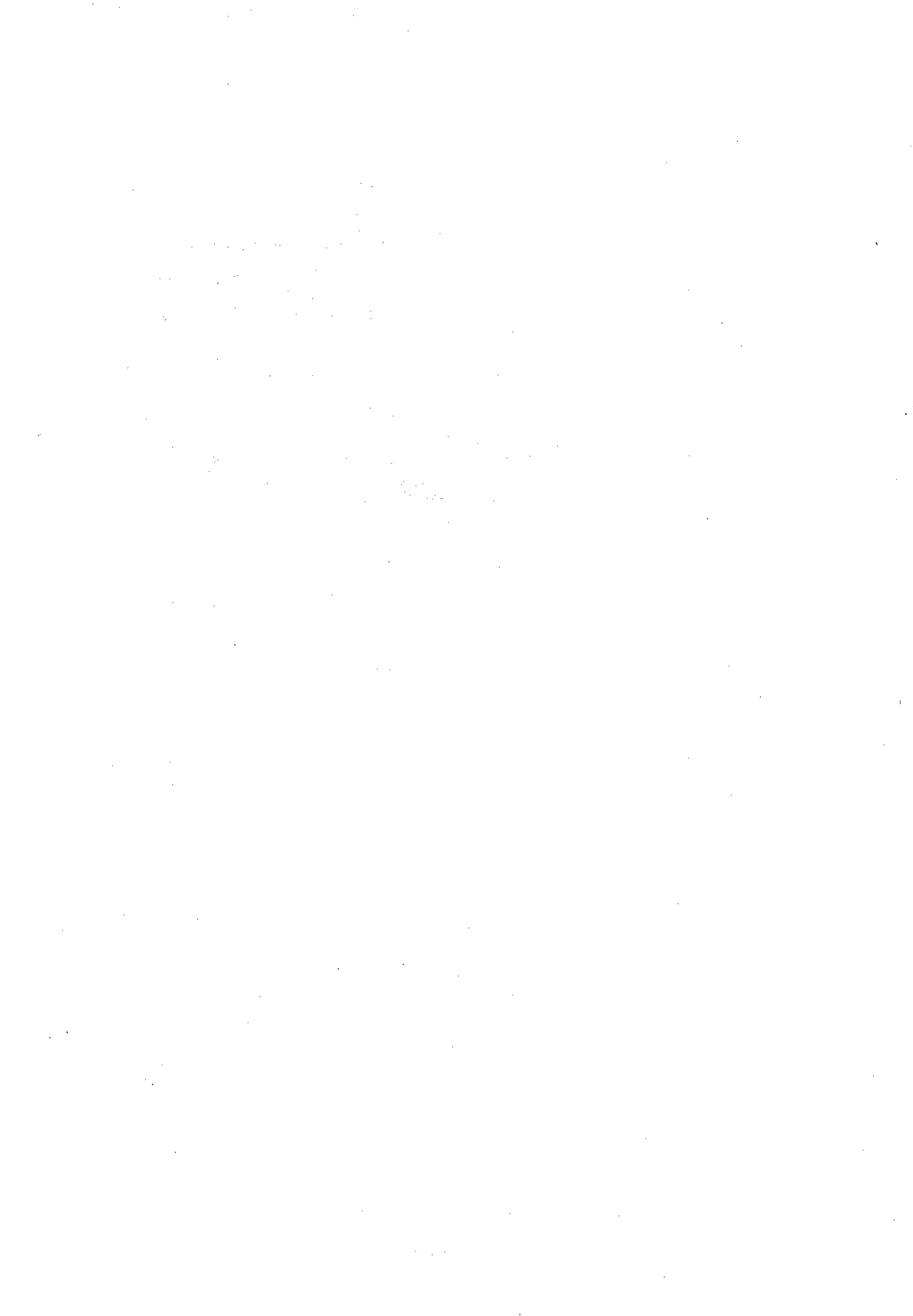
فهـــرست

●● الرسالة السابعة

فصل الخطاب في المرأة والحجاب



المحتـــوى :



« بين يدى الرسالـــة »

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعــد :
أفتتح حديثى فى هذه الرسالة بالسؤالين التاليين :
لماذا أكتب ؟ ولمن أكتب ؟ وأجيب فأقول :
أما لماذا أكتب ـ فان واجب البيان الذى أخذ الله تعالى على العلماء هو الـذى جعلنى أكتب ، قال تعـالى : **« واذا أخـذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتـاب لتبيننـه للنـاس ولا تكتمـونه »** [١] . وقال عز وجل **« ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئـك يلعنهم الله ويلعنهم الـلاعنـون الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم »** [٢] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار)[٣]

واما لمن اكتب ـ فانى اكتب للذين يؤمنون بالله تعالى ربا ، وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا ، سواء من كان منهم مؤمنا حقا وصدقا ، او ادعاء ونطقا .

---

(١) الاية ٨١ من سورة آل عمـران .
(٢) الاية ١٥٨ من سورة البقـرة .
(٣) رواه أحمد والحاكم وأصحاب السنن الأربعة وهو صحيح الاسناد .

فلولا واجب البيان ووجود مؤمنين ولو حكما ينبغى ان يبين لهم لما كتبت ، وذلك لعدم غناء الكتابة فى موضعى هذا الذى أردت أن أكتب فيه .

ولم يكن هذا عن يأس ، ولا ملال نفس ، وانما عن تجربة قاسية سبقت ، وحال مشابهة مضت ، ولو سئل الاعلام [1] وحقوق المرأة فى الاسلام لأجاب كل منهما وقال : ان قوما سحرتهم الحياة أو أسرتهم الشهوات لن تنفعهم المواعظ وان عظمت ، ولن تهديهم الدلائل وان ظهرت ، فهم الى قضاء الله سائرون ، والى منتهى أمرهم منتهون ، وما ظلمهم الله ، ولكن كانوا هم الظالمين .

---

١ ـ الاعلام وحقوق المرأة فى الاسلام للمؤلف مطبوعتان

« حقـــائق لابد من بيانهـــا »

الحقيقة الأولى : (سعادة الانسان فى هذه الحياة رهن عمله بمنهج الله تعالى فيها)

ان سعادة الانسان فى هذه الحياة الدنيا ، وهى أمنه وكرامته ، وتوفر غذائـه وكسائه وطيب مسكنه وسلامة عقله وبدنه ، وكمال خلقه وطهارة روحه ، هذه السعادة المنشودة لكل العقلاء من بنى الناس لا يمكن أن تتم للانســان بحـال إلا على طريق الاسلام الصحيح عقيدة وعبادة ، ايمانا وعملا صالحا ، كما ان سعادته فى الحياة الثانية وهى نجاته من النار ودخوله الجنة مع الأبرار ، لا يمكن أن تتم إلا على الإسلام الصحيح أيضا عقيدة وقولا وعملا .

ان كون سعـادة الانسان متوفقة على إسلامه لربه الاسلام الصحيح الذى يمثله الوحى الالهى فى كتاب الله وهدى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، حقيقـة ثابتـة ثبوت العقليات التى يستحيل دفعها أو رفضها ، واليقينيات التى يذعن العقل لها ويسلم الوجدان بها ، ولذا فإنا لا نطلب البرهنة عليها بأكثر من ايراد شاهد أو شاهدين من وحى الله تعالى عليها ، وذلك بناء على ان حديثنا هذا هو مع المؤمنين دون غيرهم فلذا يكفى صحة هذه الحقيقة واثباتها ايراد الشاهد والشاهدين فقط من الوحى الالهى كتابا كان أو سنة ، وهذا شاهد من وحى الله تعالى فى الكتاب ، قال تعالى : « **فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى** [1] » .

فاتباع الهدى هو الاسلام الصحيح عقيدة وقولا وعملا ، ونفى الضلال والشقاء مستلزم لاثبات ضدهما ، وهما الهداية فى الدنيا لكل ما يكمل المرء ويسعده والسعادة فى الآخـــــرة .

هذا ولو أحوج الأمر فى اثبات هذه الحقيقة الى دليل عقلى لكان ايراد الدليل الآتى كافيا فى ذلك :

---

(١) من سورة طه . آية (١٢٣) .

وهو- أى الدليل - ان السنن الكونية مسلم بها بين كافة العقلاء ، وانها لا تتخلف ولا تتبدل مالم يشأ الله تعالى تخلفها او تبدلها ، لأنه واضعها ، وواضع الشىء قادر على تغييره بلا منازع ، فالنار تحرق ، والماء يغرق ، والحديد يقطع سنن لا تتبدل ، ويوم شاء الله تعالى تخلف نتائجها تخلفت ، إذ النار القى فيها ابراهيم ولم تحرقه ، والماء دخله موسى مع بنى اسرائيل ولم يغرقوا فيه ، وأغرق به فرعون وجنوده أجمعون ، والمدية [١] التى وضع ابراهيم على رقبة اسماعيل الذبيح وامرَّها لم تقطع لأنّ الله تعالى لم يشأ ذلك .

من هذه السنن أن الاسلام الصحيح وضعه الله تعالى للاسعاد البشرى فى كلتا الحياتين ، فلا سعادة للانسان الا به و عليه فى الدنيا والآخرة على حد سواء وهذا دليل عقلى تذعن له العقول السليمة وتسلمه ، قال تعالى فى مثل هذه السنن « **فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا** » [٢]

وأخيرا ، هذا واقع الأمم اليوم والشعوب ، وقد بلغت فى الكمال المادى مبلغا لم تحلم به الانسانية قبل ، ولم يخطر على بال احد أن مثله يكون ، فأرونى أمة أو شعبا تحققت له السعادة المنشودة للانسان فى هذه الحياة والتى هى أمنه وكرامته وتوفر غذائه وكسائه ، وطيب مسكنه وسلامة عقله وبدنه ، وكمال خلقه وطهارة روحه وزكاة نفسه .

وما وجد لفرد أو جماعة أو شعب من شىء من هذه السعادة ، إنما كان له ذلك بقدر أخذه من الاسلام عقيدة وقولا وعملا .

الحقيقة الثانية : (عدو المسلمين من أنفسهم) :

ان هذه الحقيقة الثانية قد تبدو غريبة غير أنه بالنظر والتأمل فى قول

---

١ - المدية : السكينة ، هكذا روى والذى عليه المحققون أنه لم يكن امرارا للسكين ، وانما كان تهيء فقط وفداه الله تعالى قبل وضع المدية على عنقه فكان من النسخ قبل الفعل .

٢ - الآية ٤٣ من سورة فاطر .

الرسول صلى الله عليه وسلم فى صحيح مسلم من كتاب الفتن (إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وانى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة بعامة ، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وان ربى قال : يا محمد انى اذا قضيت قضاء فانه لايرد ، وانى اعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم ليستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، أو قال : من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا » .

انه بالنظر الصحيح فى هذا الحديث الشريف وبالتأمل البصير فيه تزول الغرابة عن هذه الحقيقة ، وهى أن عدو المسلمين من أنفسهم لا من غيرهم ، وليس معنى هذا أنه لا يكون للمسلمين عدو من غير أنفسهم يريد استذلالهم واستغلالهم والتسلط عليهم والتحكم فيهم أو يريد افناءهم والقضاء عليهم ، اذ الحديث الشريف يثبته ، وانما لايكون الا بعد ان تنحرف أمة الاسلام عن جادة الحق ، وتعيش فى أودية الباطل والضلال فتفسق عن أمر الله وتخرج عن طاعته ، فتختلف وتتقاتل حتى يقتل بعضها بعضا . ويومئذ يسلط الله تعالى عليها عدوا من سوى نفسها فيستبيح بيضتها كالذى تم لها بالفعل فيما مضى وكالذى ينتظرها فيما يستقبل إن لم تعد الى الجادة وتستقم على منهج الله ، كما يريد الله .

ان التدليل على اثبات هذه الحقيقة لفى الواقع الذى عاشته أمة الاسلام ولا يستطيع أحد انكاره ، انه من يوم أن ذبحت خليفتها ، وقاتلت امامها ، وفرقت كلمتها ومزقت دولتها ، وهى تعانى الآلام ، وتتجرع الغصص حتى سلط الله عليها عدوا من سوى نفسها وهو الاستعمار الغربى ، فاستباح بيضتها واستحل حرماتها ، وملك عليها أمرها وبلادها وسامها الخسف .

فقضت فترة طويلة وهى مغلوبة على أمرها مثخنة بجراحاتها تعسة بوجودها ، محكومة بسلطان عدوها ، وما كان ذلك ليكون لولا الانحراف والفسق . الانحراف فى العقائد والفسق عن الشرائع ، وما ظلمهم الله ، ولكن كانوا هم الظالمين .

الحقيقة الثالثة : (لما عادت أمة الاسلام الى الله تعالى عاد الله اليها) :

انه بعد مضى فترة من الزمن طويلة عاشتها أمة الاسلام مبتذلة مستغلة يتحكم فيها الكفر والكافرون عرفت أن محنتها أتتها من نفسها ، وأن طريق خلاصها من محنتها فى العودة الى ربها ، فصاح العلماء مطالبين بالعودة الى الاسلام الصحيح . واستجابت امة الاسلام فى شتى بلادها وأقبلت على ربها فجاهدت واستشهدت وأخذت تتحرر وتستقل فتكونت مجموع من الدول الاسلامية وظهرت على سطح المعمورة كيانات اسلامية . من بينها دولة الملك عبد العزيز ـ غفر الله له ورحمه آمين ـ واخذت تظهر لأمة الاسلام دول هنا وهناك حتى تم تحرير كل بلادها من سلطان عدوها ـ باستثناء فلسطين لما لها من واقع خاص وهو وضع استثنائى لايشبه به ويقاس عليه [١] ، وكان تحرير أمة الاسلام واستقلالها ثمرة طيبة لعودتها الى ربها ، اذ تلك العودة الصادقة هى التى نفخت روح الكفاح وسهلت البذل والعطاء ، والجهاد والاستشهاد ، فبذلت الأمة وأعطت وجاهدت واستشهدت حتى استقلت وتحررت .

وهكذا لما عادت أمة الاسلام الى الله تعالى بالايمان وصالح الأعمال عاد اليها فخلصها وحررها ، وصدق الله العظيم القائل : « **عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا** » [٢] .

---

١ ـ الذى أراه فى قضية فلسطين : أنها فتنة امتحن الله تعالى بها العرب ليتوبو اليه ويعودوا الى كتابه وشرعه بعد فسقهم وانحرافهم .

٢ ـ الآية وان كانت فى بنى اسرائيل فانها صالحة للاستشهاد بها ، ان أمة الاسلام أولى بالرحمة ، ومن عاد الى الله بالتوبة عاد إليه بالقبول ، ومن عاد الى المعصية عاد الله اليه بالعقوبة ان شاء وهو على كل شىء قدير .

الحقيقة الرابعة : (كفر النعم مؤذن بزوالها) :

ان تخلص المسلمين من سلطان المستعمر الكافر ، وتحررهم من حكمه الجائر يعتبر نعمة من أجل النعم وأتمها ، امتن الله بها على الأمة الاسلامية اذ نجاهم من حكم الغرب المستعمر الذى كان يسومهم سوء العذاب ، كما منَّ ذلـك على بنى اسرائيل إذ قال : « وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب » وكان المفروض فى المسلمين أن كل دولة تتحرر ، وقد تحرروا تباعا ، واحدة بعد اخرى ـ أن ينشئوا الدولة الاسلامية الموحدة بقيادة (المملكة العربية السعودية بحكم مركزها الدينى) وذلك لأمـــرين :

الأول : تقوية لجانب الدولة الاسلامية الوحيدة الموجودة يومئذ .

الثانى : لتحتمى بها وتطبق شريعة الله معها ، ويكون هذا شكرا لله تعالى على نعمة الانعتاق والتحرر من سلطان الكفــر .

غير أن الواقع المر والمؤسف والمؤلم ايضا أن كل دولة تتحرر أخذت تتقوقع على نفسها وتكون لها ذاتا مستقلة عن الدولة الاسلامية الموحدة ، فنجم عن ذلك ضعف هذه الدويلات المستقلة ، وبعدها عن شرع الله تعالى ومع ذلك لم يعاجلهم بالعقوبة بل أمهلهم ، وهذا عائد الى حلمه تعالى وحكمته ، ولكن الاهمال أو الانتظار ليس معناه الترك .

ولـذا فان ساعـة قريبـة تنتظرهم ، فيحيل نعماءهم بأساء وسعادتهم شقاء ، فيسلبهم ما أعطاهم ، لأنهم ما شكروا ، فيوقعهم عز وجل فى أحـد الـدركين ، درك المسخ أو النسخ ، فانه ان سلط عليهم المعسكر الصليبى المتهود مسخهم فلم يبق لهم ذاتا يتميزون بها ، ولا كرامة من خلق أو دين يعتزون بها فيفقدون لغتهم ودينهم بعد أن يفقدوا استقلالهم وحكمهم وهـذا هو المسـخ المبين ، وأن سلط عليهم المعسكر الشيوعى مسخهم مسخا كاملا فحولهم الى مقاطعات تابعة للجمهوريات السوفياتية

فلم يبق لهم ذاتـا ولا صورة ولا تاريخـا ولا لغـة ولا وجـودا كما فعـل بالجمهوريات الاسلامية السابقة حيث يعبث بها السوفييت ويسخرها كما يشاء .

هذه حقيقـة يجب أن تعلم ، وعلى المسلمين إن أرادوا نجاتهم اذا لم يصروا على الانقسام والفرقة والكفر بنعمة الله عليهم أن يعترفوا بها وان يعملوا على تفـادى هذا الخـطر باجتماعهم على الحق وسيرهم فى منهاجه بتكـوين الـدولة الاسلامية الواحدة التى يحكمها الشرع ويسوسها نظام الاسلام الحكيـــــــم .

الحقيقة الخامسة : (عداء ظالم للدولة الأم) :

ان من المسلم به لدى المـراقبين لأحوال الأمة والدول الاسلامية أن الـدولـة الاسـلامية التى أنشئت على أسس اسلامية بحتة وتحكيم نظام الاسلام فى مجالات الحكم والادارة وتنفيذ أحكام الله تعالى فى عباده على الوجه الذى يرضيه ، هى الدولة السعودية التى كونها الملك عبد العزيز آل سعـود كما أن من المسلم به أيضـا أن هذه الـدولـة تحقق لها من الأمن والطمأنينة ما لم يتحقق لغيرها من الدول المعاصرة ، فكان الواجب والحال ما ذكر أن تتحد هذه الكيانات الاسلامية مع الدولة الأم فتطبق شريعة الله وتحكم بينهم كتاب الله فى شئون الحياة السياسية أو على أضعف الوجوه اعتبارها قدوة وأسوة والعمل على تنسيق السياسات الداخلية والخارجية مع الدولة الاسلامية الواحدة كما حدث أخيرا فى مجلس التعاون الخليجى .

غير أن الواقع المؤسف أن هذه الشعوب التى تحررت بالايمان والجهاد لتصبح عضوا فى جسم دولة الاسلام يمدها بالقوة والحيوية . رأيناها كلما تحرر منهـا شعب ولى وجهه شطر الشرق أو الغرب معرضا عن الاسلام ودولته وحكمه ونظامـــه .

ويا ليت الأمر وقف عند عدم الاتحاد مع الدولة الاسلامية الموحدة بل

تعـداه الى ما هو أسـوء وهـو انتقاد آسلوبها فى حياتها الاسلامية وتأليب الأعداء عليها كانهم يريدون منها أن تسقط تحكيم الشريعة المحمدية فى سياستها الداخلية والخارجية لتسقط كما سقطوا وتهبط الى حضيض الشر والفساد كما هبطوا ، ويومئذ تفرح روما وتزغرد موسكو ، وأن بكت مكة وتوجعت المدينة ، إذ لم يكن للاسلام فى دنيا الناس الا هذه الدولة التى أوجدها الله تعالى ليقيم بها الحجة على خلقه فى أن القرآن مازال كما نزل صالحا ، تطبيق مافيه من أحكام وسياسات شرعية تكسب الخير وتورث العـزة والكـرامـة ، والسؤال المحير فى هذا الباب . هو هل هذه الأرادة الشريرة نابعة من نفوس أصحابها ؟ أو هى مملاة عليهم من قبل معسكرات أعداء الاسلام .

وقد لا نجانب الصواب ان قلنا : انها مزدوجة نابعة من نفوس البعض ومملاة على البعض الآخر ، ولذلك علتان :

الأولى : الحسد ـ وكل ذى نعمة محسود .

الثانية : الخوف على المصالـــح .

فالحسد يحمل البعض على كراهية الدولة الاسلامية ، وعلى انتقاصها لأجل ما تتمتع به من أمن وطمأنينة ومكانة مرموقة بين الأمم ، والخوف على المصالح من قبل أعداء الاسلام الشيوعية والصهيونية والصليبية الحاقدة عليهم على الكيد والمكر والدس والخداع من أجل الابقاء على مصالحهم فى بلاد المسلمين ، اذ قوة الشر الكافرة ما برحت تتوجس خيفة من عاقبة الـدولـة الاسلامية التى دستورها القرآن وعقيدتها التوحيد أن تقتدى بها الشعـوب الاسـلامية فى تحكيم الشريعة ، وفى الانضمام الى الدولة الأم لاحياء الخلافة الاسلامية قوية فى القرن العشرين .

وحسبنـا دليلا على هذه الحقيقـة وثبوتها ما سمعناه ونسمعه من أفواه الكثيرين وما قرأناه ونقرأه من كتب وصحف كثيرة .

وما العداء للاسلام لصرف الانظار عن دولة الاسلام وابعاد المسلمين

عن الاقتداء بها إلا محاولة الحفاظ على مصالحهم المادية ، وهو عداء ظالم لدولة الاسلام التى ما قصرت يوما ما فى نصرة المسلمين ولا تعرضت يوما بسوء للاسلام او المسلمين .

الحقيقة السادسة : (وجوب نصرة الدولة الأم على كل مسلم ومسلمة اليوم) :

هذه آخر الحقائق الست التى لابد من معرفتها وهى أنه يجب على كل مسلم ومسلمـة فى دنيا الناس اليوم نصرة قيام الدولة الاسلامية الموحدة بقيادة المملكـة السعودية والوقوف الى جنبها ، لأنها دولة الاسلام ، وما للاسلام والمسلمين غيرها ، إذ هى الدولة التى تحكم الشرع الاسلامى ، وتـدعـو الى تحكيمـه وتمثـل الاسلام وتدعو اليه عقيدة وعبادة وتحكيما ، فنصرتها لذلك واجبــة .

إن من الواجب موالاة دولة تحمى الحرمين ، وتنصر المسلمين وتحكم الاسلام وتدعو إلى تحكيمه ، دولة معاداتها ، والعمل على إفسادها أو اسقاطها ، وانتقاصها والطعن فيها جناية على أمة الاسلام لأنها تمثل قبلة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

ان واجب كل مسلم داخل هذه المملكة الاسلامية أو خارجها أن ينصر هذه الدولة ولا يخذلها ، فان لم يجد ما ينصرها به ، وهو داخلها ، فليكف عن معصية الله تعـالى ورسوله فيها فيكون ذلك من نصرته لها وان كان خارجها ولم يجد ما ينصرها به كف لسانه عنها فلم يذكرها بسوء ، فذلك من نصرته لها كل هذا لأنها المملكة الاسلامية المتبقية للاسلام والمسلمين فى عالم تسوده الفتن ، اللهم انصرها بالاسلام ، واجعل لها من لدنك وليا ونصيــــــرا .

المـــــــرأة

من هى المراة ؟

انها أخت الرجل وأمه وبنته وجدته وخالته وعمتـــه .

انها لو لم تكن لما كان [١] الرجل ، فما أحوج الرجل اليها ، وما أفقره الى مثلها انها أم الأنبياء والمرسلين ، ووالدة العلماء والصالحين انه ما من عظيم من عظماء الـرجـال الا والـمـرأة أمه ووالدته وفوق هذا إنها أمة الله تعالى وعابدته ، من أذاها آذانه بالحرب فليحمل سلاحـــــــه .

هذه هى المرأة فى علياء كرامتها ، وسماء مجدها وفلك شرفها فمن يقدر على أن ينزلها منها و يجردها من ثوب مجدها ودرع شرفهـــا ؟ .

حقـوق المرأة المسلمة :

* أن حقـوق الـمـرأة ثابتـة لها ثبـوت رواسى الجبال فمن يقوى على انتزاعها منها أو اهدارهالهـــا ؟

* ان الحياة حق من حقوقها من أراد سلبها حياتها سلبت حياته قبلها .

* ان الـطهـارة بنـوعيهـا الحسية والعضـوية حق من حقـوق الـمـرأة المسلمة ، فمن أراد تلويثها بدنس الجريمة أو تخبيثها بقذر الاثم فقد ظلمها .

ان الحياء والاحتشام زينة المرأة المسلمة وحق من حقوقها ، فمن أراد سلبها ذلك لتعرو من جمالها وتعطل من زينتها فتصبح صفقة شوهاء ، فقد اعتدى عليها وظلمها .

---

١ ـ اعنى بالرجل ماعدا ادم عليه السلام من سائر الرجال .

* ان صنع البنين والبنات انماء للحياة وطرد لبقائها الى أجلها المحدود لها حق من حقوق المرأة الخاصة بها ، فمن أراد تعويقها عن صناعتها أو اضعاف انتاجها منها بسفاح أو اجهاض أو جب [1] فقد ظلمهـــــــا .

* ان تقرب المرأة المسلمة الى ربها وتزلفها الى مالكها بفعل الصالحات وترك المنكرات طلبا لنجاتها ، والفوز بجوار ربها فى دار الكرامة حق من حقوق المرأة ، فمن أراد صرفها عن ذلك أو منعها منه فقد ظلمهـــــــا .

* ان تملك المرأة للمال صامته [2] وناطقه ، وتصرفها فيه أو انفاقه فى غير اسراف ولا معصية لله حق من حقوقها ، فمن نازعها فيه فقد ظلمهـــا .

* ان انفاق الوالد على ابنته ، والزوج على زوجته ، والولد الراشد على أمه وجدته حق ثابت شرعا وعرفا للأنثى وهى بنت وزوجة وأم وجدة ، فلا تحتاج معه وهى تملكه الى التصعلك ومزاحمة الرجال طلبا للقوت ، فمن أنكر هذا الحق عليها او نقصها اياه فقد ظلمها .

* ان تحلى المـرأة لزوجها بشتى انواع الحلى ، وتجملها له بأنواع من التجميل حق من حقوقها الثابتة شرعا لها ، فمن أراد منعها من ذلك فى غير أيام حدادها على زوجها فقد ظلمها .

* ان تعلم المرأة المسلمة لكتاب ربها وسنة نبيها والتفقه فى مسائل دينها ومعـرفة أحكام شرع ربها وتعلم ما يساعد على تحقيق ذلك طلبا للنجاة والكمال والسعادة فى الحال والمآل حق من حقوقها ، فمن نازعها فيه أو أراد منعها منه فقد ظلمهـــا .

---

١ - الجب القطع ،
والمراد منع الحمل باستعمال الحبوب الخاصة لذلك او بقطع الرحم واستئصاله منعا للحمل والولادة .

٢ - المراد بالمال الصامت
ما كان ذهبا أو فضة أو عقارا والمراد بالمال الناطق ما كان حيوانا كالغنم والابل والبقـر .

* ان خروج المرأة باذن زوجها أو وليها لزيارة أقاربها ، أو للصلاة فى بيت ربها حق من حقوقها المقررة شرعا لها ، فمن نازعها فيه فقد ظلمهـــــا .

* ان طلب المرأة المسلمة العلاج فى مرضها ولو أدى الى عرض نفسها على طبيب رجـل فى صحبـة زوجها أو وليها حق من حقوقها الشخصية المعترف بها شرعا فمن منعها منه فقد ظلمهـــا .

* ان طلب المـرأة المسلمـة الـطلاق وتمكينهـا منه عند اساءة الزوج بتعذيبها أو حرمانها من حقوقها الزوجية حق من حقوق المرأة المسلمة ، فمن أنكره عليها أو حاول حرمانها منه فقد ظلمهـا .

* ان عمل المرأة الفقيرة بترميل أو بيتم أطفالها ولا غنى لها من مال أو أب أو أخ ، عملها بعيدة عن الرجال لتكتسب لنفسها ويتاماها حق من حقوقها ، فمن نازعها فيه فقد ظلمهـــا .

وبعـد : فهـذه حقـوق المـرأة المسلمـة ، وتلك كرامتها ، فهل ترى الاسـلام منعهـا شيئـا من حقـوقها ، أو أهدر لها جانبا من كرامتها . . اللهم . . لا . . لا .

اذا فما هذه الدعوى الماسونية اليهودية القائمة فى بلاد المسلمين والمطالبة بحقـوق المـرأة ؟ أم هنـاك حقـوق غير ما ذكـرنا ؟ نعم . . أنهم يعنون بحقـــوق المرأة .

المساواة ـ أى مساواتها للرجل ، وفيما ذا ؟ فى الارث وعصمة الزواج والاختلاط والعمل العام ، والوظيفة الخاصة والعامة معا ، ومعنى هذا أنه الكفـر بالله ورسوله وشرعه وهذا الذى تسعى إليه الماسونية اليهودية وهو هدفها الأكبر الذى لم تبرح على تحقيقه مهما طال العمل وشق ، غير أنه كفر لاشرف فيه ولا كرامة ، إذ من الكفر ما فيه شرف وكرامة ، وهذا الكفر لا يريدونه للمسلمين ، اذ غرضهم فى اقامة مملكة إسرئيل فى العالم لايتحقق مع وجود كرامة آدمية وشرف انسانى من عزة وصدق ووفاء ورجولة وعزة

نفس ، وانما يتحقق مع الدياثة والتخنث والاباحية وحكم المرأة وتحكمها فى الرجل ، وما الى ذلك مما يقضى على الشهامة فى الرجل والغيرة والمروءة عنده .

وقولنا فيما يريدون المساواة فيه مع الرجل : انه كفر بالله ورسوله وشرعه هو كما قلنا لان المساواةفى الارث ، وعصمة الزواج والاختلاط والعمل العام والولاية الخاصة لاتتم الا بمحو آيات الارث والنكاح والحجاب من الكتاب الكريم ومحو آيات قرآنية تمثل حظا كبيرا من القرآن كفر باجماع المسلمين .

انهم لايقولون : اكفروا أيها المسلمون ، لانهم يخافون من غضبة المسلمين لو واجهوهم بالأمر بالكفر صراحة ، لأن فى المسلمين بقية خير ، ويوم تهلك هذه البقية لاقدر الله سوف ينفذون مخططهم بالحديد والنار كما فعل عملاؤهم [1] الشيوعيون فى روسيا والصين ، وما ينبغى أن يلفت النظر إليه هو أن دولة الاسلام الأم كما سميناها وهى هذه المملكة الاسلامية حماها الله من لوث اليهودية ووقاها شر الماسونية ، هى الربوة الطاهرة والجبل الأشم التى بقيت صامدة صابرة فى وجه الأطماع الماسونية وعملائها لم ينالوا منها منالا ، ولم يحققوا فيها آمالا على كثرة الجهود المبذولة منذ نشأة هذه الدولة لتوهينها وكسر قرونها وسحبها الى مطرحة الجيف فى العالم ، وهى الدول التى كفرت بالله ، وأعرضت عن ذكره وتنكرت لشرعه وهداه .

والسؤال المطروح الآن هى : هل أيست قوى الشر التى سخرتها الماسونية اليهودية من النيل من دولة الاسلام ، فتركتها ولم تصبح تغرى بها سفهاءها ولا تشلى عليها كلابها ؟

---

١ ـ اقول عملاؤهم لأن الشيوعية فكرة يهودية ماسونية او جدها علماء اليهود ونظراؤهم فى العالم للتعجيل بمسخ الانسانية والقضاء على قيمها من الكرامة والرجولة والخلق والتدين حتى يسهل عليهم امر إعادة مملكة اسرائيل ، وقد نجحوا فى هذا المضمار نجاحا كبيرا ، اذ أوربا العدوة لليهود أصبحت بقرة حلوبا لهم الا فليعلم هذا . .

والجواب الصحيح : انها ما أيست من النيل منها ، ولا من دول العالم الاسلامى التى انسلخت من الاسلام ودارت فى فلك الكفر والكافرين .

وللتدليل على صحة عدم يأس الماسونية من النيل من دولة الاسلام ، وأنها تبذل جهودا كبيرة فى سبيل هدم هذا المعقل الاسلامى المتبقى للاسلام والمسلمين فى دنيا الناس أجمعين ـ أذكر أن الحملة الصحفية المركزة التى تقوم بها الصحف والمستهدفة المرأة السعودية وحجابها وطهارتها لأثر ظاهر من آثار العمل الماسونى الجاد للنيل من دولة القرآن حماها الله .

وان المطالبة بفتح مجالات مشبوهة لنشاطات المرأة . وأن فكرة البنك النسائى ، والنادى الرياضى النسائى ، والصحافة النسائية يتلاقى مع الاستراتيجية الماسونية للهدم والتخريب وان لم يقصد كتابنا ـ هداهم الله ـ ذلك ولم يخطر لهم على بال ، غير أنه من الجائز أن يؤثر السحر الماسونى فى الفرد فيعمل فى الخط الماسونى وهو لايشعر وعلى سبيل المثال : أذكر أن احدى صحفنا انتزعت فتيا من جهة مسئولة بجواز نظر الخطيب الى خطيبته ، فصاغت الصحيفة الفتيا فى قوالب كلامية مثيرة ومهيجة ووالله ما أن قرأت تلك العناوين حتى علمت أن الماسونية ستستفيد منها لأنها تسير فى الخط الماسونى بلا التواء ولا تعريج ، وما راعنى الا وكتاب من بلد عربى يرد علي يحمل العبارات التالية : أحق ما نشرت جريدة كذا . . من أن العدل السعودى والافتاء يجيزان لقاء الخطيب بخطيبته ، فأجبت السائل بأن المسأ لة من باب « حق أريد به باطل » فجواز نظر الخطيب الى من يخطب ليكون أدعى للمودة وأدوم لها أمر مجمع عليه بين المسلمين ، وذلك لاذن الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك غير أن الكاتب ما أراد ما أراده من أفتاه ، الكاتب يريد مطلق لقاء بلا قيد ولا شرط فقد يلقاها منفردة فينظر اليها وقد يصحبها لذلك ويخلو بها أياما أو شهورا ، وهذا لم يرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما المراد لله ورسوله والمؤمنين ان يجلس الخاطب مع ولى المخطوبة وتمر الفتاة المخطوبة بين أيديهما فيرى

منها الخاطب ما هو فى حاجة الى معرفته من قصر وطول ، بياض او سواد ، سمن أو هزال ، جمال أو دمامة ثم لايراها بعد الا أن يقدر بينهما زواج فيراها عندما يعقد عليها عقدة النكـــاح .

ولما كان هذا الأمر معلوما بالضرورة جوازه ، علمنا أن السؤال عنه وانتزاع فتيا به لم يكن عن حسن قصد ولا عن صلاح نية ، وانما لغير ذلك وهو البحث عن سبيل تمكن القوم من الاختلاط المريب بحجـة « جواز لقاء الخطيـــب لخطيبته » .

ولذا ، ما أن نشر المقال حتى تجاوب معه هواة السفور ودعاة الاختلاط وفرحوا به ، بل واحتجوا على المسلمين به ، وقالوا : هذه السعودية دولة الاسـلام عدلهـا وافتـاؤها ، الكل يجيزون لقاء الخطيب بخطيبته ، فلم تمنعونه أنتم أيها المتزمتـــــون .

وفـذلكـة هذا الحديث أن الماسونية عدوة الاسلام والانسانية لم تكن لتيأس من النيل من دولتنا ولم تكن لتهادننا مهما كان الثمن غاليا ، فلذا فان الـواجب على حماة هذه الـدولة ورجالها الصادقين أن يفتحوا أعينهم وأن يضـاعفـوا جهـودهم ويواصلوا سهـرهم حتى لا يمكنوا دعاة الاختلاط والسفـور من النيل من دولـة القـرآن أى نيل ، والله معهم وناصرهم ، وليعلموا أن المسلمين قد صحوا بعد نومتهم ، وأن الحجاب قد أخذ يعود من جديد لديار الاسلام . فان الطالبات كغيرهن فى بلاد كثيرة كالمغرب والجزائر وتونس ومصر قد أصبحن يرتدين الزى الاسلامى ويظهرن ذلك بفخر واعتزاز ، وعليه فلنصبر على حجاب نسائنا حتى يعود الركب الينا وتسير قافلة الاسـلام الى المجـد والخلود . . والخيبـة والـويل للماسونية وعملائها فى ديار الإسلام وفى غيرها الى اليوم الوعود

● ● ●

« الحجـــــاب »

بعد تعريفنا بالمرأة وحقوقها ، وما قدمنا من حقائق هامة وما استطردنا من مسائل ذات بال نعود الى القول فى الحجاب فنعرفه أولا ، ثم نذكر مشروعيته ثانيا فنقول :

إن الحجاب معناه حجب المرأة المسلمة من غير القواعد من النساء عن أنظار الرجال غير المحارم لها ومدلول لفظ الحجاب أوسع من هذا المعنى ، إذ يطلق لفظ الحجاب ويراد به الساتر والمانع ، ومنه سمى حاجب العين حاجبا لأنه يمنع العين من أغلب الاصابات ، وسمى حارس السلطان حاجبا لأنه يمنع من الدخول عليه الاباذنه خشية الأذية تصيبه ، وحاجب الشمس هو ما يبدو عند طلوعها أو غروبها من قوس منحن كأنه حاجبَ عين الانسان وبعض العوام يطلقون لفظ الحجاب على الحرز يكتب للمنع من العين أو الجان وهو ادعاء باطل وعمل لايجوز .

مشروعيـــــة الحجاب :

انـه لما كانت فاحشة الزنى من أخطر الفواحش وأكثرها ضررا بالهيئة الاجتماعية وأكبرها تلويثا للروح الانسانية وأعظمها افسادا للأعراض والأموال والابدان حرمها الشارع تحريما قاطعا،لامجال للشك فيه أو الارتياب ، اذ نصوص تحريمها صريحة واضحة لاتحتمل غير التحريم التام ، قال تعالى : « **ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا** » ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » [١] ، ولما كانت العقوبة بالموت خطيرة

---

١ ـ هذا بعض حديث رواه مسلم وغيره ونصه
(خذوا عنى ، خذوا عنى ، قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر .. الخ) .

اذ هى من أقسى العقوبات شرع الله تعالى رحمة بعباده المؤمنين عدة وسائل وقائية من شانها أن تحول دون وصول العبد الى فاحشة الزنى ذات الخطر الكبير والعقوبة الاكبر .

ولنـذكر هذه الوسائل هنا مجملة ليقف القارىء عليها ، ومنها يعرف الحكمة فى مشروعية الحجاب فلا ينكره بعد ولا يستهجنه بل يحبذه ويعترف بصلاحية مشروعيته ، فيؤمن به ويسلم للشارع فيه ، وهذا هو القصد المتوخى لنا من هذه الرسالة .

ومن تلك الوسائل التى تضمنها سورة واحدة من كتاب الله تعالى وهى سورة النور ، وذكرت فيها متسلسلة الواحدة تلو الواحدة دلالة على خطرها وكبـير تأثـيرها فى مقاومة فاحشة الزنى والحيلولة دون وقوعها فى المجتمع الاسلامى مجتمع الطهر والصفاء .

١ ـ الحكم بجلد الزانى البكر والزانية مائة جلدة مع تغريب [١] عام قال تعالى « **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** » ـ النـــــور .

٢ ـ المنع من نكاح الزانية قبل توبتها ، وكذا انكاح الزانى قبل توبته اخـذا بالحيطة اذ من اعتـاد الفـاحشـة لا يأمن ان يعاودها ، قال تعالى « **الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين** » ـ النور .

٣ ـ مشروعية حد القـذف وهـو رمى الفـرد المسلم بكلمة الفاحشة واتهامه بها قال تعالى « **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون** » وعليه فمن قذف امرأة مؤمنة عفيفة أو مؤمنا عفيفا بكلمة

---

١ ـ التغريب مشروع بالوحى الثانى وهو السنه .

الفاحشة وجب عليه أن يحضر أربعة شهود على صحة ما قاله أو يجلد حدا على ظهره ثمانين جلدة مع اسقاط عدالته حتى يتوب توبة نصوحا .

٤ ـ مشروعية اللعان ـ وهو أن يرمى الرجل امراته بالفاحشة ولم يكن له شهود يشهدون على صحة دعواه فان عليه ان يلاعنها أمام القضاء ابراء لساحته من التلوث وعليها أن ترد لعانه تطهيرا مما لاثها من الرمى بالفاحشة ، قال تعالى « **والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة احدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة ان لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين ، ويدرؤ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها إن كان من الصادقين** » النور ٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩ .

٥ ـ وجوب حسن الظن بالمؤمن فمن حدثه أن فلانا أو فلانة فعل كذا وجب عليه أن يرد عليه قائلا هل تستطيع أن تأتى باربعة شهداء ؟ اذا فهذا إفك مبين ، قال تعالى : « **لو لا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ، وقالوا : هذا إفك مبين ، لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء** (١) » .

وعلة هذا وما سبقه هو مطاردة الفاحشة من الألسنة حتى لا تتسرب الى القلوب فتعمل فيها حتى تسيطر عليها وعندئذ تمثلها الجوارح فى حيز الوجود والعياذ بالله تعالى .

٦ ـ تحريم مجرد الرغبة فى ظهور الفاحشة بين المؤمنين ، وهذا مطاردة للفاحشة من القلوب حتى لاتنتقل الى الجوارح قولا أو عملا ـ والعياذ بالله تعالى ـ قال تعالى : « **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمـــون** » .

(١) هذا وأن نزل فى براءة أم المؤمنين من الإفك فإنه أدب عام لسائر المسلمين وشرع لا يختص بواحد دون آخر ، إذ العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب .

٧ - تحريم اتباع خطوات الشيطان فى طريق الفاحشة ، وذلك بعدم الاصغاء الى ما يلقى الشيطان فى النفس من تزيين الفاحشة والتفكير فيها ، والسير فى سبيل الوصول اليها بالقول أو الفعل ، قال تعالى « **يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر** » .

٨ - وجوب الاستئذان عند ارادة دخول بيوت المؤمنين كيلا تقع عين المؤمن على امرأة غافلة فى البيت فيسبب ذلك فتنة قد تؤدى الى الهلاك التام ، قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا** [١] **وتسلموا على أهلها ، ذلك خير لكم لعلكم تذكرون** » .

٩ - وجوب غض بصر الرجل عن النظر الى المرأة الأجنبية عنه ، وغض بصر المرأة عن النظر الى الرجل الأجنبى عنها ، لأن النظر بريد الزنى - والعياذ بالله تعالى - قال تعالى : « **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** » ، **وقال** : « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن . .** » **الآيات** .

١٠ - تحريم ابداء المرأة زينتها لغير محارمها من زوج أو أب وولد ومن اليهم من المحارم ، قال تعالى : « **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن . .** » الآيات .

١١ - منع المؤمنة من احداث صوت بحليها يسمعه الرجل خشية أن يسبب لهم « **حديث نفس فينتقل إلى فكرة قد يطلب تحقيقها فى الواقع والعياذ بالله** » ، قال عز وجل : « **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** » .

١٢ - وجوب تعاون المسلمين على تزويج عزابهم من نساء ورجال حتى

---

(١) الاستئناس : هو الاستئذان .

لايبقى فى القرية أو الحى عازب تخشى فتنته ، قال تعالى : « **وانكحوا الأيامى منكم** » والأيامى : جمع أيم ، وهو من ليس متزوجا من ذكر أو أنثى فالرجل أيم والمرأة أيم اذا لم يكن لهما زوج .

وبعـد : فهذه اثنتا عشرة وسيلة شرعها الله تعالى وأمر عباده المؤمنين باستعمالها طاعة له عز وجل والمراد منها : منع وقوع فاحشة الزنا بين المؤمنين والمؤمنات ابقاء على طهر مجتمعاتهم وصفاء أرواحهم ، وما الحجاب الا وسيلة اخرى من جملة الوسائل المتعددة شرعه الله تعالى للوقاية من وقوع الفاحشة ، ولما شرعه تعالى أصبح حكما شرعيا يجب على المؤمن والمؤمنة معا احترامه وتنفيذه طاعة لله تعالى .

غير أن وسيلة الحجاب تعتبر من أنفع الوسائل وأقواها فى منع الفاحشة بحيث لو لم يأمر الله تعالى بها لكان العقل يأمر بها ويوجبها ، وذلك لأن غض البصر واجب والزنى حرام والمؤمن مأمور بأداء الواجب وهو غض بصره والامتناع عن الحرام وهو حفظ فرجه عن الزنى ، فعلى المؤمن إذاً أن يبحث عن وسيلة تمكنه من طاعة ربه تعالى فى امتثال امره واجتناب نهيـــه .

وما هو بواجد وسيلة اجدى ولا أنفع من الحجاب بعد العمل على ابعاد المرأة من ساحة الرجال ، والرجل من ساحة النساء ، وان اضطرت المرأة لان تمر بساحة الرجال مرة فى اليوم أو الاسبوع أو الشهر خمرت وجهها. ومرت فى طريقها آمنة من الفتنة مأمونا منها ، وذلك بفضل الحجاب أما أن يؤذن بالاختلاط وكشف وجوه النساء ومحاسنهن ، ثم يؤمر العبد بغض بصره وحفظ فرجه فهذا تكليف بما لايطاق ، وهو ما خلت منه شرائع الله تعالى . ولـذا فالاختـلاط بوجـود النساء مع الرجال فى الأماكن العامة والخاصة وبدون ستر الوجوه والمحاسن من النساء لم يكن من شرع الله تعالى أبدا وانما هو من شرع الشيطان عليه لعائن الرحمن نعم قد يقع الاختلاط بقلة فى أحـوال خاصـة فيمكن معـه غض البصر من المؤمن والمؤمنـة اذ

الاختـلاط النـادر يسهـل على المرأة معه أن تخمر وجهها وتغض بصرها بخلاف الاختلاط الدائم أو المتكاثر ، فان التستر معه كغض البصر مما يتعذر ، ولا يمكن وقوعه ، عرف هذه الحقيقة سلف هذه الأمة وصدرها الصالح ، فحالوا دون اختلاط النساء بالرجال ففى المساجد خص النساء بأواخرها وفى البيوت جعل للرجال مجالس وللنساء مجالس اخرى ، وكان أصحـاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم يأذنون لنسائهم بالخروج الى المسـاجـد بالليل فيشهـدن صلاتى العشاء والصبح دون صلوات النهار كالظهر والعصر والمغرب غالبا ، ففى الموطأ عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« ان رسـول الله صلى الله عليه وسلم ليصـلى الصبـح فينصرف النسـاء متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس » وكل هذا منهم تطبيقا لحكم الحجاب وطلبا لغض أبصارهم وحفظ فروجهم حيث أمروا بذلك وشدد عليهم فيـــه .

● ● ●

وجـــوب الحجـــــاب

علـــى

المرأة المسلمة

مما سبق عرفنا مشروعية الحجاب وأنه وسيلة من أنفع الوسائل فى غض البصر وحفظ الفرج ، والآن نريد أن نقول ان الحجاب وان كان مشروعا فى جملة وسائل من جملتها الحيلولة دون تلوث المجتمع الاسلامى بالفواحش فانه واجب على المرأة المسلمة وجوبا عينيا لا يسعها تركها بحال مادامت لم تقعد عن الحيض والحمل والنكاح ، وهذه أدلة هذا الوجوب صريحة واضحة لاتقبل الرد والتأويل :

قوله تعالى « **يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دعيتم فادخلوا ، فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ، إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم ، والله لا يستحى من الحق ، واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن** » من سورة الأحزاب .

فهذه الآية الكريمة تعرف باية الحجاب اذ هى أول آية نزلت فى شأنه وعلى أثرها حجب رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه وحجب المؤمنون نساءهم وهى نص فى فرض الحجاب اذ قوله تعالى « **واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب** » قطعى الدلالة فى ذلك ، ومن عجيب القول أن يقال ان هذه الآية نزلت فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم فهى خاصة بهن دون باقى نساء المؤمنين ، اذ لو كان الأمر كما قيل لما حجب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءهم ولما كان لاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للخاطب أن ينظر لمن يخطبها معنى أبدا .

وفوق ذلك أن نساء النبى صلى الله عليه وسلم جعلهن الله تعالى أمهات المؤمنين ، اذ قال الله تعالى : « وأزواجه أمهاتهم » [1] فنكاحهن محرم على التأبيد كنكاح الأمهات ، فأى معنى اذا لحجبهن وحجابهن اذا كان الحكم مقصورا عليهن ، ومن هنا كان الحكم عاما يشمل كل مؤمنة الى يوم القيامة ، وكان من باب قياس الأولى ، فتحريم الله تعالى التأفيف للوالدين يدل على تحريم ضربهما من باب أولى ، وهذا الذى دلت عليه نصوص الشريعة وعمل به المسلمون .

ب ـ قوله تعالى : « **يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى . وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله** » من سورة الأحزاب .

فى هذه الآية الكريمة دلالات كبرى كلها تؤكد حكم الحجاب وتقرره وهى كالتالى :

١ ـ منع المؤمنة من ترقيق قولها وتليينه اذا تكلمت مع أجنبى عنها ليس محرما لها .

٢ ـ تقدير وجود مرض الشهوة فى قلوب بعض المؤمنين وهو علة نهى المرأة عن ترقيق قولها اذا قالت .

٣ ـ وجوب تحديد العبارة والتكلم على قدر الحاجة بحيث لاتزيد المرأة اذا تكلمت مع أجنبى فى كلامها ماليس بضرورى للافهام ، فلا يجوز منها اطناب ولا استطراد بل يجب أن تكون كلماتها على قدر حاجتها فى خطابها ..

٤ ـ لزوم المرأة المسلمة بيتها وهو مقر عملها الطبيعى فلا تخرج الا لحاجة ماسة اذ البيت هو محل تربية أولادها وخدمة زوجها وعبادة ربها بالصلاة والزكاة وذكر الله وما والاه .

٥ ـ تحريم التبرج وهو خروج المرأة المسلمة من بيتها كاشفة من وجهها

١ ـ من سورة الأحزاب وأولها « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه .

مظهرة لمحاسنها غير خجلة ولا محتشمة حييـــة .

ان هذه الـدلالات الخمس من هذه الآية فى خطاب أمهات المؤمنين رضى الله عنهن كل واحدة منها دالة بفحواها على فرضية الحجاب وتحتمه على المرأة المسلمة ، غير أن المبطلين لم يروا ذلك فقالوا فى هذه الآية والتى قبلها : انها نزلت فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم وهى خاصة بهن ولا تعلق لها بغيرهن من نساء المؤمنين وبناتهم ، وهو قول مضحك عجيب ، وذلك لأن نساء النبى صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين اللائى لا يتوقع منهن ارتكاب الفاحشة .

وهاتان الآيتان مثلهما مثل إقسام الله تعالى لرسوله بأنه لو أشرك لحبط عمله وكان من الخاسرين فى آية الزمر مع العلم أن رسول الله معصوم لا يتأتى منه الشرك ولا غيره من الذنوب ، ولكن الكلام (من باب اياك أعنى واسمعى ياجارة) وعليه فاذا كان الرسول على جلالته لو أشرك لحبط عمله وخسر فغيره من باب أولى ، كما أن الحجاب لما فرض على نساء النبى وهن أمهات المؤمنين كان على غيرهن من باب أولى ويبدو أنه لما كان الحجاب مخالفا لما كان عليه العرب فى جاهليتهم ولم يشرع تدريجا وشيئا فشيئا حتى بالقوة اذ لايمكن فيه التدريج ، فلما شرع دفعة واحدة كان أمرا عظيما ، فبدأ الله تعالى فيه بنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لايقال وما أكثر من يقول يومئذ ، والمدينة مليئة بالنفاق والمنافقين : انظروا كيف ألزم نساء الناس البيوت والحجاب وترك نساءه وبناته غاديات رائحات ينعمن بالحياة ، الى آخر ما يقول ذوو القلوب المرضى فى كل زمان ومكان ، فلما فرضه على نساء رسوله صلى الله عليه وسلم لم يبق مجال لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ترغب بنفسها عن نساء الرسول صلى الله عليه وسلم فترى السفـور لها ولا تراه لأزواج الرسول صلى الله عليه وسلم وبناته ، وهذا يعرف عند علماء الأصول بالقياس الجلى ، ومن باب أولى كتحريم ضرب الأبوين قياسا على تحريم التأفيف فى قوله تعالى : « ولا تقل لهما أف ولا

تنهرهما وقل لهما قولا كريمـــا » .

جـ ـ قوله تعالى : « يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » . هذه الآية من سورة الأحزاب وهى متأخرة فى التلاوة عن الآيتين قبلهـا أبطلت دعوى الخصوصية فى الحجاب حيث أشركت فى الخطاب نساء المؤمنين باللفظ الصريح وهى تطالب المؤمنات اذا خرجن من بيوتهن لحاجة استدعت ذلك أن يغطين وجوههن ويسترن محاسنهن ، اما التعليل فى الآية فهو يشير الى المجتمع الاسلامى فى تلك الايام وأنه كان مخلخلا مهـزوزا لوجـود أغلبية فيه من المنـافقين والمنافقات والمشركين والمشركات وحكم الرسول ﷺ لم يستقر بعد والأمن لم يستتب بدليل أن المنافقين كان منهم من يتعـرض للجوارى فى الشوارع ويغازلهن لإيقاعهن فى الريبة ، فمن باب الوقاية العاجلة أمر الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول آمرا ازواجه وبناته ونساء المؤمنين به اذا خرجت احداهن لحاجتها أن تغطى رأسها ووجهها لتعرف أنها حرة وليست جارية تخدم البيوت فلا يتعرض لها اولئك المنافقون بالكلام المريب والمغازلة الفاتنة ، والمقصود من الكلام أن هذه الآية مؤكدة لفرضية الحجاب ومقررة له ودعاة السفور يقولون إن هذه الآية لم تأمر بتغطية الوجوه وإنما أمرت بتغطية الراس فقط وهو فهم باطل إذ الجلباب هو ما تضعه المراة على راسها ، فكيف يقال لها أدنى الجلباب من راسك تغطية ؟ .

وإنما تدنيه من رأسها لتغطى به وجهها هذا هو المعقول والمفهوم من كلام العرب ثم مجرد تغطية الرأس لا تمنع من المغازلة المخوفة وإنما يمنع منها تغطية الوجه بالمرة ، اما كاشفة الوجه فإن النظر إليها ومنها بسهل الكالملة فالمغازلة كما قال الشاعر الحكيـــــم :

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقـــــاء

د ـ قوله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم

ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون » ـ النـور .

ان فى تقديم الأمر بغض البصر عن النظر الى غير المحارم على الأمر بحفظ الفروج من الفاحشة اشارة واضحة الى أن النظر بريد الزنى فقد لاتقع فاحشة الزنى الا بعد النظر فمن أباح لنفسه أن ينظر الى امراة لاتحل له بشهوة كان قد مهد الطريق للوصول الى الفاحشة معها ، ومن غض بصره خوفا من ربه جعل بينه وبين الزنى خندقا لايمكنه ان يصل معه الى الفاحشة الا بعسر وتكلف شقـــة .

ومن هنـا أمر الله تعالى بغض البصر وحرم النظر لغير ضرورة كما هو صريح لفظ يغضوا من أبصارهـــم .

هــ ـ قوله تعالى : « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن . . » الآية .

ان دلالة هذه الآية على الحجاب قوية اذ تضمنت الأمر بغض البصر وحفظ الفرج فحفظ الفرج لا يتم الا بغض البصر ، وغض البصر لا يتم الا بالحجاب التام ، وتقدم لنا فى هذا الباب أن غض البصر يتأتى لأحد الجنسين وكلاهما مأمور به إذا لم يكن هناك اختلاط ، اما مع الاختلاط فلا يتأتى وليس فى امكان أى مؤمن أو مؤمنة أن يطيع ربه فى هذا الأمر بحال ، ومن هنـا كان مدلـول كلمـة الحجـاب ليس هو أن تغطى المرأة محاسنها فحسب بل مدلـوله الحق هو أن يكون هناك حاجب وحاجز يحول دون اختلاط النساء بالرجال والرجال بالنساء وعندئذ يمكن غض البصر وحفظ الفـرج ، ولـما كان خروج المـرأة ضروريا لما يطرأ لها من أمـور تستدعى خروجها ، اذن لها فى الخروج ولكن غير مبدية لزينتها بل ساترة لها الا ما لايمكن ستره كعين تبصر بها أو كف تتناول به أو ثياب عليها ، وهذا معنى الاستثناء فى الآية : « الا ما ظهر منها » وبه فسره غير واحد من الصحابة والتابعين ومن بعدهـــم .

وأما قوله تعالى فى الآية : « ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن» وهم الأزواج وآباؤهم والأبناء وأبناء الأزواج والاخوان وأبناؤهم وأبناء الأخوات مضافا اليهم النسـاء المؤمنات وما ملكت أيمانهن من عبد رقيق ، والتابع لأهل البيت من غير ذوى الاربة [1] من الرجال والاطفال الذين لم يظهروا على عورات النسـاء ، فذكر هؤلاء واحدا بعد واحد دال على أهمية الحجاب ووجـوب احـترامـه والعمل به بين المسلمين ، واى تساهل فيه يدل على ضعف ايمان العبد ورقة دينه بعد عناية القرآن به هذه العناية التى ما حظى بها كثير من الأحكام الشرعية .

و- قوله تعالى : « **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** » .

ان دلالـة هذه الآية على الحجـاب الكـامل أظهر وأقوى من الآيات السابقة وذلك لأن إثارة الفتنة بسماع صوت الخلخال فى الرجل اذا ضربت المـرأة برجلهـا وهى تمشى أقـل بكثـير من فتنـة النظر الى وجهها وسماع حديثها ، فاذا حرم الله تعالى بهذه الآية على المرأة أن تضرب الأرض برجلها خشية ان يسمع صوت حليها فيفتن به سامعه كان تحريم النظر إلى وجهها وهو محط محاسنها أولى واشد حرمـــــة .

ز- قوله تعالى : « **والقواعد من النساء اللاتى لايرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم** » أن دلالة هذه الآية الكريمة على وجوب الحجاب على النساء المسلمات دلالة قطعية لاتقبل التأويل ولا الجدال بحال وهذا بيان ذلك :

١ - المـراد من القواعد النساء اللائى تقدمت بهن السن فقعدن عن

---

(١) ذوى الحاجة . المراد أنهم كبار السن من الشيوخ الهرمين والمعاتية الذين لا حاجة بهم إلى النساء .

الحيض والحمـل وهن العجـائز ومن فى حكمهن ممن أيست من الحيض والحمل وان لم تصل الى سن العجز الكامـــــل .

٢ ـ الـرخصـة التى أعطيتها هى ان تخرج احداهن بدون ملاءة ولا عجار كاشفة عن وجهها وراسها وعنقها لكن بشرط ان لاتتحلى بشىء من الحلى كالخاتم فى الاصبع والخضاب فى الكف والسوار فى المعصم والكحل فى العين والخلخال فى الرجل ، وهذا معنى قوله فى الآية : « **غير متبرجات بزينـــة** » .

٣ ـ ترغيب الله تعالى لهن فى البقاء على الحجاب بقوله « **وان يستعففن** خير لهن » يا سبحان الله إن فى قوله تعالى « وان يستعففن » إشارة ربانية إلى أن طلب العفاف يكون بالابقاء على الحجاب وان طلب الفاحشة يكون بترك الحجاب !!

٤ ـ ختم الآية بصفتى السمع والعلم لله تعالى اشارة الى أنه على المرأة المرخص لها فى الخـروج بترك الحجـاب لكبر سنها أن تحذر التعسف فى استعمال الرخصة كأن تتدعى القعود وليست هى بقاعدة أو تتزين بشىء من انواع الزينة وتخرج باسم الرخصة متبرجة بزينتها فتنة للناظرين من المؤمنين .

٥ ـ انه لو لم يكن الحجاب واجبا على المرأة المسلمة وهو عدم الخروج من البيت الا لحاجـة ماسـة ، وعندما تخرج ، تخرج ساترة لوجهها وكل محاسنها الا مالا يمكن ستره كاللباس الظاهر أو العين تبصر بها طريقها ، وتعـرف بها حاجتهـا ، أو الكف تتنـاول به أو تعطى لما كان لهذه الآية الكريمة من معنى أبدا ، لانها رفعت الجناح الذى هو الاثم والحرج على القواعد اذا تركن الحجاب غير متبرجات بزينة ، فلو كان لكل امراة قاعد أو شابة أن تضع ثيابها وتخرج بلا حجاب ولا ساتر لترى الرجال ويرونها لما كان لهذه الرخصة معنى ولا حكـم ، وهذا مفهوم من الآية بالبداهة ، ولذا كانت هذه الآية نصا صريحا فى الحجاب ويتوب الله على من تـــــاب .

« الخاتمـــــــــة »

وختاما ، فهذه رسالة « فصل الخطاب فى المرأة والحجاب » قد أوحاها الواجب وأملاها الضمير ونشرتها الرغبة الصادقة فى تجنيب هذه البلاد شر الغير وإبعادها من ساحة الخطر ، إذ هى بلاد أنعم الله تعالى عليها بعظيم النعم نعم الدين والدنيا ، والأولى والأخرى ، وكل ذى نعمة محسود ، وذو الحسد لايقف فى الاضرار عند حد ، فلذا وجب تنبيه أبنائنا واخواننا فى هذه الديار ديار الله الى ما يكيده المحسدة لهم وما يمكرونه بهم انهم يريدون أن يهدموا البناء من أساسه ويقوضوا البيت من أركـــــــانه .

يريدون أن ترمى فتاة الايمان وغادة الاسلام النقاب والحجاب وتخرج عارية كاليهودية أو النصرانية وقد فارقها الحياء والايمان ، اذهما صنوان اذا ذهب أحـدهمـا ذهب الثـانى وبذلك ينطفىء النور ويعتم ظلام الفسق والفجور ، ويتخلى الله عمن تخلى عن الايمان به والاسلام له ، والاحسان فيه والحياء منه ، ومن تخلى الله عنه لايدرى فى أى واد يرمى به فيهلك مع الهالكين .

فيا معشر الأبنـاء والاخوان اقبلوا نصيحة مجرب طال ركوبه على متن الحياة فعرف حلوها ومرها وصالحها وفاسدها وطيبها وخبيثها . وعرف سنن الله تعالى فيها ، تلك السنن التى لاتحابى أحدا من خلق الله بل تجرى وفق ماسنها الله تعالى له فالطعام يشبع ، والماء يروى ، والنار تحرق ، والحديد يقـطع ، والسفور يقود الى الفجور ، والفجور خروج عن نظام الحياة ، والحياة من خرج عن نظامها فارقته وفارقها ومن فارق الحياة مات ، ومن مات فات ، والفائت لايطلب لاستحالة ادراكه ، واستواء حياته بمماته .

فأبقوا يا أبنائى على حجاب نسائكم فجنبوهن الاختلاط ، وأبعدوهن من أي ارتباط لم يكن ارتباط زوج بزوجة أو أم بأولاد ، فذلك خير ، والخير

مرغــوب ومـطلوب ، فاطلبـوه بصيانـة الأعـراض ، وطهـارة الأعـراق والأنساب ، واياكم ورغبات الشباب الجامحة ، وتطلعات الفتيان والفتيات الـطامحـة ، فان الانسياق وراءهـا والجرى فى مجراها يؤدى بكم الى هدر كرامتكم وسلب عزكم وضياع مجدكم ، ويومئذ تندمون وتبكون وهل ينفع الندم أو يجدى البكاء ؟ لقد ذهب الفسق عن أمر الله ورسول الله بجنة العـرب ـ الانـدلس الخضراء ـ وذهب الكفـور والفجور بالجمهوريات الاسلامية وحولها الى اقاليم سوفياتية .

فالله الله يا أبنائى ، وانى لكم ناصح أمين ، فى دولتكم . فشدوا من أزرها وقووا من دعائمها وأركانها باقامة الصلوات وترك الشهوات ، فان أقواما أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات قد خسروا فى الحياة والممات ، فاربأوا بأنفسكم أن تكونوا مثلهم والله معكم ولن يتركم أعمالكـــــــم .

المدينــــــة المنورة فى ١٤٠١/٩/٢ هـــ .

●● الرسـالة الثامنـة

الإنصاف فيما قيل فى المولد من الغلو والإجحاف



﴿ بســـم اللـــه الـرحـــمن الرحيـــم ﴾

الانصاف فيما قيل فى المولد من الغلوّ والاجحاف

تصدير :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد فقد ترددت كثيرا فى الكتابة فى هذا الموضوع ـ المولد النبوى ـ احتراما لِلْجَناب المحمدى الشريف وتقديراً له ، ولكن بعد أن أصبح بين المسلمين من يكفر بعضهم بعضا ، ويلعن بعضهم بعضا فى شأن المولد وجدتنى مضطرا إلى كتابة هذه الرسالة راجيا أن تضع حدّاً لهذه الفتنة التى تثار كل عام ، ويهلك فيها ناسٌ مـن المسلمين ، ولاحول ولا قوة إلا بالله

لقد سمعت قبيل شهر ـ ربيع الأول ـ إذاعة لندن البريطانية تقول إن مفتى الـديار السعودية الشيخ عبد العزيز بن باز يكفّر من يحتفل بالمولد النبوى مما أثار سخط العالم الاسلامى ، فاندهشت للخبر وما فيه ، من باطل وتهويل ، إذ المعروف عن سماحة المفتى القول ببدعية المولد ، والنهى عنها لا تكفير من يقيم [١]ذكرى المولد ولا من يحتفل فيها . ولعل هذا من كيد الرافضة الناقمين على السعودية التى لا مجال عندها للبدع والخرافات والشرك والضلالات .

ومهما يكن فإن الأمر قد اصبح ذا خطورة ، ووجب على آهل العلم آن يبُينـوا الحق فى هذه المسـألة الخطيرة التى أدَّت إلى أن أبغض المسلمون

---

(١) وقد كتب سماحة المفتى الشيخ عبد العزيز بن باز فى رد بدعة المولد وإنكارها ردوداً كثيرة فلم يقل بكفر أَحَدٍ ممن يحيون ذكرى المولد أبداً ، وإنما قول إذاعة لندن هذا هو من باب الإجحاف والكذب المختلق للإثارة والفتنة ، وإلا فما كتبه مفتى المملكة موجود فليرجع إليه .

بعضهم بعضا ، ولعن بعضهم بعضا . فكم من أحد يقول لى مشفقا على : إن فلانا يقول إنى ابغض فلانا لأنه ينكر الاحتفال بالموالد ، فأعجب من ذلك ، وأقول : فهل الذى ينكر البدعة ويدعو إلى تركها يبغضه المسلمون ؟ إن المفروض فيهم أن يحبوه لا أن يبغضوه وأدهى من ذلك وأمر أن يشاع بين المسلمين أن الذين ينكرون بدعة المولد هم أناس يبغضون الرسول ﷺ ولا يحبونه ، وهذه جريمة قبيحة كيف تصدر من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر ؟ إذْ بغض الرسول صلى الله عليه وسلم أو عدم حبّه كفر بَوَاحٌ [١] لا يبقى لصاحبه أية نسبة إلى الاسلام والعياذ بالله تعالى .

واخيرا فمن اجل هذا وذاك كتبت هذه الرسالة أداءً لواجب البيان من جهة ، ورغبة فى وضع حدّ لهذه الفتنة التى تتجدد كل عام ، وتزيد فى محنة الاسلام من جهة أخرى . والله المستعان وعليه وحده التكلان .

(مقدمة علمية هامة)

إننى أنصح فى صدق لمن أراد قراءة هذه الرسالة ليعلم حكم الشرع الاسلامى فى ما يسمى بالمولد النبوى الشريف أن يقرأ هذه المقدمة باعتناء عدّة مرات حتى يطمئن إلى فهمها ، ولو أدى ذلك به الى تكرار قراءتها عشر مرات ، وان تعذر عليه فهمها فليقرأها على طالب علم حتى يساعده على فهمها فهما جيداً وصحيحا لاخطأ فيه .

فإنَّ فهْمَ هذه المقدمة لا يُفيد فى فهم قضية المولد المختلف فيها فحسب بل يُفيده فى كثير من القضايا الدينية التى يتنازع فيها الناس عادة : هل هى بدعة أو سنة وان كانت بدعة هل هى بدعة ضلالة ، أو بدعة حسنة ؟

وسأبسّط للقارىء المسلم العبارة ، وأقرب إليه الاشارة ، وأضرب له المثل وأوضحه ، وأدنى منه المعنى وأُقَرِّبُه ، رجاء أن يفهم هذه المقدمة الهامة ، والتى هى كالمفتاح ، لفهم المغلق من مسائل الخلاف فيما هو دين وسنة يعمل به ، أو هو ضلال وبدعة يجب تركُـهُ والبعدُ عنه .

(١) البواح : الظاهر المكشوف يقال فعل الشىء بَواحا بفتح الباء أى جهارا فى غير سّر ولا إخفـاء

وبسم الله أقول : اعلم أخي المسلم أن الله تبارك اسمه وتعالى جَدُّه قد بعث رسوله نبينا محمداً ﷺ وأنزل عليه كتابه القرآن الكريم من أجل هداية الناس وإصلاحهم فيكملوا ويسعدوا فى دنياهم وأخراهم قال تعالى ﴿ **يا أيها الناسَ قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا ، فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فيسدخلهم فى رحمةٍ منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما**(١) ﴾

وبهذا عرفنا أن هداية الناس واصلاحهم ليكملوا فى أرواحهم ، ويفضلوا فى أخلاقهم لاتتم إلا على الوحى الالهى المتمثل فى كتاب الله وسنه رسوله ﷺ . فإن الله عز وجل يوحى بالأمر والرسول يبلغه ويبين كيفية العمل به ، والمؤمنون (٢)يعملون به ، فيكملون عليه ويسعدون به ، ولنا أن نحلف بالله العظيم أيها القارىء الكريم : أنه لا سبيل الى إكمال الناس وإسعادهم بعد هدايتهم وإصلاحهم إلا هذا السبيل وهو العمل بالوحى الإلهى الذى تضمنته السنة والكتاب .

وسرُّ هذا أيها القارىء الفطن : أن الله تعالى هو ربّ العالمين أى خالقهم ومربيهم ومدبّر أمورهم ومَالِكُهَا عليهم فالناس كلهم مفتقرون إليه فى خلقهم وايجادهم ، ورزقهم وإمدادهم وتربيتهم وهدايتهم وإصلاحهم ليكملوا ويسعدوا فى كلتا حياتيهم . وقد جعل تعالى سنناً للخلقِ عليها يتم خلقهم وهى التلاقح (٣)بين الذكر والأنثى ، وجعل كذلك سنناً عليها تتم هدايتهم وإصلاحهم ، وكما لا يتم الخلق إلا على سنته فى الناس لا تتم كذلك الهداية والاصلاح إلا على سنته تعالى فى ذلك وهى العمل بما شرع الله فى كتابه وعلى لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وتطبيق ذلك على الوجه الذى بينه رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا كان لا مطمع فى هداية أو سعادة أو كمال يأتى من غير طريق شرع الله بحال من الأحوال .

---

(١) هذه الآية من خاتمة سورة النساء . وقد اشتملت على ذكر ماقلنا من ان الله تعالى قد أرسل رسوله وانزل كتابه لهداية الناس وإصلاحهم . فالبرهان فى الآية هو النبى محمد ﷺ عند كثير من أهل التفسير ، والنور فى الآية هو القرآن الكريم . فافهم .

(٢) هذا معنى قول أهل العلم : على الله الوحى وعلى الرسول البلاغ ، وعلى المؤمنين الطاعة .

(٣) سواء فى ذلك الإنسان والحيوان بريا أو بحريا ، والنبات على اختلافه وكثرة أنواعه ، ولا يستثنى من هذه السنة الا ادم وحواء وعيسى ابن مريم عليهم السلام .

وها انت تشاهد أهل الأديان الباطلة كاليهودية والنصرانية والمجوسية وغيرها فهل اهتدوابها أو كملوا أو سعدوا عليها ؟ وذلك لأنها ليست من شرع الله ، كما أننا نشاهد القوانين التى وضعها الناس لتحقيق العدالة بين الناس وحفظ أرواحهم وأموالهم وصيانة أعراضهم وتكميل أخلاقهم فهل حققت ما أريد منهـا ؟ والجـواب لا إذ الأرض قد خمت من الجـرائم والموبقات كما نشاهد أهل البدع فى أمة الاسلام وأنهم أفسد الناس عقولا ، وأرذلهم أخلاقا ، وأحطهم نفوسا كما نشاهد ايضا أكثر المسلمين لما عدلوا عن شرع الله إلى ما شرع الناس من تلك القوانين التى هى من وضع غير الله تعالى كيف تفرقت كلمتهم ، وحقر شأنهم وذلوا وهانوا ، وماذاك إلا لأنهم يعملون بغير الوحى الالهى . واسمع القرآن الكريم كيف يندد بكل شرع غير شرع الله تعالى ﴿ شرعوا[1] **لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم** ﴾ واستمع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهـو يقـول : « من أحدث[2] فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » « ومن عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » ومعنى رد مردود[3] على صاحبه يقبل منه ولا يثاب عليه ، وعلة ذلك : أن العمل الذى لم يشرعه الله تعالى لا يؤثـر فى النفس بالتزكية والتطهير لخلوه من مادة التطهير والتزكية التى يوجدها الله تعالى فى الأعمال التي يشرعها ويأذن بفعلها .

وانـظر إلى مادة التغـذية كيف اوجدها الله تعالى فى الحبوب والثمار واللحوم فكان فى أكل هذه الأنواع غذاء للجسم ينمو عليها ويحتفظ بقواه ، وانظر إلى التراب والخشب والعظام لما أخلاها من مادة التغذية كانت غير مغـذية . وبهـذا يظهر لك أن العمل بالبدعة كالتغذية بالتراب والحطب والخشب فاذا كان آكـل هذه لا يتغذى فكذلك العامل بالبدعة لا تطهر روحه ولا تزكو نفسه .

وبناء على هذا فكل عمل يراد به التقرب إلى الله تعالى للحصول على الكمال والسعادة بعد النجاة من الشقاء والخسران ينبغى أن يكون اولا مما

(١) الآية فى سورة الشورى .

(٢) الحديث رواه مسلم .

(٣) الرد مصدر أريد اسم المفعول فرد بمعنى مردود ، يعنى غير مقبول ، وما لم يقبل كيف يثاب عليه ؟ وسر ذلك أنه لم يحدث حسب سنة الله فى الخلق ـ زكاة للنفس ولا طهارة .

شرع الله تعالى فى كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وأن يكون ثانيا مؤدًّى على نحو ما أداه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مراعى فيه كميته أى عدده بحيث لا يزيد عليه ولا ينقص منه ،وكيفيته بحيث لا يقدم فيه بعض أجزائه ولا يؤخر . وزمانه بحيث لايفعله فى غير الوقت المحدد له . ومكانه فلا يؤدّيه فى غير المكان الذى عينه الشارع له . وان يريد به فاعله طاعة الله تعالى بامتثال امره . أو التقرّب اليه طلبًا لمرضاته والقرب منه ، فإن فقد العمل واحدة من هذه الاعتبارات : آن يكون مشروعا ، وأن يؤديه على النحو الذى أدّاه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان يريد به وجه الله خاصة بحيث لا يلتفت فيه الى غير الله سبحانه وتعالى . فانه يبطل ، ومتى بطل العمل فإنه لا يؤثر فى النفس بالتزكية والتطهير بل قد يؤثر فيها بالتدسيّة والتنجيس واصبر على أوضح لك هذه الحقيقه بالأمثلة التالية :

١ ـ الصلاة فإنها مشروعة بالكتاب قال تعالى ﴿ **فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين**[١] **كتاباً موقاتا** ﴾ (وبالسنة) قال رسول الله ﷺ خمس[٢]صلوات كتبهن الله الحديث . فهل يكفى العبد أن يصليها كيف شاء ومتى شاء ،وفى أىّ زمان أو مكان شاء ؟ والجواب لا ، بل لا بد من مراعاة باقى الحيثيات من عددها وكيفيتها ، وزمانها ومكانها فلو صلى المغرب أربع ركعات بأن زاد فيها ركعة عمداً بطلت ، ولو صلى الصبح ركعة واحدة بأن نقص منها ركعة لما صحت . وكذلك لو لم يراع فيها الكيفية بأن قدّم بعض الأركان على بعض لم تصح ، وكذا الحال فى الزمان والمكان فلو صلى المغرب قبل الغروب ، أو الظهر قبل الزوال لما صحت ، كما لو صلى فى مجزرة أو مزبلة لما صحت لعدم مراعاة المكان المشروط لها .

٢ ـ الحج فإنه مشروع بالكتاب والسنة قال تعالى ﴿ **ولله**[٣]**على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا** ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه

(١) الآية من سورة النساء .

(٢) رواه مالك وغيره ونصه كاملا : خمس صلوات كتبهن الله على العباد ، فمن جاء بهن لم يضيّع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة .

(٣) الآية من سورة آل عمران .

وسلم يايها الناس[١] قد فرض الله عليكم الحج فحجوا . فهل للعبد أن يحج كيف شاء ومتى شاء ؟ والجـواب لا بل عليه أن يراعى الحيثيات الأربع وإلا لما صح حجه وهى الكمية فيراعى عدد الأشواط فى كل من الطواف والسعى فلو زاد فيها أو نقص منها عمداً فسدت ، والكيفية فلو قدم الطواف على الاحرام ، أو السعى على الطواف[٢] لما صح حجه ، والزمان فلو وقف بعرفة فى غير تاسع شهر الحجة لما صح حجه ، والمكان فلو طاف بغير البيت الحرام أو سعى بين غير الصفا والمروة أو وقف بغير عرفة لما صح حجه .

٣ ـ الصيام فإنـه عبـادة مشروعـة عليها أمر الله وأمر رسوله قال تعالى ﴿ يأيها[٣] الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ﴾ الآية وقال رسول الله ﷺ : « صوموا[٤] لرؤيته وافطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فاكملوا شعبـان ثلاثـين » . فهـل للعبـد أن يصوم كيف شاء ومتى شاء ؟ والجواب لا بل عليه مراعاة الحيثيات الأربع وهى الكمية فلو صام أقل من تسعة وعشرين أو ثلاثين يوما لما صح صومه كما لو زاد يوما أو أياما لما صح ذلـك منه لاخلاله بالكمية وهى العدد ، والله تعالى يقول ﴿ ولتكملوا العدة ﴾ والكيفية فلو قدم أو أخّر بأن صام الليل وأفطر النهار لما صح منه ، والزمان فلو صام شعبان أو شوالاً بدل رمضان لما صح منه ، والمكان وهو المحل القابل للصيام فلو صامت حائض أو نفساء لما صح منها .

وهكذا سائر العبادات لا تصح ولا تقبل من فاعلها إلا اذا راعى فيها كل شروطها وهى :

١ ـ أن تكون مشروعة بالوحى الالهى لقول الرسول ﷺ « من[٥] عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »

٢ ـ أن يؤديها أداء صحيحا ملاحظا فيه الحيثيات الأربع : الكمية بمعنى العدد والكيفية وهى الصفة التى عليها العبادة ، والزمان الذى حدّد

---

(١) رواه مسلم وغيره فى خطبة خطبها رسول الله ﷺ يأيها الناس الخ . . .

(٢) تقديم السعى على الطواف إذا كان لضرورة لا يضر ولا يبطل الحج به ، لإذن الرسول ﷺ فى ذلك بقوله : افعل ولا حرج لمن سأله عن تقديم بعض أفعال الحج عن بعض .

(٣) الآية من سورة البقرة . (٤) اتفق عليه البخارى ومسلم . (٥) رواه مسلم .

لها ، والمكان الذى عين لها .

٣ ـ أن يخلص فيه لله تعالى بحيث لا يشرك فيها أحداً كائناً من كان .

ومن هنا كانت أيها الأخ المسلم البدعة باطلة وكانت ضلالة ، كانت باطلة لأنها لا تزكى الروح إذ هى من غير شرع الله أى ليس عليها أمره ولاأمر رسوله صلى الله عليه وسلم وكانت ضلالة لأنها أضلت فاعلها عن الحق فأبعدته عن عمل مشروع يزكى نفسه ويجزيه به ربّه ويثيبه عليه .

[تنبيه]

اعلم أخى المسلم وفقنى الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن العبادة المشروعة بالكتاب والسنة أى عليها أمر الله ورسوله قد يطرأ عليها الابتداع ويدخلها الإحداث فى كميتها أو كيفيتها أو زمانها أو مكانها فتفسد على فاعلها ولا يثاب عليها ولنضرب لك مثلا بالذكر فإن الذكر مشروع بالكتاب والسنة قال تعالى : ﴿ **يأيها[1] الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا** ﴾ **وقال رسوله ﷺ : « مثل الذى [2] يذكر ربه والذى لا يذكُرُهُ مثل الحى والميت »** . ومع مشروعيته فقد داخله الابتداع عند كثير من الناس فأفسده عليهم ، وحرمهم ثمرته من تزكية النفس وصفاء الروح ، وما يترتب على ذلك من مثوبة ورضوان . إذ بعضهم يذكر بألفاظ غير مشروعة مثل الذكر بالاسم المفرد : الله ، الله ، الله أو بضمير الغيبة المذكر : هو ، هو ، هو ، وبعضهم يذكر بنداء الله تعالى عشرات المرات ولا يسأل شيئا فيقول : يالطيف ، يالطيف ، يالطيف . وبعضهم يذكر الله مع آلات الطرب ، وبعضهم يذكر بلفظ مشروع بنحو الهيللة [3] ولكن فى جماعة بصوت واحد مما لم يفعله الشارع ولم يأمر به أو يأذن فيه ، فالذكر عبادة شريفة فاضلة ولكن نظرا إلى ما داخله من الابتداع فى كمية أو كيفية وهيئة بطل مفعوله وحرم أهله مثوبته وأجره .

وأخيرا ألخص للقارىء الكريم هذه المقدمة النافعة فاقول : إن ما

---

(١) الآية من سورة الأحزاب .

(٢) رواه البخارى ، ومسلم بلفظ : مثل البيت الذى يذكر الله فيه ، والبيت الذى لا يذكر فيه مثل الحىّ والميت .

(٣) الهيللة : هى لا اله الا الله .

يتعبد به العبد ويتقرب به إلى الله . لينجو من عذابه ويفوز بالنعيم المقيم فى جواره بعد أن يكون قد استكمل به فضائل نفسه فى الدنيا وصلح عليه أمره فيها لا يكون ولن يكون إلا عبادة مشروعة أمر الله تعالى بها فى كتابه ، أو استحبها أو رغب فيها على لسان رسوله . وأن يؤديها المؤمن أداءً صحيحا مراعى فيها الحيثيات الاربع : الكمية . والكيفية ، والزمان والمكان مع الاخلاص فيها لله تعالى وحده .

فان كانت العبادة غير مشروعة بالوحى الإلهى فهى بدعة ضلالة ، وإن كانت مشروعة واختلّ أداؤها بعدم مراعاة حيثياتها الأربع أو داخلها الابتداع فى ذلك فهى قربة فاسدة ، وإن خالطها شرك فهى عبادة حابطة باطلة لا تجلب رخاء ، ولا تدفع بلاء ، والعياذ بالله تعالى .

تتمة نافعة
فى بيان السنة والبدعة

إنه قبل تعريف البدعة ينبغى تعريف السنة ، إذ السنة من باب الأفعال والبدعة من باب التروك ، وما يفعل مقدم على ما يترك ، كما أنه بتعريف السنن تعرف البدع ضرورة .

فما هى السنة إذن ؟

السنة لغة هى الطريقة المتبعة ، والجمع سنن . وشرعا هى ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذن الله تعالى لأمته من طرق البر وسبل الخير ، وما انتدبها اليه من الآداب والفضائل ، لتكمل وتسعد .

فإن كان ما سنه قد أمر بالقيام به والتزامه فذلك السنن الواجبة التى لا يسع المسلم تركُها ، وإلا فهى السنن المستحبة التى يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها .

واعلم أيها القارىء أن النبى ﷺ كما يسن بقَوْلِهِ يَسُنّ بفعله وتقريره إنه صلى الله عليه وسلم إذا عمل شيئا وتكرر منه بالتزامه له يصبح سنة للأمة إلا أن يدل الدليل على أنه من خصوصياته ﷺ كموالاة الصيام

مثلا ، وإن سمع بشىء أو راه بين أصحابه ، وتكرر ذلك الشىء مرات ولم ينكره ﷺ كان سنة بتقرير الرسول صلى الله عليه وسلم له . اما مالم يتكرر فعله أو رؤيته أو سماعه فإنه لا يكون سنة ، إذ لفظ السنة مشتقٌ من التكرار ولعله مأخوذ من سنّ السكين إذا حكها على المسن المرة بعد المرة حتى أحدَّتْ أى صارت حادة بمعنى أنها تَنفذُ فى الأجسام وتقطعها .

فمثال ما فعله ﷺ مرة واحدة ولم يكرره فلم يصبح سنة جمعه[١] بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء فى غير عذر سفر ولا مرض ولا مطر فلذا لم يكن سنة متبعة لدى سائر المسلمين .

ومثال ما سكت عنه وأقره مرة واحدة فلم يكن لذلك سنة يعمل بها المسلمون ما روى من أن امرأة نذرت [٢] إن رد الله رسوله سالماً من سفر كان قد سافره ﷺ مع أصحابه تضرب بالدف على رأسه فَرَحاً بعودته سالما عليه الصلاة والسلام ففعل هذه المرأة وإقرار الرسول لها بعدم نهيها عنه مرة واحدة لم يجعل هذا العمل سنة وذلك لعدم تكراره مرات .

ومثال ما تكرر من فعله ﷺ فاصبح سنةً يعمل بها المسلونَ بلا نكير : استقبالـه ﷺ النـاس بوجهه وجلوسه بين يدى الصف بعد انتهائه من الصلاة المكتوبة فهذه الهيئة من الجلوس لم يأمر بها صلى الله عليه وسلم ولكن فعلها وتكررت منه مئآت المرات فكانت بذلك سنة كل إمام يصلى بالناس .

ومثال ما تكرر مما رآه أو سمعه فاقره فأصبح سنة المشى أمام الجنازة ووراءها إذ كان يرى أصحابه منهم من يمشى وراء الجنازة ومنهم من يمشى أمـامها مراراً عديدة فأقرهم على ذلك بسكوته عنهم ، فكان المشى وراء الجنازة وأمامها سنة لاخلاف فيها . هذه هى السنة كما عرفتها أيها الأخ المسلم فاذكرها دائما واضف اليها سنةَ أحد الخلفاء الراشدين الأربعة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين لقوله ﷺ فعليكم بسنتى[٣]

---

(١) حديث الجمع بين الصلاتين فى الحضر رواه مسلم عن ابن عباس وهذا نصه : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جمع رسول الله ﷺ بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء بالمدينة المنورة فى غير خوف ولا مطر .

(٢) رواه أبو داود والترمذى وقال فيه حسن صحيح غريب . وهو حديث طويل ذكره فى مناقب عمر رضى الله عنه ، والمذكور هنا طرف منه حيث الشاهد فقط .

(٣) رواه أبو داود والترمذى وصححه .

وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ . (١)

أما البدعة فإنها نقيض السنة مشتقة من ابتدع الشىء إذا أوجده على غير مثال سابق . وهى فى عرف الشرع : كل مالم يشرعه الله تعالى فى كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ من معتقد أو قول أو فعل ، وبعبارة أسهل : البدعة هى كل مالم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أصحابه دينا يعبد الله به ، أو يتقرب به إليه من اعتقاد أو قول أو عمل مهما أضفى عليه من قداسة وأحيط به من شارات الدين وسمات القربة الطاعة .

وهذه أمثلة للبدعة فى كل من الاعتقاد والقول والعمل نوضح بها حقيقة البدعة تعليما وتحذيراً ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

مثال البدعة الاعتقادية : اعتقاد كثير من المسلمين أن للصالحين ديواناً أشبه بحكومة سريّة فى العالم عنه يصدر التولية والعزل ، و الاعطاء والمنع ، والضر والنفع وأهله هم الأقطاب ، والأبدال . وكم سمعنا من يستغيث بهم قائلا يارجال الديوان وياأهل التصريف من حر ووصيف [٢] .

واعتقادأن ارواح الأولياء على افنية قبورهم تشفع لمن زارهم وتقضى حاجاته ، ولذا نقلوا إليهم مرضاهم للاستشفاع بهم . وقالوا : من أعيته الأمور فعليه بأصحاب القبور واعتقاد أن الأولياء يعلمون الغيب وينظرون فى اللوح المحفوظ ، ويتصرفون بنوع من التصرف وسواء كانوا أحياءً أو أمواتا ولذا اقاموا لهم الحفلات واتخذوا لهم القرابين وجعلوا لهم مواسم واعياداً ذات مراسم خاصة [٣] .

فهذه وغيرها كثير من البدع الاعتقادية التى لم تعرف على عهد رسول الله ﷺ ، ولا على عهد أصحابه ولا عهد أهل القرون الثلاثة المشهود لها بالصلاح فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم خيركم قرنى [٤] ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .

---

(١) النواجذ الأنياب وقيل الأضراس .

(٢) الوصيف : الخادم المملوك ضد الحر .

(٣) اعتقاد أن هناك ديوانا والاستغاثة برجاله ودعاؤهم هذا كله من الشرك الأكبر .

(٤) متفق عليه ، وتمامه : ثم يكون بعدهم قوم يخونون ولا يؤتمنون ، ويشهدون ولا يستشهدون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن

مثال البدعة القولية : سؤال الله تعالى بجاه فلان ـ وبحق فلان مما جرى عليه النـاس وقلّد فيه صغـيرهم كبيرهم وآخرهم أولهم ، وجاهلم عالمهم حتى عدوا هذا من أشرف الوسائل وأعظمها يعطى الله تعالى عليها ما لم يعط على غيرها ويا ويل من يجرؤ على إنكار هذه الوسيلة فإنه يُعدّ مارقاً من الدين مبغضاً للأولياء والصالحين . فى حين أن هذه البدعة القولية التى اطلقـوا عليها اسم الوسيلة لم تكن معروفة على عهد رسول الله ﷺ ولا على عهد السلف الصالح ، ولم يردْهَا كتاب ولا سنة وأقرب القول فيها أنها من وضع الزنادقة من غلاة الباطنيَة لتعويق المسلمين عن وسائل نافعة تفرج بها كرباتهم ، وتقضى بها حاجاتهم كوسائل الصلاة والصدقات والصيام ، والدعوات والاذكار المأثورة .

ومن هذا الابتداع فى القول : ما تعارف عليه أغلب المتصوفة من إقـامة حضرات الذكر أحياناً بلفظ هو هو حى ، والله ، بأعلى أصواتهم وهم قيام ويقضون فى ذلك الساعة والساعتين حتى يغمى على بعضهم ، وحتى يقول أحدهم الهجر وقد ينطق بالكفر وقد قتل أحدهم أخاه وهو لا يشعر حيث طعنه بسكين .

ومثله الاجتماع على المدائح والقصائد الشعرية بأصواتِ المرد وحالقى اللحى والضرب على الطار والعود ، أو الدف والمزمار ، فهذه البدع القولية وغيرها كثير ، والله قسما به تعالى ما كانت على عهد رسول الله ﷺ ولا على عهـد أصحـابـه وانـما هى من وضـع الـزنادقة والمخربين لدين الاسلام المفسدين لأمته لصرفهم عن النافع الى الضار ، وعن الجد الى اللهو والهزل .

مثـال البدع الفعلية : البناء على القبور وخاصة قبور من يعتقدون صلاحهم ، وضرب القبـاب على قبـورهم ، وشـد الـرحـال إلى زيارتها والعكوف عليها ، وذبح الغنم والبقر عندها وإطعام الطعام حولها كل هذا لم يعرفه رسول الله ﷺ ولا أصحابه ، ومثله خروج بعض الناس من المسجد الحرام القهقرى ، وكذا من المسجد النبوى حتى لا يستدبر البيت العتيق أو القبر النبوى عند خروجه فهذه بدعة فعلية أيضا لم يعرفها صدر هذه

الامة الصالح ولكن أحدثها المتنطعون من الناس .

ومن ذلك وضع توابيت خشبية على أضرحة الاولياء وكسوتها بأفخر الكتان وتجمير الضريح بالبخور وإيقاد الشموع عليه .

هذه أيها القارىء الكريم أمثلة لبعض البدع فى الاعتقاد والقول والعمل والتى اكتسبت طابع البدعة فى العبادات ومثلها البدع فى المعاملات كسجن الزانى بدل اقامة حد الزنى عليه ، وكذا سجن السارق وضربه بدل اقامة حد السرقة عليه وهو قطع يده ، وكإشاعة الأغانى وتعميمها فى البيوت والشوارع والأسواق إذ مثل هذا الطرب العاتى والمدح الماجن لم يعرفه صدر هذه الأمة الصالح رضوان الله عليهم . ومن هذه البدع العملية ترسيم الربا والاعلان عنه ، وعدم إنكاره ، ومثله سفور النساء وتبرجهن واختلاطهن بالرجال فى الأماكن العامة والخاصة كل هذا من الاحداث المشين والمعرض لأمة الاسلام للمحو والزوال ، وآثار ذلك ظاهرة فى أمة الاسلام لا تحتاج إلى تدليل ولا تبيين ، ولا حول [1] ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

(١) إن قيل : لم تذكر لا حول ولا قوة فى مثل هذا الموضع ؟ قلت لتفريج الهم ؟ لحديث أبى هريرة : لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من تسع وتسعين داء أيسرها الهم رواه ابن أبى الدنيا وحسنه السيوطى .

فــــرعٌ مهـــمٌّ
فى بيان الفرق بين البدعة والمصالح المرسلة

اعلم أخى المسلم فقهنى الله وإياك فى دينه أنه قد تسَلَّلَ إلى حق الله تعالى وحق رسوله صلى الله عليه وسلم فى التشريع النافع المزكى للنفس المطهر للروح المهيىء للمسلم للسعادة والكمال فى الدنيا والآخرة ، وتسلَّل إليه أناس تحت شعار ما يسمونه بالبدعة الحسنة ، فوضعوا للمسلمين من البدع ما أماتوا به السنن ، وأغرقوا أمة القرآن والسنة فى بحور من البدعة الأمر الذى انحرف به أكثر أمة الاسلام عن طريق الحق وسنن الرشاد وما هذه المذاهب المتطاحنة المتناحرة ، والطرق المختلفة المتباينة إلا مظهر من مظاهر الانحراف فى الأمة نتيجة استحسان البدع ، واطلاق وصف الحسن على البـدعة فيبتدع الرجل بدعا يضاد بها سنن الهدى ويصفها بالحسن فيقول عند ترويج بدعته هذه بدعة حسنة لتؤخذ عنه وتقبل منه ، فى حين أنه من المضادة للشارع صلى الله عليه وسلم أن يقال بدعة حسنة بعد أن قال رسول الله ﷺ « كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » ومع الأسف فقد انخدع بعض أهل العلم لهذا التضليل المتحايل على حق الله تعالى وحق رسول الله ﷺ . فى التشريع فقال : إن البدعة تجرى عليها الأحكام الشرعية الخمسـة من الوجوب والندب والاباحة والكراهة والحرام ، وقد تفـطن لهذا الامـام الشاطبى رحمه الله ، واليك رده على هذا التقسيم ، وإنكاره وجود بدعة حسنة فى دين الله تعالى قال[1] رحمه الله تعالى :

« ان تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة واجراء الأحكام الخمسة عليها هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعى بل هو فى نفسه متدافع ، لأن من حقيقـة البـدعة أن لا يدل عليها دليل شرعى ، لامن نصوص

---

(١) كتاب الموافقات الجزء الأول صفحة ١٩١

الشرع ، ولا من قواعده ، إذ لو كان هناك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثَمَّ بدعة ، ولكان العمل داخلا في عموم الأعمال المأمور بها ، أو المخيَّر فيها . فالجمع بين عدّ تلك الأشياء بدعاً . وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمع بين متناقضين .

أخى القارىء أرأيت كيف أنكر الامام الشاطبى رحمه الله تعالى أن تكون البدعة حسنة والرسول يقول فيها : ضلالة . وكيف أنكر على من زعم أن البدعة تجرى [١] عليها الأحكام الخمسة بمعنى أنها تكون واجبة أو مندوبة أو مباحة أو مكروهة أو محرمة ، إذ لو دل عليها دليل الشرع لما كانت بدعة ، إذْ البدعة هى مالم يدل عليه دليل الشرع من كتاب أو سنة أواجماع أو قياس ، فإن دل عليها الدليل الشرعى أصبحت ديناً وسنة لا بدعة « فافهم » وإن قلت : كيف تطرق هذا الخطأ إلى علماء أجلة أفاضل كالقرافى مثلا فقالوا باجراء الأحكام الخمسة على البدعة ؟ قلت لك إن سبب ذلك الغفلة ، واشتباه المصالح المرسلة بالبدع المحدثة ، وهذا بيان ذلك :

إن المصالح المرسلة جمع مصلحة ، وهى ما جلبت خيرا أو دفعت ضيراً ولم يوجد فى الشريعة ما يدل على ثبوتها أو نفيها ، وهذا معنى « مرسلة » أى لم تقيد فى الشريعة باعتبار أو إلغاء ولذا عَرَّفها بعضهم بقوله : المصالح المرسلة كل منفعة داخلة فى مقاصد الشرع دون أن يكون لها شاهد بالاعتبار أو الالغاء ومعنى قوله : داخلة فى مقاصد الشرع . يريد أن يقول إن الشريعة قائمة على أساس : جلب المنافع ودرء المفاسد . فما حقق للمسلم خيراً أو دفع عنه شراً جاز للمسلم استعماله بشرط أن لا يكون قد ألغاه الشارع لما فيه من مفسدة جلية أو خفية ، فليس من حق امرأة أن تزنى لما يحصل لها من المنفعة المادية ، لأن هذه الوسيلة كالمنفعة المتوسل إليها قد ألغاها الشارع وأبطلها . كما ليس من حق المرء أن يتوسل الى جلب ثروة أو تحْقيق مطلب من مطالبه الشخصية بالكذب أو الخيانة أو الربا ؟ لأن هذه المصالح قد ألغاها الشارع ولم يعتبرها لمنافاتها لِمقاصِدهِ الكبرى فى

---

(١) نقل هذا القرافى فى فروقه وانخدع له مع الأسف

الجمع بين سعادة الروح والجسد معاً .

ومن أمثله ما اعتبره الشارع : تحريم الحشيشة فإنها وإن لم ينص على تحريمها داخلة فى تحريم الخمر ، فلا يقال تحريم الحشيشة من المصالح المرسلة ؟ لأن الشارع حرم الخمر لما فيها من ضرر والحشيشة كذلك فهى محرمة بالاعتبار الشرعى لا بوصفها مصلحة تحقق بها دفع شر عن المسلم .

ومن ذلك الزام المفتىّ الغنىّ بالصيام فى الكفارة لكون العتق أو الاطعام أهـون عليه ، فنـظراً الى مصلحـة الشريعة حتى لا يتجرأ على انتهاكها الموسرون من أهل الثروة والمال ألزم الغنىّ بالصيام ، فهذه المصلحة باطلة لأن الشارع قد اعتبر الغاءها ، والمصالح المرسلة ما لم يشهد لها الشارع باعتبار أو إلغاء ، وهنا الشارع قد شهد لهذه بالالغاء حيث لم يأذن بالصيام إلا عند العجز عن العتق أو الاطعام ، قال تعالى : ﴿ **فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لمن يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم** ﴾ و مثل كفارة اليمين هذه كفارة الجماع فى نهار رمضان فليس من حق المفتى أن يفتى الغنى بالصيام دون العتق أو الاطعام واعلم أيها القارىء أن المصالح المـرسلة والتى يسميهـا مُرَوِّجُـو البـدع بالبـدعـة الحسنـة . تكـون فى الضروريات والحـاجيات والتحسينـات أى فيما هو ضرورى لحياة الفـرد والجماعة ، أو فيما هو حاجة من حاجات الفرد أو الجماعة وان لم يكن ضروريا لهما ، أو فيما هو من باب الكـماليات والتحسينـات فقط . . فليس هو بضرورى ولا حاجى .

وعـلى سبيل المثـال لا الحصر كتـابة المصحف الكريم وجمع القران العظيم على عهد كل من أبى بكر [١] وعثمان رضى الله عنهما فليس هذا العمل من باب البدعة ، وإنما هو من باب المصالح المرسلة ، إذ حفظ القرآن من الـزيادة والنقصـان والمحافظة عليه حتى يرده الله اليه فى آخر الحياة واجب على المسلمين فلما خافوا عليه الضياع بحثوا عن وسيلة تحقق لهم ذلك

(١) مع أن هذا يعد من سنة الخلفاء الراشدين التى أمرنا باتباعها .

فهداهم الله تعالى الى جمعه وكتابته فكان عملهم هذا مصلحة مرسلة إذ لم يشهد لها الشرع باعتبار ولا إلغاء ، وإنما هو من مقاصده العامة فهل لأحد أن يقول إن هذا العمل بدعة حسنة أو سيئة ؟ لا ، بل هو من المصالح المرسلة الضرورية .

ومثال المصالح المرسلة الحاجة إلى اتخاذ المحاريب فى قبلة المسجد ، إذ لم يكن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم محاريب فى المساجد ، وإنما لما انتشر الاسلام وكثر المسلمون وأصبح الرجل يدخل المسجد فيسأل عن القبلة وقد لا يجد من يسأل فيحتار فى شأن القبلة فدعت الحاجة الى وضع طاق فى قبلة المسجد يهتدى به الغريب الى القبلة ، ومثل هذا زيادة عثمان الأذان الأول لصلاة الجمعة فإنه لما عظمت المدينة وأصبحت عاصمة الاسلام واتسعت دورها وأسواقها رأى عثمان رضى الله عنه أن يؤذن للناس قبيل الوقت لينبههم وهم فى غفلة البيع والشراء فإذا جاءوا ودخل الوقت أذن المؤذن وقام فخطب الناس وصلى .

فهذا ليس من الابتداع إذ الأذان مشروع للصلاة ، وقد يؤذن لصلاة الصبح بأذانين أيضا ، وإنما هو من المصالح المرسلة التى فيها نفع المسلمين وإن لم تكن من ضرورياتهم ، ولكنها تحقق لهم نفعاً ما بتنبيههم إلى قرب دخول وقت الصلاة الواجب عليهم حضورها ولما كان الشارع لم يشهد لمسألة المحراب أو الأذان باعتبار ولا إلغاء ، وكانت المسألتان تدخلان فى مقاصد الشرع صح أن يقال إنهما من المصالح المرسلة ، فالأولى من الحاجيات والثانية من التحسينات والكماليات .

ومن هذه المصالح المرسلة التى غالط فيها بعض أهل العلم أو غلطوا فيها وادعوا انها بدعة حسنة . وقاسوا عليها كثيرا من البدع المنهى عنها : بناء المنارات والمآذن فى المساجد لابلاغ صوت المؤذن إلى اطراف المدن والقرى إعلاما لهم بدخول الوقت أو قربه . وكالمآذن اتخاذ مكبرات الصوت لسماع خطبة الامام وقراءته وتكبيراته فى الصلاة ، وكذا قراءة القرآن قراءة جماعية (١) فى الكتاتيب من أجل حفظ القرآن . فهذه من المصالح المرسلة

---

(١) هذه المسألة كثر فيها القيل والقال فى بلاد المغرب إذ أهل المغرب الأدنى والأوسط والأقصى أى تونس والجزائر والمغرب « مراكش » يقرأون ما يسمونه بالحزب ، دبر بعض الصلوت الخمس وهى قراءة جماعية بصوت واحد وهى هيئة قراءة محدثة فنظر فيها بعض أهل العلم فقال بمنعها لأن الهيئة محدثة لم تكن معروفة على عهد السلف . ونظر إليها بعضهم فأجازها لأنها

التى لم يشهد الشارع لها باعتبار ولا الغاء ولكنها داخلة فى مقاصده العامة فليس من حق أحد أن يقول فيها إنها بدع حسنة ويقيس عليها ما حرم رسول الله ﷺ من الابتداع فى الدين بقوله : **« إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة »** .

وخلاصة القول أيها القارىء أن المصالح المرسلة غير البدع المحدثة فالمصالح المرسلة لا ترد ولاتقصد لذاتها ، وإنما تراد وسيلة لحفظ واجب أو أدائه ، أو درء مفسدة ، أو تجنبها أما البدع فإنها تشريع يُضاهى به شرع الله مقصود لذاته ، لاوسيلة لغيره من جلب نفع أو دفع ضر ، والتشريع المقصود بذاته من حق الله تعالى وحده ، إذ غير الله عز وجل لا يقدر على وضع عبادة تؤثر فى النفس البشرية ، بالتطهير والتزكية وما الانسان بأهل لذلك أبدا . وعليه فليلزم المرء حدّه وليطلب ما هو له ، وليترك ما ليس له فإن ذلك خير له وأسلم .

= وسيلة لحفظ القرآن . وما قلته أنا لأهل تلك البلاد كان جيما بين النظرين : وهو إن كان المراد من هذه القراءة الجماعية التعبد فلا تصح لأنها محدثة ، وإن كان المراد منه المحافظة على القرآن حتى لا يضيع بينهم فهى من المصالح المرسلة التى يجيزها أكثر أهل العلم ، والله أعلم .

المــوالد عامــة
وحكــم الاســلام عليــها

إن كلمة الموالد جمع مولد مدلولها لايختلف بين إقليم إسلامى وآخر إلا أن كلمـة مولد لا تطرد فى كل البلاد الاسلامية إذ أهل بلاد المغرب الأقصى (مراكش) يسمـونها بالمـواسم فيقـال : موسم مولاى إدريس مثلا ، وأهل المغرب الأوسط « الجزائر » يسمونها بالزرد جمع زردة فيقال زردة سيدى أبى الحسن الشاذلى مثلا ، وأهل مصر والشرق الأوسط عامة يسمـونها الموالد فيقولون مولد السد زينب ، أو مولد السيد البدوى مثلا وسماها أهل المغرب بالمواسم لأنهم يفعلونها موسميا أى فى العام مرة .
وسماها آهل الجزائر بالزردة باعتبار ما يقع فيها من ازدراد الأطعمة التى تطبخ على الذبائح التى تذبح للولى ، أو عليه بحسب نيات المتقربين ، وسماها من سماها بالحضرة إما لحضور روح الولى فيها ولو بالعناية والبركة ، أو لحضور المحتفلين لها وقيامهم عليها .

هذا بالنسبة إلى مجرد التسمية أما بالنسبة إلى ما يجرى فيها من أعمال فإنها تختلف كيفا وكـمًّا بحسب وعى أهـل الاقليم ، وفقـرهـم وغنـاهـم والقاسم المشترك بينهم فيما ما يلى :

١ ـ ذبح النذور والقرابين للسيد أو الولى المقام له الموسم أو الزردة أو المولد أو الحضرة .
٢ ـ اختلاط الرجال الأجانب والنساء الأجنبيات .
٣ ـ الشطح [١] والرقص وضرب الدفوف والتزمير بالمزامير المختلفة .
٤ ـ إقامة الأسواق للبيع والشراء وهذا غير مقصود غير أن التجار يستغلون التجمعـات الكـبري ويجلبون اليها بضائعهم لعرضها وبيعها وعندما

---

(١) الشطح كالرقص هو لغة الانخفاض والارتفاع ، والرقص محرك الراء والقاف مصدر رقص غير أن الشطح لم يذكر له فى اللغة فعل فيما علمت من بحثى ، وإنما الشطّح بكسر الشين والطاء المشددة لفظ يزجر به العريض من أولاد المعز . وهو من أتى عليه سنة .

يوجد الطلب والعَرْضَ تقوم السوق على ساقها ، وناهيك بأسواق منى وعرفات .

٥ ـ دعاء الولى أو السيد والاستغاثة به والاستشفاع وطلب المدد وكل ما تعذر الحصول عليه من رغائب وحاجات وهو شرك أكبر والعياذ بالله .

٦ ـ قد يحصل شيء من الفجور وشرب الخمور ، ولكن لا يطرد هذا لا فى كل البلاد ولا فى كل الموالد .

٧ ـ مساعدة الحكومات على إقامة هذه المواسم بنوع من التسهيلات وقد تسهم بشيء من المال أو اللحم أو الطعام . فقد كانت فرنسا فى بلاد المغرب بأقاليمه الثلاثة تساعد حتى بتخفيض تذكرة الاركاب فى القطار ، وكذلك بلغنى أن الحكومات المصرية تفعل ومن أغرب ما نسمع عن هذا الوفاق أن حكومة اليمن الجنوبى وهى بلشفية خالصة تشجع [١] هذه الموالد ولو بعدم إنكارها التى أنكرت الاسلام عقائد وعبادات وأحكاماً . ولهذا دلالة كبرى وهى ان هذه الموالد ما ابتدعت إلا لضرب الاسلام ، وتحطيمه والقضاء عليه .

ومن هنا كان حكم الاسلام على هذه الموالد والمواسم والزرد والحضرات المنع والحرمة فلا يبيح منها مولداً ولا موسماً ولا زردة ولا حضرة ، وذلك لأنها بدع قامت على أساس تقويض العقيدة الاسلامية ، وإفساد حال المسلمين ، ويدلك على ذلك مناصرة أهل الباطل لها ووقوفهم إلى جنبها ومعها ، ولو كان فيها ما يوقظ الروح الاسلامى ، أو يحرك ضمائر المسلمين لما وجدت من حكومات الباطل والشر الا محاربتها والقضاء عليها .

هذا وهل دعاء غير الله والذبح والنذر لغير الله ، غير شرك حرام ؟ وهذه الموالد ما قام سوقها إلا على ذلك . وهل الرقص والمزامير واختلاط النساء بالرجال إلا فسق وحرام ؟ وما خلت تلك الموالد والمواسم من شيء من هذا فكيف اذاً لا تكون حراماً ، وهل هذه الموالد عرفها رسول الله وأصحابه والتابعون لهم بإحسان ؟ والجواب : لا ، لا ومالم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه دينا فهل يكون اليوم دينا ؟ وما لم

(١) حدثنى بهذا أبناء الجنوب أنفسهم .

يكن دينا فهو بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار . سئل مالك رحمه الله تعالى عما يترخص فيه بعض أهل المدينة من الغناء فقال للسائل : هل الغناء حق ؟ قال : لا ، قال اذاً فماذا بعد الحق الا الضلال . فهذه الموالد على اختلافها ما فيها من حق ألبتة ، ومالم يكن حقا فهو باطل ، إذ ما بعد الحق الا الضلال . ومن ثَمَّ أصبح المولد النبوى الشريف عبارة عن اجتماعات فى المساجد أو فى بيوت الموسرين من المسلمين يبتدىء غالباً من هلال ربيع الأول إلى الثانى عشر منه ، يتلى فيها جانب من السيرة النبوية كالنسب الشريف وقصة المولد ، وبعض الشمائل المحمدية الطاهرة الخَلْقِية منها والخُلُقية مع جعل اليوم الثانى عشر من شهر ربيع يوم عيد يوسع فيه على العيال ، وتعطل فيه المدارس والكتاتيب ، ويلعب فيه الأطفال أنواعا من اللعب ، ويلهون ألوانا من اللهو هكذا كنا نعرف المولد ببلاد المغرب ، حتى إذا جئنا بلاد المشرق وجدنا المولد فيها عبارة عن اجتماعات فى بيوت الأغنياء والموسرين يعقد تحت شعار ذكرى المولد النبوى الشريف وليس خاصا عندهم بشهر ربيع الأول ولا باليوم الثانى عشر منه ، بل يقيمونه عند وجود أية مناسبة من موت أو حياة ، أو تجدد حال ، وكيفيته : أن تذبح الذبائح وتعد الأطعمة ويدعى الأقارب والأصدقاء وقليل من الفقراء ، ثم يجلس الكل للاستماع فيتقدم شاب حسن الصوت فينشد الأشعار ويترنم بالمدائح وهم يرددون معه بعض الصلوات [١] ثم يقرأ قصة المولد حتى إذا بلغ : وولدته آمنة مختوناً . قام الجميع إجلالا وتعظيما ووقفوا دقائق فى إجلال وإكبار تخيلا منهم وضع آمنة لرسول الله ﷺ ، ثم يؤتى بالمجامر وطيب البخور فيتطيب الكل ، ثم تدار أكؤس المشروبات الحلال فيشربون ثم تقدم قصاع الطعام فيأكلون وينصرفون ، وهم معتقدون أنهم قد تقربوا إلى الله تعالى بأعظم قربة .

ومما يجدر التنبيه إليه هنا أن جلّ القصائد والمدائح التى يتُغنَّى بها فى المولد لا يخلو من ألفاظ الشرك وعبارات الغلو الذى نهى عنه رسول الله ﷺ بقوله : **لا تطرونى [٢] كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، وانما أنا عبد الله ورسوله ، فقولوا عبد الله ورسوله** » كما يختم الحفل بدعوات

(١) نحو صلى عليك الله ياعلم الهدى ما حن مشتاق إلى لقاك . بإشباع الكاف من لقاك .

(٢) رواه البخارى ومسلم

تحمل الفاظ التوسلات المنكرة ، والكلمات الشركية المحرمة لأن جل الحاضرين عوام أو غلاة فى حب التوسلات الباطلة التى نهى عنها العلماء كالسؤال بجاه فلان وحق فلان والعياذ بالله تعالى ، واللهم صل على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

هذا هو المولد فى عرف الناس اليوم ومنذ ابتداعه على عهد الملك المظفر سنة ستمائة وخمس وعشرين من الهجرة النبوية .

أما حكمه فى الشريعة الاسلامية فإنا نترك للقارىء الكريم الافصاح عنه إذ قد عرف من خلال هذا البحث أن المولد أحدث فى القرن السابع فقط ، وأن كل مالم يكن على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه دينا لم يكن لمن بعدهم دينا . والمولد فى عرف الناس اليوم لم يكن موجودا على عهد الرسول وأصحابه ولا على عهد أهل القرون المفضلة وإلى مطلع القرن السابع قرن الفتن والمحن ، فكيف يكون إذا دينا ؟ وإنما هو بدعة ضلالة **بقول الرسول ﷺ : « إياكم ومحدثات[1] الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »**

وزيادة فى إيضاح الحكم نقول : إذا كان الرسول ﷺ قد حذرنا من محدثات الأمور وأخبرنا أن كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة وأن مالكا رحمه الله تعالى قال : لتلميذه الامام الشافعى[2] رحمه الله تعالى : إن كل مالم يكن على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه دينا لم يكن اليوم دينا . وقال : من ابتدع فى الاسلام بدعة فرآها حسنة فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد خان الرسالة ، وذلك لأن الله تعالى قال : ﴿ **اليوم[3] أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيتُ لكمُ الاسلام دينا** ﴾ وأن الامام الشافعى رحمه الله تعالى قال : كل ماأُحْدِثَ مما يخالف كتابا أو سنة أو إجماعا فهو بدعة .

فهل يكون المولد النبوى بالمعنى العرفى غير بدعة ، وهو لم يكن سنة من سنن الرسول ولامن سنن الخلفاء الراشدين ، ولا من عمل السلف الصالح ، وإنما أحدث فى القرون المظلمة من تاريخ الاسلام حيث

---

(١) رواه أصحاب السنن وهو صحيح السند . (٢) ويرى أيضاً أنه قاله لابن الماجشون . (٣) الآية من سورة المائدة .

نجمت الفتن وافترق المسلمون ، واضطربت أحوالهم وساء أمرهم ثم إننا لو سلمنا جدلا أن المولد قربة من القرب بمعنى أنه عبادة شرعية يتقرب بها فاعلها إلى الله تعالى لينجيه من عذابه ، ويدخله جنته فإنا نقول : من شرع هذه العبادة الله أم الرسول ﷺ ؟ والجواب لا ، وإذاً فكيف توجد عبادة لم يشرعها الله ورسوله وهذا مستحيل . وشيء آخر أن العبادة لها حيثيات أربع ، كميتها وكيفيتها وزمانها ومكانها فمن يقدر على إيجاد هذه الحيثيات وتحديدها وتعيينها ؟ لا أحد . وعليه فلم يكن المولد قربة ولا عبادة بحال من الأحوال ، وإذا لم يكن قربة ولا عبادة فماذا عساه أن يكون سوى بدعة ؟؟

المولد النبوى الشريف
وحكم الاسلام فيه

تعريف المولد

ما هو المولد النبوى الشريف ؟

إن المولد النبوى الشريف فى عرف اللغة العربية هو المكان أو الزمان الذى ولد فيه خاتم الأنبياء وإمام المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم . فمولده المكانى ـ فداه نفسى وأبى وأمى ـ هو دار أبى يوسف المقام عليها اليوم مكتبة عامة بمكة المكرمة . ومولده الزمانى هو يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول من عام سبعين وخمسائة من تاريخ ميلاد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .

هذا هو المراد من كلمة المولد النبوى الشريف فى العرف اللغوى ، والذى لم يعرف المسلمون غيره طيلة ستة قرون وربع قرن أى من يوم نزول الوحى إلى مطلع القرن السابع الهجرى ، ثم بعد سقوط الخلافة الاسلامية الراشدة وانقسام بلاد المسلمين وتمزقها وما تبع ذلك من ضعف وانحراف فى العقائد ،والسلوك ، وفساد فى الحكم والادارة ظهرت بدعة المولد النبوى الشريف كمظهر من مظاهر الضعف والانحراف فكان أول من أحدث هذه البدعة الملك المظفر صاحب إربل من بلاد الشام[1] غفر الله لنا وله ، وأول من ألف فيها مولدا أبو الخطاب بن دحية سماه : التنوير فى مولد البشير النذير قدمه للملك المظفر الآنف الذكر فأجازه بألف دينار ذهبا .

ومن طريف ما يعلم فى هذا الشان أن السيوطى ذكر فى كتابه الحاوى أن الملك المظفر مبتدع بدعة المولد قد أعد سماطاً فى أحد الموالد التى يقيمها وضع عليه خمسة آلاف رأس غنم مشوى ، وعشرة آلاف دجاجة ، ومائة

---

(١) الصواب أنها من أعمال الموصل لا الشام .

فرس ، ومائة ألف زبدية ، وثلاثين الف صحن حلوى . وانه أقام سماعا للصوفية من الظهر إلى الفجر ، وكان يرقص فيه بنفسه مع الراقصين . فكيف تحيا أمة ملوكها دراويش يرقصون فى حفلات الباطل ، وإنا لله وإنا اليه راجعون . وإن قيل : وإذا كان المولد بدعة أفلا يثاب فاعله على أفعال البر التى فيه من ذكر ودعاء واطعام طعام ؟ نقول : هل يثاب على صلاة فى غير وقتها ؟ هل يثاب على صدقة لم تقع فى موقعها ؟ هل يثاب على حج فى غير وقته ؟ هل يثاب على طواف حول غير الكعبة أو على سعى بين غير الصفا والمروة ؟ فإن قيل فى كل هذه لا ، لا ، قيل كذلك فى أفعال البر المصاحبة للمولد لا ، لا ، لعلة الاحداث فيها والابتداع الذى صاحبها ، وإذ لو صح ذلك وقبل من فاعله لأمكن الاحداث فى الدين ، وهذا مردود بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : من أحدث[1] فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد .

علل غير كافية
فى إقامة المولد

إن مما يدل على أن مسألة المولد النبوى الشريف قد اتبع فيها الهوى ولم يتبع فيها الشرع تبرير أهلها لها بالعلل الخمس الآتية وهى :

١ - كونها سنوية يتذكر فيها المسلمون نبيهم ﷺ ، فيزداد حبهم وتعظيمهم له .

٢ - سماع الشمائل المحمدية ، ومعرفة النسب النبوى الشريف .

٣ - إظهار الفرح بولادة الرسول صلى الله عليه وسلم لما يدل ذلك على حب الرسول وكمال الايمان به .

٤ - إطعام الطعام وهو مأمور به ، فيه أجر كبير لا سيما بنية الشكر لله تعالى .

٥ - الاجتماع على ذكر الله تعالى من قراءة القرآن والصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام .

---

(١) تقدم وانه رواه مسلم فى صحيحه .

هذه خمس علل تعلل بها بعض مجيزى المولد وهى علل كما سترى غير كافية وباطلة أيضا لما فيها من معنى الاستدراك على الشارع ، بتشريع مالم يشرعه مع الحاجة إليه . وإليك أيها القارىء بيان بطلان هذه العلل واحدة بعد أخرى .

١ ـ كون المولد ذكرى الخ هذه تصلح أن تكون علة لو كان المسلم لا يذكر النبى ﷺ فى كل يوم عشرات المرات فتقام له ذكرى سنوية أو شهرية يتذكر فيها ليزداد بذلك إيمانه به وحبه له ، أما والمسلم لا يصلى صلاة من ليل أو نهار الا ذكر فيها رسوله وصلى عليه فيها وسلم . ولا يدخل وقت صلاة ولا يقام لها إلا ويذكر الرسول ، ﷺ ويصلى عليه . إن الذى تقام له ذكرى خشية النسيان هو من لا يذكر . أما من يذكر ولا ينسى فكيف تقام له ذكرى حتى لا ينسى ، أليس هذه من تحصيل ما هو حاصل ، وتحصيل الحاصل عبث ينزه عنه العقلاء .

٢ ـ سماع بعض الشمائل المحمدية الطاهرة والنسب الشريف هذه علة غير كافية فى إقامة المولد ، لأن معرفة الشمائل المحمدية والنسب الشريف لا يكفى فيها أن تسمع مرة فى العام ، وماذا يغنى سماعها ، مرة وهى جزء من العقيدة الاسلامية ؟ إن الواجب على كل مسلمٍ ومسلمة أن يعرف نسب نبيه صلى الله عليه وسلم وصفاته كما يعرف الله تعالى : بأسمائه وصفاته . وهذا لابد له من التعليم . ولا يكفى فيه مجرد سماع تلاوة قصة المولد مرة فى العام .

٣ ـ إعلان الفرح الخ هذه علة واهية ، إذ الفرح إما أن يكون بالرسول ﷺ أو بيوم ولد فيه ، فإن كان بالرسول ﷺ فليكن دائما كلما ذكر الرسول ولا يختص بوقت دون وقت ، وإن كان باليوم الذى ولد فيه ، فإنه أيضاً اليوم الذى مات فيه ، ولا أحسب عاقلا يقيم احتفال فرح وسرور باليوم الذى مات فيه حبيبه وموت الرسول ﷺ أعظم مصيبة أصابت المسلمين حتى إن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يقولون : من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته برسول الله ﷺ . أضف إلى ذلك أن الفطرة البشرية قاضية : أن الانسان يفرح بالمولود يوم ولادته ، ويحزن

عليه يوم موته ، فسبحان الله ، كيف يحاول الانسان غرورا تغيير الطبيعة ؟

٤ ـ إطعام الطعام الخ هذه العلة أضعف من سابقاتها ؟ إذ إطعام الطعام مندوب إليه مرغب فيه كلما دعت الحاجة اليه فالمسلم يقرى الضيف ويطعم الجائع ويتصدق طوال العام ، ولم يكن فى حاجة إلى يوم خاص من السنة يطعم فيه الطعام ، وعليه فهذه ليست بعلة تستلزم إحداث بدعة بحال من الأحوال .

٥ ـ الاجتماع على الذكر الخ هذه العلة فاسدة وباطلة لأن الاجتماع على الذكر بصوت واحد لم يكن معروفا عند السلف فهو فى حد ذاته بدعة منكرة . وأما المدائح والقصائد بالأصوات المطربة الشجية فهذه بدعة أقبح ولا يفعلها إلا المتهوكون [١] فى دينهم والعياذ بالله تعالى .

مع أن المسلمين العالمين يجتمعون كل يوم وليلة طوال العام فى الصلوات الخمس فى المساجد وفى حلق العلم لطلب العلم والمعرفة ، وما هم فى حاجة الى جلسة سنوية الدافع عليها فى الغالب الحظوظ النفسية من سماع الطرب والأكل والشرب .

شبهٌ ضعيفةٌ

احتج بها المرخصون

فى الاحتفال بالمولد

اعلم أخى المسلم فتح الله تعالى علَّى وعليك فى العلم والعمل أنه عند ماأحدثت بدعة المولد فى مطلع القرن السابع وفشت وانتشرت بين الناس لوجود فراغ روحى وبدنى معاً ، لترك المسلمين الجهاد وانشغالهم بإطفاء نيران الفتن التى أشعل نارها أعداء الاسلام وخصومه من اليهود والنصارى والمجوس ، وتأصلت هذه البدعة فى النفوس وأصبحت جزءاً من عقيدة

(١) التهوك : التحير والتهور والاضطراب فى القول . فالمتهوكون : المتحيرون المتهورون المضطربون فى الدين

كثير من أهل الجهل لم يجد بدًا بعض أهل العلم كالسيوطى رحمه الله تعالى من محاولة تبريرها بالبحث عن شبه يمكن أن يشهد بها على جواز بدعة المولد هذه وذلك إرضاء للعامة والخاصة أيضا من جهة ، وتبريرا لرضى العلماء بها وسكوتهم عنها لخوفهم من الحاكم والعوام من جهة أخرى . وهاك بيان هذه الشبه مع إظهار ضعفها وبطلانها لتزداد بصيرة فى هذه القضية التى اضطررنا لبحثها وبيان الحق فيها .

والشبه المذكورة تدور على أثر تاريخى ، وثلاثة أحاديث نبوية ، ومثير هذه الشبه وبطلها هو السيوطى غفر الله تعالى لنا وله ، وما كان أغناه عن مثل هذا وهو أحد علماء القرن العاشر قرن الفتن والاحن والمحن ، والعجيب أنه فرح بهذه الشبه وفاخر بها وقال : إني وجدت [١] للمولد أصلاً فى الشرع ، وخرجته عليه ، ولا يستغرب هذا من السيوطى وهو كما قيل فيه حاطب ليل يجمع بين الشىء وضده .

الشبهة الاولى فى الأثر التاريخ وهو ماروى من أن أبالهب [٢] الخاسر رؤى فى المنام ،فسئل فقال : إنه يعذب فى النار ، إلا أنه يخفف عنه كل ليله اثنين ، ويمص من بين أصبعيه ماء بقدر هذا وأشار إلى رأس أصبعه وأن ذلك كان له بسبب إعتاقه جاريته ثويبة لما بشرته بولادة محمد ﷺ لأخيه عبد الله بن عبد المطلب ، وبإرضاعها له ﷺ ورد هذه الشبهة وإبطالها من أوجه :

١ ـ أن أهل الاسلام مجمعون أن الشرع لا يثبت برؤى الناس المنامية مهما كان ذو الرؤيا فى إيمانه وعلمه وتقواه ، إلا أن يكون نبى الله فإن رؤيا الأنبياء وحى والوحى حق .

٢ ـ أن صاحب هذه الرؤيا هو العباس بن عبد المطلب والذى رواها عنه رواها بالواسطة فالحديث إذا مرسل ، والمرسل لا يحتج به ولا تثبت به عقيدة ولا عبادة ،مع احتمال أن الرؤيا رآها العباس قبل إسلامه ورؤيا الكافر حال كفره لا يحتج بها إجماعا .

٣ ـ أكثر أهل العلم من السلف والخلف على أن الكافر لا يثاب على صالح عمله إذا مات على كفره ،وهو الحق ،لقول الله تعالى﴿ وقدمنا

(١) الحاوى فى الفتاوى للسيوطى .
(٢) انظر فتح البارى فى هذه المسألة فقد أفاد فيها وأجاد

إلى ما عملوا من عمـــل فجعلنـاه هبـاء منثـورا ﴾ وقـولـه عز وجل : . . . ﴿ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾ وقول رسول الله ﷺ ، وقد سألته عائشة رضى الله عنها عن عبد الله بن جدعان الذى كان يذبح كل موسم حج ألف بعير ويكسو ألف حلة ، ودعا إلى حلف الفضول فى بيته هل ينفعه ذلك يارسول الله ؟ فقال : لا ، لا لأنه لم يقل يوما من الدهر رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين » وبهذا يتأكد عدم صحة هذه الرؤيا ، ولم تصبح شاهدا ولا شبهة أبدا .

٤ ـ ان الفرح الذى فرحه أبو لهب بمولود لأخيه فرح طبيعي لا تعبدى ، إذ كل إنسان يفرح بالمولود يولد له ، أو لأحد إخوانه أو أقاربه ، والفرح إن لم يكن لله لايثاب عليه فاعله ، وهذا يضعف هذه الرواية ويبطلها . مع أن فرح المؤمن بنبيه معنى قائم بنفسه لا يفارقه أبدا لأنه لازم حبه ، فكيف نحـدث له ذكرى سنوية نستجلبه بها ، اللهم إن هذا معنى باطل ، وشبهة ساقطة باطلة لا قيمة لها ولا وزن فكيف يثبت بها إذا شرع لم يشرعه الله لاعن عجز ولاعن نسيان ولكن رحمة بعباده المؤمنين فله الحمد وله المنة .

الشبهة الثانية فيما روى من أن النبى ﷺ قد عق [١] عن نفسه ، بعد شرعه العقيقة لأمته ، وبما أن جده عبد المطلب قد عق عنه ، والعقيقة لاتعاد ، دلّ هذا على أنه فعل ذلك شكرا لله تعالى على نعمة ولادته أو يمكن حينئذ أن يتخذ هذا أصلا تخرج عليه بدعة المولد

هذه الشبهة أضعف من سابقتها ، ولا قيمة لها ولا وزن ، إذ هى قائمة على مجرد احتـمال ان النبى ﷺ قدعق شكـرا على نعمة إيجاده والاحتمال أضعف من الظن ، والظن لا تثبت به الشرائع ، والله يقول **﴿ إن بعض الظن إثم ﴾** والرسول ﷺ يقول : **« إياكم والظن [٢] فإن الظن أكذب الحديث »** .

وشىء آخر هو هل ثبت أن العقيقة كانت مشروعة لأهل الجاهلية وهم

(١) لم أعرف هذه الرواية من خرجها ولا من إسندها ، والسيوطى ذكرها بصيغة التمريض ، ولا اخالها تصح .

(٢) حديث صحيح رواه مالك والشيخان .

يعملون بها حتى نقول إن عبد المطلب قدعق عن ابن ولده ، وهل أعمال أهل الجاهلية يعتد بها فى الاسلام ، حتى نقول : اذا عق النبى ﷺ عن نفسه شكرا لاقياما بسنة العقيقة ، إذ قدعق عنه ؟؟ سبحان الله ما أعجب هذا الاستدلال وما أغربه وهل إذا ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم ذبح شاة شكرا لله تعالى على نعمة إيجاده وامداده يلزم من ذلك اتخاذ يوم ولادته ﷺ عيدا للناس ؟ ولم لم يدعُ الى ذلك رسول الله ﷺ ويبين للناس ماذا يجب عليهم فيه من أقــوال وأعــمال ؟ كما بين ذلــك فى عيدى الفطر والأضحى . أنسى ذلك أم كتمه وهو المأمور بالبلاغ ؟ سبحانك اللهم إن رسولك مانسى ولاكتم ولكن الانسان كان أكثر شىء جدلا .

الشبهة الثالثة فيما صح من أن النبى ﷺ صام [١] يوم عاشوراء ، وأمر بصيامه ولما سئل عن ذلك قال إنه يوم صالح أنجى الله تعالى فيه موسى وبنى اسرائيل الحديث .... ووجه الشبهة فيه : انه لما صام النبى ﷺ وأمـر المؤمنين بالصيام فى هذا اليوم شكرا لله تعالى على نجاة موسى وبنى إسرائيل ، لنا أن نتخذ نحن يوم ولادة النبى صلى الله عليه وسلم لايوم صيام ولكن يوم أكلٍ وشرب وفرح ، فما أعجب هذا الفهم المعكوس ، والعياذ بالله تعالى ، إذ المفروض أننا نصوم كما صام النبى صلى الله عليه وسلم لاأننا نقيم المآدب والافراح بالطبول والمزامير ، فهل الله تعالى يشكر بالطرب والاكل والشرب ؟ اللهم لا ، لا . ثم هل لنا من حق فى أن نشرع لانفسنا صياما أو غيره ، وإنما واجبنا الاتباع فقط . وقد صام رسول الله صلى الله عليه وسلم عاشوراء فكان صيامه سنة وسكت عن يوم ولادته فلم يشرع فيه شيئا فوجب أن نسكت كذلك ، ولا نحاول أن نشرع فيه صياما ولا قياما فضلا عن اللهو واللعب .

الشبهة الـرابـعة فيما صح عنه ﷺ من آنه كان يصوم [٢] يوم الاثنين والخميس ، وتعليله بقوله : **أما يوم الاثنين فإنه يوم ولدت فيه وبعثت فيه وأما يوم الخميس فإنه يوم تعرض فيه الأعمال على الله تعالى فأنا أحب أن يعرض عملى على ربى وأنا صائم »**

(١) صيام يوم عاشوراء ثابت فى الصحاح والسنن

(٢) رواه ابن ماجه وغيره وهو صحيح .

ووجه الشبهة عندهم والتى خرجوا عليها بدعة المولد هى كونه ﷺ صام يوم الاثنين وعلله بقوله « إنه يوم ولدت فيه وبعثت فيه » ورد هذه الشبهة وإبطالها وإن كانت أضعف من سابقاتها من أوجه : **الأول** : أنه إذا كان المراد من إقامة المولد هو شكر الله تعالى على نعمة ولادة الرسول ﷺ فيه فإن المعقول والمنقول يحتم أن يكون الشكر من نوع ما شكر الرسول ربه وهو الصوم ، وعليه فلنصم كما صام ، وإذا سئلنا قلنا إنه يوم ولد فيه نبينا فنحن نصومه شكرا لله تعالى ، غير أن أرباب الموالد لايصومونه ، لأن الصيام فيه مقاومة للنفس بحرمانها من لذة الطعام والشراب ، وهم لا يريدون ذلك ، فتعارض الغرضان فآثروا ما يحبون على ما يحب الله وهى زلة عند ذوى البصائر والنهى ، **والثانى** أن الرسول ﷺ لم يصم يوم ولادته وهو اليوم الثانى عشر من ربيع الأول إن صح أنه كذلك ، وإنما صام يوم الاثنين الذى يتكرر مجيئه فى كل شهر أربع مرات أو أكثر ، وبناء على هذه فتخصيص يوم الثانى عشر من ربيع الاول بعمل ما دون يوم الاثنين من كل أسبوع يعتبر استدراكا على الشارع وتصحيحا لعمله وما أقبح هذا إن كان والعياذ بالله تعالى . **والثالث** هل النبى ﷺ لما صام يوم الاثنين شكرا على نعمة الايجاد والامداد وهو تكريمه ببعثه الى الناس كافة بشيرا ونذيرا أضاف إلى الصيام احتفالا كاحتفال أرباب الموالد من تجمعات ومدائح وأنغام ، وطعام وشراب ؟ والجواب لا ، وانما اكتفى بالصيام فقط إذاً ألا يكفى الأمة ما كفى نبيها ، ويسعها ما وسعه ؟؟ وهل يقدر عاقل أن يقول لا . وإذا فلم الافتيات على الشارع والتقدم بالزيادة عليه ، والله يقول ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ويقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ﴾ ورسوله صلى الله عليه وسلم يقول : « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » ويقول : « إن الله حدَّ حدودا فلا تَعْدُوهَا ، وفرض لكم فرائض فلا تضيعوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وترك أشياء

---

(١) أخرجه ابن جرير ورواه الحاكم وصححه عن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه

فى غير نسيان ، ولكن رحمة لكم فاقبلوها ولا تبحثوا عنها » (١)

(البديل الخير)

وإن قيل لك أيها القارىء الكريم : إنكم قد أبطلتم بدعة المولد بما أجلبتم عليها من خيل الحجج ورجل البراهين ، فما هو البديل عن هذه البدعة التى ما كانت تخلو فى الجملة من بعض الخير ؟ قل لهم إليكم البديل الخير :

أما عن قراءة قصة المولد وما تضمنته من استعراض للنسب الشريف والشمائل المحمدية الطاهرة فإن البديل عن ذلك أن يأخذ المسلمون أنفسهم بالجد ، فيجتمعوا فى مساجدهم كل يوم من بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء على عالم بالكتاب والسنة يعلمهم أمور دينهم ، ويفقههم فيه ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، ويومئذ سيتعلمون النسب الشريف ويدرسون الشمائل المحمدية ويتصفون بما فيه الأسوة منها وبذلك يصبحون حقًا من أتباع رسول الله ﷺ وأحبائه المحتفين به صدقا وحقا لا ادعاءً ونطقا .

وأما عن الذكر وقراءة القرآن فإن البديل أن يكون لأحدهم ورد فى الصباح وورد فى المساء ، وورد فى آخر الليل . أما ورد الصباح : فسبحان الله (١) وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله مائة مرة ، و ـ لا اله الا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير مائة مرة . وورد فى المساء : استغفر الله لى ولوالدى وللمؤمنين مائة مرة ، والصلاة على النبى ﷺ مائة مرة ، وأما ورد آخر الليل فصلاة ثمان ركعات يقرأ فى كل ركعة ربع جزء ، ويختم صلاته بثلاث ركعات يصلى اثنتين ويوتر بواحدة . مع المحافظة على صلاة الجماعة فى بيوت الله خاصة البردين لحديث « من صلى البردين (٢) يدخل الجنة » والبردان العصر والصبح .

وأما عن السماع فالبديل الخير أن يقتنى عددا من تسجيلات عظماء المجودين أمثال كامل يوسف البهتيمى ، والمنشاوى ، والصيفى ، والدروى والطبلاوى ، وكلما جفت نفسه وشعر باليبوسة فليفتح مسجله وليصغ

(١) هذه الاذكار بأعدادها ثابتة فى الصحاح والسنن ، وكذا ورد الصلاة اخر الليل .

(٢) رواه الشيخان .

يستمع فإنه يطرب الطرب الحق المثير الشوق إلى الله تعالى ، والرغبة فى جواره الكريم .

وأما عن إطعام الطعام وازدراده مع الاخوان فبابه مفتوح وطريقه معروف والعامة يقولون : (من بيد[1] ، كل يوم عيد) فلا يتوقف على احتفال ولا طاعة ولا امتثال فليطبخ طعامه وليدع الفقراء وحتى الاغنياء وليأكل وليحمد الله تعالى ، وليشكره ، ومن يشكر الله يزده ، والله خير الشاكرين .

غلوّ فى المولد شائن

إن ممايدعو إلى الأسى والأسف معا وجود كثير من أصحاب الموالد والمحبذين لها ومن بينهم طلبة علم قد غلوا فى تمجيد هذه البدعة ، وأكبروا من شأنها وتعظيمها إلى حدٍّ أن بعضهم لا يتورع أن ينسب من ينكرها بوصفها بدعة محدثة ضلالة أن ينسبه إلى الكفر والمروق من الدين بقوله : فلان يبغض الرسول ﷺ أو يكرهه ، لأنه لا يحب المولد أو يكره الاحتفال بالمولد ، وهو يعلم أن من يكره الرسول ﷺ أو لايحبه يكفر بذلك بإجماع المسلمين ، ومن هنا كان قوله فلان يكره الرسول ﷺ تكفير له ، وتكفير المسلم لايحل أبدا . ومع العلم أنه لا ينكر البدعة ولا ينهى عنها ويحذر منها إلا مؤمن وصالح أيضا ، فكيف يكفَّرُ أو يتهم بالكفر والعياذ بالله ، وكأن هؤلاء الغلاة فى شأن هذه البدعة عَمُوا عن قول الرسول ﷺ فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما المتفق على صحته البخارى ومسلم : « **إذا قال الرجل لأخيه : ياكافر فقد باء بها أحدهما ، فإن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه** » وصموا عن قوله ﷺ فى حديث أبى ذر المتفق عليه أيضا : « **من دعا رجلا بالكفر ، أو قال : عدو الله ، وليس كذلك إلا حار عليه** » أى رجع عليه ما قاله من الكفر أو اللعن . إن هذا السلوك لشىء يدعو إلى العجب والاستغراب حقا إن من حق المسلم على المسلم أن يأمره بالمعروف إذا تركه وينهاه عن المنكر إذا ارتكبه ، فإذا قام المسلم بحق أخيه فأمره أو نهاه

---

(١) بإشباع ضمة الدالين ، وهذا الاشباع عوض عن الضميرين المحذوفين ، إذا الاصل من بيده المال فكل يوم عيده .

يجازيه أخوه المأمور أو المنهى بأسوإ جزاء وأقبحه بنسبته إلى الكفر والعياذ بالله تعالى وهذا فى الحقيقة عائد إلى سوء أحوال المسلمين ، وفساد قلوبهم وأخلاقهم بسبب بعدهم عن التربية الاسلامية ، التى هى قوام حياة المسلمين ، وسبب سعادتهم وكمالهم . إذ قد انعدمت هذه التربية منذ قرون عدة وانعدم بينهم من يقوم بها فيهم مع شديد الأسف ، وهذه الأمة المحمدية حاجتها إلى التربية الروحية والخلقيه أمس حاجاتها إليها ، إذ ما كملت فى الصدر الأول ولا سعدت إلا عليها قال تعالى : ﴿ هو [1] **الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾ فتزكية الرسول ﷺ لأصحابه هى تربية نفوسهم على الكمالات ، وأخلاقهم على الفضائل بما يغذوهم به يوميا من أنواع المعارف ويروضهم عليه من أنواع السنن والآداب حتى كملوا وطهروا . وقام بعده حواريوه وأصحابه بتربية المسلمين فى كل الامصار والبلاد التى انتشروا فيها ، وخلفهم بعد وفاتهم تلامذتهم من التابعين ، وتابعى التابعين مع من بعدهم ، وسارت أمة الاسلام كاملة طاهرة خيرة إلى أن انعدمت فيها هذه التربية وانعدم رجالها . فسادتها الفوضى والانقسام ، وتقاسمتها الأهواء والشهوات ، وتولى فى يوم من الأيام تربيتها رجال ليسوا أهلا لذلك فزادوافى سوء حالها واضطراب امرها فكانوا كما قيل : (ضغثا على إبالة) وأخيرا ما علىّ إلا أن أنصح لأخى المسلم الذى أصر على هذه البدعة وعز عليه أن يتركها لاقتناعه بجوازها أو فائدتها ونفعها ، أو لطول ما اعتاد فعلها وألف إقامتها أنصح له أن يعذر أخاه المسلم اذا نهاه عنها أو انكرها عليه ؟ لأنه مأمور بذلك من قبل المحتفل به صلى الله عليه وسلم ، إذ قال« من[2] **رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان** » وبقوله : « **لتأمرن بالمعروف** [3] **ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم** » إن المفروض فى المسلم اذا أمره أخوه بمعروف أو نهاه عن منكر أو

(١) الآية من سورة الجمعة . ونظيرها من آل عمران : ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم ﴾ الايه .

(٢) رواه ملسم .

(٣) رواه أحمد والترمذى وحسنه أوله : والذى نفسى بيده لتأمرن الخ .

نصح له بفعل خير وترك شر أن يستجيب له ، أو يرد عليه ردا جميلاً كأن يقول جزاك الله خيرا لقد أديت واجبك معى . وأنا مبتلى عسى الله أن يعفو عنى . أو يقول هذه بدعة غير أنى رأيت بعض أهل العلم أقرها أو عمل بها أو أجازها ، فاتبعتهم وإنى أرجو أن لا يؤاخذنا الله هكذا ينبغى أن يكون المسلمون ، لا أن يكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا اتباعا للهوى وتعصبا للآراء ، وغلوا فى الدين غير الحق والعياذ بالله تعالى من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق .

إجحاف غير لائق

إن مما ينبغى أن يعلم ويقال أيضا تمشياً مع مبدإ الانصاف من [١] النفس أن أكثر الذين يقيمون حفلات المولد النبوى الشريف من المسلمين إنما يقيمونها حبا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب الرسول دين وإيمان ، وحب من يحب الرسول واجب ، فلذا لا يصح من المسلم ولا ينبغى له ان يبغض أخاه المسلم لفعله بدعة كهذه قد وجد أكثر الناس فى بلاده وفى العالم الاسلامى يفعلونها ، ولم يحمله عليها ، ولا دفعه إليها غالبا الا عاطفة الحب لنبيه صلى الله عليه وسلم والرغبة فى التقرب الى الله تعالى بذلك . وإلا كان ذلك إجحافاً غير لائق بمثله .

وكما لايصح أن يبغضه لا يصح أيضا أن يصفه بالشرك والكفر لمجرد احتفاله بالمولد أو إتيانه الحفل إن دعى اليه فإن مثل هذه البدعة لا تكفر فاعلها ولامن يحضرها ووصم المسلم بالكفر والشرك أمر غير هين وقد تقدمت [٢] الاحاديث فى ذلك فلا غلو أيها المسلم ولا إجحاف ولكن العدل والانصاف ، والا لعن بعضنا بعضا وخسرنا وجودنا كأمة تهدى بالحق وبه تعدل .

---

(١) جاء هذا فى حديث عمار بن ياسر فى كتاب الايمان من صحيح البخارى ، نصه : قال عمار : ثلاث من جمعهن فقد جمع الايمان : الانصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والانفاق من الاقتار . ظاهر هذا الحديث الوقف غير أنه روى مرفوعا .

(٢) تحت عنوان غلو شائن قبل صفحتين .

إن ما يجب على المسلم حيال أخيه المسلم المرتكب لهذه البدعة « بدعة المولد »أن يعلمه حكمها الشرعى ، ثم يأمره برفق أن يتركها مبينا له أنه لا فائدة يجنيها منها لأنها بدعة وكل بدعة ضلالة ، والضلالة غير الهداية . وأن أبى نهاه برفق كذلك ولا يكثر عليه من التشنيع والتقبيح لفعله كيلا يحمله على العناد والمكابرة ، فيهلك ، ويهلك معه لتسببه فى إهلاكه . ويؤمئذ يخسران معا ، إن المواجهة بالمكروه كان النبى ﷺ يتحاشاها ، ويقول : ما بال أقوام يقولون كذا وكذا ويريدون أن يفعلوا كذا وكذا ......

لأن الطبع البشرى هكذا لا يتحمل المواجهة بالمكروه ، حتى ولو كان أتى المكروه وفعله ، ورحم الله تعالى الامام الشافعى إذ أثر عنه قوله : « من نصح أخاه سرا فقد نصحه ، ومن نَصَحَهُ علنا فقد فضحه » :

هذا كله فيما إذا كانت البدعة المنهى عنها ليس فيها من اعمال الشرك وأقواله شىء ، وذلك كدعاء غير الله تعالى أو الاستغاثة به وكذبح لغيره عز وجل أو قيام فى خشوع من مظاهر العبادة لغير الله تعالى . وانما هى إظهار الفرح بمولد الرسول ﷺ وإطعام الطعام شكرا لله تعالى على نعمة الاسلام الذى بعث الله به نبيه محمداً ﷺ . أو قراءة شىء من السيرة النبوية أو سماع بعض المدائح الخالية الفاظها من الشرك والغلو فى المدح ولااختلاط فيها بين النساء والرجال ولا وجود منكر ، ولا ترك معروف كترك الصلاة أو تأخيرها عن وقتها .

أما إذا صاحب هذه البدعة شىء من الشرك فى الأقوال أو الأفعال أو داخلها باطل أو فساد فإن على المسلم المنكر لها أن يشدد فى الانكار ، ولابأس أن يغلظ فى القول بحسب المنكر الموجود قوة وضعفا وعليه أن يطالب فى إصرار بترك المنكر من شرك وغيره من المعاصى المحرمة ، ولو أدى ذلك إلى مقاطعة فاعله وهجرانه فقد كان السلف الصالح إذا رأى أحدهم أخاه يأتى منكرا أنكره عليه فان أصر عليه هجره حتى يتركه . وإن كان هناك فارق بيننا وبينهم ، وهو أن المقاطعة اليوم لا تنفع لأنها لا تكون كاملة بحيث تؤثر على الأخ المقاطع لهذا فترك الهجران مع بقاء دعوة الأخ ومراوضته على فعل ما ترك من الواجب ، أو ترك ما ارتكب من الحرام

أجدى وأنفع .

وخلاصة القول فى هذا أن بدعة المولد كثيرا ما تكون خالية من أفعال الشرك وأقواله . ومن فعل المحرمات ففى هذه الحال ينكرها المسلم على إخوانه برفق ولين بعد تعليمهم حكمها الشرعى وترغيبهم فى ترك البدع مطلقا . لأنهم ما فعلوها إلا بدافع الايمان والرغبة فى الأجر فيراعى مقاصد الناس وبواعث أعمالهم وهذا من الحكمة المأمور بها المسلم فى أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر .

أما فى حال وجود شرك أو باطل أو فساد أو شر مصاحب لهذه البدعة فإن الانكار يكون بحسبه شدة ويسرا قوة وضعفا . وليكن الرائد فى ذلك والحامل عليه أداء حق الله تعالى وواجب نصح المسلمين ومساعدتهم على الاستقامة على دينهم ليكملوا ويسعدوا فى الدنيا والآخرة . والله من وراء القصد وهو المستعان وعليه وحده التكلان .

الخاتمة

لعل بعضنا ممن يقرءون هذه الرسالة قد يتساءلون قائلين : إذا كان المولد النبوى الشريف بدعة محرمة كسائر البدع لم سكت عنها العلماء وتركوها حتى ذاعت وشاعت وأصبحت كجزء من عقائد المسلمين ، أليس من الواجب عليهم أن ينكروها قبل استفحال أمرها وتأصلها ولم لم يفعلوا ؟؟

ونجيب الاخوة المتسائلين فنقول : لقد أنكر هذه البدعة العلماء من يوم ظهورها وكتبوا فى ردها الرسائل ، ومن قدر له الاطلاع على كتاب المدخل لابن الحاج عرف ذلك وتحقق . ومن بين الردود القيمة رسالة الفاكهانى تاج الدين عمر بن على اللخمى السكندرى الفقيه المالكى صاحب شرح الفاكهانى على رسالة ابن أبى زيد القيروانى والتى سماها « المورد فى الكلام على المولد » وسنثبت نصها فى هذه الخاتمة غير أن الأمم فى عصور انحطاطها تضعف عن الاستجابة لداعى الخير والاصلاح بقدر قوتها على الاستجابة لداعى الشر والفساد . لأن الجسم المريض يؤثر فيه أدنى أذى يصيبه ، والجسم الصحيح لايؤثر فيه إلا أكبر أذى وآقواه ، ومن الامثله المحسوسة ، أن الجدار المتداعى للسقوط يسقط بهبة ريح أو ركلة رجل . ولذا فلا يدل بقاء هذه البدعة وتأصلها فى المجتمع الاسلامى على عدم إنكار العلماء لها ، وهاهى ذى رسالة تاج الدين الفاكهانى نقدمها شاهدا على ذلك .

قال رحمه الله تعالى بعد ان حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله : [آما بعد : فإنه قد تكرر سؤال جماعة من المباركين [1] عن الاجتماع الذى يعمله بعض الناس فى شهر ربيع الاول ويسمونه المولد : هل له أصل فى الشرع أو هو بدعة وحدث فى الدين ؟ ؟ وقصدوا الجواب عن ذلك مبينا ، والايضاح عنه معينا ، فقلت وبالله التوفيق : لاأعلم لهذا المولد أصلا فى كتاب ولا سنة ، ولاينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة فى الدين المتمسكون بآثار المتقدمين ، بل هو بدعة أحدثها المبطلون ،

(١) يعنى به من بارك الله فيهم من المسلمين الذين يريدون أن يعبدوا الله بما شرع ، لا بما ابتدع أهل الأهواء .

وشهوة نفس اعتنى بها الأكالون بدليل انا إذا أدرنا عليها الأحكام الخمسة قلنا إما أن يكون واجبا أو مندوبا ، أو مباحا أو مكروها أو محرما . وليس هو بواجب اجماعا ، ولا مندوبا ، لأن حقيقة المندوب : ما طلبه الشارع من غير ذم على تركـه ، وهذا لم يأذن فيه الشارع ، ولافعله الصحابة ، ولا التابعون ، ولا العلماء المتدينون فيما علمت ، وهذا جوابي عنه بين يدى الله تعالى إن عنه سئلت ولا جائزا أن يكون مباحا ، لأن الابتداع في الدين ليس مبـاحـا بإجماع المسلمين فلم يبق الا أن يكون مكروها أو محرما ، وحينئذ يكون الكلام في فصلين ، والتفرقة بين حالين :

أحدهما : أن يعمله رجل من عين ماله لأهله وأصحابه في عياله لا يجاوزون في ذلك الاجتماع أكل الطعام ، ولا يقترفون شيئا من الآثام . هذا الذى وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة ، إذ لم يفعله أحد من مقتدى أهل الطاعة الذين هم فقهاء الاسلام ، وعلماء الأنام ، سرج الأزمنة ، وزين الأمكنة .

والثاني : أن تدخله الجناية ، وتقوى به العناية حتى يعطى أحدهم الشيء ونفسه تتبعه ، وقلبه [١] يؤلمه ، ويوجعه لما يجد من ألم الحيف وقد قال العلماء : أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف [٢] ، ولا سيما إن انضاف إلى ذلـك شيء من الغنـاء مع البطون الملأى ، وآلات الباطل من الدفوف والشبابات ، واجتماع الرجال مع الشباب المرد ، والنساء الفاتنات ، إما مختلطات بهم ، أو مشرفات ، والرقص بالتثنى والانعطاف ، والاستغراق في اللهـو ، ونسيان يوم المخـاف ، وكـذلك إذا اجتمعن على انفرادهن رافعات أصواتهن بالتهتيك [٣] والتطريب في الانشاد ، والخروج في التلاوة والذكر عن المشروع ، والأمر المعتاد ، غافلات عن قوله تعالى : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ وهذاالذى لا يختلف في تحريمه اثنان ، ولا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان ، وإنما يحلو ذلك لنفوس موتى القلوب ، وغير المستقلين من الآثـام والـذنـوب . أنهم يرونه من العبادات لامن الأمور المنكرات

(١) يدل هذا التعبير انهم كانوا يجمعون المال من الناس باسم المولد ، وهو كذلك إذ مازال الموالد التى تقام على الأولياء إلى اليوم يجمعون المال من عموم الناس للحصول على بركة الولي وشفاعته .

(٢) بالقوة والكره . وقالوا ما أخذ بوجه الحياء فهو حرام .

(٣) طلبت معنى هذا اللفظ في المعاجم فاعيانى ولعله من الفاظ المجون

المحرمات فإنا لله ، و إنا اليه راجعون . بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ
ولله در شيخنا القشيرى حيث يقول فيها أجزناه :

قد عرف المنكر واستنكر ال	معروف فى أيامنا الصعبهْ
وصـار أهل العلم فى وهدة	وصار أهل الجهل فى رتبهْ
حادوا عن الحق فما للـذى	ساروا به فيها مضى نسبهْ
فقلت للأبـرار أهل التقـى	والدين لما اشتدت الكربهْ
لا تنكروا أحوالكم قد أتت	توبتكم فى زمن الغـــربهْ

ولقد أحسن الامام أبو عمرو بن العلاء حيث يقول : لا يزال الناس بخير ما تعجب من العجب . هذا مع أن الشهر الذى ولد فيه الرسول ﷺ ـ هو ربيع الأول هو بعينه الذى توفى فيه فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه ، وهذا ما علينا أن نقول ، ومن الله نرجو حسن القبول .

إلى هنـا انتهت رسـالة تاج الدين الفاكهانى المسمى : « المورد فى الكلام على المولد » ومن عجائب الحياة أن السيوطى وقد ذكرها فى حاويه ومنه نقلناها حرفيا قد حاول الرد عليها فلم يفلح فكان رده ساقطا باردا لأنه يجادل بالباطل ليدحض به الحق ، والعياذ بالله تعالى . وقد عرفت أيها القارىء شبهات السيوطى التى فرح بها ظانا أنه قد استخرج لبدعة المـولـد أصلا من الشرع وعرفت ردنا عليه بما ينير الطريق لطالبى الحق والراغبين فى العيش عليه ، فلذا لا يضرك عدم اطلاعك على رد السيوطى المومى اليه ، فإن نظرك فى شبهاته يغنيك عن النظر فيه . هذا وان قرأت رسالتى هذه ولم يفتح لك فيها ، ومازلت حيران شاكا فى بدعة المولد أنها بدعة ضلالة . فأكثر من الدعاء التالى فإن الله تعالى يقطع حيرتك ويلهمك الصواب ويهديك إلى الرشد ، وهو على كل شىء قدر ، وبالإجابة جدير .
وهذا هو الدعاء :

« اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل
فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب
والشهادة أنت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون
اهدنى لما اختلف فيه من
الحق بإذنك ، إنك
تهدى من تشاء
إلى صراط
مستقيم

****
*****
****
***
**
*

●● الرســالة التاسعة

كمال الأمة فى صلاح عقيدتها



بسم الله الرحمن الرحيم

مقــدمة

الحمد لله الذى هدى بعد الضلالة ، وأصلح بعد الفساد . والصلاة والسـلام على النبى محمد الشافع المشفع يوم المعاد . وعلى آله الأمجاد ، وصحابته الأنجاد .

وبعد فإن الفساد فى الأرض منكر وقبيح وأشد قبحا منه ونكارة ما كان بعد الإصلاح

إن الذى يفسد فى الأرض بعد إصلاحها تكون حاله كمن أتى إلى قصر قد تمّ بناؤه ، وارتفع مناره ، وأضاءت أنواره ، وعمره سكانه فهدمه عليهم فأهلكهم . أو كالذى يأتى إلى حديقة غنّاء قد التفَّت أشجارها ، وطاب ثمارهـا ، وفـاح أريج أزهارها ، وسعد بها أهلها وروادها ، فيشعل فيها ناراً ، فتحــور رمـاداً ، أو يغـوّر ماء سقياهـا فتـذوى أزهـارهـا وتيبس أشجارها ، وتتقلص ظلالها ، وتعوذ قفراً موحشا أو بيداء مشمساً ، لا ظل بها ولا ماء ، ولا شجر ولا زهر ولا ثمر .

إن هادم القصر بعد بنائه ، ومحرق الحديقة بعد إزهارها وإثمارها وإن

كانا أقبح جُرماً ممن يهدم خربة من الخرائب ، أو يشعل النار فى زريبة من الـزرائب ، فإن من يأتى بلاداً قد طهـرت عقـائـد أهلهـا من الشرك والضـلالات ، وسلمت عبـاداتهم من البـدع والمنكـرات فينشر بينهم الاعتقـادات الفـاسدة الباطلة ويورث فيهم البدع المفسقة والمكفّرة لهو - والله - أقبح جرما وأكبر إفساداً من هادم القصر بعد إشادة بنائه ، ومحرق الحديقة بعد إزهارها وإثمارها .

وذلك لأن الأوَّلَيْن أفسدا مالاً وهو أفسد قلوبا وعقولا ورجالا .

وشتان ما بين من يفسَد المال وبين من يفسد القلوب والعقول والرجال

هذا وقد شاء الله تعالى أن يناولنى أحد تلامذتى كتابا(١)رآه عجبا فيما قد حوى من الأباطيل ، وما اشتمل عليه من التضليل ، ومن المؤسف جداً أن يكون الكتاب لأحد علماء هذه الديار التى قد نعمت زمنا غير قصير بطهارة العقيدة ، وسلامة العبادة ، وصلاح الحال والشأن .

فرأيت أن من واجب النصيحة أن أكتب كلمة موجزة قصيرة فى بيان عظم جرم من يفسد فى هذه البلاد السعودية بعد أن أصلحها الله تعالى بدعوة ابن عبد الوهاب ، ودولة ابن السعود رحمهما الله تعالى وجزاهما عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء . وليكن موضوعها : شرح آية : ولا تفسدوا فى الأرض بعـد إصـلاحها . حيث يمكن التنبيه إلى ما جاء فى الكتاب المذكور آنفا من عظائم الأمور الباطلة والمعتقدات الفاسدة ، وإنى وإن كنت لم استوف التنبيه عليها كلها فقد نبهت إلى أخطرها وشرها . والله أسال أن يتوب على صاحبها ، وأن يجنب المسلمين شرها وخطرها فيحفظ لهم عقائدهم من الزيغ والضلال ، وعباداتهم من الفساد والبطلان ؛ إذ فى ذلك عصمة أمرهم ، وبه نجاتهم وفوزهم . . .

اللهم آمين .

---

(١) اسـم الكتـاب : الذخائـر .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا . . ﴾

الشـــرح :

موقع الآية من القرآن الكريم :

قوله تعالى : ﴿ **ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها** ﴾ **هو بعض آية** من سورة الأعراف ، ونصها الكامل هكذا : ﴿ **ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ، وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾ الآية : ٥٦ .

من المخاطب بهذه الآية ؟

لا شك أن المخاطب بهذه الآية الكريمة : أمة نبينا محمد ﷺ بقسميها : أمة الإجابة ، وأمة الدعوة .

ما المراد بالفساد المنهىّ عنه فى الآية ؟

إن الفساد ضد الإصلاح ، ويكون فى العقائد والعبادات ، والأحكام ، والأخلاق ، والآداب ، كما يكون فى الإنسان ، والحيوان ، والنبات ، والمعادن أيضا . وهذا بيان ذلك :

الفساد فى العقائد : يكون بتوريث العقائد الشركيَّة فى النفوس ، ودعوة الناس إليها ، ونشرها بينهم ، وتزيينها لهم ، وتحبيبها إليهم .

وفى العبادات : يكون بالدعوة إلى تركها ، وإهمالها ، والتزهيد فيها ، وشغل الناس عنها . كما يكون بإفسادها بالإحداث فيها ، وإدخال أنواع من الشرك والبدع عليها .

وفى الأحكام : يكون بتعطيلها ، والاستعاضة عنها بغيرها مما هو ليس

من شرع الله تعالى . كما يكون بتحريفها وإخراجها عن مدلولها بالتفسيرات الباطلة ، والتأولات البعيدة عن مدلولها ، ومراد الله تعالى ورسوله منها .

وفى الأخلاق : يكون بالتنفير من الفاضلة الحسنة منها ، وتبغيضها إلى النفوس بضروب من المكر والحيل ، وإحلال العادات السيئة ، والأخلاق الرذيلة محلها ، وذلك مثل الكذب المنافى للصدق ، والخيانة المنافية للأمانة ، والوقاحة المنافية للحياء والحشمة ، واللؤم المنافى للكرم ، والعجلة المنافية للأناة ، والضجر المنافى للصبر .

وفى الآداب : يكون بالعربدة والقحة ، والتفحش والبذاء المنافية للعفة والحياء والتجمل والاحتشام .

ويكون الفساد : فى الإنسان بامتهانه ، والغض من شرفه ، والإمساس بكرامته . كما يكون بضربه أو كسر عضو من أعضائه أو فساد جارحة من جوارحه أو تعطيل وظيفتها ، أو قتله وإزهاق روحه ، كما يكون بإفساد عقله ، وذلك بإسكاره أو تخديره ، أو سحره ، وما إلى ذلك مما يعطل إدراك الإنسان ، وفهمه . وقوة تمييزه بأى ضرب من ضروب الإفساد العقلى .

ويكون الإفساد : فى الحيوان بتعطيل منافعه كقطع نسله ، أو قتله وإزهاق روحه .

ويكون فى النبات : بقطع أشجاره ، أو إحراق محاصيله ، أو بمنع الماء عنه ليذوى ويهلك ، كما يكون بترك العناية به فى غرسه ، وسقيه ، وجنيه ، وجداده ، وحصاده ، إذ كل ذلك من إفساده وإهلاكه .

ويكون الإفساد : فى المعادن بعدم استخراجها ، وتعطيل منافعها ، وبالحيلولة دون حفرها والتنقيب عنها . كما يكون بمنع تصديرها ، وبيعها إلى من يُصنّعها ، أو يسوّقها ؛ لينتفع بها ، وينفع غيره بها ، كما يكون أيضا باستخدامها فيما يضر الإنسان ولا ينفع بأىّ نفع من أنواع النفع

الخاص أو العام .

هذا . . . وما المراد بالأرض المنهىّ عن الإفساد فيها فى الآية ؟

والجـواب : أنها كل أرض دخلهـا الإسـلام فآمن أهلهـا بعد كفر ، ووحدوا بعد شرك ، وعزوا بعد ذل وشرفوا بعد مهانة ، وَأمِنُوا بعد خوف ، واتحدوا وتنظموا بعد فوضى واختلاف ، وطهروا وكملوا بعد خبث ونقصان .

وما معنى قوله فى الآية ﴿ بعد إصلاحها ﴾ ؟

معنـاه أن البـلاد الإسلامية كانت قبل دخول الإسلام إليها واعتناق أهلها له ، كانت فاسدة فى عقائدها ، وعباداتها وأحكامها وأخلاقها وآدابها فأصلحهـا الله تعـالى بالإسـلام أى بعقائده ، وشرائعه ، وقوانينه وآدابه وأخلاقه ؛ ولذا فكل من عمل فى ديارالإسلام بغيرما جاء به الإسلام فهو مفسد فى الأرض بعد إصلاحها يشهد لصحة هذا قول ابن عباس رضى اللّه عنهما فى تفسير هذه الآية إذ قال : « إن اللّه تعالى بعث محمداً إلى أهل الأرض وهم فى فساد فأصلحهم اللّه به فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد ﷺ فهو من المفسدين فى الأرض »

هل استمرار الإصلاح شرط فى عدم الفساد ؟

. . . نعم ، إذ إفساد الصالح أقبح شرعا وعقلا من إفساد الفاسد ، وسواء بإطالة مدة فساده ، أو بالزيادة فيه . وبالأمثلة التالية تتضح هذه الحقيقة وتتأكد إن شاء الله :

١ ـ دار كفر لم يدخلها الإسلام ولم تعمل به كفرنسا أو ألمانيا يفتح فيها إنسان مصنعا لصنع التماثيل ، أو بنكا للربا ، أو مرقصا للنساء ، أو حانوتا لبيع الخمر والمخدرات . إن هذا العمل قطعا فاسد غير صالح ، ولكن كونه فى دار فساد لم يصلحها الله تعالى بالإسلام لا يستنكر كثيراً ، ولا يستقبح ، كما يستنكر ويستقبح لو قام به إنسان فى بلد إسلامىّ كتركيا أو باكستان ، أو مصر أو السودان ، وذلك لأن هذه الديار قد سبق أن أصلحها الله تعالى بالإسلام ، وطهرها من مثل هذه المفاسد والرذائل ، وذلك بشرائعه وقوانينه وأحكامه ، فمن أحدث فيها شراً أو فساداً فقد أفسد فيها بعد إصلاحها .

٢ ـ لو أن العمل الفاسد المذكور فى المثال السابق قد قام به إنسان فى البلاد السعوديّة ففتح مصنعاً أو معرضاً لصنع الصور والتماثيل وبيعها والاتجار فيها ، أو فتح بنكا للربا ، أو داراً للهو والغناء فإن عمله يستنكر أكثر ، ويستقبح أشد ، ويستوجب فاعله لعنة الله ومقته وغضبه ، وذلك لأن البلاد السعودية قد أصلحها الله تعالى بحكم آل سعود بتطبيقهم فيها شرع الله . وإنفاذ أحكامه فى أهلها فصلحت بعد فساد ، فمن جاء يعمل فيها بما يخالف شرع الله تعالى ودين الإسلام ، فقد جاء ليفسد فيها بعد إصلاحها ، وهذا عين ما نهى الله تعالى عنه فى هذه الآية التى نشرحها ونبيّن معناها . ومراد الله تعالى منها وهى قوله جَلَّ ذِكْرُه : ﴿ وَلَا تفسدوا فى الأرض بعدَ إصلاحِها ﴾ .

هل العمل بالفساد إفساد ؟

. . . نعم ، إن العامل بالفساد كمروجه والداعى إليه كلاهما مفسد فى الأرض بعد إصلاحها ؛ إن آخذ الربا فى الاثم كمعطيه ، ومقتنى الصور والتماثيل كصانعها وبائعها ، وشارب الخمر كبائعها ، والراضى بتعطيل أحكام الشرع كمعطلها ، الجميع مذنبون آثمون وإن تفاوتوا فى عظم الجرم ، وأثره فى النفوس والجزاء عليه يوم الجزاء .

هل الإفساد المباشر كغير المباشر ؟

والجواب عن هذا السؤال لا يختلف عن السابق وهو أنه لا فرق بين من يباشر الإفساد وبين من لايباشرهُ إذا كان راضيا به ساكتا عنه وهوقادر على تغييره وإنكاره بقول أوعمل ، ثم لا يغير ولا ينكر ، والفساد يستشرى أمامه وينتشر .

إن سنة الله تعالى وحكمه فى مثل هذا أن يؤاخذ فاعل الفساد والراضى به الساكت عنه معاً . قال تعالى : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن[١] الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون** ﴾ .

وتعليل هذه السنة أو تحليلها هو أن السكوت عن الفساد والإفساد بعدم مقاومتهما من شأنه أن يشجع العاملين بالفساد على مواصلته كما يغرى غير العاملين به أن يعملوا به ، وبذلك يكثر ويعم جميع الأمة ومرافق الحياة فيها فإذا عمّ وشمل كل الأمة أهلك العامة والخاصة معاً .

ومثال هذا الجسم البشرى إذا مرض فإنه إذا عولج بعناية وخبرة حصل له البرء والشفاء بإذن الله تعالى ، وإذا أهمل وترك للمرض ينخر فى جسمه ويستشرى فيه فإنه لا يلبث أن يهلك لا محالة حسب سنة الله تعالى .

ومن هنا وجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتعين على كل فرد

---

(١) الآيــة من ســورة الأنفــال .

صالح لذلك أن يقوم به استجابة لقول الرسول ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه . وذلك أضعف الإيمان » .

لقد دل هذا الحديث الصحيح الذى أخرجه مسلم فى صحيحه أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من الإيمان . وأن التغيير لازم بحسب حال الفرد المسلم قوة وضعفاً ، وإن آخر مواقف الإنسان المؤمن أن ينكر المنكر بقلبه . والإنكار بالقلب هو كراهية المنكر وعدم الرضا به ، لأن الإنسان حسب طبعه إذا لم يكره الشىء أحبه . وإذا أحبه رضى بوجوده ، ودافع عنه وحماه ، وبذلك يصبح الراضى بالمنكر الساكت عنه كفاعله سواء بسواء ، يستوجبان العقوبة معاً .

ولهذا ـ ويعلم الله ـ إنى لخائف من ظاهرة سكوت مواطنينا فى هذه الديار السعودية التى أصلحها الله تعالى بالحكم الإسلامى على يد عبده « عبد العزيز » وأولاده حفظهم الله تعالى وحفظ بهم دينه وحرمه وكتابه وأولياءه آمين .

إن ظاهرة ترك الصلاة بين مواطنى هذه الأمة أصبحت معروفة كغيرها من ظواهر بدو الشر والفساد كتخلى بعض النساء عن الحجاب وكالتعامل بالربا ، والإسراف فى سماع الأغانى والمزامير ، والسهر الطويل على الأفلام المحرمة بواسطة آلة « الفيديو » ، وأخطر من ذلك وجود دعوة إلى الشرك والخرافة والضلالة فى أرض التوحيد التى طالما عاشت دون سائر بلاد المسلمين نقيّة طاهرة من كل مظاهر الشرك والبدع والخرافات بفضل الله تعالى ، ثم بفضل إقامة « عبد العزيز » دولته على مبدء التوحيد الخالص ، والمتابعة لرسول الله ﷺ دون من سواه ، فكان علمها يحمل كلمة لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . إعلاماً منه أنه لا يعبد فى أرض يظللها هذا العلم إلا الله ، ولا يتبع فيها إلا رسول الله ﷺ .

وإن قيل ماهو مظهر هذه الدعوة إلى الشركُ والبدع والضلال ؟ قلنا على

سبيل المثال : كتاب الذخائر . فقد حمل هذا الكتاب المطبوع المنشور راية الـدعـوة إلى الشرك والضـلال . وهـذه خمس عشرة مسألة شركية محضة أو داعية إلى الشرك محرضة عليه نذكرها تعليما وتحذيرا نقلناها من الكتاب المذكور والله من وراء القصد :

الأولى : ما جاء تحت عنوان : أحسن الصيغ للسلام على رسول الله ﷺ . إذ جاء فيه قولـه : واشفـع لى يارسول الله . وقوله : نحن وفدك يارسول الله جئناك . . . فاستغفر لنا ، واشفع لنا عند ربك ، واسأله أن يمن علينا بسائر طلباتنا . . .

فقوله فاستغفر لنا ، واشفع لنا ، واسأله أن يمن علينا هو طلب دعاء وطلب مسألة من رسول الله ﷺ ، ورسول الله غير الله قطعاً ، **فكيف تحل مسألة ودعاء غير الله تعالى ؟ ألم يكن هذا شركا صراحاً ياعباد الله ؟ ! إنه** دعا غير الله ، والله يقول : ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً** ﴾ . إن دعاء غير الله بإجماع المسلمين شرك فى عبادة الله ، والدعاء هو العبادة ومخها .

فكيف يحل لأحد أن يقف على قبر رسول الله ﷺ ويدعوه ويطلب منه لو كان هذا جائزاً لم مافعله أحد من أصحابه أو آل بيته ، لم مافعله التابعون أو تابعوهم من أهل القرون المفضلة ؟

نعم لم يفعلوه لأنه الشرك بالله عز وجل فى أعظم عبادة وهى الدعاء . . .

لقـد أصـابت أصحـاب رسول الله ﷺ رزايا كثيرة ، ونزلت بهم محن وشدائد صعبة وكذا التابعين من بعدهم ، ولم يؤثر عن أحدهم أنه وقف على قبر رسـول الله ﷺ وسـألـه حاجتـه ، أو شكـا إليه مايجده من همّ أو كرب ، أو استغاث به على عدو ، أو طلب منه أن يسأل الله تعالى له نصراً أو تأييداً ، أو مغفرة لذنب ، أو شفاعة يوم القيامة ، كل ذلك لأنهم يعلمون أن سؤال غير الله تعالى شرك وكفر .

نعم ، إن رسـول الله ﷺ كان يسأل ويعطى ويستغفر للمؤمنين أيام حياته فى دار التكليف والعمل .

أما بعد التحاقه بالرفيق الأعلى فإن سؤاله ظلم له وأذيّة ، وهدم لأصل التـوحيد الـذى جاهد فى سبيل إقراره ثلاثا وعشرين سنة . فكيف يجيز لنفسه من يدعى العلم أن ينصب نفسه داعية لهدم مابناه رسول الله ياعباد الله .

وخلاصة القول فى هذه المسألة أن صاحب الذخائر بدعائه رسول الله ﷺ وبسؤاله إيّاه قد ظلم وأشرك وفى نفس الوقت قد فتح للناس بابا للشرك والعياذ بالله تعالى ؛ إذ ما استغاث الناس بالأولياء ولانذروا لهم النذور ولا ذبحـوا لهم ولا على قبـورهم إلا على مثل قول صاحب الذخائر وتجويزه الاستغاثة والدعاء وطلب الحاجة من غير الله تعالى ، وهو الشرك الذى ما بعث الله تعالى رسوله محمداً وإخوانه من الأنبياء والمرسلين إلا لمحاربته ، وصرف الناس عنه ، إذ قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة[١] رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

والـطاغـوت : كل ماصرف وجـه المرء وقلبه ولسانه عن الله تعالى ، بالتوجه إليه ، وتعليق القلب به ، وذكره وسؤاله رغبةً إليه أو رهبة منه .

الثانية : عنايته بصلاة الفاتح وشرحه لألفاظها .

إن عناية صاحب الذخائر بشرح ألفاظ صلاة الفاتح إقرار واضح منه بها ، وتحبيذ لها ، ودعوة إليها وإلى طريقة صاحبها ، فهو إذاً بهذا أصبح داعية كفر وضلال فى ديار التوحيد والإيمان .

إن صاحب الذخائر يعرف كما نعرف نحن أن الطائفة التجانيّة تفضل صلاة الفاتح المبتدعة للتضليل وصرف الناس عن مصدر كمالهم وهدايتهم القرآن الكريم ، إذ فضلوا الصلاة الواحدة منها على ستين ألف ختمة من القرآن ، وتفضيل كلام المخلوق على كلام الخالق كفر بإجماع المسلمين .

---

(١) الآيـــة من ســـورة النحـــل .

إن صاحب الذخائر يعرف كما نعرف نحن أن صلاة الفاتح يقول واضعوها ومروجوها للتضليل والفتنة : إن الرسول ﷺ قد شافه بها الشيخ يقظة لا مناماً وعلمه إياها لتكون صلاة خاصة بالطائفة التجانية . وصاحب الذخائر يعتقد كما نعتقد نحن وسائر علماء الإسلام أن الرسول ﷺ ما خرج لأحد بعد موته ، ولا علم أحداً من أمته بعد موته شيئا لم يعلمه أمته فى حياته ، وأن دعوى مشافهة التجانى أو البكرى للنبى ﷺ يقظة دعوى باطلة وكذب محض ، وافتراء ممقوت . وإن لازم اعتقاد صحة صلاة الفاتح كفر بواح عليه ألف برهان وبرهان وبيان ذلك :

١ ـ الكذب على رسول الله ﷺ بأنه خرج إلى الدنيا بعد موته وشافه الشيخ وأعطاه صلاة الفاتح والكذب على رسول الله ﷺ كتكذيبه كلاهما كفر بالعبد والعياذ بالله تعالى .

٢ ـ أن الرسول ﷺ كتم هذه الصلاة ولم يبلغها الأمة عدة قرون ، ثم بلغها بعد ذلك ، ونسبة الكتمان إلى الرسول ﷺ كفر بإجماع المسلمين .

٣ ـ تفضيل الفاتح على القرآن وهو تفضيل لكلام المخلوق على كلام الخالق عز وجل وهو كفر بالإجماع .

وأخيراً فمن هو الشيخ التجانى صاحب الفاتح الذى يتشرف صاحب الذخائر بسيادته عليه ؛ إذ يقول قال سيدى فى أمثاله كالبكرى والهيتمى والنبهانى ؟ إنه ـ التجانى ـ أكفر رجل ظهر فى عصره ، وأكبر دجال مبطل عرفته الدنيا فى أيامه وهذا بيان ذلك :

جاء فى كتاب الطائفة التجانية « جواهر المعانى » على لسان الشيخ وبالحرف الواحد ما يلى :

● إن الفيوض التى تفيض من ذات سيد الوجود تتلقاها ذوات الأنبياء ، وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتى ، ومنى يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ فى الصور

فأى كذب ياعباد الله وأى تدجيل وتضليل أعظم من هذا الكذب

والتدجيل والتضليل ؟

إنه كذب على الله تعالى وعلى رسول الله ﷺ وعلى أمة الإسلام والبشرية جمعاء .

إنه قول على الله بدون علم ومن أعظم المفاسد القول على الله تعالى بدون علم . فقد ذكر تعالى أصول المفاسد فى آية الأعراف وختمها بأعظمها : ﴿ **وأن تقولوا على الله مالا تعلمون** ﴾

وآخر

● إذا جمع الله يوم القيامة الخلق ينادى فى الموقف مناد بأعلى صوته بحيث يسمعه كل من فى الموقف :

ياأهل المحشر هذا إمامكم الذى كان مددكم منه . فأى كذب وتضليل أعظم من هذا ؟

فمتى كان التجانى يمد الخلائق ، وبماذا كان يمدها ؟ إن هذا الذى يقوله دعوى ربوبية واضحة صريحة وأىّ كفر أعظم من ادعاء الربوبية للخلق ؟

وثالث . . . .

● روح النبىّ ﷺ وروحى هكذا مشيرا بأصبعيه السبابة والوسطى ، روحه ﷺ تمد الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وروحى تمد الأقطاب والعارفين والأولياء من الأزل إلى الأبد

أىّ كذب وكفر ودجل أعظم من هذا ياعباد الله إنه لم يزد صاحب هذا القول على أن ادعى الربوبية والقيومية والحياة الأزلية الأبدية . أعوذ بالله من هذا الكفر القذر الوسخ .

وافضح مما سبق قوله :

● قدماى هاتان على رقبة كل ولى لله من لدن آدم إلى النفخ فى الصور!!

ومن المعلوم بالضرورة أن عامة الأنبياء والرسل وسائر الحواريين والأصحاب من أشرف الأولياء وخيارهم ، ومعنى هذا أن التجانى رجلاه ـ

قطعهما الله - فوق كل رقاب الأنبياء والمرسلين من آدم إلى خاتمهم محمد ﷺ . اللهم إنا نبرأ إليك من هذا الكفر والدجل ومن كل من يقره ويدعو إليه كصاحب الذخائر .

وأخيراً قوله :

● أعمار الناس كلها ذهبت مجانا إلا أعمار أصحاب الفاتح لما أغلق ، فقد فازوا بالربح دنيا وأخرى ولا يشغل بها عمره إلا السعيد .

وبعد : فهل بعد معرفة لازم صلاة الفاتح ، ومعرفة من هو صاحبها يجوز لمسلم يحترم عقله ودينـه أن يدعو إلى هذه الصلاة بتحبيذها وشرح ألفاظها والعناية بها ؟

اللهم لا ، لا ، إلا أن يكون داعية فتنة وضلال بين المسلمين . والعياذ بالله تعالى .

والثالثة : فأنت بابُ الله

هذا عنوان فى كتاب صاحب الذخائر وضعه ليذكر تحته قصيدة شركية للبكرى المصرى ليتخذ من ألفاظ الشرك والكفر الواردة فيها دليلا على جواز دعاء النبى ﷺ وسؤاله عند قبره ، وفى كل مكان ، والعياذ بالله من الضلال وأهله .

وقبـل أن نورد بعضِ أبيات القصيدة الحـاملة للشرك الداعية إليه ، نسأل : هل يجوز إطلاَقُ لفظ باب الله على الرسول ﷺ ؟ إن إضافة أىّ شىء لله تعالى لايجوز إلا بتجويز الوحى الإلهىّ له ، إذ ليس من حق أىّ أحد أن يضيف لله تعالى أو ينسب إليه شيئا لم يضفه أو ينسبه هو تعالى إلى نفسه فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ . وعليه فهل ورد فى الكتاب أو السنة أن الرسول باب الله ؟

والجواب لم يرد هذا للفظ قط فى كتاب[١] ولا سنة ، ولم يعرفه سلف هذه الأمة . فكيف إذاً يقرره صاحب الذخائر ويجعله عنواناً فى كتابه لينشر

---

(١) نعم ورد لفظ باب الله على لسان غلاة الشيعة وكبار الزنادقة الباطنيين حيث أطلقوا على أحد رؤسائهم من غلاة الكفر باب الله ، وهو البهـاء لعنه الله تعالـى .

تحته الكفر الصراح ؟

إن صاحب الذخائر بالتأمل الدقيق فى كتابه « الذخائر » يظهر للمتأمل البصير أن الرجل يحمل روح النقمة والتحدى للسلفيين والإمعان فى إغاظتهم ، وإلا فقل لى بربك ماحمله على نشر الكفر والضلالة بهذه الصورة الشوهاء إلى حد أنه يتعمد اختيار هذه اللفظة [أنت باب الله] فيجعلها عنواناً بارزاً وينشر تحتها الشرك الصراح . والعياذ بالله تعالى .

وهذه بعض أبيات قصيدة البكرى التى قال فيها صاحب الذخائر :

إنها مجرَّبة لقضاء الحوائج ، وحدد لها وقتا تقال فيه وهو آخر الليل ، وطلب من قائلها أن يكرر منها البيت الشركى التالى :

فعجل بإذهاب الذى أشتكى

فإن توقفت فمن ذا أسأل ؟

وهو يعنى بذلك قطعا غير الله تعالى . واقرأ الأبيات ياعبد الله لتتأكد من صحة ذلك :

فأنت باب الله أى امرىء	أتاه من غيرك لا يدخل
فلذ به من كل ما تشتكى	فهو شفيع وآيناه يقبل ؟
وحط أحمال الرجا عنده	فإنه المرجع والمؤمّل
وناده إذ أزمة أنشبت	أظفارها واستحكم المعضل
فعجل بإذهاب الذى أشتكى	فإن توقفت فمن ذا أسأل ؟

بأدنى تأمل لمحتوى هذه الأبيات الشركية يرَى أن المقرّرَ لهذه القصيدة ، إنما يقرر بصراحة اللياذ بغير الله تعالى ، ودعاءه ، ووضع الرجاء بساحته ، ونداءه وطلب تفريج الكرب منه ، ومثل هذا لا يكون من عارف بالله عز وجل ، ولا يصدر عن مؤمن يعتقد عقيدة التوحيد ، وإلّا كيف ينادى من لا يسمعه ولا يراه ولا يقدر على إعطائه أو إنجائه ، ويقول له عجل بإذهاب الذى أشتكى ، فإن توقفت فمن ذا أسأل ؟

أعمى عن الله تعالى فلم يره ، أم كفره فلم يذكره ؟

وأخيراً إن قصيدة البكرى هذه بما حملت من ألفاظ الشرك والكفر لايقرها ويدعو إلى قراءتها لقضاء الحوائج فى الأسحار الوقت الذى ينزل فيه رب العزة والجلال إلى سماء الدنيا ويقول : هل من سائل فأعطيه سؤاله ؟ هل من داع فأسجيب له ؟ ويقول فى قائلها : القطب الكبير سيدى محمد ابن الحسن البكرى المصرى إلا عبد يمعن فى التضليل ونشر الشرك بأى ثمن ولو كان بحشر نفسه فى زمرة المشركين وهو يعلم ذلك ويوقن به .

الرابعة : جواز طلب الشفاعة منه ﷺ

هكذا جاء هذا العنوان فى كتاب الذخائر يحمل طابع التضليل ؛ إذ لم يبين وقت طلب الشفاعة منه ﷺ واكتفى بذكر حديث أنس رضى الله عنه عند الترمذى وهو حديث أعله الترمذى بالغرابة مع معارضته لحديث عائشة فى الصحيح . ونص حديث الترمذى : « سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لى يوم القيامة فقال أنا فاعل . وسأله قائلا : أين أجدك ؟ فقال عند الصراط » . . . الخ . . . وهذه المواطن الثلاثة التى جاءت فى حديث عائشة رضى الله عنها حيث قالت : فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة يارسول الله ؟ فقال فى ثلاثة مواطن فلا .

والمواطن الثلاثة هى عند الصراط ، والميزان ، وعند تطاير الصحف التى فيها أعمال العباد . فدل ذلك أن صاحب الذخائر يضلل ويغالط ليجيز طلب الشفاعة من الرسول ﷺ عند قبره ، وهو أمر مجمع على تحريمه وبطلانه ؛ إذ الشفاعة لا تطلب إلّا من الله تعالى ؛ لأنه لا يشفع أحد إلا بإذنه ، ثم طلب الشفاعة من الرسول ﷺ كطلب الاستغفار منه كطلب أىّ شىء هو دعاء وسؤال لغير الله تعالى فلا يجوز أبداً لأنه من الشرك .

والسلفيون الذين هم محل نقمة صاحب الذخائر لاينكرون شفاعة النبىّ ﷺ يوم القيامة ؛ إذ هى ثابتة بالكتاب والسنة ، وإنما ينكرون أن تطلب فى الدنيا من غير الله تعالى . ومن هنا جاء صاحب الذخائر يغالط ، فوضع العنوان المذكور مبهما ليس فيه متى نطلب الشفاعة ، وذلك من

أجل أن يقول : إن ما ينكره السلفيون من طلب الشفاعة من النبىّ ﷺ هو ثابت ، وطلب الشفاعة من النبىّ ﷺ جائز فيحمل الناس على الشرك ، بتضليله والعياذ بالله تعالى .

الخامسة : جواز التوسل بغير النبىّ ﷺ

إن من له أدنى إلمام بنفسية القوم يفهم من هذا العنوان : **المعنى التالى** : إذا كان التوسل جائزا بغير النبى ﷺ فكيف ينكر السلفيون « **الوهابيون** » جوازه بالنبى ﷺ ويمنعونه ، وينسبون فاعله إلى الشرك ؟

والسلفيون أو الوهابيون كما يعبرون فى خلواتهم ومجالسهم الخاصة لا ينكرون التوسل المشروع لا بالنبىّ ولا بغيره ، بل هم يقولون بمشروعية التوسل ، وكيف لا ، والله تعالى يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وابتغوا إليه الوسيلة** ﴾ الآية . . وإنما ينكرون الشرك ويندِّدون به وبفاعله ومعتقده والداعى إليه ، وهو دعاء الأموات والاستغاثة بهم وطلب الشفاعة والحاجة منهم ، والإقسام بهم ، والذبح والنذر لهم ، والعكوف على قبورهم ونقل المرضى إليهم ، والتمسح بقبورهم وجدران وأبواب أضرحتهم إلى غير ذلك من أفعال الشرك التى يسميها القبوريون وسيلة واستشفاعا وتبرّكا .

وجاء كتاب الذخائر يدعو إليه بمثل هذه العناوين المضللة . والعجيب أن استدلال الذخائر على جواز التوسل بغير النبىّ ﷺ كان بمسألة توسل عمر بالعباس رضى الله عنهما . وهى مسألة معروفة بين أهل العلم أخرجها أصحاب الصحاح والسنن . وخلاصتها : أن جفافا أصاب المدينة لانقطاع المطر وأضر بها حتى أصبح ذلك العام يسمى بعام الرمادة ، فخرج عمر رضى الله عنه يستقى بالمسلمين ، فلما وصل إلى المصلى بدل أن يصلى هو بالناس أمر العباس أن يصلى بهم وذلك لكبر سنه وقرابته من رسول الله ﷺ وقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا والآن نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا فاستجاب الله لهم فسقاهم والحمد لله .

والحادثة دليل واضح على عدم جواز التوسل بالأموات حتى ولو كان الميت رسول الله ﷺ إذ عمر لم يتوسل برسول الله ﷺ لما كان ميتاً وتوسل بالعباس لأنه حى يصلى ويدعو وهم يؤمنون كما كان رسول الله ﷺ يدعو وهـم يؤمنون ويستجيب الله تعالى لهم ويسقيهم بفضله ورحمته وكرامة لنبيه ﷺ .

والآن فهل السلفيون ينكرون التوسل بدعاء الرجل الصالح وصلاته ؟ الجواب لا .

إذاً فما مقصود صاحب الذخائر عند ماكتب : جواز التوسل بغير النبىّ ﷺ مستدلا بتوسل عمر بالعباس رضى الله عنهما ؟

إن مقصوده : ماسبق أن بيناه : الدعوة إلى التوسل بالأموات ، وذلك بدعائهم والاستغاثة بهم والذبح والنذر لهم بحجة أنهم أحياء فى قبورهم ؛ إن التوسل بالأحياء لاخلاف فى جوازه بين المسلمين .

وبهذا كان كتاب الذخائر داعية شرك وضلالة . وتمويه العناوين وتضليلها لا يخفى الحقيقة بحال .

السادسة : ليس لنا إلا إليك يارسول الله فرارنا !

هذه الجملة جعلها صاحب الذخائر عنواناً فى كتابه وكتب تحتها مالذ له وطاب من التمويه والتلبيس .

والجملة فى الأصل هى شطر بيت لأحد الأعراب امتدح فيه الأعرابى رسول الله ﷺ وطلب منه أن يدعو الله تعالى لهم بالمطر لما أصاب أرضهم من المحل والقحط ودعا لهم رسول الله ﷺ واستجاب الله تعالى له وسقى أرض الأعرابى وبلاده .

فبدل أن يستدل صاحب الذخائر بهذه الحادثة على نبوّة رسول الله ﷺ وكرامته على ربه تعالى ، ورحمة الله وقربها من عباده جاء يستدل بها على جواز الشرك والعياذ بالله تعالى إذ لو قال هذه الجملة أحد بعد وفاة رسول الله ﷺ [ليس لنا إلا إليك يارسول الله فرارنا] لكان كاذباً أولا ، وكان

قوله شركا وكفراً ثانيا . أما كونه كاذباً ؛ فإن الخائف أو العطشان أو الجوعان فى غياب رسول الله ﷺ لا يفر إلى رسول الله ﷺ وإنما يفر إلى أحد يسمع شكواه ، ويرى اضطراره ويعلم شدة حاجته فيطلب منه أن يؤمنه أو يسقيه أو يطعمه أو يقضى حاجته .

وصاحب الذخائر نفسه لو جاع اليوم أو عطش أو خاف لا يفر إلى رسول الله ﷺ وإنما يفرّ إلى غنىّ أو قوىّ من الناس !!

وأما كونه شركا وكفراً فإن الفرار لا يكون إلا إلى الله فى كل أمر لا يقدر عليه إلا الله عز وجل قال تعالى ﴿ ففروا إلى الله ﴾ ! ولما كان نزول المطر أمراً لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، وكان الرسول ﷺ مستجاب الدعوة لكرامته على ربه تعالى أتاه الأعرابى وطلب منه أن يستقى لهم ، وقال قصيدته التى من ضمن أبياتها ذلك السّطر الذى جعله صاحب الذخائر عنواناً للتضليل .

ومعنى كلام الأعرابى : أنهم لم يجدوا من يفزعون إليه ليدعو الله تعالى لهم ليسقيهم إلا رسول الله إذ هو المرجو أن يستجاب له فقال ما قال . هذا كله إن صحت الرواية والله أعلم بصحتها وما أظنها تصح بالصورة التى عرضها عليها صاحب الذخائر .

والآن فهل يجوز لمؤمن أن يقول اليوم ليس لنا من نفر إليه إلا رسول الله ؟ والجواب لا ، لا ، لأن رسول الله ﷺ التحق بربه فلا يسمعنا ولا يرانا ولا يعرف عنا ولا يدعو الله تعالى لنا كما كان حياً بيننا يدعو الله لنا فيستجيب له ويسقينا .

وإنما فرارنا إلى الله تعالى وحده ندعوه ونتوسل إليه بصيامنا وصدقاتنا وصلاتنا فيسقينا ، ومن أبى أن يفر إلى الله وفرّ إلى غيره فقد كفر بالله تعالى وأشرك به .

وأخيراً فلم ذكر صاحب الذخائر هذه الرواية والغالب على الظن أنها

باطلة لاتصح لا سيما بالعرض الذى عرضها عليه . وعنون لها بعنوان يحمل طابع الدعوة إلى الشرك ؟

والجواب : لأن القبوريين هذا دأبهم كلما سنحت الفرصة لهم دعوا إلى الشرك الذى يسمونه توحيداً وإيمانا تحت شعار التوسل والوسيلة والتبرك والاستشفاع بحب النبىّ ﷺ وحب الأولياء والصالحين من أقطابهم وأبدالهم وسلاطين البر والبحر عندهم !!

السابعة : كرامات لزائر قبر النبىّ ﷺ .

ذكر صاحب الذخائر تحت هذا العنوان قول بعضهم : لزائر قبر النبىّ ﷺ عشر كرامات وسردها واحدة بعد واحدة هكذا : يُعطى رفع الدرجات ، يبلغ أسنى المطالب ، قضاء المآرب ، بذل المواهب ، الأمن من المعاطب . . . الخ .

والسؤال الآن هو من هذا البعض القائل ؟

والجواب : إن كان رسول الله ﷺ فنعم وهو كما قال وأخبر والله ذو فضل عظيم ، وإن كان غير رسول الله ﷺ فهو كاذب مفتر على الله ورسوله والمؤمنين . ومادام الرسول ﷺ لم يقل ولم يخبر به ، ولم يرد به خبر ولم تصح به رواية . فلم إذاً هذا الكذب والدجل ، وما المقصود منه ؟ ؟

والجواب : إن المقصود من هذا الكذب هو الرد على السلفيين المنكرين فى زعم القوم لزيارة قبر النبىّ ﷺ هذا من جهة ، ومن أخرى التهييج والإثارة على السلفيين الذين ينكرون شد الرحال لزيارة القبور والعكوف عندها والتمسح بجدرانها وتمريغ الوجه واللحية على ترابها ـ كما هو نصرة القبوريين وتأييدهم لمدهم فى ضلالهم وظلمة جهلهم والعياذ بالله تعالى .

فى حين أن السلفيين لايجيزون ولا يمنعون عن رأى لهم أو هوى عندهم وإنما هم مع الشرع الحنيف فما أجازه الشرع أجازوه ، ومامنعه منعوه .

إن السلفيين أو الوهابيين كما يقولون لاينكرون زيارة قبر الرسول ﷺ ولا

قبر أيّ مؤمن أو مؤمنة بل يرون ذلك من فضائل الأعمال ومستحباتها وذلك لقول الرسول ﷺ : « كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » . كما زار ﷺ قبر أمه وزار قبور الشهداء بأحد ، وكان يزور مقبرة البقيع ويسلم على أهلها ويستغفر لهم ويترحم عليهم .

واتباعا لسنة أبى القاسم ﷺ السلفيون يزورون قبور المؤمنين على وجه الندب والاستحباب ، ولا ينكرون على من يزور قبور المؤمنين زيارة شرعية ، وإنما ينكرون شد الرحال والسفر البعيد لزيارة أىّ قبر من قبور المسلمين ، وذلك لأن نبيهم ﷺ لم يأذن فيه بقوله : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام : ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » ولذا هم يعدون من المخالفة للنبىّ ﷺ أن يسافر المسلم من بلد إلى بلد من أجل زيارة قبر أحد نبيًا كان أو وليا أو غيرهما ، وينصحون المسلمين ويعلمونهم أن لا يسافروا إلى المدينة النبوية بقصد زيارة قبر النبىّ ﷺ خاصة ، وإنما ينوون بسفرهم زيارة المسجد النبوى الشريف للصلاة فيه أولاً ، ثم إذا زاروا المسجد نووا زيارة قبر نبيهم وزاروه فسلموا عليه وعلى صاحبيه وانصرفوا . وهذا هو الحق فى هذه المسألة ، وعلى هذا كان سلف هذه الأمة . والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

الثامنة : استحباب زيارة قبر النبىّ ﷺ عند الحنابلة :

والسؤال الذى يثيره هذا العنوان من كتاب الذخائر هو لم خص الحنابلة بالذات دون المالكية والشافعية والأحناف باستحباب زيارة قبر النبىّ ﷺ فى حين أن الإجماع منعقد على استحباب زيارة قبر النبىّ ﷺ لمن كان بالمدينة النبوية ؟

والجواب أنه لما كان الحنابلة قديما وحديثا هم حاملو راية السلفية ذكر قول أحد فقهائهم وهو ابن قدامة رحمه الله تعالى ؛ ليبالغ فى التشنيع على منكرى زيارة القبر النبوىّ البدعيّة من السلفيين ؛ إذ الزيارة السنيّة مستحبة ولا ينكرها أحد . هذا هو السبب الحامل لصاحب الذخائر على كتابة

العنوان المذكور وماذكر تحته من استحباب ابن قدامة لزيارة القبر النبوى الشريف .

التاسعة : التمسح بشباك الحجرة النبوية .

ذكر تحت هذا العنوان المثير من كتابه الذخائر كراهة السلف الصالح للتمسح بشباك الحجرة النبوية ، ومنعهم له لما فى ذلك من الغلو المؤدى إلى الشرك . ثم عاد فوراً فذكر استحباب التمسح بالشباك وذلك للخواص من الناس فقال : إن للخواص أن يتمسحوا بالشباك ويمرغوا وجوههم ولحاهم فى تراب الحجرة والقبر ، والسؤال الآن : ماسر هذا التناقض عند هذا الرجل ، يمنع الشىء ويبيحه كأن القضية تابعة لهوى الرجال متى شاء الرجل أجاز ومتى شاء منع . إن سر هذا التناقض هو التضليل المتعمد المقصود إنه نظر إلى كثرة المنكرين للتمسح بالشباك إذ السلفية اليوم قد طبقت أقطار العالم الإسلامى وأصبحت هى مذهب المسلمين ، فهابهم وخاف من إنكارهم فقال بكراهة التمسح ، ثم ذكر الغرض الأصلى لكتابه وهو نصرة خصوم السلفيين من القبوريين فعاد فدلس ظانا أن هذا التدليس ينفعه فى تغطية الحق وتعميته فقال باستحباب التمسح وحتى التمرغ وتعفير اللحية والوجه ولكن للخواص . ومن هم الخواص الذين يجوز لهم من الشرك والضلال مالا يجوز لغيرهم ياترى ؟ ولعل الجواب الصحيح أنهم أصحاب الأحوال الذين يدعون علم الباطن من غلاة المتصوفة الذين يبيحون لأنفسهم مايحرمونه على غيرهم من الكفر والشرك والفسق : إذ هم الذين فى حال خمرتهم يشربون الخمور ويفعلون الفجور ، ويقولون الهجر وينطقون بالكفر ، وذلك فى حال سكرة الحب كما يقولون ويؤثر عنهم .

وبعد : مسكين هو صاحب الذخائر ! كيف يعرض نفسه لهذه المهازل والتناقضات بلا أجر ولا مثوبة اللهم إلا ما كان من إرضاء طائفة مريضة القلوب ضعيفة النفوس لاقيمة لها ولا وزن بين باقى هذه الأمة وصلحائها .

وخلاصة القول أن صاحب الذخائر بأساليبه هذه وعناوينه يدعو إلى الشرك والضلال من حيث يقصد أو لا يقصد ، لأن تعليم الناس جواز التمسح بالشبابيك والأعتاب وجدران الأضرحة وتقبيلها وتمريغ الوجوه واللحى عليها معناه افعلوا كل شيء من الشرك ولكن لا بنيّة الشرك ولكن بنيّة التبرك والتوسل والاستشفاع . وهذا شأن المفتونين والعياذ بالله تعالى .

العاشرة : زيارة القبر الشريف والتبرك به ، وأنها من أفضل الأعمال .

اشتمل هذا العنوان الموضوع للإثارة والفتنة والتضليل اشتمل على ثلاث قضايا هذا بيانها :

الأولى زيارة القبر الشريف وهذه المسألة لا خلاف فيها بين المسلمين إذ زيارة القبور سنة مستحبة للرجال المؤمنين دون النساء ، وذلك لقول الرسول ﷺ وفعله فقد قال : « كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة » وزار قبر أمه بعد أن استأذن ربّه فى ذلك فأذن له كما زار قبور الشهداء والبقيع .

ونهى عن زيارة النساء للمقابر بقوله : « لعن الله زوارات القبور » الحديث . والسلفيون لا ينهون عن زيارة القبور مطلقا وإنما ينهون عما كان منها بدعيا كشد الرحال وإقامة الحفلات وذبح الذبائح ونداء أصحابه والاستعانة بهم ، وما إلى ذلك من إيقاد الشموع عليها وتجميرها وتعطيرها أو وضع باقات الزهور عليها .

والثانية : التبرك ومعناه التماس البركة وطلبها بزيارة القبر والشارع الحكيم لم يرد عنه أن زيارة القبور تكون لطلب البركة سواء كان صاحب القبر نبيّا أو ولياً أو كان غيرهما ، وإنما تكون لأغراض لم تكن البركة منها ؛ إذ هى التذكير بالآخرة طلبا لرقة قلب المؤمن وخشوعه حتى يقبل على الآخرة فيتزود لها بالأعمال الصالحة ، كما يحصل له العزوف عن الدنيا فتقل رغبته فيها وبذلك يكثر خيره ، ويقل شرّه ، وهذا ظاهر من قوله ﷺ « فإنها تذكركم الآخرة » .

كما أن زيارة القبور تفيد المزار وينتفع بها ، وذلك من السلام عليه والاستغفار له والترحم عليه .

كما أن الزائر نفسه ينتفع بسلامه على إخوانه الموتى واستغفاره لهم وترحمه عليهم ؛ إذ فى ذلك أجر ومثوبة لمن قام به محسناً محتسباً .

أما موضوع البركة فى زيارة القبور فإنه لم يجر له ذكر على لسان الشارع قط ، وإنما ذكره من ذكره من أهل الأهواء والبدع فقط ؛ إذ لم يؤثر هذه المعنى عن السلف ولم يذكره كتاب ولا سنة ، ولم يكن من أغراض الزيارة فى شىء ، وإنما قال به القبوريون الذين يجيزون تمرغ الوجوه واللحى على تراب القبور طلبا للبركة التى لم يشبعوا منها حتى ولو أكلوا تراب القبر كله وزادوا والعياذ بالله .

والحقيقة التى يجب أن لاتخفى عن العارفين هى أنها دعوة إلى الشرك تحت عنوان التماس البركة !!

والقضية الثالثة : كون زيارة القبر الشريف من أفضل الأعمال هذه القضية لا نسلم لقائلها حيث لم يورد عليها نصا صريحا من كتاب ولا سنة ، ولا قولا صحيحا من سلف هذه الأمة وأنّى له ذلك . وعليه فهى قضية باطلة ، ولم تكن زيارة القبر الشريف المستحبة فى درجة الصلاة ولا الجهاد ولا الحج ، ولا بر الوالدين ، وإنما هى من فضائل الأعمال كسائر النوافل وحسبها ذلك .

إنه ليس من حق أىّ إنسان غير رسول الله ﷺ أن يقول فى قول أو عمل هو من أفضل الأعمال ، ومن قال فهو قائل على الله تعالى بدون علم وقد حرم الله تعالى القول عليه بدون علم ؛ لأنه الكذب على الله ؛ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب ؟

هذا ولو كان فضل الأعمال يعرف بالرأى لما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عنها فيجيبهم مبيناً لهم ، وحديث ابن مسعود فى الصحيح شاهد على ذلك .

وأخيراً ما الذى حمل صاحب الذخائر على وضع هذا العنوان ، ومادليله على كون الـزيارة من أفضل الأعمال ؟؟ الجواب عن الأول : إنه إغاظة السلفيين ، وعن الثانى مانسبه إلى ابن القيم كذبا ومينا ، إذ لم يصح عنه أنـه قال : زيارة القـبر الشريف من أفضـل الأعمال ، وماذكره صاحب الذخائر من أبيات من نونية ابن القيم ليس فيها ما يدل على ذلك أو يشهد له ثم ابن القيم ليس ممن يحتج بقولهم فى إثبات الحقائق الشرعية ، لأنه خلفى ، ليس بسلفى من أهـل القرون المفضلة ، وإنما هو عالم مصلح سلفىّ العقيدة والسلوك فإن قال الحق قبل منه وأثنى به عليه ، وإن قال خلافه رد عليه .

الحادية عشرة : عمر رضى الله عنه لم يقطع شجرة بيعة الرضوان .

هذا العنوان صريح فى نفى صاحب الذخائر قطع عمر رضى الله عنه شجرة بيعة الرضوان .

والسؤال الآن هو لم ينفى صاحب الذخائر قطع عمر للشجرة ، حيث يقول : إن عمر رضى الله عنه ماقطعها إلا لأنها لم تكن هى شجرة بيعة الرضوان ، أمّا لو كانت هى ماقطعها أبدا ؛ لأن عمر رضى الله عنه يجيز التبرك بآثار الصالحين ويزيد هذا المعنى تقريراً فيقول : إن عمر لم يقطعها ليمنع التبرك بالآثار ، أو أنه لا يرى ذلك ، بل لم يقع ذلك المعنى فى قلبه أصلا ، ولم يخطر على باله أبداً !!!

إن هذه الجملة من قول صاحب الذخائر صريحة فيما قلنا من أنه يعتقد أن عمر رضى الله عنه لو علم أن الشجرة التى قطعها هى الشجرة التى تمت تحتها البيعة لما قطعها مهما فعل الناس تحتها ، ومهما اعتقدوا فيها ، ولو كان الشرك بعينه ، هذا ولنستمع إلى قول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى فى هذا المعنى ونقارن بينه وبين قول صاحب الذخائر فإن النتيجة ستـظهـر لنا واضحة جليّة ، وهى أن صاحب الذخائر ناقم على الذين يزيلون الآثار ويذهبونها مخافة ماوقع ويقع حولها من الشرك ، وما حصل

ويحصل بسببها من الشر والفساد حيث عبدت آلالف الأشجار وألهت مع الله آلالف الآثار .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ، فى تعليله كون شجرة بيعة الرضوان قد أخفيت(١) عن الناس : وهو أن لا يحصل بها افتتان لما وقع تحتها من الخير ، فلو بقيت لما أمن تعظيم بعض الجهال لها حتى ربما أفضى بهم إلى اعتقاد أن لها قوة نفع أو ضرّ كما نراه الآن مشاهدا دونها !!!

فلننظر كيف أفصح الحافظ عن سبب إخفاء الشجرة أو قطعها وهى مخافة أن يعظمها بعض الجهال فيفضى ذلك بهم إلى اعتقاد أن لها قوة نفع أو ضر .

أما صاحب الذخائر فإنه يقرر أن عمر ماقطع الشجرة التى روى وصح أنه قطعها إلا لأنها ليست الشجرة التى تمت تحتها بيعة الرضوان ، لأن تلك قد أخفيت على الناس . أما لو علم عمر أنها هى التى تمت تحتها البيعة لما قطعها وترك الناس يتبركون بها ، لأن عمر مجيز ذلك ومهما أفضى ذلك بالناس إلى اعتقاد مالا يجوز اعتقاده وفعل مالا ينبغى فعله .

وبهذا تبيّن بوضوح أن صاحب الذخائر داعية شرك وضلالة والعياذ بالله تعالى ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

كما أن لازم دفاعه عن عدم قطع عمر للشجرة أنه ناقم على السلفيين الذين يقطعون الأشجار ويزيلون الآثار إذا خيف وقوع الشرك واعتقاد الباطل بسببها . وهذا هو الجواب لسؤالنا الأول وهو : لم ينفى صاحب الذخائر قطع عمر لشجرة بيعة الرضوان . والله المستعان !

الثانية عشرة : تفضيله البقعة التى ضمت جسد رسول الله ﷺ عن الكعبة والعرش .

---

(١) ذكر الحافظ فى الفتح أن هناك خلافا فى هل شجرة بيعة الرضوان قد أخفيت ، أو أنها هى التى قطعها عمر رضى الله عنه ، وقد علل رحمه الله تعالى لخفائها أن حقا أخفيت عن [illegible] ، أو قطعها إن هى قطعت ، وهو مخافة أن يعتقد بعض الجهال أن لها قوة نفع أو ضر فيفضى بهم ذلك إلى مثل ماهو مشاهد [illegible]يوم من الشرك والباطل فيما هو دون الشجرة التى وقع تحتها خير كثيــــر .

وهنا - أخى القارىء - تساؤلات عدة هى : لم يثير صاحب الذخائر هذه المسألة بالذات ؟

هل هى من عقائد المسلمين ؟ هل الناس مكلفون بفهم واعتقاد هذه المسألة ؟ هل هناك من جدل قد أثير حول هذه المسألة فجاء صاحب الذخائر لينهيه ويريح المسلمين منه ببيان الحق الذى اختلفوا فيه ؟

إن الجواب عن كل هذه التساؤلات أن شيئا من ذلك لم يكن . وإذاً فأى داع للخوض فى مثل هذه المسألة حتى يصبح المرء يقول بغير علم ويحكم بدون دليل ؟ إنه لو كان فى اعتقاد هذه المسألة والعلم بها خير للأمة عاجلا أو آجلا لبينه رسول الله ﷺ . إذ ما ترك ﷺ خيراً إلا دل الأمة عليه ، ولا شراً إلا حذرها منه .

ومادام ﷺ قد سكت عن هذه المسألة ألا نسكت عنها نحن ، ويسعنا ماوسع صدر هذه الأمة وسلفها الصالح ؟

والجواب نعم قد سكتنا والحمد لله واسترحنا وأرحنا ، غير أن صاحب الذخائر لم يسكت وأثار هذا الموضوع الميت المعدوم ؛ لتصوره الباطل وهو أن السلفيين لا يحبون النبىّ ﷺ ولا يعظمونه ، ولا يفضلونه ولا يتبركون بآثاره ولذا هم لا يحتفلون بليلة المولد . وهو تصور كاذب خاطىء لا صحة له البته ومن أجل هذا جاء يدعوهم إلى الاحتفال بالمولد والتبرك بالآثار من طريق أن مجرد البقعة التى لامست جسد رسول الله ﷺ أصبحت به أفضل من الكعبة بيت الله ، ومن العرش عرش الرحمن عز وجل .

هذا هو الباعث لصاحب الذخائر والحامل له على إثارة هذه المسألة التى ليست من عقائد المسلمين فى شىء ، والتى لم يجر لها ذكر فى كتاب ولا سنة ، ولم يخض فيها أبداً سلف هذه الأمة ، وإنما قال فيها من قال من سادات صاحب الذخائر وأقطابه من أمثال النبهانى والبكرى والقسطلانى والتجانى !!

ولما كان قصد مثير هذه المسألة هو التشهير بالسلفيين لأنهم لايحتفلون

بالمولد النبوى الشريف وهو مولد من تربة قبره أفضل من الكعبة والعرش إن صحت الدعوى فإنا نهمس فى أذنه وأذن أوليائه والعالم أجمع أن السلفيين أو الوهابيين كما يسميهم لو شرع الله تعالى لهم فى كتابه أو على لسان نبيّه ﷺ الاحتفال بالمولد ، لما سبقهم لذلك صاحب الذخائر ، ولا من وراء صاحب الذخائر من كل القبوريين والخرافيين .

الثالثة عشرة : مقارنته بين ليلة المولد وليلة القدر ، وتفضيل إحداهما على الأخرى بدون علم ولا هدى ، ولا كتاب منير .

اعلم ـ أخى القارى ـ أن هذه المسألة هى نظير سابقتها وهى تفضيل البقعة التى ضمت الجسد النبوى الطاهر على الكعبة والعرش ، وكلتاهما لا داعى لذكرهما وإثارتها ، وذلك لسكوت الشارع الحكيم عنهما ، وعدم تعرضه لشىء منهما ولو بإشارة فضلا عن عبارة . ولكن صاحب الذخائر يأبى إلا ذكرهما وإثارة موضوعهما لغرض فى نفسه قد أفصحت عنه عناوين كتابه غير مامرة . وهو دفاعه عن بدعة المولد ودعوته المسلمين إلى إحيائها والقيام بها كما هو التشهير بمن ينكرها ولا يقرها وهم السلفيون عامة والسعوديون خاصة .

ولبيان الحق فى هذا المسألة نقول . إن صاحب الذخائر بإثارته لهذه المسائل يضلل المسلمين عن قصد أوعن غير قصد . وبيان ذلك من وجهين :

الأول فى الباعث له على تفضيل إحدى الليلتين على الأخرى . فهل ياترى بحث هذا الموضوع سلف الأمة وقارنوا فيه بين الليلتين ورجحوا فضل إحداهما على الأخرى ؟ والجواب : لا ، لا . إن سلف الأمة لم يبحثوا هذا الموضوع ولا قالوا فيه بشىء قط . فلم إذاً يثار اليوم هذا البحث ، وما الفائدة منه . وما هو المقصود به ؟

والجواب : قد أثير هذا الموضوع وفى هذه الديار بالذات للفتنة والتضليل والعياذ بالله تعالى وأما الفائدة منه فإنها ـ والله ـ لا فائدة ألبتة ؛

إذ ليلة القدر قد فضلها الشارع على ألف شهر ، وحث على قيامها ، ودعا إليه ورغب فيه . وأما ليلة المولد فلم يجر لها ذكر على لسان الشارع ، ولم يخصها بشيء ، ولم يعرف لها سلف الأمة الصالح أي فضل أو مزية بالمرة ، وما هي إلا ليلة كسائر الليالي وظرف لما يقع فيها من خير أو غيره .

وأما المقصود من إثارة هذا البحث فإنه هدم التوحيد وأركانه في شخصية المنكرين لبدعة المولد والمنددين بها من السلفيين .

والثاني : أن المضللين من المسلمين بالعلماء أمثال صاحب الذخائر يعتقدون أن السلفيين بإنكارهم لبدعة المولد ، وعدم احتفالهم بها يبغضون الرسول ﷺ ولا يحبونه فجاء صاحب الذخائر يصحح لهم اعتقادهم هذا ويؤكده لهم وهو اعتقاد باطل فيقول كيف لايحتفل السلفيون بالمولد وليلة المولد أفضل من ليلة القدر التي يحتفى بها ويحتفل أهل السماء وأهل الأرض ؟ !

وأخيراً إنه لو لم يكن لصاحب الذخائر هدف معين يهدف إليه وهو إرضاء أصحاب الشعور المعادي للسلفيين لينال الحظوة لديهم داخل المملكة وخارجها لما أثار مثل هذه المواضيع ، ولم كتب رسائله فيها ، ولكان نجا من محذور قوله تعالى : ﴿ **ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها** ﴾ ؛ إذ هذه المملكة كما قلنا وقررنا غير مامرة قد أصلحها الله تعالى بدعوة ابن عبد الوهاب ودولة ابن السعود ، فمن جاء يدعو فيها إلى البدع والشركيات إنما جاء ليفسد فيها بعد إصلاحها . والله تعالى هو الذي يتولى جزاءه على إفساده في أرض قد أصلحها .

الرابعة عشرة : حياة النبيّ ﷺ

إن صاحب الذخائر يعلم كغيره من علماء المسلمين وعامتهم أن النبيّ ﷺ قد مات الموتة التي كتبها الله عز وجل على كل نفس وأخبر عنها بقوله : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ .

وعليه فمن أنكر موت الرسول ﷺ ـ إن لم يكن في ذهول الحيرة . وفي

عنف صدمة الفاجعة كما حصل لعمر رضى الله عنه ـ فقد كفر لتكذيبه الله تعالى ورسوله ﷺ ، إذ قد أخبر تعالى عند موت رسوله ﷺ بقوله : ﴿ **إنك ميّت وإنهم ميتون** ﴾ . وقوله : ﴿ **وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون** ﴾ وقوله : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم** ﴾ الآية .

وأخبر هو ﷺ عن موته فى أحاديث صحاح كثيرة ، وقد مات فعلا وغُسل وكفن وصُلى عليه ودفن فى بيته ﷺ ، وبكاه النساء والرجال والأطفال من مؤمنى الإنس والجان ، وها نحن الآن نبكيه وامحمداه ، واحزاناه ، وا أسفاه ، على موت وفراق رسول الله !! وكان بعض أصحابه يقول : من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته فى رسول الله ليتعزى بذلك ويصبر !

كما يعلم صاحب الذخائر وغيره من علماء المسلمين وأكثر عامتهم أيضا أن روح النبىّ ﷺ وهو أشرف الأرواح وأطهرها وأحبها إلى الله تعالى وأكرمها عنده كغيره من سائر الأرواح حىّ لايموت مرة أخرى بعد الموتة الأولى ، وإن أرواح المنعمة تتفاوت فى النعيم ، والمعذبة تتفاوت أيضا فى العذاب المهين ؛ إذ بهذا نطقت الآيات وصرحت الأحاديث ، وهو معتقد أهل السنة والجماعة من هذه الأمة المسلمة .

وإذاً ، فلم جاء صاحب الذخائر يركض فيجمع من الأخبار والآثار الغث والسمين ؛ ليثبت حياة النبىّ ﷺ بعد موته ؟ أكان فى الأمة من أنكر حياة النبى ﷺ البرزخيّة فجاء صاحب الذخائر يقيم الدليل على من أنكرها ؟ ومادام لا يوجد بين المسلمين من يقول بعدم حياة رسول الله ﷺ وحياة كل الأموات من مؤمنين وكافرين فى البرزخ ، فلم هذا الركض الفارغ والحماس الكاذب من صاحب الذخائر ياترى ؟ ؟

والجواب إنه إرضاء القبوريين وهم الذين جهلوا ربهم فلم يعرفوه فقادهم جهلهم بربهم تعالى إلى قبور الأنبياء والأولياء والصالحين فجعلوها

محط آمالهم . ومفزعهم عند تغير أحوالهم ونزول الشدائد بهم فترى أحدهم إذا مسه ضر أو نزل به بلاء فزع إلى تلك القبور يدعو أصحابها ويستغيث بهم ويستشفع بحرمتهم ويسأل الله بحقهم وجاههم والعياذ بالله تعالى من الشرك وأهله .

ولما حكمت دولة التوحيد الحجاز وهدمت القباب وحيل بينهم وبين مايشتهون من نداء الرسول ﷺ والاستغاثة به والعكوف على قبره والتمسح به وتعفير الوجه وتمريغه على تربته وحتى الكذب عليه بأنه رد السلام على فلان ومد يده إلى فلان ، وقد رآه فلان وسمعه فلان إلى غير ذلك من الكذب والباطل ثارت ثائرتهم ونطقت أبواقهم فأخذوا يكفرون السعوديين ويقولون فيهم أقبح الأقوال وأفضحها .

ونصر الله دعوة الحق على يد ابن السعود ورجاله ، وأخذت أركان الباطل تتزلزل ، وصحون الشرك والخرافة تتداعى وتسقط فى كل بلاد المسلمين حيث وجد - والحمد لله - فى كل إقليم من بلاد المسلمين علماء عارفون يدعون إلى التوحيد والعمل بالسنة وترك الشرك والبدعة . وأخذ فعلاً القبوريون والمفتونون بالخرافات والبدع يخفون حنقهم ويسرون دعوتهم إلى الباطل بعد أن بهرهم نور الحق ، وغمرتهم كثرة الموحدين ، غير أنهم - مع الأسف - لم ييأسوا .

ويبدو أنهم اليوم لما رأوا فتوراً فى دعوة التوحيد بين رجال حكومة التوحيد لانشغالهم بمهام حكمهم ، وتغير الظروف والأحوال عليهم تحركوا محاولين الظهور من جديد ، وما كتاب الذخائر إلا جس نبض ، لأنه كتاب يحمل الدعوة الواضحة إلى الشرك والخرافة والابتداع ، فلو قدر له أن ينتشر وسلم من الرد عليه وبيان زيفه وباطله وسوء قصد صاحبه لتبعه كتب وكتب تدعو إلى الشرك والخرافة فى وضوح وصراحة . وأين ؟ فى أرض أصلحها الله بعد فساد ، وطهرها بعد خبث إنها ديار الحرمين الشريفين ، قبلة المسلمين وقدوتهم فى أمور دينهم . . . والعياذ بالله تعالى .

الخامسة عشرة : دفاعه عن إسلام أبوى الرسول ﷺ ، ونجاتهما من النـار وأنهما فى الجنـة وترضيه عنهما . وحكمه بنجاة أهل الفترة من لدن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام إلى عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله ﷺ ، وتقـريره كـذبة إحياء الله تعالى أبوى الرسـول حتى آمنا به ﷺ ثم ماتا . . إلى غير ذلك من الأكاذيب التى فاضت بها قواميس الشيعة الروافض .

وقبل بيان زيف هذه الدعاوى وإبطالها إحقاقا للحق وبياناً للهدى ، والرشد نتساءل فنقول :

هل دفاع صاحب الذخائر عن هذه المجموعة من الأكاذيب كان لغرض سليم ؟

هل أمة الإسلام اليوم فى حاجة ماسة إلى معرفة هذه الترهات والأباطيل ؟

هل من ضروريّ العقيدة الإسلامية الإيمان بهذه الأكاذيب والترهات ؟

والجواب : لا ، لا ، وألف لا أيضا .

إذاً فما هو الدافع لنشر هذه الأباطيل ؟

والجواب : ماسبق أن قلنا وبيناه إنه محاولة إحياء دعوة الشرك والخرافة بعـد موتهـا فى هذه الـديار الإسـلامية الـطاهـرة ديار التوحيد والإسلام الصحيح . وقاها الله شر هذا الكيد والدس الرخيصين . اللهم امين .

هذا وعن كشف زيف تلك الترهات والأكاذيب فإنا نقول :

١ ـ عن فرية إحياء الله تعالى للرسول ﷺ أبويه حتى آمنا به وماتا على ذلك وهما فى الجنة

فإنا نقول : إن هذا لعمر الله فرية من أعظم الفرى على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ ، وعلى المؤمنين والمسلمين ؛ إذ لو كان هذا الاحياء حقاً ثابتاً ، وتمّ فعلا لأخبر به الرسول ﷺ وأعلنه لأصحابه ، وعرفه أهل بيته وعامة المؤمنـين ، ولعرفه بعدهم التابعون وتابعوهم ولانتهى إلى الأئمة الأربعة

وقـرّروه ضمن عقـائـد المسلمـين وعدوه من جملة المعجزات المحمدية ، والآيات النبويّة . أما وإنه لم يرد به خبر صحيح ولم يقل به صحابى ولا تابعى ولا إمام من أئمة الإسلام والمسلمين . وقد صح خلافُه تماما ونقيضه قطعا وذلك كقوله ﷺ لما زار قبر أمه وبكى عنده ، وقيل له فى ذلك فقال : « استأذنت ربى فى أن أزور قبر أمىّ فأذن لى ، واستأذنته فى أن أستغفر لها فلم يأذن لى » وقال للرجل الذى سأله عن أبيه وقد مات مشركاً فقال : أين أبى يارسول الله ؟ فأجابه قائلا فى النار ، فلما ولى وكانه غير راض بالخبر ومادل عليه من كون أبيه فى النار ناداه الرسول ﷺ فلما أقبل قال له : أبى وأبوك فى النار !

مع مخالفة هذا الإحياء المزعوم لسنن الله تعالى وشرائعه وهداية كتابه وهدى نبيّه ﷺ . والحـال مابيّنـا يعـد باطـلا ومنكراً ، واعتقاده ضلال وحرام . وحسب مفتريه أنه كذب على الله ورسوله والمؤمنين !

٢ ـ عن فرية كون أبوى رسول الله ﷺ فى الجنة نقول إن إبطال هذا الباطل وردّ هذا الكذب قد جاء من رسول الله ﷺ نفسه فكفانا المؤونة إذ جاء فى صحيح مسلم ماذكرناه آنفاً من قوله ﷺ للرجل « أبى وأبوك فى النار » . كما جاء فى السنن ماسبق أن ذكرناه وأيضا من أنه ﷺ استأذن ربه فى الاستغفـار لأمـه فلـم يأذن له ، وهـذه مصداق قوله تعالى من سورة التوبة : ﴿ **ما كان للنبىّ والذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ماتبيّن لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ .

فهل بعد هذا ياعباد الله يجوز لمؤمن أن يكذّب الله ورسوله ويرد قولهما ، ويقرر الكذب والباطل المأثور عن مثل السيوطى فيقول : إن أبوى الرسول فى الجنة ؟ ؟

اللهم إن هذا مركب لا يركبه إلا مغامر بدينه وعقيدته وصلته بالإسلام والمسلمين .

٣ ـ عن فرية أن أبـوى الـرسول ﷺ ماتا على الفطرة فنقول إن هذا

تحريف لكلمـة « الفَـترة » إلى « الفطرة » وذلك أن المسلمين مجمعون ؛ لنصوص الكتاب والسنة على أن مشركى العرب كانوا من أهل الفترة ، وأنهم فى النار بأخبار الله تعالى ، وأخبار رسوله ﷺ .

أما الفطرة فهى التوحيد ، وليست الزمن الذى انقطع فيه من يعرف الله تعالى ويعرف محابَّه ومساخطه وهو الفترة الزمانية ، وإنما الفطرة التوحيد كما قال تعالى : ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها ﴾ ، وقال رسوله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » . فأهل الفـطرة هم الموحدون وأولادهم والأطفال الصغار الذين لم يبلغوا الحلم وسنّ التكليف من أهل الشرك والكفر .

وكون أهل الفترة الخاصة فى النار اليوم غير مانع أن يدخل منهم الجنة من شاء الله تعـالى أن يدخلها غداً يوم القيامة ، ونعنى أصحاب الفترة الخاصة أولئك الذين وجدوا فى وقت انقطع فيه تماماً الوحى الإلهى فلم يبق بين النـاس أحـد يعرف عن الله تعالى وشرائعه شيئا ، فهؤلاء ورد أنهم يمتحنـون يوم القيامـة مع أطفـال المشركين ، والمجانين ومن ولدوا صمًّا لايسمعون ، وعميا لايبصرون بأن يؤمروا بدخول النار فمن كان مستعداً للإيمان والطاعة فى دار الدنيا لو كلف بهما فإنه يطيع الأمر ويذهب إلى النار ليدخلها طاعة لله عز وجل وعندئذ يُصرف عنها ويدخل الجنة . ومن كان غير مستعد للإيمان والطاعة فيها لو كلف فى الدنيا فإنه يعصى أمر الله فى عرصـات القيامة وحينئذ يُضطر إلى دخول النار . وهنا نعلن رجاءنا أن يكون أبوا رسول الله ﷺ ممن يمتحنون فيطيعون ويدخلون الجنة مع من دخلها من المؤمنين والمسلمين . والأمر لله فإنه أعلم وأعز وأحكم .

وننبه هنا إلى أن قوله تعالى من سورة الإسراء : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسـولا ﴾ ، المراد من نفى العـذاب فيهـا عذاب الدنيا بالإبادة والاستئصال الذى نزله الله تعالى بالأمم والشعوب التى يبعث إليها رسله فتتحداهم وتكذبهم ، وتطالبهم بالآيات على الإيمان ، ثم لما تعطى الآيات

تتنكر لها وتستمر على تكذيبها وكفرها وجحودها . لا عذاب الآخرة كما قد يفهم من لا علم عنده بأحكام الله وقضايا شرعه .

إن الله تعالى لم يكن شأنه أن يعذب أمة من الأمم بعذاب الإبادة والاستئصال بدون أن يعذر إليها بإرسال الرسل وإنزال الكتب كما قال تعالى من سورة القصص : **﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وماكنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون ﴾** .

٤ - عن فرية أن مشركى العرب من لدن إسماعيل إلى عبد الله والد الرسول ﷺ ناجون من النار بدعوى أنهم من أهل الفترة ، نقول هذه كذبة ما أقبحها وفرية ما أعظمها ، إنها ردّ صريح لأخبار الله تعالى وأخبار رسوله ﷺ ، وتكذيب للّه ورسوله والعياذ بالله . إنها لخروج عن إجماع المسلمين وتحريف لشرع رب العالمين . ولا ندرى ما حمل صاحب الذخائر على هذه الورطة ، وما أوقعه فى هذه التهلكة ؟ ؟

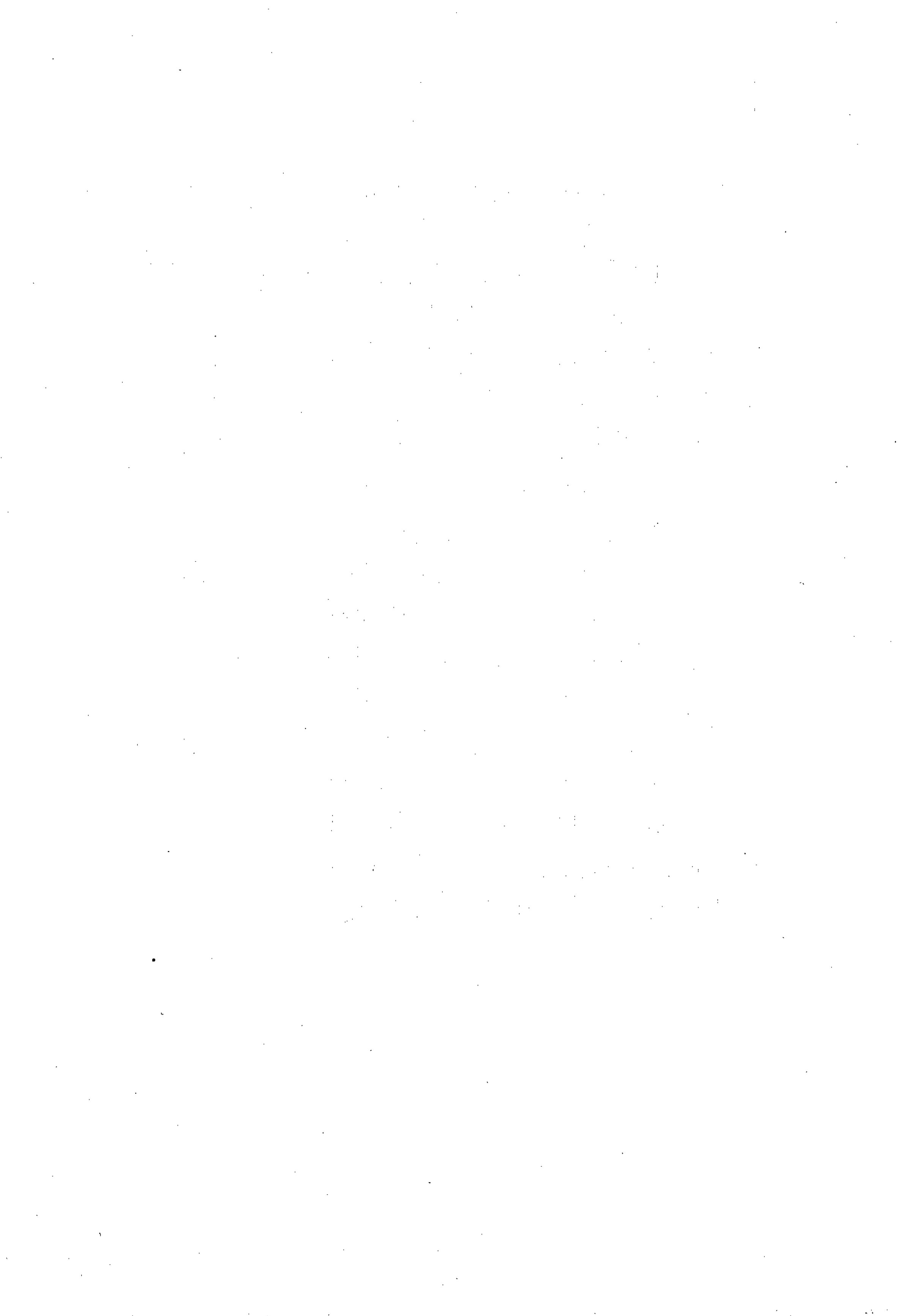
إن الأمر لو كان كما قرر صاحب الذخائر من نجاة العرب المشركين من لدن إسماعيل عليه السلام إلى عبد الله والد رسول الله ﷺ لكان الجهل خيراً من العلم . والكفر خيراً من الإيمان ، ولكانت بعثة الرسول ﷺ شؤما على العرب والبشرية ونحساً ، وهل من قائل بهذا ياعباد الله ؟ ؟

وخلاصة القول إن صاحب الذخائر قد تورط بجهله وهلك بسوء قصده . ودعوتنا له أن يتوب إلى ربه قبل موته فإن من تاب تاب الله عليه ، ومن توبته أن يرد باطل كتابه « الذخائر » بحق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيكتب رسالة يعلن فيها للمسلمين أن معظم ما جاء فى « ذخائره » هو كذب وباطل فلا يغتر به مسلم ولا يجوز أن يعتقده أو يقول به مؤمن . ثم يعمل على جمع ما يمكن جمعه من كتابه الذخائر ويتلفه بإحراقه أو دفنه . وبذلك تبرأ - إن شاء الله - ذمته وتصح توبته ، ويعود إليه اعتباره فى جماعة المسلمين . والرجوع إلى الحق خير من التمادى على الباطل .

والله وحده المسئول أن يتوب علينا وعليه ، وأن يرينا جميعاً الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه . إنه ولى ذلك والقادر عليه •

سبحانك ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين

المحتوى



●● الرسالة العاشـــرة

النصائح الأزواج
قدمت لبيت الله الحجاج

فاتحـــة :

• بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن اتَّبع هداه .

وبعـد - أخى الحاج - إنه أداءً لواجب نصحك الذى أوجبته أخوتك رأيت أن أتقـدم إليك بهذه العرائس من النصائح ؛ لتستمتع بها روحيا وعقليا ، وأنت فى رحلتك المباركة الخالدة تتنقل فى رياض العبادة ، وتتّنسم فى رحـاب الله نسيم الـرحمـة والغفـران . فخذها أزواجا خمسة بلا مهر تقدمه ، ولا وليمة تقيمها سوى أن تقول لربى تعالى وربك الذى لا إله غيره ولا رب سواه : رَبِّ إنّ عبـدَك قد نصحنى لك يرجـو بذلـك أن تُعافيه ، وتعفو عنه ، وتغفر له وترحمه ، وتتولاه ولاتتركَه ، فأعطه اللهمَّ ذلك ، وأعطنى مثلَه إنى أخوه وهو أخى ، وأنت ربنا البَرّ الرحيم على كل شىء قدير .

الزوج الأول
مـــن
النصائح الأزواج
الإيمان ، والتقوى

١ ـ الإيمـــان

هل تدرى ـ أخى الحاج ـ ما الإيمان الذى أنصح لك به ؟
إنه شاطِىء النجاة ! وبرّ السلامة ! وساحة الأمان ! ودار الاطمئنان .

إنه حمى الله الذى لا يأمن إلا من نزل به ، ولا تنتهى حيرة ولا يذهب خوف ولا قلق ولا فزع من لم يحل به ، وينزلْ بساحته .

إنّ الإيمان مشتقٌّ من الأمان ولذا فإن العبد لايَزَالُ خَائفاً فى الحياة حتى يؤمن بالله ، فإذا آمن أمن ، وإذا أسلَمَ سلم .

وهل تدرى ـ أخى الحاج ـ ما حقيقة الإيمانَ الذى تُنصح به ، وتُدعى إليه ؟ إنه تصديقك الجازم الخالى من أىِّ شك أوريب أو تردّد : إيمانك بالله ربًّا وإلهاً ، وبكل ما أمرك الله تعالى بالإيمان به من الملائكة ، والكتب ، والرسل ، والبعث الآخر ، والقضاء والقدر . هذه حقيقة الإيمان المنصوح لك به . واسمح لى أن أحدثك عنه حديثا مختصراً تزداد به معرفة ويقينا فأقول : إنك بالإيمان بالله تعالى ربًّا وإلهاً تكون قد عرفت سر حياتك ، وعلَّةَ وجودك ، وسر وعلة الحياة والكون كله من حولك ، وبذلك تأخذ مداركِ حول حقائق العبادة التى خُلقت لها فلا تبرح تسير فى فلكها ، شأنك فى ذلك شأن الكواكب فى مساراتها ، والأفلاك فى مداراتها فلا تكل من طاعة ، ولا تملّ من قربِ أوحب . وبه تكون أمِنت من الخسران ، وفزت بالجنان ، وألْبستَ حُلَلَ الرضوان . إنك بإيمانك بالملائكة تكون قد اكتشفت عالم الطهر والصفاء ، وتعرّفت إلى إخوان روحك ،ورفقاء رحلتك فى عبادتك لربك فيعظم بهم أنسك ، ويكمل بهم قربك ،وتعرف بهم سر وصول خبر السماء إلى الأرض فى أقل من لحظة عين ، أو ثانيتها ، وسر الموت والحياة وطبيعتهما . وبطهر أولئك الأطهار وصفائهم وخيريتهم تطّلع على العالم الآخر ذى الطبيعة الشريرة والخبث

والظلمة ، وهو عالم الشياطين ، إذ بضدها تتميز الأشياء .

إن مايرى من طهر وصفاء وخير إنما هو قد فاض[1] من عالم الطهر والخير والصفاء . كما أن ما يرى من ظلمة وخبث وشر إنما قد فاض من عالم الظلمة والخبث والشر .

وإنك بمعرفتك هذه التى أثمرها لك إيمانك بالملائكة الأطهار قد تعظم رغبتك فى الطهر والصفاء وتحن إلى مواكبة أهلهما فلا تلبث أن تطهر وتصفو وتواكب ، وبذلك تكمل وتسعد .

وإنك بإيمانك بكتب الله عامة والفرقان خاصة تكون قد أكدت إيمانك بالله . . وملائكته وقررته فى نفسك ، وبلغت به اليقين المطلوب للمؤمنين ، إذ كتب الله فيها كلامه ، والملائكة قد تنزلت به ، فالإيمان بالكتب يثبت الوجودين وجود الله تعالى ووجود الملائكة بطريق برهانيّة تذعن لها العقول ، إن الإيمان بالكتب يزيد فى طاقة الإيمان بالله وملائكته مع ضميمة ما يكسبه الإيمان بالكتب من علم الغيوب والشرائع والأحكام الأمر الذى يجعل المؤمن الموقن فى موكب قول الله تعالى : « وما يعقلها إلا الْعَالِمُون »

وبإيمانك برسل الله كافة وبخاتمهم وإمامهم نبيّنا محمد ﷺ خاصة تكون قد أوجدت لنفسك خير مثال تحتذى به فى طلبك الكمال البشرى ، ووفرت لك مربيًا عليما حكيمًا تربى بواسطته روحك وعقلك وخلقك فلا تزال تكمل فى ذلك ما لازمت طاعته وواصلت السير معه ترسم خطاه ، وتقتفى آثاره ، مع ما تكتسبه من العلوم والمعارف ، وما تصل إليه من اليقينيات فى حقائق علم الغيب والشرع .

وبإيمانك بالبعث الآخر وهو الإيمان باليوم الآخر تكون قد ولدت مرة أخرى ؛ إذا الأولى كانت من ضيق بطن أمك إلى سعة الدنيا ورحابتها ،

---

(١) يشهد لصحة هذا المعنى حديث الترمذى والنسائى وابن حبان : أن للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة الحديث .

والثانية من نكد الدنيا وشقائها ، إلى نعيم الآخرة ، وسعادتها . وخير من ذلك أنك تخلصت من أسر هذه الحياة الدنيا ، ونجوت من غرورها وفتنتها وهى كما هى كاذبة خادعة لاتفى بوعد ، ولا تثبت على عهد . إنك بمعرفتك الخالدة الصادقة الوافية تكون قد استغنيت بجمالها وكمالها عن قبح الأولى ونقصانها

هذا بعض ما يكسبك إيمانك بالدار الآخرة ، وغيره كثير ، وحسبك أنك أصبحت ذا حياتين وذا زوجين تأخذ من الأولى ماينفعك للآخرة ، وتقسم بين الزوجين بحسب خيرية كل منهما وطول بقائهما .

وإنك بإيمانك بالقدر تكون قد أذهبت عن نفسك حزن ماتراه قد فاتها ، وأرحتها من عناء الفرح بعرض الدنيا ومتاعها ، إذ القدر معناه : أن كل شىء كان فى هذه الحياة الدنيا أو يكون قد سبق به علم الله تعالى ، وقضى بوجوده مقدراً له زمانه ومكانه وكمِّيته وكيفيته فلا يتخلّف فى شىء من ذلك ويختلف فيه .

ولذا كان القدر عبارةً عن نظام الكون والحياة يسير كل شىء وفقه بلا زيادة ولا نقصان . وهذا ما قرره الرسول ﷺ بقوله فى رواية مسلم « كل شىء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس » . وقوله : « واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك رُفعت الأقلام وجفّت الصحف » .

فمن آمن بنظام القدر ذهب حزنه وخوفه وقل حرصه وتعبه ، وفاز بتقوى الله تعالى والإجمال فى الطلب .

(ب) ـ التقــوى

التقوى زوج الإيمان . وقبل أن تعرفها أخى الحاج وهى المنصوح لك بها ينبغى أن تعرف أن تلازماً تاماً بينها وبين الإيمان حتى لكأنهما زوجان لا لا ينتج الأول منهما إلا بالثانى .

واعلم أخى الحاج ـ أن ما ينتجه الإيمان والتقوى إذا اجتمعا للعبد هو خير ما فوقه خير ، وأمل دونه كل أمل ، إنه مجموع ثلاثة أشياء هى ولاية الله تعالى وهى غاية الغايات ، ومنتهى الإرادات ، وانتفاء الخوف والحزن عن العبد فى الدنيا والآخرة ، والبشرىٰ العاجلة والآجلة . وهاك النص القرآنى المثبت لذلك قال تعالى من سورة يونس عليه السلام : ﴿ ألا إنّ أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرىٰ فى الحياة الدنيا والآخرة ، لاتبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

واسمح لى بأن أنبهك إلى أن ماذكر لأهل التقوى من النتائج الطيبة ومما سيذكر إن شاء الله تعالى لم تكن فيه التقوى المنصوح لك بها مجردة عن الإيمان بحال من الأحوال ، بل الإيمان هو المحل الأول فيها والثانى ، وإنما لشدة افتقار التقوى للإيمان ، وعدم تصور وجودها بدونه يذكر القرآن الكريم ثمار التقوى لأهلها المؤمنين المتقين ، إما بصيغة وعود صادقة ، أو أخبار جازمة يذكرها مجردة عن ذكر الإيمان لعدم وجود تقوى مثمرة بدون إيمان صحيح . وذلك كقوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ ، فثمرة التقوى هنا شيئان هما : الخلاص من كل ضيق ، والخروج من كل محنة أو فتنة ، والرزق الطيب الذى لامنة فيه لأحد غير الله تعالى وهو أطيب الرزق وأهنأه وأمرأه .

وكقوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً » ، والثمرة هنا : تيسير الأمور وتسهيلها لذى التقوى ، حتى لايكرب ولا يشقى أو يتعب .

وقوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ﴾ . والثمرة هنا شيئان هما : حصول الفرقان وهو نور البصيرة الباطنى ، وإدراك خاص توجده التقوى فى القلب أو العقل يميز به صاحبه بين كل المشتبهات كالحق والباطل والرابح والخاسر ، والضار والنافع . والشىء الثانى تكفير السيئات التى قد يجترحها العبد نتيجة ضعفه البشرى ، أو تلك التى اكتسبها قبل حصول الفرقان له .

وقوله تعالى : ﴿ إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم ﴾ . وقوله : ﴿ إن للمتقين مفازاً حدائق وأعناباً وكواعب أترابا وكأسا دهاقا ، لايسمعون فيها لغواً ولا كذاباً جزاء من ربك عطاءً حساباً ﴾ . فهذه أخبار إلهية بما أثمرته التقوى لأهلها من النجاة من النار ، وهى أكبر مخوف مرهوب ، والفوز بالجنة وما فيها من النعيم المقيم وهو أعظم مرغوب محبوب .

والآن ـ أخى الحاج ـ بعد أن عرفت من خلال ما حدثتك به عن تلازم التقوى مع الإيمان ، وعن ثمار التقوى ونتائجها الطيّبة مما جعلك حقيقة تتشوف إلى معرفة التقوى ؛ لتعمل على تحقيقها بعد تحصيلها فإنى أسألك لأثير رغبة المعرفة فى نفسك فأقول لك : ماهى التقوى المطلوبة منك والمنصوح لك بها ؟

وقبل أن أعرفك بها أكرر لك القول بأنك وإن عرفتها لم تكن لتظفر بها وتحصل عليها ما لم توجد لها شرطها الذى هيهات هيهات أن توجد بدونه ألا وهو الإيمان الصحيح ، وأعنى بالصحيح ما وافق مراد الله تعالى منه فى أمره لعباده به فى مثل قوله : ﴿ آمنوا بالله ورسوله ﴾ ، واخباره عن أهله فى قوله : ﴿ ولكنّ البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ .

وعلامة صحة إيمان المؤمن بموافقته لمراد الله تعالى من أن يتحقق له خمس صفات وهي : الموالاة التّامّة للمؤمين والمؤمنات بالنصرة والمحبة . الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وإقام الصلاة . إيتاء الزكاة . طاعة الله

ورسوله ﷺ .

فإن لم تحصل للعبد هذه الصفات دل ذلك على عدم صحة إيمانه فليراجع نفسه ، والله المستعان .

وقد وردت هذه الصفات المطلوبة لصحة الإيمان فى قول الله تعالى من سورة التوبة حيث قال تعالى فى ذلك : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ﴾ . فهذه الآية الكريمة نص فى ذلك فلتقرأ ولتتأمل

والآن وقد عرفت ـ أخى الحاج ـ شرط نفع التقوى أعرفك بالتقوى لتعرفها . . فتعمل على تحصيلها وتحقيقها فتفوز بولاية الله تعالى التى هى رأس الأمر وملاكه ، ومفتاح دار السلام . فأقول : التقوى اسم جامع لفعل ما يحب الله تعالى من الاعتقادات والأقوال والأفعال . ومن الأفعال أفعال القلوب كمحبة الله والخوف منه والرغبة إليه . والحب فيه والبغض لأجله . وترك مايكره من ذلك .

وهى تستلزم العلم فلا تقوى بدون علم ، إن معرفة مايحب الله عز وجل ومعرفة مايكره من المعتقدات والأقوال والأفعال لاتحصل بدون العلم بحال من الأحوال . فلا يعرفن امرؤ ربّه ما لم يكن ذا يقين بربّه ، وعلم كامل بمعرفة محابه ومكارهه ، ومصداق هذا قول الله تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ فقد قصر الخشية على العلماء دون غيرهم ممن لا يعلمون . فإذا عرف العبد المؤمن أن الله تعالى يحب الصلاة مثلا وأراد أن يتقرب بها إليه تعالى وجب عليه أن يعرف كيف يصلى ، وإذا علم أن الله تعالى يأمر بالطهارة وجب عليه أن يتعلم كيف يتطهر ، وهكذا سائر القرب والعبادات التى هى محابّ الله تعالى . ومن هنا تتأكد الحقيقة وهى أنه لاتقوى بدون إيمان صحيح وعلم كامل بمعرفة مايتقى الله فيه من محاب ومساخط .

وأخيراً فلتعلم أخي الحاج أن الطريق إلى تحقيق الإيمان والتقوى هو ذكر الله تعالى وشكره ، إن الذكر يورث دوام المرقبة ، والمراقبة تحفظ الإيمان وتزيد فيه والشكر يورث دوام الطاعة ، والطاعة تقوى التقوى وتزيد فيها .

فعليك إذنْ بالذكر والشكر لتحقيق الإيمان والتقوى والظفر بنتائجها الطيّبة .

ولما كان الذكر والشكر من النصائح الأزواج فسوف نحدثك عنهما ونعرفك بهما فاطلب ذلك فيما يأتى من الكتاب . والسلام عليك ما انتظرت وقرأت وعرفت وعلمت .

الزوج الثـانى
مـن
النصائح الأزواج
الذكـر والشـكر

(أ) ـ الذكـر

أخى الحاج هل تدرى ما هو الذكر الذى أنصح لك بملازمته ، وعدم تركه والتفريط فيه ؟ وهل تدرى ما قيمته ، وما ثماره ، وما هى نتائجه ؟ ؟ ؟

وبعد : فإن كنت تدرى فحسبى أن أذكرك وإن كنت لاتدرى فإنى أعلمك ، وعلى كلا الحالين أفيدك وتفيدنى ، وهذا شأن أخوة الإيمان والإسلام ينفع بعضهم بعضاً .

أما ماهو الذكر ؟ فإنى أؤخر الإجابة عنه ؛ ليكون آخر ما تقرأ فيستقر فى ذهنك فتحفظ وتعمل وبذلك تكمل وتسعد وهذا هو مطلوبنا لك .

وأما عن قيمة الذكر ، وثماره ونتائجه فإليك بيان ذلك من الروايات الحديثية الصحيحة التالية :

١ ـ رواية أبى هريرة المتفق عليها وفيها يقول الله تعالى : « أنا عند ظنّ عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه »

فقل لى بربك ـ أخى الحاج ـ هل هناك ما هو خير وأشرف للعبد من أن يكون الله جل جلاله معه ؟ إذا دعاه أجابه وإذا سأله أعطاه ، وإذا استنصره نصره .

وهل هناك ما هو خير وأشرف للعبد من أن يذكره الله تعالى فى نفسه ،

أو فى ملأ من أهـل السـماء وهم خير من أهـل الأرض وأشرف ، لأنهم يسبحون الليل والنهار لايفترون

الله أكبر ، ماذا يثمر ذكر العبد ربَّه من شرف وكمال وخير !!

وسبحان الله كيف ينسى العبد ربه !!

٢ ـ رواية أبى موسى الأشعـرى عنـد البخارى وفيها يقول الرسول ﷺ : « مثل الذى يذكر ربّه والذى لا يذكره مثل الحىّ والميت » . إن هذه الرواية الصحيحة قاضية بأن الناس مابين حىٍّ وميت ، وأن الحىّ منهم من يذكر الله تعالى ويعيش على ذكره ، وأن الميت من لا يذكر الله عز وجل ، ولا يلازم ذكره .

وبناء على هذا فالذكر روح وحياة ، وتركه عدم وموت .

وحسب الذكر فضلا أن تكون به الحياة ، ويكون بدونه الموت والوفاة .

تلك كانت رواية البخـارى .

أما رواية مسلم فإنها تصنف البيوت إلى صنفين صنف يذكر فيه الله ، وصنف لا يذكـر فيه الله ، فتقول : « مثل البيت الذى يذكر الله فيه ، والبيت الذى لايذكر الله فيه مثل الحىّ والميت » .

وعليه فإن خلاصـة مجموع رواية الشيخين : أن الذكر حياة ، وتركه موت . وسر هذه الحقيقـة أن الله تبـارك وتعـالى خلق الإنسان ورزقه ، ليذكره ويشكره ، ووهبه الحياة لأجل ذلك . فإذا ترك الـذكر والشكر تعطل الغرض الذى لأجله خلق ، فكان كالعدم وهو المـوت !

٣ ـ : رواية أبى الدرداء عند الترمذى والحاكم وصححها الأخير ، وفيهـا يقـول الـرسول ﷺ : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخـير لكم من أن تلقـوا عدوكم فتضربـوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى ، قال : ذكرالله تعالى !! »

فهل بعد هذا الخير من خير ؟ وهل بعد هذا الفضل من فضل ؟ وهل

بعد هذه الثمار الشهية والنتائج الطيبة المرضية من ثمار أو نتائج ؟ ؟ إن هذا الخبر النبوى الصحيح قد فضل الذكر المنصوح لك أيها الحاج به فضلهُ على سائر الأعمال ، ورفعه إلى مستوى لايصل إليه عمل من صالح الأعمال ، بحال من الأحوال ، حيث جعله خير الأعمال ، وأزكاها عند الله ، وأرفعها لدرجات العبد ، وأفضل من صدقة الذهب والفضة ، وخير من قتال الكفار والاستشهاد فى ذلك . وهل يستغرب فى ذكر الله تعالى هذا ؟

وقد علمنا أن الذكر هو علة الحياة كلها وسر وجودها ، وما الإنفاق والجهاد إلا ضرب من الذكر ، ونوع من أنواعه ، كما سيأتى بيانه .

نكتفى أخى الحاج - بهذ الإشارة فى الإجابة عن سؤالنا لك : هل تدرى ما قيمة الذكر ، وما ثماره ، وما هى نتائجه .

ونجيب عن أول سؤال صدرنا به . . حديثنا إليك وهو هل تدرى ماهو الذكر الذى ننصح لك به وبملازمته ، وعدم التفريط فيه . فنقول : إن الذكر ضد الترك والنسيان ، وكما يكون باللسان ، يكون بالجَنان . فآلته القلب واللسان ، وقد ينفرد اللسان بالذكر كما قد ينفرد القلب به ، وخيره ما تواطأ فيه القلب واللسان .

وانفراد اللسان بالذكر دون القلب لاخير فيه إن استمر القلب مشغولا لاهياً عن المذكور سبحانه وتعالى .

وأما انفراد القلب بالذكر فقد يكون فى مواطن كثيرة خير من الذكر باللسان ، ومن تلك المواطن ما يلى :

١ - أن تعرض للنفس شهوة محرمة وتريد قضاءها فيذكر العبد بقلبه مقام ربّه فيخاف ويحجم عن قضائها ، ويقلع عنها ويبعد عن ساحتها بعد أن كاد يتردى فيها ، فهذا الموطن من ذكر القلب من أشرف المواطن .

٢ - أن يطيف بالقلب عدو الله إبليس للإغراء بالفتنة والإيقاع فى المعصية

فيذكر العبد ربّه بقلبه فيستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فيذهب عنه ما كان قد ألَمَّ بنفسه من فتنة إبليس . قال تعالى فى هذا : ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون ﴾ .

٣ ـ أن يقصِّر العبد المنيب فى الطاعات فيذكر وعد الله لأوليائه من أهل طاعته فينطلق يعمل وينافس ويسابق المجدِّين والمشمِّرين حتى ينفسهم ويسبقهم .

٤ ـ أن تلوح الحياة الدنيا بزينتها من مال أو شهوة أو شهرة أو شرف فيتذكر العبد المنيب وعيد الله لأهل معصيته ، وما أعد لأهل معصيته من النكال والعذاب فيكف ويعرض وينصرف .

هذا والذكر باللسان وقد عرفت فضله وشرفه وثماره ونتائجه فاعلم أنه لا يثمر تلك الثمار ولا يحقق تلك النتائج إلا إذا استوفى شروطه التالية :

١ ــ أن يكون بالألفاظ التى شرعها الله تعالى ، واستحب أن يذكر بها ، وهى تتفاوت فى الفضل فأعلاها : لا إله إلا الله لحديث « أفضل الذكر لا إله إلا الله » ثم « لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » لحديث « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لاإله إلا الله الخ . . » ثم « سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » لحديث الصحيح : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » ثم « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » لحديث الصحيح : « قلت بعدك أربع كلمات » الخ . . . ثم « سبحان الله والحمد لله والله أكبر » دُبُر كل صلاة وعند الإيواء إلى فراش النوم لحديث على وفاطمة : « إذا أويتما إلى فراشكما » الخ ثم تلاوة القرآن الكريم ، والاستغفار والصلاة على النبى المختار » .

٢ ــ أن يكون العبد الذاكر عالما بمدلولات الألفاظ عارفاً بمعناها موقنا بها .

٣ ـ أن يكون قلبه متواطئا مع لسانه فلا ينفرد أحدهما بالذكر دون الثانى .
٤ ـ أن يأتى الذاكر بألفاظ الذكر كما وردت عن الشارع فلا يزيد فيها ولا ينقص منها ولا يقدم مؤخراً منها ولا يؤخّر مقدّما ، إذ مراعاة الكمية والكيفية ضرورية لإنتاج الذكر وإثماره .

هذا هو الذكر المطلوب وتلك شرائطه فالزمه فإنك لم تخلق إلّا له ، واذكر ما قد عرفت من فضائله يسهل عليك ملازمته ويظل لسانك رطبا به . وهنيئا لك سلفا .

(ب)ـ الشكر

اعلم أخى الحاج ـ أن الشكر الذى أنصح لك به وبملازمته وعدم التفريط فيه أنه صنو الذكر وقرينه الذى لايكاد يفارقه ، بيد أنه أعم من الذكر إذ كل شاكر ذاكر ، وما كل ذاكر ، شاكر ، فمن قال الحمد لله على نعمه حصلت له ذكر وشكر .

ومن قال : لا إله إلا الله ذكر ولم يشكر حتى يعبد الله وحده لاشريك له .

ومن قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ذكر ولم يشكر ، ومن قام فصلى صلاة فقد ذكر وشكر . ومما يدل على تلازم الذكر والشكر قول الله تعالى : ﴿ فاذكرونى أذكركم ، واشكروا لى ولا تكفرونِ ﴾ . فقد طلب الحق تبارك وتعالى فى هذا الخطاب من عباده المؤمنين كلًّا من الذكر والشكر ، وواعد بالجزاء من ذكر وشكر . ثم إن الذكر ضده الترك والنسيان ، والشكر ضده الجحود والكفران . ومن جحد شيئا لم يذكره ، ومن كفر شيئا لم يظهره . فظهر بهذا أن الذكر والشكر زوجان لافرق بينهما ، وهما مطلوبان من العباد معاً .

وقـد عرفت الذكر فى حديث سبق لنا معك أيها الحاج الكريم ، فما هو الشكر المنصوح لك به لفضله وأهميته ؟

إن الشكر المطلوب من العبد أن يعيش عليه ولايفارقه طوال حياته هو عبادة الله تعالى التى هى طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه مع حبه غاية الحب وتعـظيمـه غاية التعـظيم ، وخوف سببه الشعور بالتقصير ورجاء أوجده الطمع فى الثواب على الطاعة .

إن نعمة الله على العبد بخلقه ورزقه استوجبت عبادته شكراً له على نعمة الإيجاد والإمداد أى الخلق والرزق .

روى أنه لما أتمَّ الله نعمته على آل داود عليه السلام وذكرهم بها وهى نعم عظيمة أمرهم بشكرها وبقوله ﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾ . قام داود عليه السلام خطيباً فى آل داود الذين هم آله ، وقال اكفونى النهار أكفكم الليل ، فما شئت أن ترى فى مسجدهم راكعاً أوساجداً فى أيّة ساعة من ليل أونهار إلا وجدت حتى إن سليمان عليه السلام مات وهو قائم يصلى معتمداً على عصاه .

كما صح عن نبينا محمد ﷺ أنه لما أنزل الله تعالى عليه قوله ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخّر ﴾ قام من الليل حتى تورّمت قدماه ، فرقّت له أم المؤمنين عائشة وقالت له فى ذلك فأجابها بقوله : « أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً ؟

فدلّ هذا على أنّ الشكـر هو العبـادة ، وأن أعظم العبادة الصلاة ؛ لاشتمالها على الذكر والشكر معاً كما قدمنا .

هذا هو الشكر العامّ المطلوب من العبد لله تعالى . أما الشكر الخاص على نعمة من النعم تحصل للعبد فهو مجموع ثلاثة أمور وهى :

١ ـ الاعتراف بالنعمة للمنعم عزَّ وجلَّ بذكرها منسوبة إليه .

٢ ـ حمده عليها باللسان ، والثناء عليه بها مادامت ثابتة له ينعم بها بين الناس .

٣ ـ صرفها فى مرضاته ، والاستعانة بها على طاعته سبحانه وتعالى .

فمجموع هذه الأمور الثلاثة هو شكر النعم الخاصة ، فمن أنعم الله عليه بنعمة علم أو مال ، أو جاه ، أو فراغ ، أوصحة وعافية لا يتم شكره لله تعالى عليها إلا بالاعتراف لله بها ، وحمده عليها ، وثنائه عليه بها مع صرفها فى مرضاته ، فإن هو جحدها ولم يذكرها ، ولم يحمد الله تعالى عليها ، ولم يثن بها عليه ، ثم صرفها فى غير مرضاته من سائر معاصيه فقد كفر هذه النعمة وما شكرها .

ولنعلم هنا أنه يترتب على شكر النعمة وعدمه أمران :

الأول : بقاء النعمة وزيادتها والانتفاع بها فى الدين والدنيا لمن شكرها .

والثانى : عدم الانتفاع بها ، وسلبها ، والحساب عليها لمن كفرها ولم يشكرها . ودليل هذا قوله تعالى من سورة إبراهيم عليه السلام ﴿ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابى لشديد ﴾ .

بعض أسرار الشكر وفضائله :

إن من أسرار الشكر أنه مع الذكر يمثلان علّة الحياة كلها ، فلو سأل سائل عن علة هذا الوجود بكل ما فيه ، وطلب الجواب على ذلك ، وأمكنه أن يتلقاه لكان الجواب : هى الذكر والشكر ، لأن الله تعالى أحب أن يذكر ويشكر فخلق الوجود بما فيه الإنسان والجان ليذكر بذلك ويشكر وهذا ظاهر فى قوله تعالى من سورة والذاريات : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ، وقوله فى الحديث القدسى : « يا ابن آدم لقد خلقت كل شىء لأجلك ، وخلقتك لأجلى » : أى لتذكرنى وتشكرنى .

ومن أسرار الشكر أن الله تعالى يعطى العبد الخير ويزيده منه من أجل أن يشكره عليه ، ويدل على هذا قوله تعالى ﴿ ويتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾ .

أما فضائل الشكر فإنها كثيرةُ وقد نكتفى منها بذكر ما يلى :

١ - أن الله تعالى يحبه ، وما أحب الله تعالى شيئا إلا شرف بذلك وفضل ، وقد روى مسلم عن أنس بن مالك أن النبىّ ﷺ قال : « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها » . فهذا دليل أن الله تعالى يحب الحمد والحمد هو رأس الشكر .

ويدل لهذا رواية ابن ماجه وفيها أن النبى ﷺ قال : « ما أنعم الله على عبد نعمة فقال : الحمد لله إلا كان الذى أعطاه أفضل مما أَخَذَ » وهذا دليل ظاهر أيضاً على أن الله تعالى يحب الحمد الذى هو الشكر ، إذ ورد أن الحمد رأس الشكر .

٢ - أن الشكر يحفظ النعمة من الزوال ، وسرّ ذلك أن العبد إذا اعترف بالنعمة وأخذ نفسه أن لايصرفها إلا فى مرضاة الله تعالى فإنه لايسرف ولا يبذر بل يعتدل فى تصرفه ويقتصد ، والاعتدال فى الأمور والقصد فيها يسبب بقاء خيرها وسلامتها وصلاحها واستمرار ذلك لها حتى يخرج بها العبد عن حدود القصد والعدل فتسوء وتفسد وتضمحل وتذهب .

٣ - أن النعم تزيد بالشكر وتكثر عليه حسب وعد الله الصادق فى قوله : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ وبيان ذلك : أن العلم نعمة فإذا شكرها العبد بتعليم ذلك العلم والعمل به فإن ذلك من شأنه أن يبقى على العلم ويزيد فيه ، كما أن المال نعمة فإذا شكرها العبد بالاقتصاد فى إنفاقه ، وعدم إتلافه ، وعرف حق الله فيه فانفق منه مرضاة لله تعالى ومن ذلك أداء الحقوق المتعلقة به كالزكاة وغيرها فإن هذا المال يزكو بإذن الله وينمو ويبارك فيه .

وأخيراً - أخى الحاج - أكرر نصحى لك بعد أن عرفت الذكر والشكر وعرفت فضائلهما أنصح لك بملازمتهما ملازمتك للإيمان والتقوى ، وقد كملت عليهما وسعدت بهما ، فإن الذكر والشكر علّة حياتك ، وسر وجودك ونجاتك فأنت بهما حى كريم ، وبدونهما عدم محض لا وجود لك ولا كرامة . فاذكر هذا معى . والسلام .

الزوج الثالث
من
النصائح الأزواج
الهجرة والجهاد

(أ) ـ الهجــرة :

بسم الله وبعد : فالهجرة والجهاد زوجان قلما يفترقان . . حتـــى لكأن أحدهما أصل للثانى . وفى القرآن الكريم : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله . أولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم ﴾ .

ودعوات الحق فى كل زمان ومكان لاتخلو غالباً منهما ، بل وقد لا تقوم إلاّ عليهما والنصح بهما لذى الإسلام والإيمان نصح بما لابد له منه ؛ لتحقيق الإسلام وتثبيت الإيمان ، وإفاضة الإحسان ، والإبقاء على ذلـك كله من أجل الإكمال والإسعاد فى الحياتين ؛ ولذا فإنى أنصـح لك ـ أخى الحـاج الكـريم ـ بمعـرفـة الهجـرة والجهـاد ، واستعمالهـما وقاية لإيمانك وحصناً لإسلامك عند الشعور بتهديدك فيهما من قبل أعداء الإيمان والإسلام من ذوى الكفر والخبث والفساد والشر الذين لم يبرحوا حرباً على المؤمنين والمسلمين منذ زمن المهاجر الأول إلى اليوم وإلى انتهـاء حياة الإيمان والإسـلام قرب انقـراض الكون عند ما لم يبق من يقول : الله ، الله . كما جاء ذلك فى صحيح الأخبار .

وإن سألت عن الهجرة أو تساءلت وأردت أن أعرفك بها فاصغ إلّى أحدثك بما يعرفك بها وبفضلها وحِكمها وحكمتها .

أما الهجرة : فهي الاسم من هجر المكان يهجره هجراً وهجراناً إذا تركه لما لحقه به من أذى فى دينه أوعرضه أوماله أوبدنه ، أو مما يخاف أن يحصل له من مكروه فيه .

. . والهجرة الشرعية هى الانتقال من بلد يضطهد فيه المؤمن لإيمانه والمسلم لإسلامه وهو عاجز عن رفع الاضطهاد الذى ناله من أجل إيمانه وإسلامه إلى بلد آخر يأمن فيه على نفسه ودينه . وأول من سن الهجرة الشرعية إبراهيم الخليل عليه السلام فقد هاجر بامرأته سارة وابن أخيه لوط عليه السلام من أرض العراق إلى أرض الشام كما قال تعالى عنه فى سورة العنكبوت ، ﴿ فآمن له لوط وقال : إنى مهاجر إلى ربّى إنه هو العزيز الحكيم ﴾ .

وأعظم هجرة تمت فى تاريخ الإنسان هى هجرة الرسول محمد ﷺ وأصحابه إلى الحبشة أولا ثم إلى المدينة ، وأهلها أفضل المهاجرين باستثناء إبراهيم أول المهاجرين .

أنواع الهجرة :

والهجرة الشرعية لاتقيد دائما بأنها الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإيمان فراراً بالدين ؛ إذ قد تكون هجرة وصاحبها مقيم ببلده لم يفارقه إلى غيره ، ولم يغادرها إلى سواه ، وذلك كأن يكون المسلم بدار فيؤذى من جيرانه فى دينه ، أو يخاف أن يلحقه أذى فيه فيطلب دارا أخرى ينتقل إليها فراراً بدينه ، وكثيرا ما يقع هذه ، فهذه حقاً هجرة لله . وقد يكون المسلم فى عمل يكتسب منه قوته الضرورى فيدخل عليه فيه ما يمس بدينه فيتركه إلى عمل آخر يأمن فيه الغائلة فى دينه فهذه هجرة حقا . وقد يجلس المؤمن مجلسا لابُدّ له منه فيخاف إن جارى أهله فى كلامهم أوعملهم مما يخوضون فيه من أنواع الباطل والحرام أن يؤذى فى دينه فيهاجر بروحه فيشغل قلبه بالفكر ، ولسانه

عنهم بالذكر ، تاركا أهل المجلس وما يخوضون فيه ، فيرى بينهم وهو بعيد فهذه هجرة حقا ، ويشهد لصحة كل هذه الهجر حديث الصحيح «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» .

ولذا كانت الهجرة أنواعا عدة ، ولم تكن واحدة .

هذا وليست الأذية فى الدين وحدها داعية الهجرة وموجبتها بل الأذى يلحق المؤمن فى بدنه أو عرضه أو ماله كالأذى يلحقه فى دينه سواء بسواء يوجب الهجرة ويقتضيها وإن تفاوتت الهِجَر ،وتفاضل المهاجرون فى عظم الأجر وحسن المثوبة .

فضل الهجرة :

إن فضل الهجرة فى سبيل الله لايقل عن فضل الجهاد فى سبيل الله ، حتى قال أحدهم وقد رأى ازدحام الناس على نعش مجاهد ، وقلة ذلك على نعش مهاجرة « والله لا أبالى فى أى الحفرتين وضعتمونى ؛ لأن الله تعالى يقول « والذين هاجروا فى سبيل الله ، ثم قتلوا أوماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسناً وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه ، وإن الله لعليم حليم » .

وليس أدل على فضل الهجرة من قول الله تعالى : ﴿ ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغمًا كثيرا وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ، ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، وكان الله غفوراً رحيمًا ﴾ . وقول الرسول ﷺ يوم وزع غنائم حنين ، وقد وجد الأنصار فى نفوسهم من عدم إعطائهم من الغنائم ما أعطى غيرهم : « لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار » فى حديث طويل مخرج فى الصحيح .

حكم الهجرة :

والهجرة فريضة الله تعالى على عبده المؤمن إذا اضطهد فى دينه

فمنع من عبادة ربّه التى ما خلق إلا لها . وعليه فإنه لايحل لمؤمن أن يعيش فى بلد لا يتمكن فيه من عبادة الله تعالى بذكره وشكره ، ولا يسقط هذا الفرض اللازم إلا عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا وهم ذوو الأعذار الشرعية المبيحة للقعود عن الهجرة والجهاد .

وحديث « لاهجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونيةّ وإذا استنفرتم فانفروا » فى الصحيح إنما هو ناسخ لوجوب الهجرة من مكة إلى المدينة حيث كانت واجبة على المؤمنين ، لما كانوا يعانون من اضطهاد قريش وأذاها لهم ، ولما كان يفوتهم من الخير والبركة بسبب بُعدهم عن النبى ﷺ ، ولما يحرمونه من شرف حماية نبيهم والدفاع عنه ، ولما ينقصهم من العلم والعمل بما ينزل من التشريع وهو يستجد كلّ يوم وليلة مع مايقصرون عنه من فضل تقوية عصبة الإيمان وشد أزرها وتقوية سوادها إلى غير ذلك من الحكم والفوائد .

حكمة الهجرة :

والحكمة من الهجرة متعددة الجوانب أعلاها أن يعبد الله تعالى بكل ما شرع فلا يتعطّل الغرض الأساسى الذى من أجله خلق الإنسان فى هذه الحياة ، وخلق الكون كله من أجله ، وأدناها أن يعلوَ الإسلام ولا يُعلى عليه ، وما بين ذلك من الحكم والمصالح التى لاتتحقق الا بالهجرة فى سبيل الله كالعلم والعمل والعزة والكرامة والنصرة والجهاد الذى هو قوام الملة وحفاظ الأمة ، وذروة سنام الإسلام .

(ب) - الجهاد :

بسم الله وبعد : إن نصحى لك - أيها الحاج الكريم بالجهاد هو نصح لك بالحياة أكملها ، والسعادة أجمعها ، وبالبر كله . كما إنى لم

أنصح لك إلا بشىء قد كتبه الله عليك وعلى سائر إخوانك المؤمنين والمسلمين قال تعالى من سورة البقرة : ﴿ كُتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون ﴾ . وبأمر كنت قد أبرمته أنت بنفسك ، وبيع أجريت صفقته بيدك ؛ إذ أنك وسائر إخوتك المؤمنين قد بعتم أنفسكم وأموالكم لربكم عزَّ وجلَّ ، بأغلى الأثمان وأبهظها وهى الجنة دار الأبرار ، وصك بيعكم هذا مسجل فى ثلاثة كتب فإنكاره صعب والتهرب منه مذموم ، واقرأ معى هذه الصورة لصك البيع : قال تعالى من سورة التوبة : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فَيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن . ومن أوفى بعهده من الله !! فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

واعلم ـ أخى الحاج ـ أن الجهاد الذى انصح به وقد عرفت أنه أمر مفروغ منه ، وما نصحى لك به إلا من باب التذكير والتشجيع لتقتحم معاركه غير هيّاب ولاوجل هذا الجهاد هو عبارة عن بذل طاقتك ومافى وسعك فى صد هجمات أعداء لك شرسين لايريدون إلا قتلك أو إذلالك وقهرك . واعلم أنهم يقاتلونك بأسلحة متطورة متنوعة فاعرف واقعك معهم ، وصحح موقفك منهم ، واستعن ربك وجاهدهم بمثل ما يجاهدونك به . واعلم أن النصر مع الصبر ، ومن يطلب الموت توهبْ له الحياة !!

وهذا بيان وافٍ بأسماء أعدائك المحاربين لك لتكون على علم بهم حتى لاتؤخذ على غرة فتندم وتنهزم .

١ ـ كل الكفار من الناس عربهم وعجمهم يهودهم ونصاراهم مجوسهم ومشركوهم .

وما من أحد منهم إلا وهو يريد قتلك أو إذلالك وقهرك فافهم هذا

ولاتغفل!!

واعلم أن خوض المعركة مع هذا العدو الكافر يتطلب منك أن تكون تحت راية إمام مسلم ، وفى جماعة مسلحة مسلمة تقاتل من كفر بالله ، لإعلاء كلمة الله ، فلا يحلّ أن تخوض معركةً وحدَك ، ولا مع جماعة لابيعة لإمام مسلم فى أعناقهم ولا راية له تجمعهم يقاتلون تحت ظلها وهى ترفرف عليهم .

وهذا النوع من الجهاد عزيز فى هذه الأيام ، وقلما يتيسَّر غير أنه يكتفى منه بالأمور التالية وهى **النيّة الصادقة** ، **والانخراط** فى سلك دفاع حكومتك لتتعلم فنون الحرب وأساليب القتال ولتكون ذا قدرة على استعمال كل أنواع السلاح ما وجد منها الآن وما يوجد غداً ، **والمحافظة** على المال الذى بيدك فلا تنفقه فى غير مرضاة الله تعالى وذلك للإبقاء عليه وافراً إلى ساعة يطلبه منك داعى الجهاد فى سبيل الله ، وقال : المال ، المال ياأهل بيعة الله فهذا أوان دفعكم السلعة . فتقول حينئذ : لبيك وهذا المال بين يديك ، فإنى قد بايعت ربّى فلا أقيل ولا أُقال !!

٢ ـ كل الفسّاق وسائر المنحرفين من المسلمين ممن فسقوا عن طاعة الله ، تعالى وطاعة رسوله ﷺ فتركوا كثيراً من الواجبات أو فعلوا كثيراً من المنهيات المحرمات .

وجهاد هؤلاء هو أمرهم بما تركوا من الواجبات حتى يؤدوها ، ونهيهم عما فعلوا من المحرمات حتى يتركوها . وهذه المعركة طويلة وشاقّة ومريرة تحتاج إلى عزم ، وصبر ، وعلم ، وحِكمة قال تعالى : ﴿ وأمر بالمعروف وانْه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ وقال رسوله ﷺ : « سيِّد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله »!!

٣ ـ الدنيا بغرورها وبهرجها ومفاتنها من زينة المال والولد فإنها عدو خادع

لا يرحم . وجهادها يكون بعدم الاغترار بها ، والكشف عن حقيقتها ، وإظهار ما تخفيه من مكروه وباطل وشر ، فإن حلوها مرّ ، وطولها قصر ، وراحتها عناء ، وسعادتها شقاء . ما أسرع زوالها ! وما أكثر تحولها وانتقالها !

وخير ما تقاتل به وتقتل عليه أن تُسْتخدم مطية لضرتها ، وجسراً للعبور إلى نعيمها وسعادتها ! .

٤ ـ الشيطان وهو عدوّ قديم كاشح ماكر ذو حيل كثيرة ، ما يهزم فى معركة إلا ويظهر فى أخرى ، يستخدم أمضى سلاح وأقواه عنده وهو التزيين والتغْرير ، وجهاده يكون بمعرفة الشبه التى يلقيها فى النفس ، وبردِّها فوراً فلا يُصْغى إليها ، ولا يحتفل بها أو يفكر فيها ، وبالاستعاذة بالسميع العليم منه ، وهى أخوف ما يخافه من العبد . ألا فليحارب بهذا السلاح فإنه لايقوى على الوقوف أمامه بحال قال تعالى : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ﴾ .

وأكثر ما يكرب هذا العدو ويحزنه الاستغفار وعدم الإصرار فليغظ بهما ، وليذلّ عليهما قال تعالى : ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله ، فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ .

٥ ـ النفس وهى أعدى الأعداء لاسيما قبل انهزامها وإذلالها وسلب وصف الأمَّارة منها

والمعركة معها تطول غير أنّ العاقبة هى النصر للمجاهدين الصابرين ، وما أجمل قول الرسول ﷺ وهو ينادى أحد أصحابه يداعبه « ياعدو نفسه » فقد أثبت ﷺ عداوة نفس الإنسان للإنسان ، ولذا قيل : أعدى أعداء الإنسان نفسه التي بين جنبيه .

وجهاد النفس يكون بنهيها عن الهوى أى عما تهواه وتميل إليه بطبعها من

الخلود إلى الراحة والميل إلى الشهوات ، وحب العلو والظهور ، والفسق والفجور .

واعلم أنه لايتم التغلب عليها فتستسلم وتسكن للمعروف وتطمئن إلى الحق والخير إلا إذا جوهدت فى ثلاث جبهات وانتصر عليها فى جميعها واحدة بعد واحدة ، وتلك الجبهات أو الواجهات هى :

١ ــ حملها على التعلم حتى تعرف الله تعالى بعد الإيمان معرفة صحيحة وتعرف محابه من المعتقدات والأقوال والأعمال ، ومساخطه من المعتقدات والأقوال والأفعال .

٢ ــ حملها على العمل بكل ما علمته من محاب الله تعالى ، وعلى ترك ما علمته من مكاره الله تعالى .

٣ ــ حملها ـ وإن كانت كارهة ـ على أن تُعلِّم غيرها كل ما علمته من محاب الله تعالى ومكارهه فتصبح تدعو إلى معرفة الله تعالى ومعرفة محابه ومساخطه بين عباده المؤمنين به وإلى العمل بالمحبوبات لله وترك المكروهات له عز وجل ويومها يتم النصر عليها نهائيا ، لأنها إذا وصلت إلى مرحلة الاطمئنان وأصبحت تنادى بالنفس المطمئنة فقد أسلمت نهائياً ، وما أصبحت حربا على صاحبها بل أصبحت سلمًا عليه .

هذا هو الجهاد ـ أخى الحاج ـ وهذه معاركه فهلا تخوضها عاملا بنصيحتى فتجاهد بحزم وعزْم كل من عرفت من هؤلاء الأعداء وفى كل الجبهات آخذاً بما أرشدك إليه ، لتنتصر على أعدائك وتخلص حرّاً لربك تعبده وتتوكل عليه فتكمل وتسعد فى الحياتين حقق الله لى ولك ذلك . . آمين .

الزوج الرابع
مـــن
النصائح الأزواج
العبادة والتوكل

(ا) ـ العبـــادة

بسم الله ، وبعـد : فهـل تدرى ـ أخى الحاج ـ من المأمور بالعبادة والتوكل فى قول الله تعالى : ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ ؟ إنه رسول الله ﷺ وأنا وأنت وكل المؤمنين به تعالى . وهل تدرى ما سر الجمع بينهما ؟ إنه تعذر للقيام بأحـدهما دون الآخر . وهل تدرى لماذ أنصح لك بهما ؟ لأن أمراً أرشد الله تعالى إليه رسوله ، وطلب منه فعله والقيام به لمن يكون إلا مجديا ونافعاً وخيراً لاخَير منه .

وهل تدرى ما هى العبادة والتوكل (الذيْن أنصح لك بهما ؟

أما العبادة فإنها فى الظاهر طاعة الله تعالى بجميع محابه فعلاً ومساخطه تركاً مع حبه تعالى وتعظيمه ، والذلّة له ، وبلوغ الغاية فى ذلك كله . هذه هى العبـادة فى الظاهر ، أما فى باطن الأمر فهى جنّة الدنيا وسعادتها ، ونعيم هذه الحياة وطيبها ، الإنسان بدونها حيوان أعجم ، والحيوان منه أحسن ، والحياة بدونها عبث والوجود بغيرها عدم . وهل الناس يعرفون هذه الحقيقة عن العبادة ؟

إن أكثـر النـاس لايعـرفـونها . ولو عرفوها لهاجروا كلهم إلى العبادة وجاهدوا دونها كما فعل الأولون من الأنصار والمهاجرين ، وأضرب لك مثلا لذلك : ناصحك هذا وغيره من العالمين ـ والله ـ قسمًا ، لو خيّر أحدهم بين أن يصبح ملكا متوجاً يحكم ما بين المشرق والمغرب على أن يترك الصلاة

فقط فلا يصلي ، وبين أن يعيش ذليلا فقيراً مريضا وطوال الحياة ، لاختار الذل والفقر والمرض طول حياته على الملك والحكم مع ترك الصلاة حتى الموت . فى حين أن هناك ملايين من الأفراد المسلمين لم يعطوا شيئاً ولوتافهاً وهم لا يصلون . وسرّ هذا الأمر : المعرفة وعدمها ، فاعرف هذه الحقيقة العلميّة فإنها تفسر لك كثيراً من الظواهر الغريبة بين الناس .

والآن ، لعلك تريد أن تسألنى قائلا : هل الصلاة هى كل العبادة ؟ فأقول لك : إن الصلاة ليست هى كل العبادة ، ولكنها من أعظم مظاهرها حتى إن العبد لايَعُدُّهُ المؤمنون مؤمناً عابداً مالم يكن مقيما للصلاة بينهم . وقد أمر الرسول ﷺ المسلمين بلزوم طاعة الأئمة أى الحكام ولو كانوا جائرين ما أقاموا الصلاة فيهم أى صلوها وأمروا بها بينهم . وإذا قلت : ماهى العبادة إذاً ؟ أحلتك على مراجعة أول الحديث معك ، فإنى قد قلت لك : إن العبادة هى طاعة الله بجميع محابه فعلاً ، ومكارهه تركاً مع حبه تعالى وتعظيمه والذلة له وبلوغ الغاية فى ذلك كله .
وإن قلت : ما هو الطريق إلى معرفة محاب الله تعالى ومساخطه والقيام بذلك فعلا وتركا ؟ فالجواب : أنه التعلّم والتوكل ، فاسأل أهل القرآن والسنة فإن جميع محاب الله تعالى ومساخطه مذكورة فى الكتاب والسنة ، وإذا علمت محبوباً لله تعالى فافعله له فوراً ، وإذا عرفت مكروها لله تعالى فاتركه لأجله فوراً متوكلا على الله تعالى فى ذلك فإنك تظفر ببغيتك ، وتصل إلى غايتك من العبادة والتوكل المنصوح لك بهما .

بقى علّى - أخى الحاج - أن أعرفك بأمرين خطيرين لابد لك من معرفتهما ، والعمل بموجبهما وهما : أنّ العبادة هى عبارة عن خدمة الربّ تعالى بقضاء ما يطلب منك فعله ، وهذه حال تقتضى منك أن تعرف كيف تخدمه حتى لاتُسىء خدمته فيغضب عليك ويومها لاتفلح أبداً ، ولهذا أنصح لك أن تتعلم كيف تخدمه تعالى ، فإذا أَمَرَكَ بالطهارة مثلا بقوله :

﴿ وإن كنتم جنبا فاطهروا ﴾ فتطهر كما يريد منك أن تتطهر ، وإذا أمرك بالصلاة فتعلم كيف تصلى ، وإذا أمرك بذكره أو شكره فتعلم كيف تذكره وكيف تشكره ، وإلا فسوف تنقلب الطاعة معصية ولا تثمر لك حبّه ولا رضوانه وعندها فماذا استفدت ؟

ولتتأكد من صحة ما قلت لك اذكر معى قول الفقيه لمن لم يحسن الوضوء : إن وضوءك باطل ، ولمن لم يُحْسِن الصلاة : صلاتك باطلة ، ولمن لم يحسن الحج حجك فاسد أو باطل . وما معنى باطل ؟ معناه أنه لم يرض عنه الربّ ولم يثب عليه وهذه هى الغاية من العبادة فإذا لم يصل إليها العبد كان كأن لم يعبد ولم يتوكل ، وضاع جهده وخسر فى دنياه وآخرته ، والعياذ بالله تعالى من الخسران .

هذا أمر

والثاني وهو أخطر من الأول وحقيقته : أن تؤمن بالله وحده ربًّا وإلهاً فلا تعتقدن أنّ لغير الله تعالى تأثيراً ما فىّ الكون والحياة بخلق أو رزق ، أو تدبير بإماتة أَوْ إحْياءٍ ، أو بإعطاء أو منع ، أو بضر أو نفع ، فلذلك تؤلّهه تعالى وحده ولا تؤله سواه ، فتخصه تعالى برغبتك ورهبتك ، وعبادتك وتوكلك ، وتوقف حياتك كلها عليه ، وحتى لايكون لك هَمٌّ فىَ غيره تعالى . فاعلم هذا ـ أخى الحاج ـ وتأكّد منه فإنه ذو خطورة على عبادتك ، وعلى إيمانك أيضا ، إنه لافلاح لعبد فى قلبه شىء من ربوبية غير الله تعالى وألوهيته ، انه تعالى لا يقبل من العباد إلاّ مَنْ كان منقطعاً إليه ، ولا من العبادات إلا ماكان خالصاً له ، واستمع إلَى أقرأ عليك كلامه تعالى فى هذا الأمر ، قال تعالى من سورة الزمر من كتابه العزيز وهو يخاطب رسوله محمداً ﷺ : ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملُك ، ولتكوننّ من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ .

وأخيراً أنصح لك فى معرفة هذه المسألة الخطرة بالذات أن تسأل عن

جزئياتها ممن يقال عنهم « الوهابيون » وناصحك هذا منهم فإنهم أعرف المسلمين بحقائق التوحيد والشرك ، فإذا قال لك أحدهم : هذا الاعتقاد ، أو هذا القول أو هذا العمل شرك فاتركه فوراً فإنه كما قال ، ولا تسأل غيره فيصدك عنه فتهلك وأنت لاتشعر والعياذ بالله تعالى .

ب ـ التوكل

بسم الله وبعد : فاعلم أخى الحاج الكريم أن التوكل الذى أنصح لك به هو زوج العبادة وقرينها ، وقد بينت لك عند الكلام على العبادة سر اجتماعهما فى آية : ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ وهو أن أحدهما لا يتم للعبد إلا بالثانى فلا العبادة تحصل بدون توكل ، ولا توكل يُجْدِى بدون عبادة ، ولذا جعلناهما لك من النصائح الأزواج ونصحنا لك بهما معاً ، وقد عرفناك بالأول وهو العبادة ، وجئنا الآن لنعرفك بالثانى وهو التوكل .

فما هو التوكل ، وما حكمه ، وما هى مظاهره ؟؟؟

إن التوكل عبارةٌ عن الاعتراف بالفقر إلى الله تعالى وإظهار العجز والضعف بين يديه عز وجل ، والاعتماد عليه فى النصر والنجاة ، وبلوغ الآمال فى كل الأعمال وهذا بيان ذلك وتفصيله :

١ ــ : الاعتراف بالفقر وإظهاره للرب تعالى وهو ناتج عن عِلم المرء باستحالة الاستغناء عن الله تعالى ، سيجعل العبد لا يألو جهداً فى طاعة الله تعالى وطلب مرضاته ، ليحصل له أمنه وكفايته ، وهما ما لا غنى للإنسان عنهما فى الحياة .

٢ ــ : إظهار العجز والضعف أمام الله تعالى ، ومعناه تبرؤ العبد من حوله وقوته إلى حول الله تعالى وقوته ، وهذا يفيد فائدتين :

الأولى :

حصول معونة الله تعالى للعبد ولطفه به ، إذ أنه سأله ذلك بأبلغ لسان وأصدق حال . والثانية ذهاب الغرور عن النفس ، والغرور عائق كبير عن

العمل والنجاح .

٣ ـ : الاعتماد على الله تعالى وهو إغماض العين عما سوى الله تعالى ، والاطّراح بين يديه والتسليم له فى تحقيق نصره على عدو ، أو الحصول على نجاة من هلكة ، أو بلوغ أمل فى عمل . وفوائد هذا كثيرة منها :

كفاية الله تعالى للعبد ، إذ قال عز وجل : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ ، وطمأنينة النفس وسكونها بعدم القلق والاضطراب الموجب للحيرة والخوف .

والوثوق فى الله تعالى وهذا يكسب الشجاعة والمثابرة على العمل ، وعدم الانقطاع عنه حتى يحصل المطلوب بالنجاة من المرهوب ، والظفر بالمرغوب المحبوب .

حكم التوكل :

إن التوكل جزء من العبادة وفرد من أفرادها ، أمر الله تعالى به كما أمر بها ، ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ وقال تعالى : ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم ﴾ ، وقال ﴿ وعلى الله فيتوكل المؤمنون ﴾ ، وقال : ﴿ وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ ، وأخبر تعالى عن صالحى عباده أنهم كانوا يتوكلون عليه دون سواه فى قوله : ﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾ .

فهذه الأوامر الإلهية بالتوكل وهذه الأخبار دالة على وجوب التوكل على الله تعالى ناهية عن التوكل على غيره من سائر خلقه . وعليه فحكم التوكل على الله تعالى الوجوب العينى ، وعلة ذلك أن غير الله تعالى لا يقدر على كفاية العبد ما يهمه من أمر كماله وسعادته ، وذلك لعجز كل المخلوقات وضعفها وافتقارها إلى الله تعالى فى حياتها وبقائها ، والاتكال على من لا يكفى ضلال وباطل .

مظاهر التوكّل :

إن للتوكل على الله تعالى مظاهر يتجلى فيها نذكر لك منها على سبيل

المثال ما يلى :

١ ــ أذن الله تعالى فى فلاحة الأرض بالحرث والغرس ، فيأتى العبد ببذره ، أو (فسائله) فيكفر البذر بالتراب « يغطيه » ويغرس الفسيلة فى الأرض المهيأة لذلك معتمداً معتقداً أن الحصاد والإنبات والإثمار سيحصل بإذن الله تعالى ، فيقدم على رعاية حرثه وغرسه بالسقى وغيره ، وقلبه مطمئن ساكن لاخوف يساوره ولا قلق ينتابه ، لعلمه أن ما عليه من أسباب قد قام بها ، وأما الإنتاج فمرده إلى الله تعالى إن شاء حصوله حصل وإن لم يشأ لم يحصل . فهذا يعد توكلا على الله تعالى ويعتبر مظهراً من مظاهر التوكل المطلوب شرعاً .

٢ ــ أن يفتح المرء متجراً يتجر فيه فيجلب البضاعة ويعرضها على الناس وهو لايدرى أتشترى منه أم لا ؟ أيربح فيها أم لا ؟ ولكن توكلا على الله تعالى أتى بالبضاعة وعرضها ، إذ هذه هى التجارة سبب الكسب والربح ، فأحضر السبب وانتظر ما ينتج عنه من الكسب والربح ، ونفسه مطمئنة وقلبه ساكن مستريح ، وأمله فى الله قوى فهذا مظهر من مظاهر التوكل على الله .

٣ ــ يعتزم العبد السفر لتجارة أو زيارة فيركب سيارة أو طيارة وهو لا يدرى هل يصل إلى غايته ، أو ينقطع دونها ، ولكن توكلا على الله تعالى واعتماداً عليه فى بلوغ هدفه والوصول إلى غايته سافر حيث أذن له فى السفر متزوداً له بما عرف زاداً لمثله .

فهذا السفر مظهر من مظاهر التوكل ، وغيره كثير .

مظاهر عدم التوكل :

إن عدم التوكل على الله تعالى إما أن يكون مع التوكل على غيره تعالى فيكون شركا وكفراً ، وإما أن يكون بدون توكل على الغير وهذا نادر الوجود حتى من الحمقى والمجانين ، وكما يكون التوكل على الأشخاص يكون على

الأسباب فى باب التوكل على غير الله تعالى وكله شرك وباطل وهذه مظاهر ذلك :

١ ـ توكل كثير من أهل الشرك على من يعتقدون أن لهم تصرفا فى الكون بالإعطاء والمنع ، والضر والنفع والتولية والعزل ، فيرفع أحدهم صوته قائلا أنا فى حماكم ياأهل الله ! أو أنا بكم وبالله ! وإنى خادكم ياأهل الله فكونوا لى . أوعبارات من هذا القبيل وهو إطراح كامل بين يدى من يدعونهم واعتماد كلّى عليهم فى أمور لا يقدر عليها إلا الله تعالى من اللطف والكفاية .

٢ ـ وتوكل على الأسباب كالرجل يعصى الله تعالى بترك واجب أوجبه الله عليه ، أو بارتكاب منهىّ نهى الله عنه ، خشية أن يخلع من منصبه ، أو تتعطل أعماله ، أو تكسد تجارته ، أو يفقد بعض ما كان يحصل عليه من منفعة مادية أو معنويّة ، وأمثلة هذا كثيرة منه :

أن يقيم تجارته أو مصنعه على القروض الربوية فينصح بترك ذلك فلا يتركه بحجة تعطل أو خسارة التجارة .

ومنها أن يبيع محرمات كالخمر والصور وغيرهما من المحرمات وينهى عن ذلك فلا ينتهى بدعوى أن تجارته ومعيشته قائمة على ذلك فإذا ترك بيع هذه المحرمات كسدت تجارته ومات جوعاً هو وأولاده .

ومنها أن يترك أحدهم فريضة من فرائض الله تعالى كالصلاة مثلا ، لأن الجهة التى يعمل معها تحب منه ذلك أو تكرهه فيجاملها بترك الواجب حتى لاتخلعه من منصبه أو تطرده من عمله ويستمر على ترك ما فرض الله عليه محافظة على منصبه ومعاشه .

ومنها أن يترك عبادة الله تعالى خوفاً من الناس فيقعد عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ خوفاً من أذى الناس ويقيم على ذلك أبداً .

فهذه كلها من مظاهر عدم التوكل على الله تعالى . مع التوكل على الأسباب ، وهى كما عرفت من الشرك والعياذ بالله تعالى .

وأخيراً - أخى الحاج - أعلم أنّ أهل العلم بالله وشرائعه قد أجمعوا على أن العمل بالأسباب لاينافى التوكل ، ولا يتعارض معه بشرط أن لاينظر إلى الأسباب إلا من حيث إن الله تعالى أمر بها ، وأنه يوجد المطلوب إن شاء الله تعالى عندها ، وإنه لا تأثير لها بمفردها ألبتّة .

فالمؤمن يبـذر البـذر للحصاد ، ويسقى الشجرة للإثمار ويؤبّر النخل للتمـر ، ويأكـل ويشرب لدفـع غائلة الجوع والعطش ، ويحمل السيف ويضرب العدو لدفعه أو قتله ، ويشترى البضاعة ويبيعها ليربح ، ويأمر بالمعروف ليفعل ، .وينهى عن المنكر ليترك ، ويوصى بالحق ليُثبت عليه ، وبالصبر ليحمل عليه ، ولكن مع هذا فهو قاطع النظر عن كون الأسباب ستنتج المطلوب بها من دون إذن الله تعالى وتقديره ومشيئته .

فهـذا أو غيره من تعـاطى الأسبـاب التى وضعهـا الله تعالى لحصول المسببات عليها مع قطع النظر عنها لاينافى التوكل ، بل ترك هذه الأسباب والإعـراض عنهـا يعد مخالفَة لشرع الله تعالى وبالتالى فهو معصية لله ، ومخالفة لسنتة فى الحياة .

فاربأ بنفسك - أخى الحاج - أن تتوكل على غير الله ، أو تترك الأسباب التى شرعها الله .

واعبد الله وتوكل عليه

الــــزوج الخامس
مــــن
النصائح الأزواج
الصبر والصلاة

بسم الله وبعد ـ أخى الحاج ـ لقد جمع الله تعالى بين الصبر والصلاة فى موضعـين من كتابه العزيز فقال : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾، وقال : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ؛ إن الله مع الصــابـرين ﴾ فلهـذا جمعت لك بينهـما ، وجعلتهـما زوجـين ، ونصحت لك بكل منهما ؛ إذ لاغني لك عنهما بحال مادمت تريد أن تكمل وتسعد فى الدارين ، وقدّمت لك النصح بالصبر على الصلاة لأنه مقدم عليها فى الآيتين كما رأيت . وعلة تقديم الصبر على الصلاة أن الصبر وسيلة والصلاة غاية ، والوسائل تقدم عقلا وشرعا على الغايات .

(ا)ـ الصــبر :

اعلم أخى الحاج أن الصبر الذى أنصح لك به مرُّ المذاق لايُتحمّل إلا بمشقـة . ولا يُستساغ إلابشدة ؛ فلذا يحسن بك أن تعرف عن حكمه وفضله وفضل أهله مايساعدك على تحمل تقبل مرارته وتحمّل شدّته حتى تخلص منهما إلى جوائز الصبر ، ومغانم الصابرين بعد أن ترتع فى رياضه ، وتكرع من حياضه ، وعند الصباح يحمد القوم السرى .

حكم الصبر

الصبر ـ أخى الحاج ـ إن كان على فعل واجب ، أوعن ترك حرام فهو واجب . وإن كان على فعل مندوب ، أوعن ترك مكروه فهو مندوب . وإن كان على مصاب مقدور فهو كالصبر على فعل المأمور ، وإن كان على أذى يقدر على دفعه فهو بحسب قُوة الأذى وضعفه ، فإن كان الأذى شديداً

فالصبر عليه حرام ، وإن كان الأذى خفيفا فالصبر عليـــه مكروه .

هذا حكم الصبر فاعرفه والزمه فإنه لاغنى لك عنه .

فضل الصبر والصابرين

إن فضـل الصبر عظيم ، ويكفى فى إثبات فضله وبيانه أن يأمر الله تعـالى به رسوله ﷺ فى قوله : ﴿ واصبر وماصبرك إلا بالله ﴾ . وقوله : ﴿ فاصـبر كما صبر أولـوا العـزم من الـرسـل ﴾ وقوله : ﴿ واصبر صبراً جميلا ﴾ . ويأمر به المؤمنين فى قوله : ﴿ ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ . وفى قوله : ﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ . ويزيد الصبر فضلا ما روى من أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، وأنه لا إيمان لمن لا صبر له . وما صح من أن النصر مع الصبر .

أمـا الصابرون فحسبهم شرفا وفضلا أن يكون الله معهم حيث قال تعالى : ﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ . وأن يحبهم حيث قال ﴿ والله يحب الصابرين ﴾ .

وأنـه بشرهم بما لامـزيد عليه من الخـير فى هذه الحياة حيث بشرهـم بصلاته عليهم ، ورحمته بهم ، وهدايتهم إليه فى قوله : ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ .

وأنهم على خلاف غيرهم يُوفَّون أجورهم يوم القيامة بغير حساب إذ قال تعالى : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ .

وأن عظائم الأمور مما تقصر دونه هِمَمُ العظام من الرجال مايلقاها إلا الصـابـرون . قال تعـالى . ﴿ ولا يلقّـاها إلا الصابرون ﴾ وقال فى آية أخرى : ﴿ وما يُلقَّاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾

ـ أخى الحاج ـ لقد عرفت حكم الصبر وفضله وفضل أهله فهل ترغب فى أن تركض جواد عزمك فى ميادين الصبر لتظفر بما ظفر به الصابرون وتفوز بما فازوا به من المقامات والكمالات فى الحياة والمهمات فأبين لك مواطن الصبر

المنصوح لك به لتصبر فيها فتظفر وتفوز بخير الدارين معا ؟ **فإن قلت** : **نعم قلت إليك بيانها وهى ثلاثة** :

١ ـ **فعل ماتكره لأجل ما تحب** : وذلك بأن تصبر على طاعة الله ورسوله ﷺ بحبس نفسك على فعل مايحبه الله ورسوله من اعتقاد أو قول أو عمل ـ وقصرها عليه حتى لا تتركه أو تتخلى عنه وهى قادرة عليه بحال من الأحوال هذا الموطن من أشرف مواطن الصبر فالزم نفسك به واصبر عليه .

٢ ـ **ترك ماتهوى لما تخشى** : وذلك بأن تحبس نفسك بعيدة عما يكرهه الله ورسوله من اعتقاد باطل ، أو قول سيء أو عمل فاسد . واعلم أن هذا الموطن يشمل سائر ما نهى الله عنه ورسوله من سائر المحرمات ، ومعظم هذه المحرمات هو من الشهوات التى تهواها النفس ويميل إليها الطبع فتركها مخافة ماتؤدى إليه من العذاب والشقاء ؛ إذ حفت النار بالشهوات هو معنى قولنا : ترك ما تهوى لما تخشى ؛ فاذكره وتأمّله واحمل نفسك بعيداً عما نهى الله ورسوله عنه تفز بعاقبة الصبر الحميدة .

٣ ـ احتمال البلاء للرّضا ، وذلك بأن تصبر على البلاء وهو ما يختبر به الرب تعالى عباده المؤمنين إذ يبتليهم بأنواع من البلايا والمصائب ليصبروا أو يجزعوا فيعلم الصابرين منهم فيجزيهم أوفى الجزاء . وهو أن ينعم عليهم بجواره، ويخلع عليهم حُلل رضوانه . وهذا معنى قولنا : إنه احتمال البلاء للرضا فيحبس العبدُ نفسه على عدم الجزع والتسخط محتملاً ألم المصيبة ناظراً إلى ما تعقبه من الرضا وما تُكْسبه من صلاة الله ورحمته وهدايته لعبده الصابر .

فالزم نفسك ـ أخى الحاج ـ الصبر فى هذا الموطن كما ألزمتها فى غيره تكن حقاً من الصابرين ، فتفوز بكل الجوائز وتظفر بكل الرغائب والمطالب .

(ب) ـ الصـلاة :

بسم الله ، وبعد : فإن الصلاة المنصوح لك بها ـ أخى الحاج ـ لقرينة الصبر وزوجه كما جاء ذلك فى قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ فى موضعين من كتابه ، وهى خيرُ موضوع على الإطلاق كما جاء فى حديث أحمد والحاكم وابن حبان : « الصلاة خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر فيستكثر » وأنها لمكفرة للسيئات « الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما » وماحية الذنوب والخطايا ، وموصلة العبد بالرب بها تحصل للعبد مناجاة الـرب ، وفى الصحيح « المصـلى يناجى ربّه » . وإنها لمعراج القبول ، وسلم الوصول . تقرب العبد من مولاه ، وتدْنيه وهو بين يديه حتى يكون أقرب ما يكون إليه . وفى الحديث الصحيح « أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد » وفى القرآن الكريم ﴿ فاسجد واقترب ﴾ .

هذه هى الصلاة المنصوح لك بها أيها الحاج الكريم ، والحديث فى بيان فضلها يطول وحسبك من ذلك ما ذكر مع العلم بأن مالم يذكر أعظم وأكثر .

وإذا عرفت من فضلها ما يرجى أن يساعدك على إقامتها فإنه يحسن بك أن تعرف أيضاً حكمها وحكمتها فإن معرفة ذلك مما يعين على أدائها وتحمل عبء القيام بها ، وهاك بيان ذلك :

١ ـ حكمهـــا :

إن الصـلاة أول الفـرائض وآكـدهـا ، تاركهـا كافر يُستتاب ، وإلا فالسيف ينهى العتاب ، ويحقق المتاب . حكم معرفة شروطها كحكمها الوجوب ، وحكم معرفة أدائها كمعرفة شرائطها لا يعذر عاقل بالجهل فى شىء منها ، لأن الله تعالى أمر بإقامتها ، وإقامتها متوقفة على المعرفة التامة بها والأداء الصحيح لها قال تعـالى ﴿ فإذا اطمـأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ .

٢ ـ حكمتها

إن الصلاة كغيرها من سائر العبادات قد شرعت لحكم عالية كثيرة منها :

أنها تطهر الروح وتزكى النفس من آثار ما يعلق بها من جراء الكسب السيِّء

والعمل غير الصالح ، فلذا شبهها رسول الله ﷺ بالنهر الغمر الجارى أمام دار العبد يغتسل فيه كل يوم خمس مرات وقال : « فهل يبقى من درنه من شىء » ؟

ومنها أنها تنهى المقيم لها عن الفحشاء والمنكر بما توجده فى النفس من أنوار مشرقة يرى العبد على ضوئها الفحشاء وقبحها ، والمنكر وضرره ويتجنبها . قال تعالى ﴿ وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ .

ومنها أنها توصل العبد بربّه ، فإن المصلى يناجى ربّه ، وإن الرب تعالى ينصب وجهه للعبد وهو فى صلاته . « وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » ، و﴿ اسجد واقترب ﴾ .

لطائف الصلاة :

وغير الحكم لطائف فى الصلاة ما أحسنها ، وما أحسن معرفتها وهاك - أخى الحاج - اثنين منها :

الأولى : أن الشارع الحكيم قد جمع فى الصلاة كل أنواع التحيات التى عرفها البشر ويحيى بها الإنسان أخاه الإنسان لمزيّة اختص بها دون غيره وهذا سرّ قول المصلى فى التشهد : التحيات لله . وهذا بيان ذلك :

١ - الوقوف باعتدال مستقبل القبلة هذا القيام فى الصلاة أول تحية عرفها الناس ؛ أن يقف المرء أمام العظيم بأدب واحترام يحيّيه بذلك .

٢ - رفع اليدين حذو الأذنين وهى تحيّة عسكرية عالمية اليوم يحيى بها الجندى قائده كلما دخل عليه أو لاقاه .

٣ - الركوع وهى تحيّة معروفة عند كثير من الناس فإذا أراد أحدهم تحيّة رئيسه أو عظيمه انحنى له وركع .

٤ - السجود وهو تحيّة عرفها الناس منذ القدم فيسجد أحدهم لمليكه أو عظيمه حتى قيل للرسول ﷺ « أفلا نسجد لك كما يفعل العجم لملوكهم ؟ فقال : لا ، لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » ، لما يرى له عليها من حق .

٥ - الجلوس الخاص فى الصلاة للتشهد أو بين السجدتين هذا الجلوس تحيّة عرفها الناس وحيّا بها الحقير العظيم منهم ، وبعضهم يحيى بها أبويه أو أحدهما . . وهى تحية معروفة عند بعض الشعوب .

٦ ـ الإشارة بالإصبع عند التشهد تحية عند بعض الشعوب يحيى بعضهم بعضا بالإشارة بإصبعه .
٧ ـ السلام وهو آخر عمل فى الصلاة تحيّة عرفها الناس منذ القدم ، ولكل أمة لفظ خاص تحيى به بعضها بعضا .

وهكذا نجد الصلاة قد اشتملت على سائر أنواع التحيات ، فمن صلى فقد أدّى كل تحيّة لله وتعظيم ومن لم يصل فقد منع كلّ ذلك ، ولذا حكم رسول الله ﷺ ، بكفر تارك الصلاة فقال « إن ما بين الرجل والكفر ترك الصلاة فمن تركها فقد كفر » .

الثانية : أن الله تعالى كما قد ضمن الصلاة : كل أنواع التحيات له عز وجل فقد ضمن الصلاة أيضا كل أنواع العبادات وهذا بيان ذلك :
١ ـ الصوم وهو الامتناع عن الأكل والشرب ومباشرة النساء والمصلى إذا أحـرم بصلاته امتنع عن ذلك فهو إذاً صائم والصوم من الصلاة . وهو عبادة من العبادات .
٢ ـ الجهاد وهو بذل الجهد فى مدافعة العدو ، والمصلى يبذل ذلك فى مدافعة أكبر عدو وهو الشيطان فالمصلى يجاهد والجهاد عبادة وهو فى الصلاة . . ومنها .
٣ ـ الصبر وهو حبس النفس على الطاعة لايفارقها ، والمصلى صابر حابس نفسه على الصلاة حتى يفرغ منها فهو صابر والصبر عبادة وهو من الصلاة .
٤ ـ الاعتكاف وهو ملازمة المسجد للعبادة والمصلّى يلازم مسجده الذى يصلى فيه من الأرض لأشرف عبادة وهى الصلاة فالمصلى إذاً معتكف مادام فى صلاته والصلاة فيها الاعتكاف .
٥ ـ الذكر والدعاء والتسبيح والاستغفار عبادة والمصلى يفعل ذلك كله فى صلاته .
٦ ـ الزكاة وهى صدقة مالية مشروعة لزكاة النفس وتطهيرها والصلاة كذلك زكاة بدنية شرعت لتطهير النفس وتزكيتها .
٧ ـ الحج والعمرة وهما قصد بيت الله لأداء عبادات عندها والمصلى يقصد بيوت الله تعـالى لأداء الصلاة فيها ففى الصلاة إذاً معنى الحج والعمرة وبعض أجزائهما .

٨ ـ محبة الصالحين من عباد الله وتحيتهم والدعاء لهم وهذا يقوم به المصلى فى صلاته عندما يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإنها دعوة بخير تصيب كل عبد صالح فى السماء والأرض كما قال ذلك رسول الله ﷺ .

٩ ـ التشرف بالسلام على رسول الله ﷺ وهو من العبادات والقُرب ، والمصلّى يسلّم على رسول الله ويصلى عليه فى كل صلاة : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته .

وهكذا نجد الشارع قد ضمَّن الصلاة كل أنواع العبادات كما ضمنها سائر أنواع التحيات ، فسبحانه من مشرع حكيم لا إله غيره ولا رب سواه .

وهذا سر نصحى لك أيها الحاج بالصلاة وإقامتها فإن من أقام الصّلاة فقد عظم الله تعالى بكل أنواع التعظيمات وعبده بكل أنواع العبادات وبذلك يتأهل لحب الله وولايته . ومن ترك الصلاة أو لم يقمها فإنه لم يقدر الله حق قدره واستوجب غضبه عليه وسخطه .

واعلم أخيراً أن إقام الصلاة غير أدائها ، وأن الصلاة لا تقام حقا إلا إذا روعى فيها كل ما يلى :

١ ـ الطهارة الكاملة من الخبث والحدث فليكن ثوب المصلى وبدنه ومصلاه طاهراً من النجاسات وليكن هو طاهراً من الحدثين الأصغر والأكبر .

٢ ـ أن تؤدى الصلاة فى أوقاتها المعينة لها فلا تقدم ولا تؤخر .

٣ ـ أن تؤدى فى المساجد فى جماعات المصلين من المؤمنين .

٤ ـ أن ترتل القراءة فيها وتجود ويتدبر معناها .

٥ ـ أن يطمئن المصلى فى ركوعه وسجوده وجلوسه ويعتدل فى كل ذلك .

٦ ـ أن يكثر فيها من ذكر الله بالتسبيح والركوع والسجود ، والدعاء وهو ساجد .

٧ ـ أن يخشع فيها بالقلب والجوارح فالقلب لا يلتفت إلى غير الله تعالى والجوارح تسكن فلا تتحرك فإذا أقام العبد الصلاة على هذا النحو فقد عبد الله وأطاعه واستوجب رضاه ، وكانت صلاته نوراً له فى حياته ، ونوراً له فى مماته ودخل بها فى جملة الصالحين .

الموضوع	ص

●● الرسالة الحادية عشـــر
عَشر وصايا قدمت لوفود الحجاج



الوصيـــة الأولى : العبادة

إن الـوصية بالعبـادة ـ أخى الحـاج ـ هى وصية بجـامع خير الدنيا والآخرة وبها يحقق الكمال والسعادة فيهما ، وهذا ما يهدف اليه العقلاء وما يعملون له طوال حياتهم فى كل زمـان ومكـان . إن العبادة الموصى بها والمـدعى إليها ، بلا مبالغة هى جنة الدنيا والآخرة كما سنبينـــه فى آخر الـوصيّة إن شاء الله . ولهـذا أوصيك أخى الحـاج وألح عليك بالعبادة وملازمتها فإنها سبيل نجاتك وطريق سعادتك فى كلتا حياتيـــــك .

وان قلت : عرّف لى العبادة حتى أعرفها ، وحدثنى عن بعض ما جاء فيها حتى أرغب فيها وبين لى حكمها وحكمتها : ليكون ذلك عوناً لى على طلبها والتزامها .

أجبتـــــك قائـــــلا :

العبادة اسم مشتق من عبّد الطريق اذا مهده وسهله للسير عليه .

وهى فى عرف الشرع طاعة الله تعالى بفعل ما يحب من الاعتقادات والنيات والأقوال والأعمال مما أمر به أو رغب فيه فى كتابه أو على لسان رسوله محمـد ﷺ مع ترك مايكـره الله تعالى من المعتقدات والإرادات والأقوال والأفعال مما نهى عنه فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ كل ذلك مع غاية الحب والتعظيم لله ورسوله ؛ لأن مجرد الطاعة بفعل الأمر وترك النهى لا يكون عبادة ؛ إذ طاعة الأبوين والأمير لايقال فيها عبادة لخلوها من غاية الذل والحب والتعظيم للمطاع .

فالعبادة الشرعية المؤهلة للسعادة والكمال بعد النجاة من الخسران ما قامت إلا على أسـاس الـذلة لله والخضوع له مع حبه تعالى غاية الحب وتعظيمه غاية التعظيـــــم .

فالعبادة بهذا المعنى أمر الله تعالى بها سائر عباده وفرضها عليهم بقوله : « يا

ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون »
وبقوله « ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون » . . وأمر بها نبيه موسى
عليه السلام بقوله : « فاستمع لما يوحى إننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى
وأقم الصلاة لذكرى » ، وأمر بها عبده ورسوله نبينا محمداً ﷺ بقوله :
« فاعبده وتوكل عليه » وقوله : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » وأمر بها
المؤمنين بقوله : « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا
الخير لعلكم تفلحون » وبقوله « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » . وأمر
بها عيسى عليه السلام بنى اسرائيل بقوله « يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى
وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النـــــار » .
ومن قبل أمر بها هود وصالح وشعيب أممهم وأقوامهم إذ قص الله تعالى ذلك
علينا فى كتابه فقال : « وإلى عاد أخاهم هوداً قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره » ، « والى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من
اله غيره » « والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا اله مالكم من اله
غيره » .

ومن قبلهم أمر بها نوح قومه فقال « اعبدوا الله واتقوه وأطيعون » .
فاذا تأملت ـ أخى الحاج ـ ما ذكرت لك من أمر الله تعالى لأنبيائه وسائر
النـاس بعبـادته وأمر الأنبياء أممهم وأقوامهم بها عرفت أن حكم العبادة
ليست الوجوب فحسب بل هو التحتيم واللزوم ، فلا يسع المكلف تركها
بحال من الأحوال .

إن العبـادة أخى الحاج سر الحياة وعلة وجودها ؛ قال تعالى : « وما
خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » . فلولا العبادة لما كان من معنىً فى
خلق المكلفين من الإنس والجن ، وبالتالى لا معنى بخلق الحياة كلها ؛ إذ
الوجود كله أرضه وسماؤه مخلوق للإنسان قال تعالى : « وسخر لكم ما فى
السموات وما فى الأرض جميعاً منه » . وقال « هو الذى خلق لكم ما فى
الأرض جميعاً » . فتبين بذلك أن العبادة سرالحياة وعلتها ، ومن هنا كان من

ترك العبادة من المكلفين شر الخلق أجمعين قال تعالى « ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية » — والبرية الخليقة ، والمراد المخلوقات كلها من الانس والجن والحيوانات وما كانوا شر المخلوقات الا بتركهم العبادة فإذا علمت أخى الحاج مما تبين لك أن العبادة سر الحياة وعلة وجودها فاعلم ان سر العبادة وعلتها هو العروج الى الملكوت الأعلى والحياة هناك ؛ إذ العبادة فى واقعها عبارة عن عمليات تطهير للنفس وتزكية لها بما شرع الله تعالى لذلك من أنواع القرب والطاعات .

فإذا زكت النفس وطهرت تأهلت للعروج الى السماء والحياة فيها مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وذلك بعد مفارقتها للجسم بالخروج منه المعبر عنه بالموت قال تعالى « إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم » وقال تعالى « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » . وقال « إن الذين كذبوا بآياتنا لاتفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط » وذلك لعدم تزكية نفوسهم وتطهيرها بالعبادة ؛ لأنهم كذبوا بآيات الله المتضمنة لبيان العبادة واستكبروا عنها فلم يؤمنوا ولم يعملوا فلم تزك لهم نفس ولم تطهر لهم روح . فاستحال عروجهم الى السماء ودخولهم الجنة .

الوصية الثانيــة : الإخــــلاصُ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد : هل يدرى أخى الحاج برّ الله حجّه أن الإخلاص روح الأعمال الصـالحة وسر قبولها ، وأن ما وراءه إلا الشرك والرياء ، وكلاهما مفسد للأعمال مبطلٌ لهـا .

إن الأمر ـ أخى الحاج هو كما قلت لك بل هو أعظم ، واستمع إلى أُحدثك : روى أبو داود والنسائى بإسناد جيد كما قال الحافظ المنذرى عن أبى أمـامة رضى الله عنه قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أرأيت ـ أى أخبرنى ـ رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ماله ؟ فقال رسول ﷺ لا شىء له . فأعادها ثلاث مرار ، ويقول رسول الله ﷺ لا شىء له . ثم قال : إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ماكان له خالصاً ، وابتغى به وجهُـــــــــه » .

أخى الحاج هل عرفت بم حرم هذا المجاهد من الأجر الذى غزا فى سبيل الحصول عليه ؟ انه حرمه بسبب إرادة الذكر معه ، والمراد من الذكر أن يذكره الناس بخير فيقولون : فلان غزا ، وجاهد ، وشجاع ، إلى غير ذلك من المدح له والثناء عليـــه .

فهذا الرجل المحروم من أجر الجهاد لم يحرم لأنه لم يرد بجهاده وجه الله تعالى ، وإنما حرم لأنه أراد مع وجه الله تعالى وثوابه وجه الناس وذكرهم له . فكان جهاده غير خالص لله تعالى إذ راءى فيه وجهاً مع وجه الله تعالى فحرم الأجر لعدم إخلاص العمل لله تعالى وحده : وكذلك الرجل منا اليوم يخرج من بلاده يريد أداء فريضة الحج طاعة لله ، ويريد أن يذكره أهل بلاده بلقب الحاج أو يريد أن يحج ويتنزه ويتعرف على البلاد والناس ، او يشترى أشياء لم تكن فى بلاده ، أو رخيصـة الثمن ليربح فيها ، فإن

الحج مع هذه الإرادات والنيات المادية لا يكون الحج معها خالصاً لوجه الله تعالى ، وقد يقال له : لا شيء لك من حجك كما قيل للغازى لا شيء لك لأنه أراد مع العبادة ذكر الناس له ، فلم يخلص عمله لله فحرمه الله الأجــــر .

واسمع أزدك روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعـرّفـه نعمـه ، قال : فما عملت فيها ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهـدت . قال : كذبت ولكنـك قاتلت لأن يقال هو جرىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال فما عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم . وقرأت القرآن ليقال هو قارىء ، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال فما عملت فيها ؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن أنفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النـــــار » .

أخى الحاج هل عرفت بم ألقى هؤلاء الرجال الثلاثة فى النار ؟ إنهم لم يريدوا بأعمالهم الصالحة من جهاد ، وتعلم علم وتعليمه ، وإنفاق للمال . لم يريدوا وجه الله تعالى ، وإنما أرادوا الرياء والسمعة للحصول على الذكر الحسن والشهرة بين الناس . وهكذا كل من عمل عملا صالحاً لم يرد به وجه الله تعالى لا يحرم ثوابه فقط كما حرم من أراد بعمله وجه الله تعالى ووجه غيره بل يحرم الثواب ويسحب على وجهه حتى يلقى فى جهنم لأنه مشرك بعبادة الله تعالى غير الله عز وجّل الأول مراء ببعض عمله وهذا مراء بكل عمله والرياء شرك ، والشرك محبط للعمل .

أخى الحاج أحسب أنك عرفت بما حدثتك به خطر الإخلاص وعظم شأنه فاسألنى عن الإخلاص وفيم يكون ولمن يكون حتى أعرفك بذلك فتعمل على أن تكون من المخلصين إن شاء الله رب العالمين .

الإخـلاص لغـة مصدر أخلص الشىء يخلصه إخلاصا من كذا إذا خلصه منه بمعنى أبعده عنه ونحاه فتمحّض وحده لم يخالطه شىء سواه .

وما أريد أن أوصيك به : أن تخلص أرادتك وعبادتك لله تعالى بحيث لا تلتفت بقلبك عند إرادة القول والعمل إلى غير الله تعالى ، كما لا تريد بقولك أو عملك اذا أنت قلت او عملت غير الله تعالى ، فتخلص نيتك كما تخلص قولك وعملك من إرادة غير وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته حتى يكون الباعث لك على القول أو العمل دائما وجه الله تعالى وطلب رضاه ، وبذلك تكون إن شاء الله من المخلصين ـ بكسر اللام ـ أى الموحدين ، وقـد تترقى فى مراتب الإخـلاص حتى تصل إلى درجة المخلصين بفتح اللام ، أى الذين اختارهم الله لعبادته ، واستخلصهم ربهم لطاعته فلا يكـون للشيطان حظ فى إرادتهم وأقوالهم وأفعالهم ولا نصيب . كما قال « لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين » بقراءة فتـــح اللام .

فالإخـلاص إذاً ترك الرياء فى الطاعة وعدم إشراك غير الله تعالى فى عبادته عز وجل كما قال تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحـاً ولا يشرك بعبـادة ربه أحداً ﴾ هذا هو الإخلاص قد عرّفته لك فاذكره ولا تنســـه .

أما فيم يكون ؟ فاعلم ان الإخلاص يجب أن يكون فى كل نيات المؤمن وإراداته وأقواله وأفعاله بمعنى أن العبد المؤمن يكون وقفاً على الله تعالى ، لا يتصرف فى الحياة إلا على مقتضى مراد ربّه منه ، فإذا قام بطاعة من الطاعات لم يراع فيها منفعةً دنيوية ، يرجو حصولها له بل يفعل الطاعة لكونه مأموراً به ومطلوباً منه أن يتقرب بها إلى ربه عز وجل ليحصل على الحظوة لديه والقرب منه وإذا ترك معصية يجب أن يتركها لا لكونها ضارة

بجسمه أو ماله أو عرضه وإنما يتركها لأن الله تعالى نهاه عنها وكرهها له فهو يتركها طاعة لربه وطلباً لمرضاته .

وإذا أتى مباحاً من القول أو العمل يأتيه بنية أن يتقوى به على فعل الطاعات وترك المعاصى . فلا يأتيه لمجرد الانتفاع والتلذذ به . وذلك لأن العبد المؤمن وقف على ربه تعالى لا يصدر عنه شىء لغير الله تعالى كما قال أبو هريرة صاحب رسول الله ﷺ إنى أحتسب قومتى ونومتى وآية وقف المؤمن فى القرآن هى قوله تعالى فى سورة الأنعام ﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له ﴾ .

وأما لمن يكون الإخـــــلاص ؟

فاعلم أخى الحـاج أن الإخلاص وهو تجريد العمل من كل شوائب الرياء والشرك لا يكون إلا له تعالى المعبود بحق . فمن أخلص الطاعة لغير الله تعالى وأيًّا كان ذاك الغير فهو مشرك كافر والعياذ بالله تعالى ومن أشرك فى الإخلاص غير الله تعالى فعمل لله ولغير الله كأن يعمل للدين والدنيا معاً فهو مشرك فى عمله مراءٍ فيه فلا أجر ولا ثواب له كما سبق فى حديث الرجل الذى غزا فى سبيل الله وطلب الذكر فقد قال له الرسول ﷺ « لا شىء لك » ثلاث مـــرات .

وأنبهك أخى الحاج إلى أن العفن الشيوعى قد تسرب إلى ديار الإسلام فأصبـح الرجل المسلم يقول هو مخلص للدولة مخلص للوظيفة كما يقول يرضى ضميره وأعمل إرضاء لضميرى هذا كله باطل من القول وهو من مصطلحات الشيوعية فالمسلم لا يخلص الا لله ولا يطلب رضا سوى الله . فاذكر هذا واحذره . والله أسأل لك الثبات على الإخلاص حتى تكتب عند الله من عباده المخلصين وقد أفلح من أخلـــــــص .

الوصيّــــة الثالثة : العلـــــم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد - أخى الحاج - هذه وصيتى الثالثة إليك ، وهى من أهم الوصايا وأجلّها قدراً إنها الوصية بالعلم الذى هو مفتاح كل خير وملاك السعادة وبابها ، وجواز العبور إلى دار السلام وإذنها فاطلبه يا أخى واحصل عليه وابغ المزيد منه ولا تقتصر فإنك لن تكمل ولن تسعد فى الدنيا ولا فى الآخرة إلا عليه . واذكر معى أن جميع ما يشكوه المصلحون ويتألمون له من الفساد والشر فى العالم إنما مرده إلى الجهل بهذا العلم الذى أوصيك به لتطلبه وتحصل عليه إنه العلم الذى هو بمثابة الروح للحياة والنور للوجود إنه العلم الذى أوجب الله تعالى طلبه على لسان نبيه محمد ﷺ فى قوله : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وأمر رسوله له أن يطلب المزيد منه فى قوله : « قل ربّ زدنى علمًا » ، ورفع به أهله درجات فقال : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ ونفى تعالى فى المحكم من التنزيل مساواة الجاهل بالعالم فقال : ﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾؟ وأعلن رسول الله ﷺ عن فضله وفضل طالبه فى غير ما حديث صحيح فمن ذلك قوله فى صحيح البخارى : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » وقوله فى صحيح مسلم : « من سلك طريقا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة » وقوله فى سنن البيهقى وابن ماجه بسند لا بأس به : « من أتى مسجدى هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد فى سبيل الله » .

هذا ولأخى الحاج أن يقول الآن : بيّن لى المراد من العلم الذى أوصيتنى به وذكرت لى من عظم شأنه ومزيد فضله ، لأن العلوم متنوعة وكثيرة فأجيبك بأنه العلم الشرعى الواجب تعلمه والذى لايسع المكلف

جهله بحال ؛ إذ هو كما عرفت مفتاح دار السعادة فلا يكمل عبد ولا يسعد إلا عليه . ألا وهو العلم بالله تعالى ربًّا وإلهاً لا إله غيره ولا رب سواه ، وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وبمحابه من المعتقدات والأقوال والأفعال والذوات والصفات ، وبمكارهه من المعتقدات الباطلة ، والأقوال السيئة والأعمال الفاسدة ، والذوات والصفات القبيحة وبالوسائل الضرورية للحصول على هذا العلم من لسان عربى ونظر وفكر .

هذا هو العلم الموصى به وهو كما عرفت طلبه واجب والحصول عليه لازم ولا يسع المكلف تركه بحال .

وإن سألتنى عن الطريق الموصل إليه والمفضى بصاحبه إلى الحصول عليه فإنى أجيبك بأن لطلب هذا العلم طريقين لا ثالث لهما أحدهما أمثل من نظيره وإليك بيانهما :

الطريق الأول وهو الأمثل : أن يجالس المؤمن العلماء ويزاحمهم بركبتيه يقرع أبوابهم ويرحل إلى ديارهم ولا يزال يطلب ويتعلم حتى يفوز بالعلم الذى هو معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته ومعرفة محابه ومكارهه ، وكيف يأتى بالمحاب ، وكيف يجتنب المكاره وإذا شعر بحصول العلم بوجود علامته وهى الخشية من الله تعالى لقوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ تصدى لتعليم غيره ، ونشر العلم بين الناس إذ مراحل طالب العلم ثلاث الأولى أن يتعلم والثانية أن يعمل بما تعلم والثالثة أن يعلم وبذلك يصبح إماماً فى المتقين يقتدى به ويدعى فى السماء عظيمًا كماروى عن عيسى عليه السلام فى صحيح الأخبار .

والطريق الثانى : أن تقصر بالعبد الحياة وتعجز أن تمكنه من الدرس والتفرغ والرحلة لكبر سن أو انشغال بعيال أو بأمور ذات خطر وبال فإنه فى هذا الحال يطلب العلم من طريق سؤال أهل العلم وفهم ما يبينونه له والعمل الفورى به اعتقاداً أو قولا أو عملا على حد سواء . وكيفية ذلك أن يتعرف على أعلم أهل بلده ممن تشهد له العلماء بالعلم والمعرفة فيتخذه

شيخاً له فيحبه ويوقره ويطيعه فى المعروف ويأخذ يسأله فى صدق وبنية طلب العلم الواجب طلبه فإذا بين له المسألة من مسائل العلم بالله تعالى وشرائعه فهمها واعتقد ما كان من الاعتقاد وقال بها كان من القول وعمل بها كان من العمل وهكذا لا يزال يسأل ويتعلم ويعمل يوما بعد يوم حتى يظفر بالعلم والعمل ويظهر ذلك فيه بوجود خشية الله فى قلبه إذ الخشية آية العلم وبرهانه فلا علم لمن لا خشية له .

وهنا أشعر أن أخى الحاج قد يقول : هذا القول مجمل فهلا فصّلت لى كيف أطلب العلم بطريق السؤال والفهم والعمل ؟ فأقول له : إذا عرفت العالم المتأهل لتعليمك فأته وقل له : يا شيخ : علمنى ما الذى يجب علّى اعتقاده . فإذا عرفك ذلك وفهمته واعتقدته . إئته مرة أخرى وقال له : ما الذى يحب الله تعالى من الاعتقاد ؟ فإذا علمك فافهم واعتقد . وارجع إليه مرة أخرى وقل له : ما الذى يكره ربى من الاعتقاد ، فإذا بين لك ذلك تركت ذلك الاعتقاد وكرهته بكراهية الله تعالى وارجع إليه مرة أخرى وقل له ياشيخ بين لى ما يحب ربّى من الأقوال فإذا علمك فافهمه وقله واعبد الله به ، ثم ائته مرة أخرى وقل له : علمنى ما يحب ربىّ من العمل فإذا علمك فاعرف واعمل ، وهكذا لا تزال تسأل وتعلم وتعمل حتى يتم لك العلم والعمل ، وبذلك تتأهل للسعادة والكمال فى الدنيا والآخرة .

حقــق الله لى ولك ذلك آميـــــــــــن .

الوصيّـــة الرابعة : التفكـــر

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد إعلم أخى الحاج أن وصيتى لك بالتفكر .

هى الوصية بها يحقق لك الوصايا الثلاث التى قدمت لك ويعينك على تنفيذها تلك الوصايا التى هى العبادة : والإخلاص والعلم . إذ التفكر ينتـج العلم ، والعلم ينتـج العبادة . والعبادة تصح بالإخلاص وتبطل بعدمه فهى إذاً متوقفة عليه ، وما يتوقف عليه من الأشياء يكون كالمنتج للشىء المتـوقف عليه ، وبهذا عاد أمر الوصايا الثلاث المتقدمة إلى هذه الـوصيّة الرابعة وهى التفكر فاعرف هذا واسمح لى أن أقول لك : إن التفكر من خصائص الإنسان لأنه إعمال العقل فى إدراك ما يختفى وراء المدركات الحسية من أسرار وعجائب أو مصالح وفوائد الإنسان فى حاجة إليها . وعليه فمن لم يتفكر فقد أهمل العقل وعطل وظيفته وصار كمن لا عقل له وهو الحيوان الأعجم ، ولذا قيل فكر فأنت إنسان ، لا تفكر فأنت حيوان .

وإذا عرفت أخى الحـاج أهمية التفكر بما ذكرت لك وأردت أن تفكر فاعلم أن من التفكر ما هو واجب ومنه ما هو حرام ، فما كان جالباً لسعادة الإنسان وكماله فهو التفكر الواجب وما كان جالباً لشقاء الإنسان وخُسرانه فهو الحرام وذلك كالتفكر فى الشر والفساد وما يلحق الضرر بالإنسان والحيوان .

والتفكر فيما يجلب للإنسان سعادته وكماله يكون فى مجالين : هما الكون والإنسان أو الآفاق والأنفس كما قال تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ .

فالتفكـر فى الإنسـان والكـون ينتج للمتفكر فيهما الإيمان بالله تعالى

والمعرفة بأسمائه وصفاته ومن امن بالله تعالى وعرف أسماءه وصفاته أثمر له إيمانه ومعرفته طلب التقرب إلى الله تعالى والزلفى إليه بفعل محابه تعالى وترك مساخطه وبذلك يتحقق مراد الله تعالى من خلقه وخلق الكون كله من حوله لقوله عز وجل : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ وقوله فى الحديث القدسى : « يا ابن آدم لقد خلقت كل شىء من أجلك وخلقتك من أجلى » .

وكون التفكر وهو إعمال العقل والنظر فى المخلوقات من حيث وجُودُ ذواتها وصفاتها وآثارها وخصائصها ومنافعها . وما يطرأ عليها من تغيرات شتى ، كونه جالباً للإيمان واليقين محققاً للعلم والمعرفة باعثاً على العمل فى المحبوب لله تعالى وعلى الترك فى المكروه لله عز وجل ، دل عليه قوله تعالى : ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين ، أو لمْ ينظروا فى ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله من شىء ﴾ .

أخى الحاج إن وصيتى إليك بالتفكر هى الوصيّة بأن تخرج من محيط الغفلة التى يعيش فيه أكثر سكان العالم من مؤمنين وكافرين . إن الغفلة المستلزمة لعدم التفكر هى سبب كل كفر وشرك وفساد وشر ، إذ لو تفكر الكافر فى خلق السموات والأرض وما بينهما وما فيهما لآمن بالخالق عز وجل ؛ إذ يهديه التفكر إلى أن هذه المخلوقات العظيمة يستحيل وجودها بغير موجد أوجدها كما لو تفكر فى مظاهر الإبداع فيها والإتقان فى صنعها والجمال فى صفاتها والترتيب والنظام فيما بين أجزائها لآمن بعلم الله الواسع وقدرته التى لا تحد ، وحكمته الباهرة ورحمته العميمة وأسمائه الحسنى وصفاته العلى وأن الله تعالى خالق كل شىء ورب كل شىء ﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾ . و بذلك يرى وجوب عبادته ويرغب فى

طاعته والتقرب إليه ليسعد ويكمل بذلك .

ولو تفكر المشرك فيمن أشركه فى عبادة الله تعالى لعلم ضعف من أشركه وفقره وحاجته إلى الله تعالى وأنه مخلوق لله مربوب له لا يملك لنفسه فضلا عن غيره نفعا ولا ضراً ولما عبده مع الله تعالى لعدم استحقاقه للعبادة إذ العبادة مستحقة للخالق واهب الحياة والرزاق مفيض الخيرات والبركات من يملك كل شىء وبيده كل شىء والقادر على كل شىء والعليم بكل شىء والبصير بكل شىء .

ولو تفكر الحاكم بغير ما أنزل الله عز وجل من الشرائع والأحكام لعرف أن من الظلم البين إبعاد شرائع الله المدبر الحكيم وإحلال شرائع البشر وقوانينهم محلها وهم من هم فى جهلهم وعجزهم فى جهلهم بعواقب الأمور ومجريات الأحداث وعجزهم عن إيجاد المنافع ودفع المضار لو تفكر هذا الحاكم لما رضى لنفسه التعرض لغضب الله وسخطه عليه لأنه نازعه سلطانه ودافعه عن حقه فى حكم عباده وسياستهم بما يكملهم ويسعدهم ولكنه لم يتفكر فهلك بغفلته وظلمه .

ولو تفكر الفاسق عن أمر الله ورسوله بترك ما أمرا به من الهدى والخير ، وفعل ما نهيا عنه من الضلال والشر لو تفكر أنه مربوب لله مخلوق لعبادته لما فسق ولما تعرض لمقت الله وغضبه أو عقابه وأليم عذابه . ولكنه لم يتفكر فظل فى فسقه وأقام على عصيانه ليحرم السعادة والكمال .

ولو تفكر الجاهل بربه وشرائعه أنه لا ينبغى أبداً أن يجهل خالقه ومالك أمره ومن بيده سعادته وشقاؤه فلا يتعرف إليه ولا يطلب مرضاته بالتقرب إليه بفعل ما يحب وترك ما يكره ولكنه لم يتفكر فعاش فى ظلمات الجهل محروماً من نور العلم وهداية الشرع عرضة للمفاسد والشرور وبالتالى للويل والثبور فى دنياه وأخراه والعياذ بالله .

لهذا أخى الحاج أوصيتك بالتفكر فإنه قوام حياتك ومفتاح سعادتك

فالزمه فإنه يكسبك العلم ويعينك على العبادة والإخلاص فيها وتلك سبيل نجاتك وسعادتك .

وهـــل لك من حاجـــة فى غير ذلك ؟

الوصيّـــة الخامســة : الحلــم

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد . .

أخى الحاج اعلم أن الحلم لمن مكارم الأخلاق بل هو من أشرفها وذو الحلم سيد فى الناس وإن بطأبه نسبه ، والوصية بالحلم والتخلق به وصية بالخير كله . فلذا أوصيك به فتخلق به ، واعلم أن الحلم بالتحلم كما أن العلم بالتعلم .

فقد روى عن الأحنف بن قيس وكان مضرب المثل فى الحِلم أنه قال : أنا لست بحليم وإنما أتحلّم وقد يجبل المرء على الحلم فيكون حليما بالفطرة كإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام إذ قال تعالى : ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ غير أن الغالب فى النـاس أن الحلماء منهم يكتسبـون حلمهم برياضة النفس وتمرينها عليه حتى يكتسبوه ويصبحوا حلماء بين الناس فكن أنت كذلـــــــك .

والطريق إلى اكتساب الحلم أن يأخذ المرء نفسه شيئا فشيئا يحملها على عدم الغضب إن غوضب وعلى كظم الغيظ إن أغاظه أحد ، وعلى الصبر إن أوذى فلا يثأر ممن آذاه ولا ينتقم وهكذا يوما بعد يوم ، والنفس الكريمة لا يشق عليها الصبر والحلم كما لايشق عليها المعروف أن تبذله أو تقوله .

ومما يعينك على اكتساب هذا الخلق الفاضل العظيم أن تذكر أن الله تعالى ورسوله محمداً ﷺ يحبان خلق الحلم وإن من أسماء الله تعالى وصفاته الحليم فقد روى الشيخان أن الأشج وفد على رسول الله ﷺ فأناخ راحلته ثم عقلهـا وطرح ثوبين كانا عليه وأخرج من عيبته(حقيبته)ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله ﷺ يرى ما يصنع ثم أقبل يمشى إلى رسول الله ﷺ فقال له : إن فيك ياأشج خلقين يحبهما الله ورسوله قال ما هما بأبى أنت وأمى يارسول الله ؟ قال : الحلم والأناة .

فاذكر هذا فإنه يعينك على التحلم واكتساب خلق الحلم حتى تكون حليما لا تسب من سبك وتعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك . لا تبادر بالإساءة إلى من أساء إليك ولا تنزع إلى الانتقام ممن آذاك فى نفسك أو مالـــــــك .

واعلم أن الحلم يقابله السفه والجهل فهل يرضى العاقل بأن يوصف بالجهل والسفه ؟

إن الحلم هو العلم والصبر والصفح والعفو أما السفه والجهل فهما الجزع والنزغ والحمق والطيش . فلذا أوصيتك أخى الحاج بالحلم لتكمل وتسعد وتشرف بين الناس وتسود .

واستمع إلّى أرو لك الآثار والأخبار فى الحلم والحلماء لتزداد رغبتك فى اكتساب خلق الحلم الذى أوصيتك بـــــه :

- قال معاوية رضى الله عنه لعرابة بن أوس : بم سدت قومك ياعرابة ؟

قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسعى فى حوائجهم فمن فعل فعلى فهو مثلى ومن جاوزنى فهو أفضل منى ومن قصّر عنى فأنا خير منه !!

- قال أكثم بن صيفى أحـد حكماء العرب : دعامة العقل الحلم ، وجماع الأمر الصبر .
- قال أحد العلماء : الحلم أرفع من العقل قدراً لأن الله تعالى سمى به ويوصف به ولا يسمى بالعاقل ولا يوصف بالعقل فلذا كان الحلم أرفع من العقل .
- قال آخر لا يعرف الحلم إلا عند الغضب كما لا تعرف الشجاعة إلا عند الحرب .

هذا وانظر مواقف أهل الحلم التالية وتمثلها عندما يغاضبك إخوانك الحجاج أو يؤذونك بلسان أو يد لقلة صبرهم وحلمهم ولما يجدون من التعب

وهم يؤدون المناسك .

١ ــ شتم رجل آخر فقال له المشتوم إن كنت كاذباً فغفر الله لك وإن كنت صادقاً فغفر الله لى وانصــــرف .

٢ ــ سب رجل عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فقال لمولاه عكرمة هل للرجل من حاجة فنقضيها له ؟ فنكس الرجل رأسه واستحى .

٣ ــ قال رجــل لعمــر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : أشهد أنك من الفاسقين ، فقال عمر ليس تقبــــل شهادتك !!

٤ ــ سب رجل علّى بن الحسين بن على رضى الله عنه فرمى إليه بخميصة « ثوب أسود مربع » وأمر له بألف درهم . فرد ابن الدوحة النبوية منبع العلم والحلم سيئة الـرجل بخمس حسنات وهى الحلم ، وإسقاط الأذى عنه ، وتخليصه مما يبعد عن الله تعالى ، وحمله على الندم والتوبـــــة .

٥ ــ قال أحــدهم : شتمت رجــلا يوما فحلم على فاستعبدنى بها زمناً طويلا .

وأخيراً أسال الله تعالى لى ولك أن يرزقنا الحلم بعد العلم . والسداد فى القــول والعمل .

الوصيّــــة السادســــة : التَّواضُــع

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد :ـ فاعلم ـ أخى الحاج ـ أن التواضع الذى أوصيك ونفسى به ليس مجرد خُلُق فاضل فحسب بل هو أسمى الأخلاق الفاضلة وأشرفها وعليه مدار السعادة وهو ملاكها ، لأن التواضع ضد الكبر فمن لم يتواضع تكبر ، ومن تكبر هلك لحديث مسلم : أن النبى ﷺ قال : « إن الله لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرَّة من كبر » . وذلك أن الكبر مانع من قبول الحق والإذعان له ، داع إلى انتقاص الناس واحتقارهم كما قال ﷺ : « الكبر بطر الحق وغمص الناس » . وما أُبلس إبليس إلا بالحسد والكبر والعياذ بالله تعالى من ذلك .

فلذا كان ـ أخى الحاج ـ من وصايا الحق والخير الوصيّة بالتواضع ، وهذا رسول الله ﷺ يبلغ عن الله تعالى أمته ما وصاهم به من التواضع إذ روى مسلم أنه ﷺ قال : « إن الله تعالى أوحى إلى ان تواضعوا حتى لا يفْخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد ».

والتواضع يكون لله ، ولأجل الله فأما التواضع لله فيكون بطاعته تعالى بفعل أوامره واجتناب نواهيه . وأما التواضع لأجل الله عز وجل فيكون بقبـول الحق والإذعان له ، والتسليم به ، كما يكون بتوقير الكبير ورحمة الصغير والعطف على الفقير .

وبهذا التواضع لله ولأجل الله يرتفع العبد حتى يبلغ درجات لم يكن ليبلغها لولا تواضعه : فقد روى مسلم عن النبىّ ﷺ قوله : « مازاد الله عبداً بعفو إلا عزّاً وما تواضع أحدُ لله إلا رفعه الله » كما روى البيهقى فى الشعب : « إذا تواضـع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة » وفى القرآن الكريم « فاسجد واقترب » والسجود عنوان التواضع وأبرز مظاهره فمن

سجـد لله بمعنى أخبت لله وتطامن وذل له وأذعن لعبادته ظاهراً وباطناً ارتفـع بذلـك وقـرب فبلغ مستـوى من الـرفعة والقرب يقصر عنهما غير المتواضعين كما قال القائل :

دنونا فلـم نخـذل لدان وعلونا فلم يجزنا عـلاء

أخى الحاج إذا عرفت شرف خلق التواضع فجدَّ فى طلبه ، وشمّر فى تحصيله واعلم أن التواضع ليس ما يسميه أبناء العصر المجاملة واللباقة وإنما التواضع : إخبات لله تعالى واستكانة له عز وجل وذلك بفعل أمره وترك نهيه والتقرب إليه بفعل محابه من المعتقدات والنيات والأقوال والأعمال وتـرك مساخطه من المعتقدات والإرادات والأقوال والأفعال . قال تعالى ﴿ وبشر المخبتـين الـذين إذا ذكـر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ وقال : ﴿ فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴾ فبان بهذا أن التواضع سداه ولحمته الإخبات لله والاستكانة له عز وجل وهو فى نفس الأمر تحقيق معنى العبودية لله عز وجل وذلك بترك مراد العبد لمراد الربّ حتى لايبقى للعبد مراد غير مراد ربه عز وجل ومن هنا كان التواضع منزلة فوق منزلة التسليم والرضاء ، وهى آخر مراحل السائرين إلى الله تعالى لينزلوا برياض جنّة حبّه وفردوس رضاه .

وإليك ـ أخى الحـاج ـ صوراً للتـواضـع المطلوب فسرح النظر فيها واعمل الفكر فى إدراكها وتقديرها واحرص على تمثلها فى حياتك يوما بعد آخر حتى تكتسبها وتصبح من أهلها المتحلّين بها وذلك مارغبت فيه لك ولى معك .

● قال أنس بن مالك فى رواية البخارى « إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت » .

تأمـل فى هذا الخـبر الصحيح فإنك ترى صورة من التواضع معجبة ومدهشة أيضا إنك ترى أعظم الرجال وقد أنيطت به عظائم الأعمال وهو

قائم بها تعجز عنه الفئام من الناس . تأتيه الخادم التى لا يؤبه لها عادة ولا يلتفت إليهـا من دون السادة فتأخذ بيده وتسيره لحاجتها فلا يمنعه علو منصبه ولا كثرة مهامه من الانقياد لها حتى يقضى حاجتها هذا لعمر الله منتهى التـواضـع الرفيع يتجلى فى الخلق المحمدى تجلى الشمس فى كبد السماء ظهورا وسموًّا وعلوًّا .

● ولى الخليفـة مروان بن الحكم أبـا هريرة رضى الله عنه أمر المدينة النبوية فكان أبو هريرة والى المدينة المنورة يحمل حزمة الحطب على رأسه ويمـر بأسواق المدينة وهو يقول : أوسعوا لأمير المدينة أوسعوا !! فقل لى بربك أخى الحاج هل هناك تواضع أعظم من تواضع أمير يحمل الحطب على رأسه ويمر به فى الأسواق ؟ !

● روى أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج ينطفىء فقال الضيف : أقوم فأصلحه ؟ فقال عمر : لا ، ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه . فقال الضيف إذاً أنبه الغلام ، فقال عمر : لا إنها أول نومـة نامهـا فلا تنبهـه وذهـب ومـلأ المصباح زيتاً ولما قال له الضيف : قمت بنفسـك يا أمـير المؤمنين ؟ أجابه قائلا ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص منى شىء وخير الناس من كان عند الله متواضعا .

فانـظر أخى الحـاج ـ وأنت تطلب خلق التواضع لتتحلّى به وتكمل عليه ـ إلى خليفة المسلمين قاطبة يقوم بنفسه يصلح سراجه الذى يكتب عليه مهام الدولة ومتطلباتها ويقول ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر وخير الناس من كان عند الله متواضعاً . وأخيراً فإليك نموذجاً حياً للتواضع فخذ نفسك به شيئا فشيئا فإنك تظفر به وتصبح إن شاء الله من أهلـــه :

روى أن أبا أسامة قال لأبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : ما ترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم ؟ فقال يا ابن أخى كل لله ، واشرب لله والبس لله ، وكل شىء دخله من ذلك زهوَ أو مباهاة أو

رياء أو سمعة فهو معصية وَسَرَف .

وعالج فى بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله ﷺ فى بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه إذا أعيا ويشترى الشىء من السوق ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده أو يجعله فى طرف ثوبه وينقلب إلى أهله يصافح الغنى والفقير والكبير والصغير ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير وكبير وأسود وأحمر وحرّ وعبد من أهل الصلاة أى المؤمنين .

فاقتد أخى الحاج برسولك فى كمالاته الروحية فإنك تصبح وتمسى من سادات هذه البريّة .

الوصيّـــة السابعـــة : الصّـدْق

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد فاعلم أخى الحاج بر الله حجك ـ أن الصدق الذى أوصيك به لتلتزمه فى حديثك وعملك وعزمك ووعدك وفى حالك كله هو الذى أوصى به رسول الله ﷺ أمته وأنت فرد من أفرادها إذ قال كما فى رواية مسلم : « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وأن البر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقــــاً » .

وعليه فبـالتزامك الصدق أخى الحاج ـ وتحريك له فى قولك وعملك وإرادتك وحالك تفوز بخيرين عظيمين لم تكن لتحصل عليهما لولا التزامك الصدق ألا وهمــا :

الجنة دار الأبرار والتى ستنتقل إليها بعد انقضاء فترة إقامتك بذلك على سطح هذه الكرة الأرضية والخير الثانى أن يلمع اسمك فى سجل الأبرار الخـالـدين ومواكب النبيين . كما قال تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقا ﴾ .

أخى الحاج إنّ للصدق لشأناً وإن للصادقين مقاماً عند الله عز وجل ولذا أوصيك به ولتتأكد من صحة ما ذكرت لك فاعلم أن الله تعالى قد أمر كل مؤمن ومؤمنة فى هذه الأمة المسلمة أن يكون مع الصادقين فقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ . فلولا علو مقامهم وشرف منزلتهم وقربهم من ربهم تعالى لما أمر عز وجل بالكينونة معهم . وهل تدرى أخى الحاج من هم الصادقون الذين طلب الله تعالى منا أن نكـون معهم ؟ إنهم رسـول الله ﷺ وأبـو بكر وعمر وعثمان وعلى وعامة أصحـاب رسـول الله ﷺ إنهم أولئك الذين استجابوا لله لما طلب منهم

أرواحهم وأموالهم فأعطوا الله كل شيء ولم يبقوا لغير الله من شيء يوم نزل : ﴿ انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم ﴾ ففعلوا صادقين ومصدقين وخرجوا لقتال بنى الأصفر فى عقر دارهم .

واسمع ثناء الله عليهم فى محكم كتابه وكريم قوله : ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ وفى قوله : ﴿ والذى جاء بالصدق وصدق به ﴾ وقوله ﴿ والصادقين والصادقات ﴾ فهل بعد هذا الثناء الإلهى على اهل الصدق من ثناء ؟ وهل بعد هذا الفضل والشرف لأهل الصدق من فضل أو شرف .

ولذا أوصيتك أخى الحاج على علم بالصدق ليكون شعارك ودثارك ودرهمك ودينارك وقبل أن أعرفك بالصدق الموصى أقدم لك قطوفا يانعة من ثماره لتعظم رغبتك فيه ويزداد شوقك إليه .

هل عرفت أن الصدق يورث راحة الضمير ويكسب طمأنينة النفس وهما من أعز المطلوب لدى عقلاء الناس ! إن الصدق يورث راحة الضمير ويكسب الطمأنينة وسل الصادقين يخبروك . وكيف وقد قال رسول الله ﷺ فى رواية الترمذى بسندها الصحيح : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة » .

وهل عرفت : أن الصدق يجلب البركة للرزق ، والربح فى التجارة وأنه ما من احد إلا ويطلب ذلك فى رزقه وتجارته وأن طريق ذلك هو الصدق واسمع رسول الله ﷺ يخبربذلك فى قوله فى رواية البخارى « البيعان [البائع والمشترى] بالخيار مالم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما » للتاجر فى تجارته والمشترى فى رزقه .

هل عرفت ان الصدق فى سؤال الله تعالى الشهادة يبلغ سائلها منازل الشهداء ولومات حتف أنفه وكيف لا وهذا رسول الله ﷺ يقرر هذه الحقيقة بقوله فى رواية مسلم « من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه » .

هل عرفت أن الصدق ينجى من المكروه وإن شارفه العبد وكاد يقع فيه حتى سار بين الناس مثلا الصدق منجاه .

حكى عن بعض الصالحين أن هارباً دخل عليه خائفا مذعورا وهو يقول امنعنى عن طالبي ياشيخ أمنعنى عن طالبى ياشيخ أخفنى عن طالبى يا شيخ فقال له العبد الصالح نم هنا فنام امامه وطرح على حزما من الحطب فأخفاه بها وفجأه دخل طالبوه قائلين هل دخل عليك رجل هارب اين هو فقال العبد الصالح هو ذا تحت الحطب .

فظن الطالبون أنه يسخر منهم فخرجوا وتركوه فنجا الهارب ببركة الصدق من العبد الصالح وأخرى وهى ان الحجاج بن يوسف خطب يوما فأطال الخطبة فقال له رجل : الصلاة : فان الوقت لا ينتظرك والرب لايعذرك فأمر الحجاج بحبسه فجاء أهله وقالوا له ان الرجل مجنون فأطلقه . فقال الحجاج إن أقر بالجنون أطلقته فجىء بالرجل وسأله هل أنت مجنون ؟ فقال الرجل : لا أنه لايسوغ لى ان أجحد نعمة الله التى أنعم بها علّى وأثبت لنفسى صفة الجنون التى نزهها اللّه عنها ولأن الحجاج صدقة فقد خلي سبيله !!! وعليه فراحة الضمير وطمأنينة النفس والبركة فى الرزق والربح فى التجارة وبلوغ منازل الشهداء بدون استشهاد والنجاة من المكاره كل هذه من ثمار الصدق يجنيها الصادقون .

والآن أعرفك بالصدق أخى الحاج كما واعدتك :

١ ـ الصدق فى القول هو إذا حدثت مخبراً أو آمراً أو ناهياً فلا تخبر ولا تأمر ولاتنه بغير الواقع والحق الثابت حتى ولو كنت تمزح فلا تحدث إلا بالحق ومتى التزمت هذا فى قولك وحديثك فأنت صادق .

٢ ـ الصدق فى العمل والمعاملة وهو أن لا تعمل أى عمل إلا وأنت تريد فائدة منه تجلب خيرا لك أو لغيرك أو دفع شر عنك أو عن غيرك وإذا عاملت أحداً بأى نوع من المعاملات التى تجرى عادة بين الناس فاخل معاملتك من الغش والخداع والتدليس والتزوير والغرر فإن فعلت فإنك

صــادق .

٣ ـ الصدق فى الوعد وهو أن تصدق فى وعدك متى وعدت أحداً من الناس قريبا أو بعيداً غنيا أو فقيراً مؤمناً أو كافراً فتنجز له ما وعدته ولو كلفّ ذلك ما كلفك ومتى أصبحت تنجز وعدك ولا تخلف موعدك فأنت صادق .

٤ ـ الصدق فى الحال وهو أن تلزم نفسك أن لا تظهر فى غير المظهر الذى وضعك الله تعالى فيه فلا تتظاهر بالعلم وانت غير عالم ولا بالتقوى وأنت من غير أهلها ولا بفضل لم يكن لك ولا بعمل صالح لم تعملـــــه وذلك قول الرسول ﷺ فى رواية مسلم المتشبع بمالم يعط كلابس ثوبى زور .

وأخيرا فهذه وصيتى إليك فالزمها وإذا فتح الله عليك فيها وأصبحت صادقا ثم صديقا فادع الله لى بالمغفرة والرحمة وجزاك الله خيراً .

الوصيّـــــة الثامنـــة : العـدل

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فاعلم أخى الحاج إن سابع وصاياى إليك هى الوصية بالعدل وإنها لمن أعظم الوصايا وأجلها قدراً وأعظمها شأنا وحسبك أن الله تعالى أمر بها فى قوله تعالى : ﴿ ان الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذى القربى ﴾ . ووصى به فى جملة وصايا عشر فى القرآن والكتاب الأول قال تعالى : ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ وطلبه رسول الله ﷺ فى دعائه المأثور : « اللهم إنى أسالك العدل فى الرضا والغضب » .

ولذا أوصيتك به ملحًّا عليك فيه ليكون خُلُقا من أخلاقك وصفة من صفاتك فتعدل فى حكمك وولايتك وفى قولك إذا قلت وعملك إذا عملت فتضع كل شىء فى موضعه وبذلك تتذوق طعم الحكمة وتكون من أهلها فإن الحكمة الإصابة والسداد فى الأمر كله بإعطاء كل ذى حق مستحقه ووضع كل شىء فى موضعه اللائق بـــــه .

ومما يساعد على اكتساب هذا الخلق الفاضل الكريم مراقبتك لله تعالى والحلم والأناة فراقب الله تعالى بحيث لا يصدر عنك قول ولا فعل إلا بعد أن تنظر هل هو من رضا الله تعالى أو من سخطه أى هل هذا القول الذى أردت أن تقول أو الفعل الذى أردت ان تفعل أذن الله تعالى فيه وأباحه أم لا يأذن فيه ولم يبحـــــه .

فإن وجدت الإذن قلت أو فعلت وإلا كففت وتركت . وبذلك تسلم أحكامك وأقوالك وأفعالك كلها من الخطأ والفساد . وهى منزلة من أشرف المنـازل يغتبط عليهـا صاحبها فى الدنيا والآخرة فاجتهد أخى الحاج فى تحصيل هذا الكمال بالتزامك العدل فى قولك وعملك وحكمك وما ولاك

الله من شيء وجعلك القائم عليه .

واذكر وصية الله بالعدل وأمره به فى قوله : ﴿ وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ وفى قوله ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ واذكر قول الرسول ﷺ فى بيان فضل أهل العدل وما لهم من كرامة عند الله تعالى فى مثل قوله : فى رواية مسلم « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وماولوا » وفى قوله : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله » وذكر منهم « الإمام العادل » بل قدمه فى الذكر لأهميته إذ قال : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى ورجل قلبه مُعَلَّق فى المسجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»

فإنك بذكرك - أخى الحاج - هذه الفضائل لأهل العدل ساعدك ذلك على أن تعدل وتتحرى العدل حتى يكون العدل سجية من سجاياك وتفوز به وبما أعد الله لأهله من كرامة يوم القيامة .

وأخيرا اسمح لى أن أكرر لك القول ببيان بعض مواطن العدل لتكون منها على علم فتعدل فيها ولا تحيف ولا تظلم . وهى :

١ - إعطاء الله تعالى حقه كاملا فى العبادة فلا تشرك معه فى عبادته أحداً كائنا من كان إذ من أعظم أنواع الظلم المنافى للعدل أن يشرك العبد فى عبادة الله أحداً إذ العبادة استحقها الله تعالى بخلقه الإنسان ورزقه وتربيته وإكماله إياه وغير الله تعالى لم يخلق ولم يرزق ولم يرب ولم يكمل فبأى حق يعطى من عبادة الله شيئا ؟؟

ولعلك لا تعرف كيف يكون الشرك فى العبادة فأبيِّن لك ذلك إنه بدعاء غير الله تعالى فمن دعا غير الله تعالى فقال يافلان أعطنى كذا فقد أشرك من دعاه فى عبادة الله تعالى التى هى الدعاء لقول الرسول ﷺ « الدعاء هو العبادة » ومن نذر لغير الله فقال : يا سيدى فلان إذا تم لى كذا أو تحقق لى كذا أفعل لك كذا وكذا فقد أشرك ؛ لأن النذر عبادة لا تنبغى إلا لله فمن نذر لغير الله فقد أشرك فى عبادة الله غير الله . ومن ذبح لغير الله ذبيحة فى مولده أو موسمه يتقرب بها إليه فقد أشرك فى هذه العبادة غير الله ؛ لأن ذبح القربان عبادة لا تكون إلا لله تعالى لقوله عز وجل ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ أى لربك .

٢ ـ العدل بين الزوجتين أو الزوجات فى الفراش والكساء والغذاء وحتى فى الكلام والسلام .

٣ ـ العدل بين الأولاد فى كل شىء لقول الرسول ﷺ « سووا بين أولادكم فى العطية » فلا تفضل ولداً على ولد فى أى شىء تعطيه لهم بل اعدل بينهم فى ذلك .

٤ ـ العدل فى القول وذلك بأن لا تقول إلا الحق ولا تشهد إلا بالحق فإن الكذب كشهادة الزور كل ذلك منافٍ للعدل مباين له .

٥ ـ إذا وليت أمراً أو حكمت فى شىء فاعدل فى حكمك وقسمتك وسوّ بين الناس بإعطاء كل ذى حق حقه بلا زيادة ولا نقصان .

هذه أخى الحاج مواطن العدل قد وقفت بك عليها فالزم العدل فيها وفى غيرها تكمل وتسعد فى الدنيا والآخرة .

الوصيّـــة التاسعـة : الإحســان

بسم الله ، والحمـد لله ، والصـلاة والسلام على رسول الله . وبعد فالإحسان أخى الحاج الوصية به وصية بكل خير وصلاح فى هذه الحياة : فقـد أمـر به الله تعـالى فى كتابه العزيز بقوله : ﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنـين ﴾ وقـولـه ﴿ إن الله يأمـر بالعـدل والإحسـان ﴾ وقـولـه : ﴿ وبـالـوالـدين إحسـانا ﴾ . وقوله : ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾ . وقوله ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً ﴾ . والله تعالى لا يأمر إلا بما فيه خير الإنسان وصلاحه ، كما لا ينهى تعالى إلا عما فيه ضرر الإنسان فى الدنيا وخسرانه فى الآخرة ومما يدل على أهمية الإحسان وخطره كونه ضرورياً لكل قول وعمل فلا يستقيم قول ولا عمل إلا عليه ويشهد لذلك قول الرسول ﷺ فى رواية مسلم : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحتــه . » .

وأدل من كل ذلـك على عظم شأن الإحسان وخطره أنه ثُلُثُ الدين الإسلامى كما جاء ذلك فى حديث جبريل عليه السلام فى رواية مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ جاء فيه « أن جبريل عليه السلام سأل النبى ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان ، فلما انصرف قال النبى ﷺ هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم » فجعل الثلاثة ديناً .

أخى الحاج : إذا عرفت قيمة الإحسان وأن الوصية به من خير الوصايا وأنفعها فاعرف ماهو الإحسان حتى يمكنك أن تحسن ؛ فإن من لم يعرف الشىء لا يمكنـه أن يفعله أو يقـوم به . ولـذا تعـين أن أبينّ لك ماهو الإحســان قبـل أن أذكـر لك مواطنه التى يتجلى فيها فالإحسان : ضد الإساءة . كما أنْ الحسن ضد القبح . وعليه فالاحسان قول الحسن

والجميل وفعلهما ، ومواطن الإحسان هو القول والعمل . أما الإحسان فى القول فيكون بصدق الحديث ، واختيار الكلمات الطيبة ، وانتقاء الألفاظ الحسنة التى لا أذية فيها ولا قبح ، ويكون مع سائر الناس بلا فرق بين إنسان وآخر لقوله تعالى ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾ . وعليه فليكن منطقك خالياً من ألفاظ الهجاء والبذاء ، والسب والشتم واللعن والطعن والفحش والقبح . والتزم هذا فى حال الرضا والغضب والراحة والتعب والمسالمة والشغب .

وأما الإحسان فى الفعل فيكون فى الصحبة والعشرة والمعاملة بما تحب أن تصحب به وتعاشر وتعامل من الاحترام والرفق والمساعدة ، والمودة والجميل والإنصاف ، فإذا كانت مصاحبتك ومعاشرتك ومعاملتك قائمة على هذه المبادىء الخيرية الكريمة من الاحترام والرفق ، والمودة والمساعدة والإنصاف والجميل فأنت محسن داخل فى عداد من يحبهم الله تعالى من أهل الإحسان لما علمت من أن الله تعالى يحب المحسنين ، كما صرح بذلك القرآن الكريم فى آيات كثيرة تقدم بعضها فى أول حديثنا هذا على الوصية بالإحسان .

ويكون ـ أى الإحسان ـ فى العمل بإتقان العمل وتجويده وتحسينه بحيث لا يداخله نقص ولا غش ولا قبح ولا شين . وسواء كان العمل عبادة أوعادة ، فأداء فريضة كطبخ عصيدة ، فالصلاة إن لم يحسن أداؤها بطلت على صاحبها وقد يأثم فيها ، والعصيدة إن لم يحسن طبخها فسد طعمها وقد يهلك بها آكلها . واعلم أخى الحاج أن الإحسان بالمعنى الذى عرفت لايتأتى للعبد القيام به ولا الالتزام بمبدئه إلا على أساس مراقبة الله تعالى فإن من راقب الله تعالى فى قوله وعمله بمعنى الا يقول ولا يعمل إلا بعد أن يعلم حكم الله تعالى فيما يريد أن يقول أو يعمل ثم يراقبه تعالى فى إحسان قوله وعمله فيلتزم بمبدأ الإحسان الذى كتبه الله تعالى على كل

شيء وفي كل شيء فيحسن في قوله بالتزام الصدق والحسن والجمال فيه ، ويحسن في عمله باتقانه وتجويده مبعداً له عن الغش والخداع ، والتمويه والإفساد . وبذلك تكون أقواله وأعماله كلها صالحة نافعة له ولغيره من سائر الناس .

ومبدأ المراقبة الذي ذكرت لك بأن الإحسان لايتم إلا على أساسه قد جاءت به السنة الصحيحة ففي حديث جبريل الذي تقدم جاء فيه : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » فجبريل عليه السلام سأل عن الإحسان قائلا أخبرني عن الإحسان فأجابه النبي ﷺ « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . فكان السؤال عن الإحسان وكان الجواب عما يتم به الإحسان إذ هو المهم . فأخبره أن الإحسان الذي هو تحسين الأقوال والأعمال والنيات والإرادات وإصلاحها لتكون متميزة نافعة يكون بالوقوف بإحدى مرتبتين أعلاهما أن يعمل المرء بقلبه أو لسانه أو جوارحه كأنه يرى الله تعالى وادناهما أن يعمل العبد مايعمل بقلبه أو لسانه أو جوارحه وكأنه ينظر إليه الله تعالى ومن عمل بهذا الشعور من نظر الله تعالى إليه أو نظر العبد إلى الرب جاءت نياته وأقواله وأعماله صالحة خالية من كل نقص يفسدها أو يخل بها . وبذلك تزكى نفسه وتطهر روحه ومتى زكت نفس العبد وطهرت روحه أحبه الله تعالى لأن الله يحب المطهرين كما يحب المحسنين .

الوصية العاشرة : السلام .

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد : فإن الوصية بالسلام قد تبدو لك ـ أخى الحاج ـ أنها وصية شىء غير ذى جدوى أو شىء لايستلزم التوصية ، لأن الوصية عادة تكون بالأمور التى يتطلب القيام بها جهداً ممن يقوم بها وينفذها . أما السلام فليس مما يكلف صاحبه مشقة فيحتاج إلى التوصية به مساعدة له على القيام به . هذا الذى يبدو لأول وهلة غير أن الحقيقة خلاف ذلك وهى أن السلام لذوشأن وخطر كبير وحسبه أن يكون مفتاح دار السلام وتحية أهل الإسلام ونصف نعيم دار السلام وهاك بيان ذلك .

أخرج مسلم فى صحيحه أن النبى ﷺ قال « والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا . ألا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم . . افشوا السلام بينكم » .

فانظر كيف علق ﷺ دخول الجنة وهى دار السعادة الحقيقية على الإيمان ثم علق حصول الإيمان المنجى من النار والموجب للجنة على التحابب بين المؤمنين ، وعلق حصول التحابب على إفشاء السلام ، لأن المراد من الإيمان ما كان تصديقا بالقلب وقولا باللسان وعملا بالأركان وهذا لا يتم إلا بالتعاون بين المؤمنين من طريق التواصى بالحق والتواصى بالصبر أو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهذا التعاون لا يأتى إلا مع حب المؤمن للمؤمن ، أما مع التباغض والتعادى فهيهات هيهات أن يكون أمر بمعروف أو نهى عن منكر ، والطريق إلى تحصيل الحب هو إفشاء السلام فمتى أفشت الجماعة المؤمنة السلام بينها كان التحاب واذا حصل التحاب حصل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومتى حصل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ثبت الإيمان وصح وكان إيمانا منجيا مسعداً وبهذا كان

السلام مفتاح السعادة أما كون السلام تحية **أهل الإسلام** فإن الله تعالى أمر به فى قوله « **وإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم** » وقال « **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها** » فأوجب رد السلام على من سلم وأمر به الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « **افشوا السلام بينكم** » وفى قوله « **يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد ، والقليل على الكثير** » وقـال فى بيان أفضـل الأعـمال : « **وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف** » ولهذا كان السلام الموصى به تحية أهل الإسلام .

وأما كونه نصف نعيم دار السلام فلأن النعيم فى الجنة نوعان : جثمانى ، وروحـانى فالنعيم الجثمانى هو لذيذ المطاعم والمشارب ، وفاخر الملابس ورفيع الأسرة والتمتع بالعُرب الأتراب والنعيم الروحانى هو بعد النظر إلى وجه الله الكريم تحية الله والملائكة عليهم قال تعالى « **سلام قولا من رب رحيم** » وقال « **تحيتهم فيها سلام** » . وبهذا كان السلام نصف نعيم دار السلام .

أخى الحـاج قد عرفت عظم شأن السلام الذى أوصيك به فالتزم به فسلم على من عرفت وعلى من لم تعرف فما قابلك أحد من المسلمين الا بادرته بالسلام وإذا بادرك أحد بالسلام فرد عليه بأحسن ماسلم به عليك أي بزيادة ورحمـة الله وبـركـاته لقوله تعالى : « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو رودهـــــا » .

أخى الحاج افش السلام فإن السلام يورث الحب ويورث التعاون ، وبالتعاون يتحقق الايمان المورث لدار الســـلام .

وأخيرا أزودك ببعض الأحكام والفوائد المتعلقة بالسلام الذى هو آخر وصاياى اليك فى موسم هذه السنة المباركة حيث قدر لنا اللقاء معك .

١ ـ البدء بالسلام سنة والرد واجــــب .

٢ ـ يسلم الراكب على الماشى ، والماشى على القاعد والقليل على الكثير .

٣ ـ السلام سنة كفائية والرد واجب كفائى بمعنى أنه إذا سلم أحد من جماعة أجزأ عنهم إذا رد واحد من جماعة كفاهم ذلك .

٤ ـ يستحب السلام على الأطفال إذا كان النبى ﷺ يسلم على الأطفال .

٥ ـ لا يسلم على المرأة الاجنبية إلا اذا كانت متجلاة أى قاعد عن الحيض والنفاس لكبر سنها . وذلك خشية الفتنة .

٦ ـ يسلم الإمام اذا خرج على الناس قبل أن يجلس على المنبر .

٧ ـ تسلم على أهل بيتك إذا دخلت عليهـــم .

٨ ـ قل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اذا لم يكن بالبيت أحد .

٩ ـ أجـر كلمـة « السلام عليكم » عشر حسنات وكذا « ورحمة الله وبركاته » على كل جملة عشر حسنات فالمجموع ثلاثون حسنة فلذا كان ابن عمر رضى الله عنهما يخرج السوق ولا يشترى شيئا فيقول له مولاه لم تخرج الى السوق وتعود ولا تشترى شيئا فيقول له إنمانخرج لنسلم على الناس .

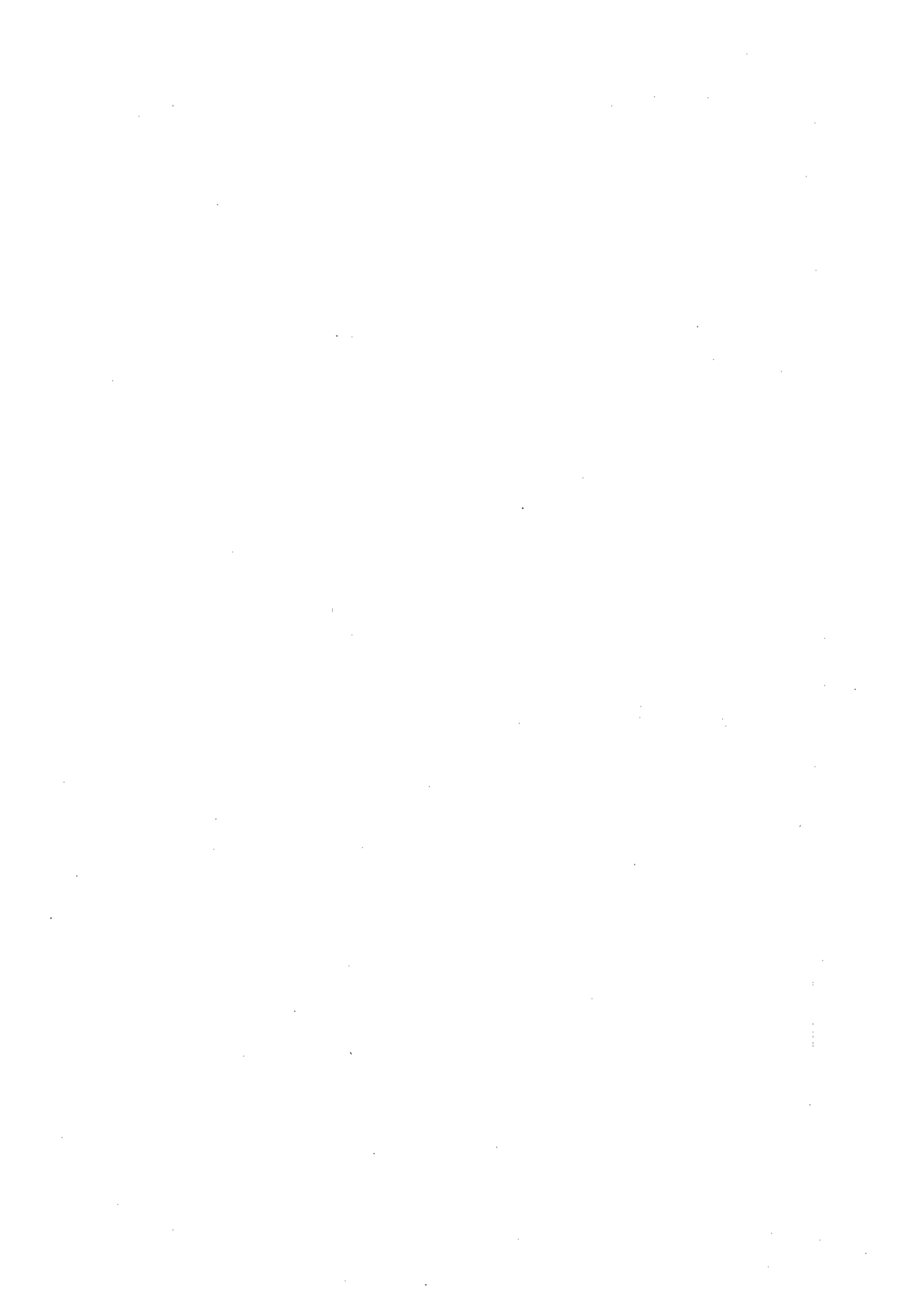
١٠ ـ سلم على الرسول ﷺ عند دخولك المسجد بأن تقول بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك وكذا عند خروجك الا انك تقول وافتح لى ابواب فضلك بدل رحمتك هذا ولا تنس من قدم لك هذه الوصايا العشر بترحمك عليه واستغفارك له فإنك ترحم ويغفر لك والســـلام .

فهرست عشر وصايا

قدمت لوفود الحجاج



الرسالـــة الثانية عشـــر
السنة الوحى الثانى
محاضرة القيت بمنى على وفود بيت الله الحجاج



المحمودُ الله جل جلاله ، والمصَلى والمسلم عليه محمد عبده ورسوله ، والمرضىٌّ عنهم صحابتـه وآلـــه .

وبعـد ـ أيها الإخوة المسلمون ـ أحييكم بأطيب تحية فأسلم عليكم وأهنئكم بمقامكم هذا ـ وأحمد الله تعالى اليكم على ما أنعم به عليكم من نعمة الإسلام وكفى بها نعمة . هـــذا

وأقول معتذراً إليكم فى أن أحاضركم فى موضوع كهذا : وهو السنة الوحى الثانى ، إذ ما كان يخطر ببال أحدنا أنه سيكون بين المسلمين من يذكر السنة النبوية بغير الاحترام والإجلال والإكبـار .

وإذا بنا نُفاجأ اليوم بنابتةٍ سوء حديثة الأسنان ، سفيهة الأحلام رقيقة الدين ، قليلة الإيمان والإسلام ، عديمة الحياء والإحسان ترفع عقيرتها ، وبأعلى صوتها بالطعن فى السنة ، والتجافى عنها ، والتطاول على مقامها فآلم ذلك المصلحين ، وتوجعوا ، ولم يجدوا بداً من تجلية الموقف أمام أمة الإسلام ؛ لتحذر الطاعنين فى دينها والمشككين فى سبيلها الذى هو سبيل المؤمنيـــن .

ونلعن كل من أرادها بسوء أو أحدث فيها فتنة عمياء كهذه وهى الطعن فى السنة والتطاول على الكتاب ومن نزل عليه الكتاب .

أيها المسلمون : إن السنة معناها :

أقوال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم تلك الأقوال التى تحمل الأمرَ والنهىَ والـترغيبَ بالوعد الصادق ، والترهيب بالوعيد الشديد كما تحمل

التقنين والتشريع لكل ما يتوقف عليه إكمالُ المسلمين وسعادتهم في الحياتين الدنيا والآخـــرة .

وأفعالُه صلى الله عليه وسلم التى هى مظاهر دين الله تعالى ، والتى لا يستثنى منها إلا ما كان جِبليًا . أمَّا ما عدا الأفعال الجبليّة فإنها شرع الله تعالى المتضمن محابه تعالى ومكارهه . فكل فعلٍ قام به الرسول صلى الله عليه وسلم تديّنا وتعبدا مما قل ، أو أكثر هو السنة وإن لم يأمر بفعله بلسانه .

وتقـــــريره : صلى الله عليه وسلم لكل ما قيل أمامه . أو فعل بين يديه ، أو بلغـه من أحد أو عن أحد من أصحابه فسكت عنه وأقرَّه بأن لمْ يرده بعبـارة ، أو بإشارة فتلك من السنة النبوية ، وهذه مناشئها أقوال النبى وأفعاله وتقريراته صلى الله عليه وسلـــم .

وبهذه السنة ـ أيها المسلمون ـ تثبُتُ العقائدُ وتتقرر الأحكام ، فكم من معتقد ثبت بالسنة فأقره الكتاب وكم من واجب أو حرام جاءت به السنة ولم ينفه الكتاب . فمن جاءنا يهون من شأن السنة أو يقلل من أثرها فى حياتنـا فلنعلم أنـه يريد إغـواءنا وإضلالنا فلنتبرأ منه ونهجره . ومن سمعتمـوه أيهـا المسلمـون يطعن فى السنـة فاعلمـوا أنه يطعنِ أيضاً فى الكتاب ، ومن طعن فى السنة والكتاب وجب لعنه وتعين رَجْمُه فإنه من الكافــــــرين .

أيها المسلمون إن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى أمره ونهيه دين تعبدنا الله تعالى به قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ . وقال عز وجل ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ . وواعد بعظيم الثواب على طاعته ، وأليم العذاب على معصيته قال جل جلاله : « ومن يطع الله والـرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » . وقال : « ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً » . فإذا طرحنا السنة وأسقطناها فقولوا لى :

كيف نطيع الرسول ، وفى أى شىء نطيعه وقد أعلمنا ربنا تعالى أن فى طاعته وطاعة رسوله السعادة والنجاة وفى معصيته ومعصية رسوله الشقاء والهلاك ؟؟؟

إن من أمحل المحال وأشده أن يطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بغير سنته المتضمنة للعقائد والآداب والأخلاق والعبادات والمعاملات .

فسبحان الله . ماذا يريد منا دعاة الفتنة وهم المشككون فى صحة السنة وحجيتها ، والطاعنون فى حفظتها ، وكمال وُعاتها كأبى هريرة من الأصحاب والبخارى من الأنجاب .

أيريدون منا أن نفرق بين الله ورسوله فنؤمن ببعض ، ونكفر ببعض ، فيصدق علينا ما نعاه ربنا تعالى على غيرنا فى قوله : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذابا مُهينا ﴾ .

إن التفرقة بين الكتاب والسنة ـ أيها المسلمون ـ هى عين التفرقة بين الله ورسوله وأن الطعن فى الكتاب بدعوى أن هناك كلمات لا حاجة إليها كما قال بعضهم فى كلمة « قل » فى مثل ﴿ قل هو الله ﴾ ﴿ وقل يا أيها الناس ﴾ ، لا معنى لها اليوم ولا حاجة إلى قراءتها ضمن خطاب الله تعالى لرسوله ﷺ هذا الطعن فى الكتاب كالطعن فى السنة بدعوى عدم صحتها وتناقضها كلاهما كفر بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن قبول بعض الأحكام الشرعية لموافقتها المصلحة الشخصية ولما فى النفس من هوى ، وترك البعض لمعارضته للهوى النفسى أو لعدم وجود مصلحة شخصية تطلب من ورائه هو نفس الإيمان بالبعض والكفر بالبعض ، واتخاذ سبيل جائرة غير سبيل المؤمنين . والله تعالى يقول : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين ، نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ .

أيها الإخوة المسلمون : إن السنة وحى كالكتاب واسمعوا قول الرسول ﷺ فى ذلك ، روى أبو داود فى سننه عن المقدام بن معد يكرب أن النبى ﷺ قال : « ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لايحل لكم الحمار الأهلى ، ولا كلُّ ذى ناب من السبع ولا لُقطة مُعَاهِدٍ إلا أن يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يَقرُوه ، فإن لم يَقْرُوه فله أن يُعقبهم بمثل قِراه » .

والشاهد من هذا الحديث الشريف فى قوله صلى الله عليه وسلم : « ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه » فإن المراد من قوله ومثله معه السنة النبوية فأثبت ﷺ وحيا له غير القرآن الكريم وهو السنة فلذا كان هذا الحديث دليلاً قاطعاً ونصا صريحاً فى أن السنة الصحيحة وهى أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته متلقاة بالوحى تلقّاها النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه كما تلقى القرآن الكريم سواء بسواء فمن أراد أن يفرق بين الكتاب والسنة فيما يحملان من الشرع والهدى إنما أراد أن يفرق بين الله ورسوله ؛ ليتخذ بين ذلك سبيلا للشر والفساد والغواية والإضلال .

أيها المسلمون اسمعوا الرسول ﷺ وهو يهدد الذين يرفضون العمل بالسنة ويندد بمسلكهم الشائن المنحرف فيقول : « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أُمرت به ، أو نُهيتُ عنه ، فيقول : لا ندرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » . ومفهوم قوله هذا إن مالم يجده فى الكتاب وإن صحت به السنة لا يلتزم به ولا يتبعه ، وهو عين الكفر والضلال الذى هدد المصطفى ﷺ صاحبها بقوله « لا ألفين » إن مفهوم الكلام أن من وجده كذلك سوف يتخذ حياله ما يلزم من الجزاء والعقاب .

وهل يُصدق امرؤ يزعم العمل بالكتاب دون السنة أنه يعمل بالكتاب صدقا وحقاً ، لا ، والله ، إنه ماحملهم على ترك العمل بالسنة إلا إرادة ترك العمل بالكتاب . إن مثلهم كمثل من تطلب منه صدقة والمال بين يديه فيقول هذا مال يتامى . . وإلا فهل العمل بالسنة غير العمل بالكتاب ، والله تعالى يقول : وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا .

هذا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يلقى رجلاً محرماً وعليه ثيابه فيقول له : انزع عنك هذا : فيقول الرجل أتقرأ علَّى بهذا آية من كتاب الله تعالى ؟ فقال عبد الله رضى الله عنه : نعم ، ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ . وحَدَّث مرة رضى الله عنه فقال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله » فبلغ ذلك امراة من بنى أسد يقال لها : أم يعقوب . فجاءت ابن مسعود وقالت : بلغنى أنك تلعن كيت وكيت ، فقال : ومالى لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو فى كتاب الله . فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول . فقال : لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه . أما قرأت : (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) . قالت : بلى ، قال : فإنه قد نهى عنه » .

إن هذه الآية أيها المسلمون وإن نزلت فى قسمة الغنائم . فإن جميع أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم ونواهيه داخلة فيها ، بهذا قال أولو العلم ، وحسبنا استدلال ابن مسعود صاحب رسول الله ﷺ بها على من أنكرت عليه لعن الواشمات والمستوشمات .

بل استدلال الرسول ﷺ نفسه بها على وجوب اتباع أوامره واجتناب نواهيه ، فقد روى عن الحكم بن عمير وكانت له صحبة أن النبى ﷺ قال : « إن هذا القرآن صعب مستصعب عسير على من تركه ، يسير على من اتبعه وطلبه ، وحديثى صعب مستصعب وهو الحكم ، فمن استمسك بحديثى وحفظه نجا مع القرآن ، ومن تهاون بالقرآن وحديثى خسر الدنيا

والآخرة . وأمرتم أن تأخذوا بقولي ، وتكتنفوا أمرى وتتبعوا سنتى ، فمن رضى بقولى ، فقد رضى بالقرآن ، ومن استهزأ بقولى فقد استهزأ بالقرآن ، قال الله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ .

وتأكيداً لهذه الحقيقة وتقريراً لها ، وهى أن السنة مع الكتاب والكتاب مع السنة لا يفترقان أبداً نورد على أسماع الإخوة المسلمين ماحدث به الفريابى إذ قال سمعت الشافعى رحمه الله يقول : سلونى عما شئتم أخبركم من كتاب الله تعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال فقلت له : ما تقول أصلحك الله ـ فى المحرم يقتل الزنبور ؟ قال : فقال بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ . وقال : حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعى بن حراش عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : « اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر » . وحدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر ابن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه أمر بقتل الزنبور . قال القرطبى رحمه الله ، وقد أورد هذا فى تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ من سورة الحشر قال : قال علماؤنا هذا جواب فى غاية الحسن ؛ أفتى بجواز قتل الزنبور فى الإحرام ، وبين أنه يقتدى فيه بعمر رضى الله عنه وأن النبى ﷺ أمر بالاقتداء به ، وأن الله تعالى أمر بقبول ما يقوله الرسول ﷺ فجواز قتل الزنبور فى الإحرام مستنبط من الكتاب والسنة .

وإن من أبسط الأدلة : أيها المسلمون ـ على ضلال بل وكفر من يترك العمل بالسنة مستغنيا عنها فى زعمه بالكتاب الكريم أن يقال إن الله تعالى قد أمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فقال تعالى فى غير ما آية : ﴿ اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ .

فهل فى القرآن الكريم بيان شروط صحة الصلاة ، وبيان كيفية أدائها وعدد ركعاتها ، وهل فى القرآن بيان مواقيت إخراج الزكاة وبيان أنصبتها

ومقادير ما يخرج من الأموال . وهذا مجرد مثال ، وإلا فكل العبادات وسائر الشرائع الإلهية متوقفة على بيان السنة النبوية لها . فسبحان اللّه ! كيف يعبد الله امرؤ عبادة تصح له وتقبل منه ، وهو يطعن فى السنة أو يرفض العمل بها ؟

اللهم إن هذا عجب عجاب ، وأمر مستغرب ومستراب . إن كل عبادة مهما قلت مفتقرة فى بيانها إلى سنة رسول الله ﷺ القولية أو الفعلية . فكيف يصح الاستغناء عن السنة بالكتاب ؟

وبهذا يظهر جلياً ولا مجال للشك فيه أن من يطعن فى السنة أو يرى عدم العمل بها ، أو إسقاط الاحتجاج بها يعتبر زنديقا مارقا من الدين كافراً بالإسلام لا أخوة له ولا ولاية بين المسلمين . .

هذا وإتماماً للفائدة المقصودة من هذه المحاضرة أعود بالإخوة المستمعين إلى عنوان المحاضرة - السنة الوحى الثانى - فأشرح لهم معنى الوحى ووجه كون السنة منه وفى المرتبة الثانية له فأقول : إن الوحى لغة هو الإعلام السريع الخفى الخاص بمن يوجه إليه دون غيره فيفهمه من الموحى به دون سواه ممن لايراد إعلامهم . ويكون بالإشارة ببعض الجوارح كالعين أو اليد مثلاً ، ومنه قول الله تعالى عن عبده ورسوله زكريا «فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا » فإن زكريا عليه السلام لما طلب الآية على حمل امرأته بيحيى وكانت عاقراً لا تلد ، وزكريا قدبلغ من الكبر عتياً أى سنا لا ينجب من فى مثلها أعطى على ذلك آية أى علامة وهى عدم قدرته على الكلام لمدة ثلاثة أيام فلا يتكلم إلا بالرمز والإشارة قال تعالى فى الحديث عنه :
﴿ قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً ﴾ . و
﴿ قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً * فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ﴾ والشاهد فى قوله ﴿ فأوحى إليهم ﴾ أى أشار إليهم آمراً إياهم بتسبيح الله

تعالى بكرة وعشيا .

وقد يكون الوحى بالإلهام الغريزى كما فى قوله تعالى ﴿ واوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ، ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ الآية . فإيحاء الله تعالى إلى النحل إلهامه إياه هذا السلوك المعين لفائدة الإنسان ليذكر الله تعالى ويشكره .

ويكون الوحى بالإلقاء فى روع الإنسان من الخاطر الصادق الذى يجزم معه أنه الحق فيعمل بمقتضاه كما كان لأم موسى عليه السلام ، فقد ألقى فى روعها أن ترضع ولدها فإذا خافت عليه ألقته فى اليم . ففعلت بمقتضى هذا الإيحاء كما أدركته وأنه الحق من الله تعالى .

ومن هذا النوع من الوحى ما يلقيه شيطان الجن إلى وليه من الإنس كما قال تعالى : ﴿ شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ ، وقال : ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ . . .

ومما أوحت به شياطين الجن قولهم لمشركى قريش : قولوا لمحمد والمؤمنين : كيف تحرمون الميتة التى قتلها الله ، وتحلون ما تقتلونه أنتم بأيديكم . هكذا أوحى شياطين الجن إلى أوليائهم من الإنس ليجادلوا المؤمنين .

هذا هو مدلول كلمة الوحى فى عرف اللغة أما وحى الله تعالى ، وهو ما يوحى به إلى من يصطفى من الناس كالأنبياء والمرسلين من سائر الشرائع والأحكام ، وأنباء الغيب فطرقه التى يتم بها نزوله حسبما ذكر الله تعالى فى كتابه من سورة الشورى ثلاث طرق لا رابع لها وهى :

١ ـ الوحى بمعنى الإيحاء المصدر لا الوحى بمعنى المفعول أى الموحى به : وهو أن يلقى الملك فى قلب النبى وروعه ما يشاء الله تعالى من أمر أو نهى أو خبر غيب أو شهادة ، ويشهد لهذا الطريق من الوحى قوله تعالى ، ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون

من المنذرين ﴾ وحديث البخارى وفيه : « أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس فيفصم عنى وقد وعيت » وحديث ابن حبان : « إن روح القدس نفث فى روعى إن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ، ولا يحملن أحدكم استبطاءُ الرزق أن يطلبه بمعصية الله ، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته » .

٢ ـ والطريق الثانى من طرق الوحى الإلهى أن يكلم الله تعالى الرسول من وراء حجاب فيسمع الكلام ولا يرى الذات العلية ، كمن يسمع متكلما وراء جدار ونحوه ، فإنه يسمع كلامه ولا يرى ذاته . وقد تم هذا التكليم الإلهى من وراء حجاب لاثنين من أولى العزم من الرسل ، وهما موسى عليه السلام وتم له ذلك بجانب الطور من سينا كما قال تعالى ﴿ فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إنى أنا الله رب العالمين ﴾ ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتم له هذا التكليم فى الملكوت الأعلى ليلة الإسراء والمعراج فقد قربه ربه تعالى وأدناه حتى بلغ مستوى سمع فيه صرير الأقلام ، وثَمَّ كلمه ربه وفرض عليه الصلوات الخمس فكان يسمع كلام ربه ولا يرى ذاته المقدسة . ولما سئل ﷺ عن رؤيته لربه قال : نور أنى أراه .

٣ ـ والثالث : أن ينزل الملك الموكل بالوحى متمثلا فى صورة رجل من بنى آدم كما كان جبريل عليه السلام يأتى رسول الله ﷺ أحياناً فى صورة دُحية بن خليفة الكلبى وكان رجلا وسيما حسن الطلعة جميل المنظر كامل الخَلْق والخُلُق فيتمثل جبريل به فيأتى فى صورته فيراه الحاضرون ولا يعرفون أنه جبريل حتى إذا انصرف وغاب عنهم أعلمهم رسول الله ﷺ أنه جبريل كما جاء ذلك فى حديث مسلم وفيه « سأل النبى ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعن الساعة وأماراتها . . ولما انصرف وطلبوه فلم يعثروا عليه أخبرهم النبى ﷺ أنه جبريل أتاهم يعلمهم أمر دينهم » .

وهذا الطريق من طرق الوحى الثلاثة أيسرها على النبى ﷺ ؛ إذ لا يجد

فيه آية صعوبة فى الفهم عن الملك وهو فى صورة بشر وإنما يعانى شدة فيما إذا كان الملك فى صورته الملائكية الروحانية ؛ لأن سنة الله تعالى فى التفاهم أن يكون المتخاطبان متجانسين كإنسان مع إنسان أو حيوان مع حيوان من جنسه . أما إذا اختلف الجنسان فيتعذر التفاهم بينهما .

ومن هنا كان النبى ﷺ إذا أتاه الملك فى صورته الروحانية يعانى شدة حتى أن جبينه ليتفصد عرقا فى الليلة الباردة ؛ لأنه يكاد ينسلخ من بشريته ليكـون روحـانياً محضـا حتى يصل له الفهم والتلقى عن الروحانى من الملائكـــة وقد أكدت هذه الحقيقة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها إذ قالت : « ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينـه ليتفصد عرقا » وفسرها ابن خلدون بقوله : إنها حالة انسلاخ من البشرية الجسمانية واتصال بالملكية الروحانيــــــة .

وهذه الطرق الثلاثة التى عرضنا لها أيها الإخوة المستمعون جاءت فى قول الله تعـالى من سورة الشورى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ، أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء انه عليم حكيـــم ﴾ .

ومن هنا أجمع المسلمون أن من السنة ما هو وحى بالأصالة ينزل بأحد الطرق الثلاثة التى ذكر تعالى فى آية الشورى ومن ذلك قوله ﷺ فى رواية ابن حبـان : « إن روح القـدس نفث فى روعى » الحـديث وهـو شاهد للطريق الأول ، وشـاهـد الثـانى تكليم الله تعالى لرسوله محمد ﷺ فى الملكـوت الأعـلى ، وفرض الصلوات الخمس عليه وعلى أمته . وشاهد الثالث رواية البخارى وفيها أنه ﷺ لما خرج حاجاً من المدينة . أنه لما كان بوادى العقيق نزل عليه جبريل وقال له : إن ربك يقرئك السلام ، ويقول لك إنك بالوادى المبارك فقل عمرة فى حجـــة » .

ومن السنـة ماهـو من الوحى وهو الفهم يفهمه رسول الله ﷺ من كتاب ربه تعالى وذلك كسائر أقضيته ﷺ فى الأموال والدماء والحدود ، كما قال

الإمام الشافعى رحمه الله تعالى وقرره ولهذا تقرر عند أهل السنة والجماعة أن كل ما أخبر به الرسول ﷺ عن ربه عزَّ وجلَّ يستحيل فيه الكذب أو النقص أو الزيادة ، كما يستحيل فيه التناقض أو التدافع والتضارب ، وأن الإيمان به واجب ، والعمل به لازم . كما أن رده فسق ، وإنكاره والتكذيب به كفــــر .

أمــا ما كان عن اجتهــاد من رسول الله ﷺ فى شئون السياسة والمال والاقتصــاد أو الحرب والسلم ، فإن ما كان منه موافقاً لرضى الله تعالى حاملا لهداية الخلق وإصلاحهم أقره الله تعالى عليه ، ويصبح بذلك شرعاً ودينا يجب العمل به ويحرم تركه والإعراض عنه . وما كان غير موافق لرضا الله فلا هو يحمل هدى ولا إصلاحاً للناس ، فإن الوحى ينزل بإبطاله ، وعدم إقرار الرسول عليه ، فلذا لم يقر الله تعالى رسوله ﷺ على غير صواب قط وهذا وإن كان نادر الوجود جداً فإن النبى ﷺ قد نبّه عليه فى قضية عدم تأبير النخل بقوله : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » . فقد روى مسلم ابن الحجاج فى صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « أن النبى ﷺ مرّ بقوم يلقحون فقال : لو لم تفعلوا لصلح . قال فخرج شيصا فمر بهم ، فقال ما لنخلكم ؟ قالوا قلت كذا وكذا قال أنتم أعلم بأمر دنياكم » وروى أيضا عن رافع بن خديج قال « قدم نبى الله ﷺ المدينة وهم يأبرون النخل يقولون : يلقحون النخل ، فقال : ما تصنعون ؟ قالوا كنا نصنعه قال : لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً ، فتركوه فنفضت أو فنقصَت . قال فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشىء من رأيى فإنما أنا بشر » كما روى عن أبى طلحة رضى الله عنه حديثا كهذين وفيه : « ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإنى لن أكذب على الله عز وجــــل » .

وخــــلاصة القول أن ما أمر به الرسول ﷺ أو نهى عنه من أمر الدين والشرع فهو دين وشرع يجب الإيمان به والعمل بما يدل عليه ، لأنه قول

على الله تعالى والرسول لن يقول على الله غير الحق . وما كان من الدنيا ومصالحها المحضة فأهل الدنيا الممارسون لِسُنن الله تعالى فيها هم المرجع فى ذلك وليس الرسول ﷺ .

وما أظن أيها المستمعون أن هذا الاستطراد يضر بموضوع حديثنا فى تقرير أن السنة هى الوحى الثانى ؛ إذا المراد من السنة ما علمتم : وهى أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته المتعلقة بالشرع والدين ، التى يكون فيها الرسول ﷺ مبلغاً عن الله تعالى . هذه السنة التى هى الوحى الثانى . وقولنا فيها الوحى الثانى غير ضار بها ولا حاط من مكانتها ؛ لأن المراد بالوحى الأول هو القرآن . والقرآن أولاً قطعا فقد كان الله ولا شىء معه ووجود الرسول ﷺ وعلمه وحكمته من عطايا الله عزَّ وجلَّ وهباته . فلا غرابة أن تكون السنة ثانية والقرآن أولاً وحتى فى باب الاستدلال والاحتجاج يراعى هذا الترتيب وحديث معاذ فى السنن شاهد هذا ودال عليه

فقد سأل النبى ﷺ معاذاً لما أراد أن يبعثه إلى اليمن والياً وقاضياً فقال : « بم تحكم يامعاذ ؟ فقال : بكتاب الله تعالى ، قال : فإن لم تجد فى كتاب الله ؟ قال فبسنة رسول الله ﷺ ، قال فإن لم تجد فى سنة رسول الله ﷺ ؟ قال أجتهد رأيى ولو آلو . قال فضرب على صدرى وقال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » .

هذا وقد يكون من مقتضيات تقديم الكتاب الكريم على السنة الشريفة عند طلب الحكم أن القرآن الكريم يحفظه المرء على ظهر قلب ويحيط به علمًا ، أما السنة فكثيرة وحفّاظها قليل ، ومن حفظ منها شيئا غابت عنه منها أشياء لأنها كالشرح للكتاب والشرح أوسع من المتن ويحفظ المتن ولا يحفظ الشرح إلا نادراً كما هو معلوم لدى أولى العلم فالقاضى إذا عُرضت عليه المسألة أول ما ينظر فيه الكتاب فيستعرض بسرعة ذهنه القرآن من أوله

إلى آخره فإن وجد نص الحكم حكم به ، وإلا طلب الحكم من السنة . وهـذا أمـر يكاد يكون بدهياً . والمقصود من هذا أن كون السنة الوحى الثانى غير نازل بها عن سمو مكانتها ، ولا هابط بها عن درجتها العظيمة التى وضعهـا الله تعـالى فيهـا بقـوله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله . « فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » .

وختاما أنبه أيها الأخوة المسلمون إلى أن السنة التى هى الوحى الثانى تَلَقياً وقبولاً واحتراما وقداسة هى ما كانت صحيحة السند إلى رسول الله ﷺ ؛ إذ ما كل ما نسب إلى الرسول ﷺ من قول أو عمل أو تقرير قد صحت نسبته إليه ﷺ .

فالحديث إذا كان موضوعاً أو منكراً وجب إسقاطه وتعريته من النسبة إلى الرسول ﷺ وحُرم العملُ به بل روايته والتحديث به إلا للإعلان عن بطلانه والتحذير من الاغترار به أما ما كان من السنة ضعيف النسبة إلى النبى ﷺ غير ثابتها بقطع وإنما باحتمال قوى أو ضعيف فإن رأيى فيه وهو رأى خاص بى لا أحمل عليه أحداً ولا أدعو إليه أحداً أيضا فهو أن ينُظر فيه من جهة دلالته ومعناه بعد النظر فيه من جهة سنده وألفاظه فإن وجد أنه يعارض نصاً صريحاً من كتاب أو سنة صحيحة وجب تركه وحُرِم العمل به واعتبـاره باطـلا غير صحيح وإن وجـد غير معارض لكتاب ولا لسنة ولا إجماع الأمة وكان يدعو إلى الإيمان أو تقويته أو إلى البر والتقوى ولزومهما فإن رأيى فيه اعتباره والانتفاع به وعدم إهداره أو إهماله ووجهة نظرى هذه مسـتـنـدهـا ما يلى :

١ - إحتـمال صحـة نسبتـه إلى النبى ﷺ وهـو احتمال فى الأحاديث الضعيفـة غير المنكرة والباطلة لا يقل عن نسبة خمسين فى المائة إذ لا يستطيع محدث أن يحلف بالله تعالى على حديث ضعيف أن الرسول ﷺ لم يقله أو لم يقره . . . .

٢ - قول كثـير من أهـل العلم بجواز العمل بالحديث الضعيف فى

فضائل الأعمال . وهو قول راجـــح عند الأكثـــر .
٣ ـ قياسـه على أحاديث بنى إسرائيل وقد جاء الإذن بالتحديث بها وهى محتملة وليست قطعية فيما تروى فيه لما صح عنه ﷺ من قوله : « بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج » . مع قوله ﷺ « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وكتبــه ورسله فإن كان حقـا لم تكـذبـوهم وأن كان باطـلا لم تصدقوهم » .

والمراد من هذا جواز رواية بنى إسرائيل وهى لا تخلو من أن تكون موافقة لما عندنا أو مخالفةً أو لم تخالف ولم توافق فإن كانت مخالفة حرم القول بها وإن كانت موافقة فالعمل بما عندنا لا بها وأن لم تخالف ولم توافق فهذه التى تروى للاعتبـار وهـذا القدر هو الذى استشهدت به على جواز الاعتبار بالحديث النبوى الضعيـــف .

هذا هو رأيى فى هذه المسألة كما سمعتموه وقد لا يقبله أكثر المنتسبين إلى العلم بالسنة ولا تثريب عليهم فى عدم قبوله .

وإلى جانب هذا الـرأى رأى لى آخـر غير أنى أدعو إليه وأحث عليه بخلاف الرأى الأول . وهذا الرأى هو أن على طلبة العلم اليوم إذا عثر أحدهم على سنة من السنن النبوية فى مصادرها المحترمة كالصحاح والسنن والمسانيد والمصنفات ولم ير المسلمين يعملون بها سلفهم وخلفهم سواء أن عليه أن لا يعمل بها ولا يدعو المسلمين إلى العمل بها حتى يتصل بعلماء الإسلام فى الشرق والغرب ويرويها لهم ذاكراً مصدرها مبيناً سَندها طالباً بيان الحكم بها ويتلقى الإجابات ولمدة لا تقل عن ثلاث سنوات فإن قدر حقاً أن المسلمين نسوا هذه السنة أو جهلوها فلم يعملوا بها ووافقه عامة علماء المسلمين على العمل بها والدعوة إليها عَمِل بها وَدَعَا إلى العمل بها وجزاه الله خيرا وإلاّ فلا . . إبقاء على سلامة صدور المسلمين من الشك فى دينهم وسلفهم الصالح مع المحافظة على وحدة المسلمين أو على الأقل

عدم زيادة فرقتها واختلافها فى دينها وهى تعانى مُرّ العذاب من الفرقة والخلاف .

ورأى ثالث لى ولا أدعو إليه ولا ألوم من لا يأخذ به وهو أنى التزمت فى هذه الآونة الأخيرة أن لا أحمل مسلمًا على عزيمة ما دمت أجد له رخصة فى دين الله تعـالى وذلك لما أراه وألمسه من ضعف المسلمين وبعدهم عن هداية ربهم إلا من قل منهم ولا أعنى بالـرخصـة ما أنتحله أو أجهـد رأيى فى استنبـاطـه واستخراجه من نصوص الكتاب والسنة وإنما أعنى بالرخصة الرخصة الشرعية الثابتة بأحد الدليلين وقال بها علماء الإسلام وعملوا بها ولو بقلّة وعلى سبيل المثال يمنى خرج من اليمن يريد الحج فأحرم من يلملم ميقات أهلـه بعمرة فقضاها ثم سافر إلى زيارة المسجد النبوى فزار ثم أراد أن يحرم بالحج من ذى الحليفة ميقات أهل المدينة النبوية فسألنى قائلا فهل أنـا متمتع وعلى هدى التمتع ؟ أو انقطع تمتعى بالسفر إلى المدينة ؟ فنظراً إلى الخلاف فى هذه المسألة وهو خلاف بلغت الاراء فيه اربعة اراء وامثلها رأى من قال : إذا سافر المتمتع سفراً تقصر فيه الصلاة انقطع تمتعه وأصبح حكمه حكم الحاج المفرد ولا هدى عليه وما دمت أعلم أن التمتع الذى لايختلف فيه هو الذى يحرم بالعمرة فى أشهر الحج ويقيم بمكة حتى يحج من عامه وأن من قال ببقاء التمتع وحكمه ولو مع السفر لا حجة قوية معه ورأيت من يخالف هذا الرأى من علماء السلف والخلف .

فإنى لا أحمله على عزيمة الهدى ولكن على تركه لأنه أيسر له وأخف عليه وشأن الرخصة التيسير والتخفيف هذا مجرد مثال والله المستعان .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتـــــــه

الرســـالة الثالثه عشـــر
حرمة الابتداع فى الدين
وكل بـــدعة ضلالـــه



بســــــم الله الرحمن الرحيـــم

المقدمـة

الحمـد لله رب العـالمـين ، والصـلاة والسـلام على نبينا محمد خاتم النبيين ، وإمـام المـرسلين ، وعـلى آله وصحابته أجمعين . وبعد : فإن الكلام على الابتداع والبدعة مما ينبغى الاهتمام به ، وتفهمـه ، ووعيــه ، وتبليغه أيضــــا .

وذلك لضرر الابتداع فى الدين ، وخطورة البدعة ، بين المسلمين .

وإن مما يساعد على إدراك ضرر الابتداع ، وخطورة البدعة فهم الحقائق الثلاث التالية :

الاولى : أن العقل الإنسانى لا يستقل بمعرفة الحسن والقبح ، ولا بمعرفة ما يضر أو ينفع من سائر الأمور والأشياء ، وذلك لقصوره ، وعدم قدرته من جهة ، ولما ينازعه من هوى ، ويدافعه من غرائز وشهوات من جهة أخرى . . .

ومن هنـا كان لابـد لمعـرفـة المضـار والمنافع ، والمحاسن والقبائح ، والمفاسد والمصالح من الوحى الإلهى المنزَّه عن القصور والإغفال ، والجهل والنسيان .

إن العقل لقصوره ، وجهل صاحبه ، وظلمه ، ولما يحوطه من مؤثرات النفس والهوى ، لابد له من نور الوحى الإلهى ليبصر به الحقائق ، ويعرف الأشياء نافعها وضارها صالحها وفاسدها ، حسنها وقبيحهـــا .

إن العقـل الإنسـانى بمثابة العين المبصرة إن كان هناك ضوء أو نور أبصرت الأشياء بحسب قوتها وضعفها وإن لم يكن هناك ضوء ولا نور تعذر عليها أن ترى أو تبصر كما هو معلوم لكل الناس ومشاهد بينهم .

فالعقل البشرى كذلك إن كان هناك وحى الهى من كتاب أو سنة أدرك الأشياء على حقيقتها ، وأبصر الأمور كما هى ، فعرف مضارها ومنافعها ، وصـالحهـا وفـاسدها ، وحسنها وقبيحها . وإذا انضاف الى ذلك العلم والإيمان كثر صواب صاحبه ، وقل خطؤه ، وأصبح يعيش على نور من ربه . بخلاف العقل الذى يحرم صاحبه نور الوحى الإلهى فلا ينظر فى كتاب ولا سنة ، ولا يتقيد بأمر ولا نهى فيها فان خطأه اكثر من صوابه ، وكيف ؟ وهـو يعيش فى ظلمة الجهل والهوى فلا يخرج من ظلمة إلا إلى ظلمة أخرى ، ومن هنا فأنَّى لصاحبه أن يشرع أو يقنن ، أو يهدى الى صراط مستقيم ؟

والثـانيـة : أن الله تعالى قد أكمل لهذه الأمة المسلمة دينها الذى هو مصـدر سعـادتهـا وكـمالهـا ، ولم يحوجهـا الى طلب زيادة فيه بحـال من الاحـوال ، إذ قال تعـالى « **اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيتُ لكم الإسلام ديناً** » ، وما قبض نبيها محمد ﷺ حتى دلَّها على كل خير يمكنها أن تحصل عليه ، وحذرها من كل شر يمكن أن يقع لها ، أو تقع فيه .

وهذا ابو هريرة رضى الله عنه يصرح بهذه الحقيقة فيقول : [1] علمنا رسول الله كل شىء حتى الخراءة .

---

١ - رواه البخـــــارى .

وهذا مالك بن أنس إمام دار الهجرة وعالم المدينة رحمه الله تعالى يؤكدها بقوله : ما لم يكن على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه ديناً لم يكن اليوم دينا . ويقول : من ابتدع فى الإسلام بدعة فرآها حسنةً فقد زعم أن محمداً ﷺ قد خان الرسالة ، وذلك لأن الله تعالى قال : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً** » .

الثالثة : أن شرع الله تعالى الموضوع لإكمال الإنسان وإسعاده قد وضعه الله تعالى وضع السنن التى لاتختلف نتائجها التى وضعت لها ومن أجلها فكما أن النار تحرق ، والحديد يقطع ، والطعام يشبع ، والماء يروى فكذلك ما شرعه الله تعالى من عبادات قلبية ، أو قولية ، أو فعلية إذا أداها المؤمن على الوجه المطلوب لأدائها فإنها لا تتخلف نتائجها من تزكية النفس وتهذيب الخلق ، وإصلاح الروح ، بخلاف ما يضعه الإنسان من قوانين ، أو يبتدعه من بدع فإنه لا ينتج ما وضع له . فما كان من بدعة دينية أريد بها تهذيب الخلق ، وتزكية النفس وإصلاح الروح فإنها لا تثمر شيئاً من ذلك بحال ، وما كان من قانون وضع لحفظ ضروريات الإنسان من جسم وعقل وعرض ومال ودين فإنه لايمكن أن يتحقق شىء من ذلك الا ماقلٍ وندر . وواقع الناس يشهد ، فإن البدع الدينية ما زادت أصحابها إلا خبثاً فى أرواحهم ، وظلمة فى نفوسهم ، وسوءاً فى أخلاقهم . كما أن ما وضع من قوانين لحفظ الأموال والأنفس والأعراض وقد عمل به الناس وطبق فى بلادهم لم يحقق شيئا يذكر . فالدماء مسفوكة ، والاعراض منتهكة ، والاموال مسروقة منهوبة ، وفى كل بلد طبقت فيه تلك القوانين التى هى ليست من شرع الله تعالى بخلاف البلد الذى تطبق فيه شرائع الله تعالى ، وكفى بالبلاد السعودية شاهداً على صحة ذلك .

وعلى ضوء هذه الحقائق الثلاث ندرس البدعة وآثارها ، ونبدأ بتعريف البدعة فنقـــول :

البدعة : لغة الاسم من بدع الشيء يبدعُه بَدْعاً إذا أحدثه فأتى به على غير مثال سابق . وابتدعه وأبدعه بمعنى واحد . واسم الفاعل من أبدع المبدع ، ومن ابتدع المبتدع . ومن أسماء الله تعالى الحسنى البديع ، ومعناه المبدع للأشياء والأكوان على غير مثال سابق ، كما قال تعالى : بديع السموات والأرض ، والبديع أيضاً الذى ليس قبله شيء ، والله الأول الذى ليس قبله شيء ، ولذا لا يصح أن يسمى بالبديع غير الله تعالى ، والبِدْع : ما كان اولاً ولم يسبقه شيء كما قال تعالى : « قل ماكنت بدعا من الرسل » بل أرسل قبلى رسل كثيرون فلم تنكر رسالتى أو يتعجب منها؟

والبديع علمٌ تعرف به وجوه تحسين الكلام وهو أحد فنون البلاغة الثلاثة : المعانى والبيان والبديع .

هذا تعريف البدعة لغة أما فى الاصطلاح فإنها ما اخترع فى الدين على غير مثال سابق وهى البدعة الحقيقية . أو هى ما أحدث فى الدين من طريقة تضاهى الشريعة بقصد التعبد والتقرب الى الله تعالى ولذا فالبدعة تقابل السنة غير ان السنة هدى والبدعة ضلال ، إذ السنة طريقة شرعية ثابتة بالوحي الإلهى ، والبدعة طريقة مخترعة لم يشهد لها كتاب ولا سنة ولا إجماع .

حكـــــم الابتداع فى الدين

تلك كانت البـدعـة أما حكم الابتداع فى الدين فإنه محرم بالكتاب والسنة والإجماع ، لأن الابتداع تشريع يُضاهى به شرع الله عز وجل ، وهـو بهذا مشـاقـة لله ورسوله ومحادة لهما ، وكفى بالمرء إثما أن يشاق الله ورسوله ويحادهما ، ومن هنا ذُمت البدعة وندد بها وبفاعلها وحذرت الأمة من شرها وخطرها وسوء عاقبتها ، إن فى قول الله تعالى ، **شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم** تهديد ووعيد لكل من المبتدعة والعاملين بالبدعة كما هو دال على مدى إنكار الشارع للبدعة والعمـل بها . وفى حديث العـرباض بن سارية عند مسلم ما يكفى فى التنديد بالبدعة وذمها وتحريمها ، إذ جاء فيه قوله ﷺ : إياكم ومحدثات الأمـور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وفى افتتاحية خطب الرسول ﷺ : إن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمـور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وهو ذم للبدعة وتحريم لها وتحذير منها وتنديد بهـــا .

إنكـــــار البدعـــة

لا شك أن إنكار البدعة واجب ، وأن العمل بها مردود ، ولنستمع إلى ما ورد فى ذلك من الأحاديث النبوية والآثار الحديثية . ففى صحيح مسلم يقول الرسول ﷺ : من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد . ويقول من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد ، فثبت بهذين الحديثين الصحيحين أن العمل بالمحدث فى الدين مردود والمردود باطل والباطل لا أجر فيه ولا مثوبة . وما كان كذلك وجب انكاره وعدم العمل به .

وها هو ذا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ينصح لأمة الإسلام كل أمة الإسلام باتباع السنن وترك المحدثات من البدع فيقول : اتبعوا آثارنا ، ولا تبتدعوا فقد كفيتم . ويقول القصد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة .

يريد ان عملا قليلا من المسنون المشروع أفضل من كثير عمل مبتدع غير مشروع ولا مسنـون ، لأن المشروع يثـاب عليه فاعله ، الحسنـة بعشر أمثالها ، والمحدث المبتدع يرد على صاحبه فلا يؤجر عليه ولا يثاب به ، لأنه عمل غير صالح لا يزكى النفس ولا يطهر الروح .

وهذا حذيفة بن اليمان رضى الله عنه يضرب مثلاً عجبياً فى التحذير من البدعة : إذ اخذ حجرين فوضع أحدهما على الآخر ، ثم قال لأصحابه : هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور ؟ قالوا : يا أبا عبد الله ما نرى بينهما من النور إلا قليلاً ، قال والذى نفسى بيده لتظهرنَّ البدع حتى لا يرى من الحق إلا قدر ما بين هذين الحجرين من النور ، والله لتفشون البدع حتى إذا تُرك منها شىء قالوا : تركت سنـــة .

والحسن البصرى رحمه الله تعالى يذهب فى إنكار البدعة والتحذير منها ومن أصحـابهـا أبعـد المذاهب فيقول : لا تجالس صاحب البدعة فإنه يمرض قلبك ، وفى القرآن الكريم النهى الصريح عن مجالسة أهل البدع والأهواء . فمن سورة الانعام جاء قول الله تعالى : ﴿ **وإذا رأيت الذين يخوضـون فى آيـاتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، وإما ينسينَّك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين** ﴾ فآيات الله شاملة لأسماء الله تعالى وصفاته وقدره وشرعه . وشر المبتدعة الملحدون فى أسماء الله تعالى وصفاته بالنفى والتعطيل ، والتشبيه والتمثيل ، ونفاةُ قدره والمكـذبـون ، والمعطلون لشرائعه ، المستخفون بطاعته وطاعة رسوله ، والمتزيدون فى دين الله المحدثون فيه ، فكل هؤلاء وهم شر المبتدعة تحرم مجالستهم والاجتماع . لغير ضرورة بهم ، إظهاراً للسخط عليهم ، وعدم الرضى بصنيعهم ، وحفاظاً على سلامة قلب المؤمن من التأثر ببدعتهم ، والوقوع فى فتنتهم وباطلهم ، والعياذ بالله من كل ذلـــك .

البدعــــة نــوعان
حقيقية وإضافيــــة

إن البدعة هى البدعة وسواء كانت إضافية أو حقيقية فالعمل بها باطل والدعوة إليها حرام ، وإنكارها واجب ، إذ كل منهما إحداث فى دين الله ، وزيادة فيه ، ومضاهاة له ، وذلك محادة لله ورسوله ومشاقة لهما ولو بغير قصد ذلك وإرادته ، وهو من أكبر الذنوب وأعظم الآثام .

والمراد بالبدعة الحقيقية ما أُحدث فى الدين من غير استناد إلى أصل من أصول الدين أو فرع من فروعه أى من غير أن يدل عليها دليل شرعى من كتاب أو سنة أو اجماع . وإنما اخترعت اختراعا وأُلصقت بالدين لغرض تعلق لمبتدعها بذلك ، وسواء كان صحيحا أو فاسداً ، وذلك كالبناء على القبور وإشادة القباب عليها ، وكزخرفة المساجد ، وكوضع القوانين التشريعية فيما أنزل الله تعالى له الكتاب ، وبعث من أجله الرسول ﷺ فبينه بالقول والعمل ، كل هذا من البدع الحقيقية ، إذ لا مستند له من كتاب أو سنة أو إجماع ، بل جاء الشرع بتحريمه ومنعه ، والوعيد عليه ، فقد نهى رسول ﷺ عن البناء على القبور ، وأمر بهدم المبنى منها كما نهى عن زخرفة المساجد ، وحرم تعالى تعطيل أحكام شرعه ، وندد بمن شرع لعباده معرضاً عما شرعه الله تعالى لهم مضاهياً له فى شرعه ، إذ قال تعالى : **« شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم »** .

وأما البدعة الإضافية فهى ما أُحدث فى الدين مما له دليل من كتاب أو سنة أو إجماع استند عليه فى وجوده ولكنه بدعة باعتباره زيادة لم يشرعه الله ورسوله وذلك كالذكر جماعة بصوت واحد ، فإن ذكر الله تعالى مشروع بالكتاب بقول الله تعالى **﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً**

وسبحوه بكرةً وأصيلا ﴾ والصورة التى يؤتى به عليها وهى الاجتماع والصوت الواحد محدثة ، إذ لم تكن هذه الصورة معروفة ولا معمولاً بها على عهد رسول الله ﷺ ولا على عهد أصحابه رضوان الله عليهم ، ولا على عهد التابعين رحمهم الله أجمعين . فكان الذكر الجماعى من البدع الإضافية التى لها وجهان وجه يلحقها بغير المحدثات ، ووجه يلحقها بها ويجعلها منها فيستلزم تركها ، وعدم العمل بها . والبدع الإضافية أكثر من البدع الحقيقية ، وإن كانت الحقيقية غير قليلة ، وتزيد بأن معظمها مكفر لصاحبه ، أو مفسق له والعياذ بالله تعالى .

البدع المكفرة

إن البدع المكفرة غالباً ما تكون فى أصول الدين من المعتقدات ، وأكثر ما تنشأ عنه الجهل بالدين واتباع الهوى ، والتقليد الأعمى ، وذلك كبدعة نفىْ القدر والتكذيب به ، والقول بالجبر ، ونفىْ صفات الخالق عز وجل ، وكتكفير بعض الصحابه أو الطعن فى عدالتهم ، وخاصة الشيخين أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، وكاعتقاد أن الأولياء يتصرفون بعد موتهم فى أمور الناس بالإعطاء والمنع والضر والنفع وكاعتقاد أن الولى أفضل من النبى ، وأن من الأولياء كعبد القادر الجيلانى من إذا دعاه الداعى ورفع صوته باسمه سمعه وأجابه ، وقضى حاجته كأن يخلصه من شدة ، أو ينقذه من تهلكة .

وكاعتقاد أن فى القرآن تناقضاً ، أو أن عذاب القبر ونعيمه يحيلهما العقل ولا يقرهما إلى غير ذلك من البدع المكفرة التى أحدثت بعد عهد النبى ﷺ وعهد أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

البــدعة المفسقــة

تلك كانت البدعة المكفرة ، وأما البدع المفسقة فغالباً ما تكون فى فروع الـدين ، وقـد تكـون فى أصـوله والحامل عليها ما ذكرنا آنفاً من الجهل والتقليد واتباع الهوى ومن أمثلتها :

١ - رد الأحـاديث النبـوية الصحيحـة لمعـارضتها بعض ما يهوى ويشتهى صاحب الهـوى ، وهى من البـدع الحقيقية الخـطيرة ، فقد رد بعضهم حديث البخارى فى الذباب والذى نصه : إذا ولغ الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن فى أحد جناحيه داء ، وفى آخر شفاء ، وإنه ليتقى بجناحه الذى فيه الداء .

بدعوى أن فى هذا الحديث ما يدعو إلى القذارة ، أو يقرها وأن الرسول ﷺ جاء بالنظافة والدعوة إليهـــا .

٢ - تأويل بعض آيات القرآن بغير تأويلها لمنافاتها لما هم عليه من الصفــات ، أو لمعـارضتهـا لأغـراضهم ومشتهياتهم فيؤولـونها بما يلائم صفـاتهم ، ولا يتعارض مع أغراضهم وشهواتهم كتأويل بعضهم آية : ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا** ﴾ الآيه ، بإبـاحة شرب الخمر . وكتأويل بعض غلاة الصوفية آية الأنعام : « **قل الله ، ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون** » بجواز الذكر باللفظ المفرد فى حين أن تأويل الآيات على ما أولـوها به باطل لم يرد على ألسنة أهل التفسير من الصحابة والتابعين وتابعيهم فضلاً أن يأتي به خبر صحيح عمن أنزل عليه الكتاب وأمر ببلاغه وبيانه ﷺ .

وكتأويل بعــضهم آية النور : « **وصديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو اشتاتا** » باسقاط الحجاب بين إخوان الطريقة لعظيم صداقتهم ، وثبوت أخوتهم فهم ينظر بعضهم إلى نساء بعض إسقاطاً للحجاب بينهم ، حتى إنهم ليأكل بعضهم مع بعض نساءً ورجالاً مستدلين على جواز ذلك بما

تأولوا به الآية المذكورة وهو تأويل باطل يرده الكتاب والسنة والاجماع .

هذه صور ونماذج للبدع المكفرة والمفسقة وهناك بدع لا تكفر ولا تفسق . وذلك أولاً أنها من البدع الإضافية لا الحقيقية ، وثانياً أنها تتعلق بفروع الدين لا أصوله ، وثالثاً أنها لا تحرم حلالاً ، ولا تحلل حراماً . ومن أمثلتها : الذكر والدعاء جماعة بعد الصلوات الخمس فى المساجد ، والتثويب فى الأذان بزيادة الصلاة والسلام عليك يارسول الله فى أذان الفجر وكزيادة أذان أو أكثر لصلاة الجمعة . وكقراءة القرآن جماعة بصوت واحد وهو ما يعرف بالحزب فى بلاد المغرب الأدنى والأقصى .

وكالاجتماع على المدائح النبوية إن خلت ألفاظها من الشرك ، وكالمصافحة بعد صلاة الجماعة حيث يصافح الرجل من عن يمينه ، ومن عن شماله بعد السلام مباشرة إلى غير ذلك من البدع الإضافية التى سنذكر طرفاً منها للتنبيه عنها والتحذير منها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

هذا ولا ينبغى أن يفهم القارىء أو السامع أن كون البدعة غير مكفرة أو مفسقة أنه يجوز العمل بها ويثاب فاعلها عليها لا سيما إذا انضاف إليها حسن القصد وسلامة النية لا ، لا أبداً فإن كل بدعة ضلالة كيفما كان حالها حقيقية أو إضافية أو مكفرة أو مفسقة ، أو لا مكفرة ولا مفسقة ، إذ البدعة افتيات على الشارع ، ومضاهاة لما شرع . ولازمها أنها اتهام للشارع بالنقص والتقصير . وهذا ما يجعلها محرمة ممنوعة لا يجوز العمل بها ولا يجوز إقرارها والسكوت عنها .

وكون البدعة مطلقاً ضلالة لأن العمل بها يشغل عن العمل بالسنة ، وهذا هو وجه إطلاق الرسول ﷺ لفظ الضلالة عليها فى قوله : « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » .

ولما كان الضلال يتفاوت قرباً وبعداً كان بعض البدع كبيراً ، وبعضها صغيراً . وبعضها مكفراً ومفسقاً وبعضها لا يكفر فاعلها ولا يفسقه وهو البدع الصغيرة . وقد ذكر أهل العلم للبدعة الصغيرة شروطاً متى توفرت

فيها كانت صغيرة لا تكفر ولا تفسق من تلك الشروط .

١ - أن لا يداوم عليها فاعلها .

٢ - أن لا يدعو غيره إلى فعلها .

٣ - أن لايفعلها فى الأماكن التى هى مجتمعات للناس ولا فى المواضع التى تقام فيها السنن .

٤ - أن لا يحتقرها فاعلها ولا يستصغر شأنها . وبتأمل هذه الشروط يتبين كونها صغيرة غير كبيرة .

وجوب محاربة البدع

إن البدعة مهما صغرت يجب إنكارها والتحذير منها . كما يجب عدم العمل بها ، إن الرسول ﷺ لما أنكر البدعة وحذر منها لم يفرق بين أنواع البدع ، بل أطلق لفظ الضلال على كل بدعة ، فحرم لذلك العمل بالبدعة مطلقاً وتعين إنكارها ، وعدم العمل بها مهما صغرت . وكيف لا وقد ورد فى بعض روايات الحديث لفظ : « وكل ضلالة فى النار »، ومعناه أن العمل بالبدعة يؤدى بصاحبه إلى دخول النار . ومن هنا وجب التنديد بالبدعة وتعينت محاربتها ، والأحاديث التالية والآثار تقرر ذلك وتؤكده :

١ - روى البخارى أن النبى ﷺ رأى رجلا قائماً فى الشمس ، فقال ما هذا ؟ فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم فى الشمس ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال ﷺ مروه فليجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه .

ففى هذا الحديث صورة من صور محاربة البدعة ومقاومتها وعدم الرضى بها .

٢ - روى البخارى أيضا « أن ثلاثة رهط جاءوا إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها ، فقالوا :

أين نحن من النبى ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ قال أحدهم أما أنا فإنى أصلى الليل ابداً ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا اعتزل النساء فلا أتزوج ابداً . فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

٣ ـ موقف عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى من البدعة حتى إنه لا يرى الحياة شيئاً لولا أنه يحيى فيها سنة قد أميتت ، أو يميت فيها بدعة قد أحدثت فقد روى عنه أنه قال فى بعض خطبه : أيها الناس إنى والله لولا أن أنعش سنة قد أميتت وأن أميت بدعة قد أحييت لكرهت أن أعيش فيكم فواقاً (١) .

٤ ـ ماروى عن يحيى بن أبى يحيى رحمه الله تعالى أنه قال الذب عن السنة أفضل الجهاد .

فلننظر إلى قول هذا الإمام السلفى رحمه الله تعالى كيف جعل الدفاع عن السنة ، وذلك بحرب البدعة وإماتتها من أفضل أنواع الجهاد .

بهذه الأحاديث والآثار يتقرر أن محاربة البدع من الواجبات الدينية التى لا ينبغى إهمالها والتساهل فيها .

---

(١) الفواق : قدر ما بين الحلبتين من الوقت .

اســـباب الابتــداع

إن معرفة أسباب الابتداع تساعد على محاربة البدعة والتخلص منها ، أو على الأقل تساعد على تقليلها والحد من انتشارها بين المسلمين . وهذه بعض تلك الأسباب .

١ - الجهــل بالسنن النبوية فإن من جهل سنن الهدى ضل ، ومن ضل ابتـــدع

٢ - : ترك العمل بالسنة فإن من ترك العمل بالسنة شغل بالبدعة كما قال تعــالى : **« ومن يعش عن ذكر الرحمن نُقيض له شيطاناً فهو له قرين ، وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون »**

٣ - : الـرغبـة فى الـطاعـات وفى فعـل الخيرات فإن أكثر البدع الإضافية يحمل عليها الرغبة فى الطاعة والإكثار من الرغائب ، فإذا وجدت رغبة فى الصالحات ، ولم تكن لصاحبها بصيرة فى دين الله حملته تلك الرغبة على التزيد والابتداع فى الدين .

٤ - : الخوف من الله تعالى كما قيل الخوف سوط سائق ، والرجاء حادٍ قائـد (١) فشـدة الخوف تحمل صاحبها على الافراط فى الطاعة فعلاً للمحبوب وتركاً للمكروه فيحدث صاحبها بدعاً فعلية وأخرى تَركية كما مر آنفا مع أبى إسرائيل وكما قال الرهط الثلاثة الذين تقالوا عبادة رسول ﷺ فقد عزموا على الابتداع والرهبنة .

٥ - : الكيد للإسلام والمكر بالمسلمين فإن شر البدع كالتشيع لآل البيت . وكثير من الطرق الصوفية لم يحدثها أصحابها إلا لتحطيم الإسلام وضرب المسلمين .

٦ - طلب الحظوة لدى ذى السلطان فكم من بدعة أحدثت لطلب هذه الحـظوة . فقـد تؤولت آيات الكتاب لذلك ووضعت الأحاديث ،

(١) الحادى الذى يسوق الإبل ويتغنى لها .

وأبـدعت البـدع القبيحـة طلبـاً لرضى الحكـام حتى إن طالبى الحظوة ليحللون الحرام ويحرمون الحلال من أجل فوزهم بها لدى ذى السلطان الحاكم ، وما القول ببدعة خلق القرآن إلا مثالاً سيئا لذلك والعياذ بالله تعالى

٧ ـ طلب العلو والمحافظة على المنصب فكثيراً ما يجد الجاهل بالشرع نفسه شيخاً لطريقة أو إماما لجماعة فيحمله حب المنصب الذى وضع نفسه فيه بغير أهلية له على أن يبتدع الأوراد والأذكار والأدعية ، ويعطيها لمريديه وإخوان طريقته . فبهذه الأسباب وجدت بدع كثيرة قد لاتحصى ولا تعد كثرة ، وشرها ما يتعلق بالعقائد والعبادات .

٨ ـ وأخيراً اشتباه البـدعـة بالمصالح المرسلة وهذا سبب قوى فى إحداث البدع وانتشارها والعمل بها ، حيث اعتمد فى ذلك خبر ما رآه المسلمـون حسنـاً فهو حسن . وقول بعضهم : إن البدعة تجرى عليها الأحكـام الخمسـة ، ومعناه أن البدعة قد تكون واجبة أو مستحبة ، أو جائـزة ، أو مكـروهة أو حراماً ولذا وُجب التفريق بين البدعة والمصالح المرسلة كما وجبْ أن يبين ذلك للمسلمين ويعرفوا به حتى تزول الشبهة ويعرف الحق ، فيبطل الاحتجاج بالمصالح المرسلة على جواز البدعة فى الدين والابتداع فيـــــه .

المصالـــــح المرسلـــة

إن المصالح المرسلة ليست ابتداعاً فى الدين ولا تشريعاًزائداً عليه وإنما هى ثمرة قاعدة أصولية شرعية عرفها الفقهاء بقولهم : ﴿ ما لايتم الواجب إلا به فهو واجب ﴾ ومثاله الطهارة واجبة لكل من الصلاة والطواف وهى أن الطهارة لا تتم إلا بالماء الطهور ، وطلب الماء الطهور وإحضاره ليس واجباً فى حد ذاته ولكن لما توقفت الطهارة الواجبة عليه صار واجباً . هذا مثال ، وآخر الجهاد واجب وهو لا يتم إلا بالسلاح فطلب السلاح بصنعه

أو شرائـه ليس واجبا ولكن لما توقف الجهاد الواجب عليه صار واجبا ، ومثال آخر إقامة الدين واجبة ، لقول الله تعالى : « **أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه** » ، ولما كان أمر الدين لا يقوم إلا بإمام واجب الطاعة وجب نصب الإمام ووجبت طاعته لإقامة الدين فنصب الإمام لم يكن واجباً فى حد ذاته ، ولكن لما توقف أمر إقامة الدين الواجبة عليه وجب لوجوبها .

هذه القاعدة هى التى أثمرت مبدأ المصالح المرسلة والأخذ بها لحفظ الضروريات الخمس التى هى الجسم والعقل والدين والعرض والمال ، من جهـة ولـرفـع الحـرج والمشقة على الجسم من جهة أخرى ، هذا ولنبين المصلحـة المرسلة ولنشرحها بما يزيل الشبه بينها وبين ما يسمونه بالبدعة الحسنة فنقول : إنه لابد لوجود الحكم فى أى شىء من معنى مناسب يُربط به الحكم . وهذا المعنى المناسب لا يخلو من أن يشهد الشارع بقبوله ، وذلك كمشروعية القصاص حفظاً للنفوس والأطراف فهذا لا إشكال فى صحتـه واعتبـاره .

وإما أن يشهد الشارع برده وعدم اعتباره ، وذلك كمهر البغىّ وحُلوان الكاهن فإن المعنى المناسب الذى يرتبط به حكم إباحة الزنى ، والتكهن وهو المنفعه المادية قد ألغاه الشارع ولم يعتبره ، إذ حرم الزنى والتكهن فهذا لا إشكال فى رده وعدم قبوله واعتباره بحال . وإما أن تسكت عنه شواهد الشرع فلم تشهد له بالغاء ولا اعتبار فهذا الذى يكون ميداناً للمصالح المرسلة [١] .

والمصالح جمع مصلحة وهى بمعنى المنفعة والفائدة يصلح بها أو عليها أمر العباد . والمرسلة : المطلقة التى لم يقيدها الشارع باعتبار ، أو إلغاء ، أى لم يعتبرها ولم يلغها ، إذ سكتت عنها نصوصه فلم يوجد لها دليل فى الشرع غير أنه يشترط لها مُلاءمتها لتصرفات الشارع بحيث يوجد للمعنى المناسب فى المصلحة المرسلة جنسٌ اعتبره الشارع فى الجملة من غير دليل معين وهو (الاستدلال المرسـل) هذا وللمصلحة المرسلة أمثلة منهـا :

١ - راجـع الاعتصـام للشاطبـى .

أولاً : تضمـين الصنـاع ما ضاع عنـدهم من أمتعة الناس فإن هذا التضمين سكت عنه الشارع فلم تشهد له شواهده باعتبار ولا إلغاء بيد أن الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم قضوا بتضمين الصناع حتى قال على رضى الله عنه : لا يصلح الناس إلا ذاك . ووجه المصلحة فيه كما قال الشاطبى رحمه الله تعالى : إن الناس لهم حاجة إلى الصناع . وهم يغيبون عن الامتعة فى غالب الأحوال . والأغلب عليهم ترك الحفظ ، فلو لم يثبت تضمينهم مع مسيس الحاجة إلى استعمالهم لأفضى ذلك إلى أحد أمرين إما ترك الاستصناع بالكلية وذلك شاق على الناس وإما أن يعملوا ولا يضمنون ذلك بدعواهم الهلاك والضياع فتضيع الأموال ، ويقل الاحتراز ، وتتطرق الخيانة ، فكانت المصلحة فى التضمين ، وهو معنى قول على رضى الله عنه : لايصلح الناس إلا ذاك .

ووجه الاستدلال بهذه القضية ان تضمين الصناع لم يره الشرع بإثباته وإيجابه ، ولا بإلغائه وعدم إعتباره ولما كان تضمين الصناع يحقق مصلحة عامة تزيد على مصلحتهم الخاصة أثبته الخلفاء ، وهذا التضمين ملائم لتصرفات الشارع فى تقديمه المصلحة العامة على الخاصة ، فقد نهى النبى ﷺ أن يبيع حاضر لبادٍ كما نهى عن تلقى الركبان ، وذلك كله من أجل ترجيح المصلحة العامة على المصلحة الفردية الخاصـــة .

ثانيا : جمع المصحف الشريف وكتابته بعد ما كان مفرقاً غير مكتوب فى كتاب واحد فقد جُمع وكتب على عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وأجمع الصحابة على ذلك فجمعه وكتابته فى كتاب واحد بعدما كان مفرقا سوراً وأحزاباً عند الصحابة من المصالح المرسلة ، إذ الشارع لم يأمر بجمعه وكتـابه ولا بعدم ذلك ، واقتضت مصلحة الأمة والدين كتابته وجمعه فى كتاب واحد ، فكتب وجمع ، وكان ذلك ملائمًا لتصرفات الشارع فى الأمر بكتابة الديون حتى لا تضيع بإنكار أو نسيان ، فالمحافظة على كتاب الله

وهو مصدر كمال الأمة وسعادتها أولى بالجمع والكتابة حتى لايضيع بموت أو نسيان الحافظين من أفراد أمة الاسلام .

ثالثاً : ضرب المتهم عند من يرى ذلك من الفقهاء كمالك ومن وافقه من الأئمة رحمهم الله أجمعـــين .

رابعـاً : توظيف الإمـام على الأغنياء أى سن ضرائب مالية يدفعونها لحاجة بيت المال لذلك فيما إذا فرغ بيت المال وعجز عن سد حاجة الجهاد والدفاع عن الأمة وبلادها .

خامساً : العقوبة بالمال فيما لا حد فيه ولا نص عن الشارع فى تغريمه .

سادساً : أخذ الكفاية من المال الحرام إذا لم يوجد الحلال بالمرة .

سابعاً : قتل الجمـــاعة بالواحد ؟

ثامناً : بيعة الإمام القاصر عن رتبة الاجتهاد والفتوى فى علوم الشرع إذا خلا الزمان ممن تتوفر فيه هذه الصفة ، وكذا الحال أيضاً فى تولية القضاء حيث يقـدم الأمثل فالأمثل ، ولا تترك الأمة فوضى فيكثر الشر وينتشر الفســاد فى البلاد . فهذه الأمثلة كلها ذكرها الشاطبى بتفصيل ونضيف إليها مثلها وهى :

١ ـ اتخاذ المحاريب فى المساجد إذ لم يرد عن الشارع شاهـد باعتبارها أو إلغائها . فنظر السلف إلى أن ترك المسجد بلا علامة تدل على القبلة فيه يسبب حرجا للمصلين بحيث كلما دخل المسجد غريب يريد الصلاة سأل عن القبلة فرأوا أن المصلحة تقتضى وجود علامة فى المسجد تدل على القبلة فاتخذوا طاقاً فى جدار المسجد القبلى وسموه محراباً والملائم فى هذه المصلحة هو أن الشارع ورد بدفع المشقة ورفع الحرج .

٢ ـ بناء المنارات والمآذن العالية فى المسجد لتدل على المسجد وتسمع صوت المؤذن من مسافات بعيدة .

٣ ـ رفع المنابر وإعلاؤها بكثرة درجها بحسب حاجة الناس إلى سماع صوت الخطيب إذا خطب .

٤ ـ اتخاذ مكبرات الصوت العادية والآلية للخطباء والمدرسين والوعاظ المرشدين لمصلحة إسماع الناس ما هم فى حاجة إليه .

٥ ـ تدوين العلوم ووضع أصولها وقواعدها كعلم الحديث وأصوله ، والفقه وأصوله ، والنحو والصرف واللغة وما إلى ذلك من العلوم والمعـارف .

٦ ـ اتخاذ الارحية الآلية لطحن الحب ، والمناخل لإزاله النخالة منه ، وأكله صافياً بعدما كان يؤكل بنخالته .

٧ ـ ركوب القطارات والسيارات والطائرات والسفن .

٨ ـ اتخاذ المطابع الآلية لطباعة الكتب ونشرها بسرعة وبكميات كافية .

فهذه كلها وغيرها كثير من المصالح المرسلة التى لم تشهدها شواهد الشرع « أى الكتاب والسنة والاجماع » بإلغاء أو اعتبار أى (بإيجاب أو منع) وهى ملائمة لتصرفات الشارع فى تقريره تقديم المنافع العامة على الخاصة ، ودفع الضرر بأخف الضررين ، وسد الذرائع ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وليس هى من باب الابتداع فى الدين فى شىء ، وإن احتج بها أصحاب البدع على إثبات بدعهم وترويجها بين المسلمين . ومع الأسف فقد وقع فى هذا الخطأ كثير من المسلمين فحسبوا أن البدعة كالمصلحة المرسلة ، وسبب وقوعهم فى هذا الخطأ هو جهلهم بمعنى البدعة والسنة وعدم التفرقة بينهما . ولذا تعين أن نكرر القول فى بيان كل من البدعة والسنة اعذارا وإنذاراً أو تذكيراً وتعليماً فنقول : إن السنة ما شرعه رسول الله ﷺ بإذن ربه عز وجل من اعتقاد أو قول أو عمل بقوله ﷺ أو فعله أو تقرير لتزكية النفوس وتطهيرها وتهذيب الأخلاق وإصلاحها ليكمل الإنسان ويسعد فى روحه وبدنه دنيا وأخرى ، وذلك لما تحمله السنة وهى من الوحى الإلهى من قوة التأثير على النفس فى إصلاحها وتزكيتها .

أما البدعة فهى تشريع لم يأذن الله تعالى فيه : إذ هو من وضع الإنسان (غير النبي) واختراعه ضاهى به الشرع ، وقصد به التعبد والتقرب إلى الله تعالى للحصول على رضاه عز وجل وحسن مثوبته تعالى ، وهو لا يحقق شيئاً من ذلك لعدم صلاحيته وذلك لخلوه من مادة التزكية للنفس التى لاتوجد فى العبادة إلا إذا شرعها الله تعالى أو أذن بشرعها وسواء ما كان منها اعتقاداً أو قولاً أو عملاً ، ويشهد لهذا قوله ﷺ فى الصحيح : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »، ومعنى رد : مردود على صاحبه : لا يقبل منه ولا يثاب عليه لخلوه من قوة التأثير على النفس بالتزكية والتطهير تلك القوة التى لاتوجد فى العبادة إلا إذا كانت مما شرع الله تعالى لعباده .

ويقرر هذه الحقيقة ويؤكدها ما هو معلوم بالضرورة بين المسلمين من أن العبادة توصف بالصحة إذا استوفت شروطها ومقوماتها من أركان وواجبات وسنن وآداب وتوصف بالبطلان إذا لم تستوفها ، ومعنى صحتها : أنها تقبل ويثاب عليها فاعلها ، وذلك لما تحدثه فى النفس من التزكية والتطهير . ومعنى فسادها أنه لاختلالها لم تثمر المطلوب منها من التزكية للنفس والتطهير لها . فلذا هى لاتقبل ولا يثاب عليها فاعلها . وأمر آخر يجب إدراكه وتفهمه وهو أن العبادة سواء ثبتت بالكتاب أو السنة لا تثمر المطلوب منها من الحسنات إلا إذا أديت أداء صحيحاً يوافق أداء الرسول ﷺ لها وذلك بمراعات أربع حيثيات وهى الكمية والكيفية والزمان والمكان فمتى اختلت واحدة وصفت العبادة بالبطلان ولنضرب لذلك مثلا . الصلاة فإنها لو زيد فى عدد ركعاتها أو نقص منها من غير سهو أو نسيان بطلت ، وذلك لاختلال كميتها المقدرة لها ، كما أنها لو اختلت هيئة أدائها بأن قُدم فيها السجود على الركوع ، أو قراءة الفاتحة على تكبيرة الإحرام لبطلت كذلك ما لم يكن فى ذلك سهو ، كما ولو أنها أديت فى غير وقتها المعين لها ، أو فى غير المكان اللائق بها لبطلت كذلك .

وهذا رمضان لو قدم صومه أو أخر عن شهره المعين له بقول الله تعالى شهر رمضان . لما صح الصوم بحال . ومثله الحج لو وقف الحجاج بغير المكان المحدد له وهو عرفات ، وغير الزمان المعين للوقوف فيه وهو تاسع شهر الحجة لما صح أبداً ولو طاف الناس بغير الكعبة أو بين غير الصفا والمروة لما كفاهم ذلك ولما صح منهم أبـــداً .

وبهذا يتبين أن الفرق بين السنة والبدعة يتمثل فيما يلى : السنة : شرع الله تعـالى الوارد على لسان رسوله محمد ﷺ . والبدعة : شرع الإنسان بتـزيين الشيطان . السنـة عبادة يراعى فى أدائها أن تكون موافقة لأداء رسول الله ﷺ لها من أجل أن تثمر الحسنات لتزكية النفس وتطهيرها . والبدعة : افتراء على الله ورسوله وافتيات فى الدين فلذا هى لا يعتمد فى أدائها كى تثمر الحسنات على كمية ولا كيفية ولا زمان ولا مكان . ونتاجها دائـمًا ظلمـة السيئـات ، وتلويث النفس وتخبيثهـا . ولهـذا كانت السنة هدى ، والبدعة ضـــلالـــة .

صـــور من البدع كبيرها وصغيرها

ويحسن هنـا ذكـر طائفـة من البدع تعليما بها ، وتحذيراً منها رجاء أن يتجنبها المسلم ويبتعد عنها .

(أ) البدع الواردة فى المعتقدات

١ ـ نفى القدر وإنكار علم الله تعالى بالجزئيات الكونية .

٢ ـ تأويل صفات الله تعالى وتعطيلها بإنكار معناها وعدم وصف الرحمن عز وجل بها وصفاً يليق بذاته جل وعلا .

٣ ـ إنكار عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين لصاحبه .

٤ ـ تكفير أصحاب رسول الله ﷺ والطعن فيهم وانتقاص بعضهم وذمهم .

٥ ـ اعتقاد أن الأولياء يعلمون الغيب ، وإن منهم من يفضل الأنبياء .

٦ ـ اعتقـاد وجـود ديوان للصـالحين يجتمعون فيه لتقرير أحداث العالم ومجريات الحياة . بالإعطاء والمنع والتولية والعزل . وإلى غير ذلك من التصرف فى الكون .

٧ ـ اعتقـــاد أن أرواح الأولياء تتصرف بعـد موتهم بعض التصرف بأن تقضى حاجة من زارهم فى قبورهم مستشفعاً متوسلاً بهم .

٨ ـ النذر للأولياء والذبح على أرواحهم عند أضرحتهم وقبورهم .

٩ ـ دعاء الأولياء والاستغاثة بهم ، والعكوف على قبورهم ونقل المرضى إليهم طلباً للشفاء لهم منهم وبواسطتهم .

فهذه تسع بدع فى الاعتقاد كلها مكفرة ومفسقة لصاحبها ، تجب التوبة الفورية منها ، ومن أصر عليها أو على واحدٍ منها ومات على ذلك فقد مات على الكفر والفسق والعياذ بالله تعالى .

١٠ ـ إقامة الموالد مطلقاً .

(ب) البدع الواردة فى العبادات :

« فى الطهـــــارة » .

١ ـ إنكار المسح على الخفين وهى بدعة مفسقة .

٢ ـ الاكتفاء بمسح الرجلين دون غسلهما مع عدم وجود خف أو أى ساتر لهما هذه بدعة مفسقة .

٣ ـ مسح الرقبة فى الوضوء .

٤ ـ الاسراف فى الماء .

٥ ـ الدعاء مع غسل كل عضو من أعضاء الوضوء .

٦ ـ استقبال القبلة بالوضوء وتحرى ذلك وقصده .

« فى الصلاة »

١ ـ عدم رفع اليدين حذو المنكبين عند تكبيرة الاحرام .

٢ ـ عدم الطمأنينة فى الركوع والسجود والقيام (بدعة مفسقة) .

٣ ـ الجهر بتكبير الانتقال والتسميع والتحميد لغير الإمام .

٤ ـ المصافحة بعد السلام من الصلاة .

٥ ـ الذكر والدعاء جماعة جهراً بعد الصلاة .

« فى الجنائز »

١ ـ وضع الميت على الأرض واستشهاد الناس عليه بقول أحدهم ماذا تشهدون على أخيكم ؟

٢ ـ رفع الأصوات بلا إله إلا الله محمد رسول الله عند حمل الجنازة وكذا كلمة « وحدوه » .

٣ ـ قراءة البردة أو الهمزية أمام الجنازة .

٤ ـ قراءة القرآن جماعة على الميت فى المقبرة .

٥ ـ قراءة القرآن فى منزل الميت واطعام الطعام وما يسمى بعشاء القبر ليلة الموت أو فى ثالث ليلة أو سابع ليلة أو ليلة الأربعين.

٦ ـ البناء على القبور ووضع صورة الميت عليه ، أو وضع الزهور فوقه (هذه بدعة مفسقة) .
٧ ـ سكتة حداد على أرواح الشهداء (هذه بدعة مفسقة) .
٨ ـ زيارة النساء للقبور وتجمعهن هنالك للبكاء والضحك والغيبة وعرض الزينة وحتى البيع والشراء (هذه بدعة مفسقة) .

(ج) البدع الوارده فى المعاملات :

« فى الحكم »

١ ـ وضع قانون للزجر فيما وضع له الشارع حداً من حدوده كحد القذف والزنى والسرقة ، وشرب الخمر والقتل (هذه بدعة مكفرة أو مفسقة) .
٢ ـ ترك جباية الزكاة ممن وجبت عليهم فى أموالهم من المسلمين (هذه بدعه مكفرة أو مفسقة) .
٣ ـ إدناء الفساق وإسناد مهام الدولة إليهم ، وإبعاد أهل العدل والصلاح وإقصاؤهم عن شؤون الحكم « هذه بدعة مفسقة » .
٤ ـ تقضية المرأة وإسناد وظيفة إليها من شأنها أن تجعلها تختلط بالأجانب وتخلو بهم « هذه بدعة مفسقة » .
٥ ـ ضرب الضرائب الفادحة على المسلمين من غير ضرورة قصوى توجب ذلك « هذه بدعة مفسقة » .
٦ ـ مشاركة الدولة فى تركة الميت بأخذ نسبة معينة مع وجود ورثة من ذوى الفروض والعصبة « بدعة مفسقة » .

« فى التجارة »

١ بيع المحرمات كالصور والتماثيل والمسكرات والمخدرات وملابس الخلاعة والشعور الصناعية « لبروك » (هذه بدعة مفسقه) .

٢ - بيع السلعة قبل تملكها بشراء ونحوه « بدعة مفسقة »
٣ - بيع العينة [١] « بدعة مفسقة »
٤ - بيع أوانى الفضة والذهب فى بلاد المسلمين للمسلمين

« فى المطاعم والمشارب والملابس »

١ - الأكل والشرب بالشمال .
٢ - الاتكاء فى الأكـــل .
٣ - تلوين الطعام والشراب والإكثار منه ومن وجباته .
٤ - أكل الرجال والنساء فى الشوارع والأسواق وهم يمشون .
٥ - الاختـلاط فى الأكـل والشرب نسـاء ورجالاً وليسوا بمحارم لبعضهم بعضـــاً .

« فى الملابـــس »

١ - لبس القبعـة « البرنيطه » الخاصة بالكافرين هذه بدعة مفسمة إذا صاحبها الرغبة فى التشبه بالكفار ، والعياذ بالله تعالى .
٢ - لبس الرجال خواتم الذهب ، واتخاذ بعضهم سلسلة من ذهب فى عنقه تشبها بالمخنثين من اليهود والنصارى (هذه بدعة مفسقة) .
٣ - لبس المرأة الرقيق من الثياب الذى يصف أو يشف عن بشرتها لناظرها من غير محارمهـــا .
٤ - كشف المـرأة غير القاعد عن وجهها ومشيها فى الشوارع والطرقات والأسواق بين الرجال الأجانب (هذه بدعة مفسقة) .

---

(١) هو بيع السلعة دينا إلى أجل ثم شراؤها نقداً ممن باعها بأقل من ثمنها الذى باعها به .

٥ ـ لبس الرجال أو المرأة ما يختص به الكفار أو الفساق والفجار « بدعة مفسقة » .

هذه بعض البدع التى حضرتنى وأنا أعد هذه الكلمة عن البدعة وآثارها ، وغيرها كثير ، وفى مجالات أخرى غير ما ذكرت .

وألاحظ هنا أن بعضها مما ورد النص بالنهى عنه ، وذكرته مع البدع الحقيقية والإضافية وإن لم يكن بدعة حقيقية تنطبق عليه شروط البدعة ، لأنه لم يكن موجوداً أو شائعاً منتشراً فى صدر الأمة الصالح فأشبه المحدثات من البـدعـة المحـرمة والمردودة ، التى يجب التحذير منها بعد إنكارها ، والبعد عنهـا .

إذ المقصود من كتابة هذه الكلمة هو التعليم والتحذير والسؤال الآن : هو كيف الخـلاص من هذه البدع ، والمنكرات ، وما طريق النجاة من آثارها السيئة التى قعدت بالفرد والأمة عن الكمال والإسعاد حتى أصبح أكثر المسلمين يعيشون بغير هداية ، وكأنهم محرومون من التشريع الإلهى بالمرة ، والكتاب والسنة بين أيديهم ، حتى لقد صدق عليهم قول الشاعـــر :

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما   والماء فوق ظهورها محمول

طريق الخلاص من البــدع

إن الطريق الوحيد للخلاص من البدع وآثارها السيئة هو الاعتصام بالكتـاب والسنـة اعتقـاداً وعلمًا وعمـلاً غير أن دون ذلـك من الحوائل المـانعـة ، والصعوبات المعترضة ما يجعل الاعتصام بالكتاب والسنة غير سهل ولا ميسور . ولطالما دعا العلماء إلى ذلك ، وصاح الوعاظ والمرشدون فى أمـة الإسـلام يطالبونها بالاعتصام بالكتاب والسنة لتخرج من محنتها وتنجو من هلكتها وفتنتها ، والأمة لاصقة فى أوحال المادة وأوضارها ثقيلة السمـع ، ضعيفة الرؤية قليلة التفكير ، بطيئة الحركة مثقلة بأوزارها ، مكبلة بعـاداتهـا ، مرهونة بذنوبها ، فأنى لها أن تنطلق وتفكر ، وتعتقد وتعلم فتخلص من وهدتها وتنجو من ورطتها ، ومما حل بهـــا ؟

وإن كان هناك سبيل لخلاصها فهو فى الاخذ بالخطة التالية لا غير .

والخطة هى : عبارة عن صدق فى الرغبة فى الخلاص والعزم على تحقيق ذلك ، أو بأى جهد كان ، أو ثمن كلف ثم الشروع فى العمل أن يجتمع أهل كل قرية أو حى فى مسجدهم الجامع الكبير الذى يتسع لكل أفرادهم رجالاً ونساء بعد صلاة المغرب من كل يوم وعلى طوال العام لايتخلف منهم احد إلا ذو عذر شرعى مقبول ، وذلك لتلقى العلم والمعرفة من الكتاب والسنـة والتطبيق العملى الصادق لكل ما يتعلمونه ويعرفونه من العقائد والعبادات والآداب والأخلاق .

هذا هو الطريق الوحيد الذى يمكن للمسلمين بواسطته أن يعتصموا بالكتاب والسنة . فينجوا من هلكتهم ويكملوا ويسعدوا فى الدنيا والآخرة .

اللهـــم حقق لهم ذلك وأعنهم عليـه

وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين

حـــرمة الابتـــداع فى الديـــن



الرسالة الرابعة عشـــر
اللقطات فيما ظهر للساعة من علامات



بســــم الله الرحمن الرحيـــم

بين يدى الرسالتين :

إن الحمـد لله ، والاستعانة به ، والرهبة منه ، والرغبة إليه . أرسل رسـوله محمداً بالهدى ودين الحق وذلك بين يدى الساعة علّمه من علم الغيب ماأثبت به نبـوّتـه . وقرر به رسالته . فقامت له بذلك الحجّة ، وظهـرت به للنـاس المحجـة ، فمن سلكها اهتدى ، ومن تنكبها ضلّ وغوى ، والمهتَدِى لايضره من ضلّ ، والضال لاينفعه من اهتدى .

وبعـد : فإن ماحـدث من عجـائب الصنـائع والمخترعات فى القرن المنصرم الرابع عشر قد أحدث فى نفوس كثير من المؤمنين تساؤلات شتًّى : هل كان رسول الله يعلم بهذه المخترعات العجيبة ؟ وهل أخبر أصحابه بشىء منها ؟ وهل الأصحاب رضى الله عنهم حدثوا بها أخبرهم بهِ نبيُّهم ﷺ ؟ وكيف كان فَهْمُهمْ أو تصورهم لذلك ، وهو بالنسبة إليهم وإلى أهل زمانهم من مدركات ماوراء العقل ؟

وقد صح عن غير واحد منهم رضى الله عنهم أن النبى ﷺ اخبر فى عدة مجالس وفى مناسبات شتى بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فقد روى مسلم وكذا الإمام أحمد عن أبى زيد الأنصارى رضى الله عنه أنه قال « صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت صلاة الظهر ، ثم نزل فصلى الظهر ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت صلاة العصر ، ثم نزل فصلى العصر ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا » .

كما روى البخارى رحمه الله تعالى وغير واحد من أصحاب السنن والمسانيد عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أنه قال : « خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ماترك فيها شيئا إلى قيام الساعة إلا ذكره ، علمه من علمه وجهله من جهله إن كنت لأرى الشىء قد نسيته فأراه فأذكرهُ كما يذكُر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه » .

وكما روى أيضا أحمد فى المسند عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فأخبرنا بما يكون فى أمته إلى يوم القيامة ، وعاه من وعاه ونسيه من نسيه . حتى قال أبو ذر رضى الله عنه فى رواية أحمد رحمه الله « لقد تركنا رسول الله ﷺ ومايحرك طائر جناحيه فى السماء إلا ذكر لنا منه علمًا » .

هذا وما أخبر به الرسول ﷺ أصحابه من تلك الغيوب هو كائن لامحالة ، وهو فى جملته أشراط للساعة ، وعلامات على قرب مجيئها .

وهو نوعان : أخبارُ فتن ، وهذا النوع قد عُنى به رجالات السلف حفظا وإتقاناً ، وكتابة وتدويناً ، طلباً للوقاية من شر تلك الفتن الواقعة لا محالـة .

ونوعُ أخبار عجائب تحدث فى الكون قبل قيام الساعة . وتكون آيات لها ، ودلائل على قرب مجيئها ، وهذا النوع هو الذى كان يتلقاه الرواة له

من سلف الأمة بمجرد الإيمان به ، والتسليم للرسول ﷺ فيما يخبر به ، لأنه كما قدمنا أشبه بما هو من وراء العقـــل .

وكأنهم كانوا يقولون إزاءه : مثل هذا يُترك لزمانه الذى يظهر فيه ، ومن ثَمَّ فقط يعلم تأويله على حقيقته . ومن ذلك هذه العجائب من مخترعات التقنية الحـديثة التى أدهشت العقول ، وحيرت فهوم (١) الناس وأعيت أذهانهم ، إذ جُلها لو حُدث به أكثر الناس من عرب وعجم قبل وقوعه لأنكروه وكذبوا به ، وعَدُّوا وجودَه ضرباً من المحال الذى لايمكن أن يقع مثله فى هذا الوجود .

وإن كان المؤمنون يؤمنون بنظائره فى الدار الآخرة ، وذلك كالطيران فى الجنة ، ورؤية البعيد ، وسماع قولـه على بعد وبلا وساطة ، وكالاستنارة بلا نار ولا ضوء شمس ولا نور قمر أو كوكب ، وما إلى ذلك مما جاء فى الكتاب والسنة ذكره وبيانه من نعيم الجنة وعجيب ما فيها .

وهذا النوع الأخير هو الذى أردنا استعراض بعض الآثار الواردة فيه ، وذلك لغرضين :

الاول : التدليل به على صدق النبوّة المحمدية التى تردد غير المسلمين فى صحتها بل وكذبوا بها وأنكروها سفهاً وجهلاً فضلوا وشقـــوا .

والثانى : بيان أن النبى ﷺ قد حدث بها فعلاً وأخبر أصحابه بوقوعها ولكن بعبارات وإشارات بعضها قريبُ جداً من صورة المخبر به ، وبعضها بعيد شيئاً مًّا ، ولكنه ينطبق على المخبر به كما هو ، غير أن الفهم الحقيقى لما أخبر به ﷺ من تلك المخترعات العجيبة لا يُفهَمُ على حقيقته إلا عند ظهوره فى وقته المحدد له . وعلى سبيل المثال إخباره ﷺ فى حديث أحمد عن السيارات فى الوقت الذى لم تكن فى العالم سيارة قط ، ولم يكن للناس من المراكب البريّة سوى الخيل والبغال والحمير أو العربة يجرها حصان أو بغل أو حمار . فى ذلك الوقت يقول ﷺ : سيكون من أمتى رجال يركبون

(١) الفهوم جمع فهم وهو إدراك الشىء وتصوره .

على السروج كأشباه الرحال ينزلون بها على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت [١] العجاف ، إلعنوهن فإنهن ملعونات .

فقوله ﷺ يركبون على السروج كأشباه الرحال ينزلون بها على أبواب المساجد . كان عند الإخبار به إشارة إلى مركوب سيحدث فعلا فى آخر الزمان . غير أن تصوره فضلا عن إدراكه كان من الصعوبة بمكان . فآمن من سمعه ، ولم يهتم به لعدم الفائدة من البحث عن حقيقته ، فترك للزمان يكشف عن كنهه ، ويظهر حقيقته ، ومضت القرون فظهرت السيارة مقاعدها تشبه سروج الخيل حقاً ، وهيكل بنائها يشبه رحال الإبل وهى الهوادج توضع على ظهور الإبل يركب عليها النساء لأنها ساترة ومريحة . وزاد الأمر وضوحا قوله ﷺ ينزلون بها على أبواب المساجد ، وذلك لنظافتها وعدم تلوث ساحات المساجد بها بخلاف البهائم فإنها تروث وتبول ، فلم يكونوا يدنونها من المساجد ، وإنما يربطونها بالاصطبلات بعيداً عن ساحات المساجد وأبوابها .

ففى هذا الحديث إخبار بمركوب لم يكن فكان ، وإنه وإن كان داخلاً فى قول الله تعالى : ﴿ **ويخلق ما لا تعلمون** ﴾ بعد قوله عز وجل : ﴿ **والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة** ﴾ فإن الحديث قد صور هذا المركوب المجهول لنا بصورة انطبقت تماما على السيارات ، فكان ذلك عَلَمًا من أعلام النبوة المحمدية وشرطا من **أشراط الساعة** .

هذا وسنستعرض ما يمكننا من المخترعات الحديثة ، فنذكر كل مخترع على حِدَةٍ ونذكر دليله من الحديث النبوى الشريف مبينين وجه الاستدلال به على المخترع المعروف أمامنا من كثير من المخترعات الحديثة التى بهرت عقول الناس . وهذا أوان ذكر ذلك فبسم الله نقول :

---

(١) البخت نوع من أنواع الإبل .

المذياع (الراديـــو) :

إن المذياع وهو آلة إذاعة الأخبار والأحاديث وبثها ونشرها فى الآفاق البعيدة وهو بلغة الفرنجة (الراديو) يعتبر من مخترعات العصر الحاضر إذ لم يتجاوز عمره الآن الثمانية العقود أى ثمانين سنة . وهو عند التأمل أعجوبة من الأعاجيب إذ ما كان يعقل عند كل البشر أن المرء يتكلم أو يتحدث فى مكان ما وينتقل صوته المحدود إلى بلاد بعيدة كل البعد ، وديار مختلفة كل الاختلاف ، وإلى أماكن خفيّة كل الخفـــــاء .

فالمذيع يذيع من عاصمة الانكليز (لندن) من محطة معيّنة فيذيع صوته وينتشر حتى يبلغ شمال أفريقيا وغربها وشرقها ووسط آسيا وغربها وشرق أوروبا وغربها على حد سواء ويدخل الصوت كل بيت ويُسمع فى كل حجرة مهما خفيت وضاقت أو اتسعت ، متى وجدت آلة التقاط الصوت وهى . المذياع (الراديو) إن هذا لحق معجب ومدهش وما كان الحديث عنه يستساغ أو يقبل بحال . ولو أخبر به إنسان غير الرسول صلى الله عليه وسلم الواجب تصديقه لما وجد من يصدقه فى دنيا الناس ابداً .

والسؤال الآن هو : هَل أخبر الرسول ﷺ بما يدل على هذه الآلة وأنها ستوجد فى آخر الزمان ، وقد عَلِمْنا أنه ﷺ قد حدث أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة ؟ .

والجـواب : نعم أشـار إلى ذلـك إشارة واضحة فى رواية الدارمى التالية . وبالتأمل يرى القارىء أنها إشارة أفصح من عبارة فى دلالتها على آلة المذياع العجيبة . أخرج الدارمى فى مسنده وأبو نعيم فى حليته عن أبى الزاهرية يرفعه أن النبىّ ﷺ قال : إن الله تعالى قال : « أبث العلم فى آخر الزمان حتى يعلمه الرجل و المرأة والعبد والحر والصغير والكبير فإذا فعلت ذلك أخذتهم بحقى عليهم » . ووجه الاستدلال بهذا الحديث على المذياع

فى قوله تعالى : أبث العلم فى آخر الزمان حتى يعلمه الرجل والمرأة الخ . .
فإن بَثَّ العلم الذى هو نشره حتى يعم من ذكر يحتاج إلى آلة وكون الآلة علماء يعلمون الناس لايصح من وجهين الأول : أن العلماء لايمكنهم ذلك ، إذ نشر العلم بالصورة التى ذكرت فى الخبر لايتأتى للعلماء بحال إلا إذا جمع لهم كل الناس من رجال ونساء وأحرار وعبيد وصغار وكبار ، وهذا متعذر فى العادة فكيف يكون مراداً فى الحديث ؟ والثانى : أن الله تعالى قال فإذا فعلت ذلك بهم أخذتهم بحقى عليهم . ولازم هذا أنهم لم يعملوا بالعلم الذى علموه ، وهذا دليل على أنهم لم يتلقوه من افواه العلماء مشافهة ولذا لم يتأثروا به فلم يعملوا فاستوجبوا العذاب فأخذوا به .
وحينئذ لم يبق من واسطة لبث العلم ونشره بالصورة المذكورة مع عدم العمل به حتى يؤاخذ الناس به إلا أن يكون آلة المذياع إذ هى التى دخلت على الناس بيوتهم وغشيت مجالسهم وصاحبتهم فى حلهم وترحالهم وإقامتهم وأسفارهم . وبواسطتها عمت الثقافة اليوم البوادى والحواضر ، فنسمع القرآن مرتلا مجوداً والسنة موضحة مفسرة والشريعة مفصلة مبيَّنة ، وذلك بواسطة الأحاديث الإذاعية المختلفة المتنوعة . والتى تبث طوال السنة من آلاف المحطات فى العالم حتى لم يبق من لم يعرف عن الله تعالى ورسوله ودينه . وبهذا أصبح من غير المشكوك فيه أن النبى ﷺ قد أخبر باختراع آلة الراديو ووقع ماأخبر به كما هو . وبهذا تأكد لكل ذى عقل سليم أن محمداً رسول الله صدقاً وحقا ، وأن النجاة كل النجاة فى الإيمان به واتباع ماجاء به من الدين الحق ، وأن الخسران فى الكفر به وعدم متابعته على ما جاء به من الدين الحق ، وهو الإسـلام .

٢ ـ المراكب الحديثة

إن السكك الحديدية والسيارات والطائرات مراكب حديثة لم تكن عرفت قبل مائتى سنة من عمر الدنيا الطويل ، وهى حقاً من ثمرات التقنية العصرية ، ولم يكن منها على عهد رسول الله ﷺ شىء يذكر فى دنيا الناس قط إذ لم يزد عمر هذه المراكب الحديثة على قرن ونصف من الزمن . ومع هذا فقد وردت الإشارة إلى جودها مستقبلاً فى كل من الكتاب والسنة قال تعالى من سورة النحل : ﴿ **والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون** ﴾ فقد يدخل فى قوله ويخلق ما لا تعلمون سائر المراكب الحديثة ما وجد منها ، وما قد يوجد غداً إن طالت بالناس الحياة . بل القرآن دل على نوع خاص من الطائرات وهو مايعرف بحاملات القذائف من النفاثات الحربية ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول** ﴾ ففى هذه الآية من سورة الفيل تصوير رائع للطائرات النفاثة من حاملات القذائف وهى تقذف بها على تجمعات الجيوش المعادية فتحيلها إلى شبه زرع رعته الماشية فحطمته تحطيمًا . وقال رسول الله ﷺ فى رواية أحمد : « سيكون فى آخر أمتى رجال يركبون على السروج كأشباه الرحال ينزلون بها على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف العنوهن فإنهن ملعونات » .

فهذا الحديث الصحيح قطعى الدلالة على وجود السيارات فى آخر الزمان ، وذلك أن مقاعد السيارات كسروج الخيل بلا فرق بينها ، وأن هياكل السيارات شبيهة بالهوادج التى توضع على ظهور الجمال ليركبها النساء فتسترهن وتقيهن الحر والبرد وهى المعبر عنها فى الحديث بالرحال جمع رحل وهو ما يحمل على البعيـــــر .

وقال ﷺ فى رواية أحمد وغيره : « لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ، ويكثر الكذب وتقارب الأسواق ويتقارب الزمان وتطوى الأرض » الحديث . فتقارب الزمان وطىّ الأرض لم يكن لهما وجه صحيح يفسران به إلا وجود مركوب سريع ـ وهو الطائرات ـ يصل به المرء من البلاد البعيدة فى أقرب وقت ، إن ما كان يقطعه المسافر من مسافة فى شهر يقطعه اليوم بالطائرة فى ساعة ، وما كان يقطعه فى نصف سنة يقطعه اليوم بالطائرة فى خمس ساعات ، وما كان يقطعه فى سنة يقطعه الآن بالطائرة فى يوم فقط فكأن الزمان قد تقاربت أجزاؤه ، والأرض قد طويت فى بعضها . وهذا مدلول الحديث النبوى الشريف فكان آية صدقه ﷺ . وكان شرطا من أشراط الساعة قد وجد .

وقال ﷺ فى رواية مسلم . وهو يصف الدجال « قلنا يا رسول الله وما إسراعه فى الأرض ؟ قال : كالسحاب استدبرته الريح » . فالسرعة التى تمكن الأعور الدجال من الطواف بمدن العالم وقراه مدة لا تزيد على سنة ونصف كما ورد بذلك الحديث لاتكون إلا على مثل هذه الطائرات ، لاسيما وأن وصف الرسول ﷺ له بأنه كالسحاب استدبرته الريح ينطبق تماما على سرعة الطائرات وكيفيّة طيرانها فى الهواء فهذا الخبر الصحيح دال على وجود الطائرات ولم تكن فهو كذلك علم من أعلام النبوة المحمدية . وشرط من أشراط الساعة .

وقال عليه الصلاة والسلام فى رواية الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه : « لاتقوم الساعة حتى لاتنطح ذات قرن جماء (١) ، وحتى يبعث الغلام الشيخ (٢) بريداً بين الأفقين ، وحتى يبلغ التاجر بين الأفقين فلا يجد ربحاً » . ففى هذا الحديث زيادة على دلالته على وجود الطائرات إذ قطع المسافة بين الأفقين الشرقى والغربى لاتكون قطعاً إلا على مركوب

(١) الجماء التى لا قرون لها .

(٢) بريد يحمل له رسائله ، وما يريد إيصاله إلى رئيس دولة من الدول .

مثل الطائرات . فإن فيه من أعلام النبوة وأشراط الساعة مايلي :

١ ـ القضاء على الغارات التى كانت تشنها العصابات المجرمة على المدن والقرى من الوقت إلى الوقت فيسلبون وينهبون ويفرون . فقد تم القضاء على مثل هذا النوع من الإجرام بالأنظمة الحديثة بقوى الأمن ورجال الشرطة ، وما زودوا به من الآلات الحديثة التى تساعد على اكتشاف هذه العصابات ومحاصرتها والقضاء عليها ، وهذا ما أشار إليه الحديث فى الجملة الأولى منه : « حتى لا تنطح ذات قرن جماء » .

٢ ـ وجد حكام حُدَثاء الأسنانِ من الشبان يستخدمون كبار السن من المشايخ فى مهام الحكم فيسافرون فى مهامهم بالطائرات بين الآفاق . كما هو واقع اليوم دل على هذا قوله : « وحتى يبعث الغلام الشيخ بريداً بين الأفقين » كما يتصور فى استخدام رؤساء المؤسسات من الأحداث الشيوخ الكبار ويرسلونهم فى حوائجهم مسافات بعيدة ولا يستحيون أو يخجلون من استخدام الكبير السن الذى يستحى منه الله تعالى فلا يعذبه يوم القيامة .

٣ ـ قلة الربح فى كثير من التجارات وذلك لوجود المواصلات السريعة والإخباريات الحديثة فتقاربت بذلك الأسواق وقل الربح فى كثير من التجارات أما فى الزمن الأول فكان من ينقل بضاعة من إقليم إلى آخر يتاجر فيها ربحه مؤكد تماما لفراغ الأسواق من أجل المشقة التى تحصل لمن يسافر من إقليم إلى آخر ولانعدام المواصلات الحديثة . وأخيراً فهذه الأخبار أكدت صحة ما أخبر به الرسول ﷺ من وجود الطائرات والسيارات والسكك الحديدية فى آخر الزمان . وبذلك تقررت نبوّة محمد ﷺ وظهرت أشراط الساعة فهل من تائب ؟؟ .

٣ ـ الهاتف السلكى واللاسلكى والتلغراف والتلكس

إن هذه الالة الموصلة للصوت إلى أبعد الافاق هى من أنفع الآلات وبها تقارب الزمان . وانطوى بعْدُ المكان ، وأصبح البعيد قريبا . قد أخبر بها الرسول ﷺ فى مثل الأحاديث التالية :

١ ـ حديث النسائى فى سننه وهذا نصه : « إن من أشراط الساعة أن يفشو المال ويكثر وتفشو التجارة ويظهر القلم ويبيع الرجل البيع فيقول : لا ، حتى استأمر تاجر بنى فلان » الخ . . . والشاهد على آلة الهاتف والتلغراف فى هذا الحديث فى قوله ﷺ : حتى استأمر تاجر بنى فلان ، إذ طلب التاجر الأمر أو الإذن من تاجر آخر بعيدٍ عنه قبل أن يبت فى الصفقة ما كان يتم بحال من الأحوال لتباعد البلاد ، أما عند ظهور آلة التليفون بنوعيه والتلغراف والتلكس فإنّ التاجر فى بلاد بعيدة يتصل بتاجر آخر ويسأله عن القيمة ، وإن كان شريكه يطلب منه الإذن بالبيع وعدمه .

٢ ـ حديث الترمذى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ونصه : لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة ، وتكون الجمعة كاليوم ، ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كاحتراق السعفة . والشاهد من هذا الحديث فى قوله حتى يتقارب الزمان ، إذ لا وجه لتقارب الزمان إذ هو نظام ثابت ناشىء عن ارتباط الأرض بالشمس والقمر لايختل إلا عند خراب العالم والإيذان بفناء الكون قبيل يوم القيامة . إلا أن يكون هناك آلات تقرب البعيد فتنطوى معها الأزمنة والأمكنة فما كان يوصل اليه من خير أو شر فى سنة يوصل اليه فى شهر ، وما كان يوصل إليه فى شهر يوصل إليه فى جمعة ، وما كان يوصل إليه فى جمعة يوصل إليه فى يوم . وما كان يصل إليه فى ساعة يصل إليه فى مثل احتراق السعفة أى فى دقيقة أو أقل . هذه الآلات لاتعدو الطائرات والتليفون بنوعيه والتلغراف والتلكس .

٣ ـ حديث ابن مسعود رضى الله عنه عند الطبرانى وفيه : « من اقتراب الساعة انتفاج الأهلة » وفى رواية أبى هريرة رضى الله عنه انتفاخ الأهلة . والشاهد من الخبر فى لفظ ابن مسعود (انتفاج الأهلة) إذ معناه سرعة انتشار خبرها لمجرد ظهورها ورؤيتها فى البلاد كما هى الحال اليوم يُرى الهلال فى بلد ما فينتشر خبره بواسطة التليفون والتلغراف فى سائر البلاد فى أقل من ساعة . إذ الانتفاج مأخوذ من نفجت الأرنب إذا سارت مسرعة . وأنفجها الصائد إذا أثارها من مخبئها فأسرعت هاربة بأوْحَى عدوها أى بأسرعه . أما لفظ رواية أبى هريرة : انتفاخ الأهلة فهو دال على وجود المراصد ومكبرات الرؤية وفيه عَلَمٌ من أعلام النبوة أيضا وشرط من أشراط الساعة .

وأخيرا إن سرعة انتشار خبر الهلال فيعم بلادا عديدة ومتباعدة ما كان ليتم قبل وجود آلة الهاتف والتلغراف بحال من الأحوال . أما عندما وجدت هذه الآلات فإن خبر الهلال أصبح يصل بأعظم سرعة إلى آفاق بعيدة ، فيصوم الناس ويفطرون فى يوم واحد نتيجة لانتفاج الأهلة ونشر خبر ظهورها بواسطة الهاتف (التليفون) والتلغراف والمذياع والتلفاز . وبتأمل ما ذكرنا فى الأحاديث الثلاثة يثبت لدينا وبدون شك أن النبى ﷺ قد أخبر عن وجود هذه الآلات فى وقت لم يكن ليصدق مثل هذا الخبر إلا أن ينطق به نبىّ يجب الإيمان بما يخبر به من شأن الغيب معقولا كان أو غير معقول .

وبهذا ثبتت نبوة نبيّنا وتقررت رسالته ﷺ . كما تأكد قرب الساعة إذ هذه الأخبار الصادقة من أشراطها . فهل من منيب إلى ربه .

٤ ـ آلة التسجيل وكلام الجمادات

إن كلام الجمادات كان من قبيل المستحيلات العقلية إلا أن يكون معجزة لنبى أو كرامة لولى إذ المعجزات كالكرامات كلها من قبيل خرق

العادات . بيد أن النبى ﷺ قد أخبر بأن ذلك كائن فى آخر الزمان ، وأن الساعة لاتقوم حتى يكلم الإنسان عَذَبةُ سوطه يعنى طرف عصاه وحتى يخبره شراك نعله بما أحدث أهله جاء ذلك فى رواية أحمد من مسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه ونصها : إنها أمارات من أمارات بين يدى الساعة : « أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعله وسوطه ماأحدث أهله بعده » . فكون الرجل تحدثه نعلاه وسوطه وهما من الجمادات أمر غير معروف ، ولا متوقع أن يكون بحال ، لأن الجماد لاينطق ولا يتكلم فكيف يُحدِّث ويُخبر ؟ غير أن النبى ﷺ قد أخبر أن هذا كائن لامحالة وهو من أمارات الساعة وأشراطها . وصدق رسول الله ﷺ فقد وقع ما أخبر به فآلة التسجيل ، والأشرطة المسجلة الناطقة بكل ما يسجل عليها تبينّ بها صدق هذا الخبر ، وأصبح الرجل يضع آلة التسجيل فى بيته فتسجل له كل ما يُحدثه أهله فى غيبته وهم لا يشعرون ، وقد تُوسِّع فى صناعة هذه الآلة وتطويرها حتى أصبحت توضع فى مثل السوط ، وتوضع فى الجيب . وكان هذا من أعلام النبوة المحمدية . وآيات قرب الساعة وبذا وجب على كل عاقل من بنى آدم اليوم أن يؤمن برسالة محمد ﷺ ويدخل فى دين الله الحق الذى جاء به ﷺ طلباً لنجاة نفسه من عذاب الآخرة ثم للسعادة فى الملكوت الأعلى مع مواكب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

٥ ـ آلة التصوير الفوتغرافى (الكاميرا)

إن التصوير بالريشة والقلم والنسيج فى الثياب وغيرها كالنحت فى الأحجار والأخشاب وغيرها معروف لدى أمم العالم وشعوبه من قديم الدهر ، ومن قبل حادثة الطوفان التى تمت على عهد نبىّ الله نوح عليه السلام ، غير أن التصوير الفوتغرافى بآلة ما يسمى بالكاميرا لم يكن معروفاً ولا معهوداً حتى عند أرقى أمم العالم حضارة وتمديناً .

وهو ـ أى فن التصوير ـ يعتبر مظهراً من مظاهر الحضارة العصريّة

والتقنيّة الحديثة وقد شاع هذا الفن وذاع وأصبحت آلاته بيد كل انسان يريد ذلك . وصورت بهذه الآلة الأشياء جليلها وحقيرها : الإنسان والحيوان ، والنبات والجماد ، وحتى المساجد بيوت الله تعالى قد صورت وعلقت صورها فى المنازل والبيوت لاسيما المساجد المقدسة الثلاثة : المسجد الحرام والمسجد النبوى والمسجد الأقصى ، والمساجد الأثرية كمسجد أياصوفيا والقرويين والزيتونة والأزهر الشريف ومسجد دار الخلافة العثمانية باسطنبول وغيرها .

كل ذلك ليتحقق ماأخبر به النبىّ ﷺ ويتم على نحو ماأخبر به تماما ، ومنذ ألف وأربعمائة سنة تقريباً . فقد أخرج أبو نعيم فى كتابه حلية الأولياء من حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « من علامات اقتراب الساعة اثنان وسبعون خصلة فذكر الحديث وفيه : وحُلّيت المصاحف وصورت المساجد وطولت المنائر » .

ولننظر إلى الواقع كيف تجلت فيه هذه المغيبات واحدة بعد الأخرى . أما تحلية المصاحف بالذهب والفضة وأنواع الزخارف فقد ظهر بعد عصر التابعين مباشرة وكذا تطويل المنارات ورفعها حتى أصبحت أرفع من كل بناء المدن والقرى ترى فى عنان السماء وكأنها تناطح السحاب ، وذلك فى كثير من البلاد الإسلامية ومن عهد الفاطميين إلى يومنا هذا . وأما تصوير المساجد ـ لا رسمها ـ فلم يكن معهوداً ، ولا يعرف الناس كيف يتم تصوير المساجد حتى ظهرت آلة التصوير الفوتوغرافى ، فصورت بها المساجد وغيرها كما قدمنا فى أول البحث . وكان ذلك عَلما من أعلام النبوة المحمدية ، وعلامة بارزة من علامات قرب الساعة .

وختاما فقد ذكرنا فى هذه الرسالة على قصرها عدداً من الأحاديث النبوية [1] والأخبار المحمدية المنبئة بصريح العبارة أو لَطيف الإشارة عن

(١) ليعلم القارىء أن ما أوردنا فى هذه الرسالة من الأحاديث النبوية بعضه صحيح الإسناد ، وبعضه حسنه ، وبعضه ضعيفه ولكن ما دام الواقع قد شهد له بالصحة فإذا لم نكلف أنفسنا عناء التخريج والتصحيح لأن من علامات صحة الحديث مطابقته للواقع ، ومن علامات وضعه مخالفته له .

معظم ماأدهش الناسَ حدوثه . وجعل كثيرا من المؤمنين يتساءلون : هل كان النبى ﷺ أخبر به أو حدث أصحابه بمثله ؟؟ وذلك من عجائب المخترعات الحديثة التى بهرت عقول الناس وَحَيَّرت أفكار الكثيرين ، إذ هى - فى الحقيقة - أمور كان العقل البشرى يحيل وجودها بل ولا حتى مجرد تصورها إلا أن يخبر بها نبىّ فإنه يصدق فيما أخبر به سواء أحال العقل ماأخبر به أو أجازه كسائر الغيوب التى يخبر بها الأنبياء عن الله تعالى ، والدار الآخرة .

ومن أعظم هذه المخترعات الحديثة شأناً وأكثرها نفعاً للإنسانية الرحلات الجويّة والمكالمات اللاسلكية ، والبث الإذاعى ، والعرض التلفازى .

وقد أخبر بها النبى محمد ﷺ قبل وقوعها بمئات السنين فكان كما أخبر تماما وحرفيا كأنه المشاهد الحاضر . وبذلك ظهرت الحجة وقام الدليل على ثبوت نبوته وصدق رسالته ﷺ حتى أصبح إنكار نبوته وجحد رسالته يعتبر سخفا وحماقة وطيشا وسفهاً لا يُقر بها عاقل سليم العقل فى دنيا الناس .

كما قام الدليل القاطع بهذه الأخبار الغيبية على قرب الساعة ، وآيات لقرب مجيئها فلذا أصبح من المؤكد أن الساعة قريبة المجىء ، وأنها على الأبواب وكالحامل المتم المقارب لايدرى متى تضع جنينها ، وهذه حال تتطلب من عقلاء الناس المبادرة الفورية إلى التوبة النصوح ، وذلك بإصلاح فاسد القلوب والأقوال والأعمال باعتقاد الحق والقول به والعمل ، وهو ما جاء به النبى ﷺ وحمله إلى الناس كتاب الله وسنته ﷺ .

ألا فالبدار يا عقلاء البشر زكوا أنفسكم بالإيمان الصحيح والعمل الصالح الذى شرع الله تعالى فى كتابه وعلى لسان نبيه محمد ﷺ ، وجنبوها ما يدسيها من الشرك والمعاصى ﴿ **هذا بلاغ للناس ولينذروا به . وليعلموا أنما هو إله واحد وليذَّكر أولوا الألباب** ﴾ .



الرسالة الخامسة عشر
الاحاديث النبوية الشريفة
فى أعاجيب المخترعات الحديثة



بســــــم الله الرحمن الرحيـــــم

مقدمـــــــــة

الحمـد لله ، نحمـده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئآت أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

وبعـد فإن كل الـظواهر الكونيّة فى هذا الوجود دالة بواقعها الذى لا يُختلف فيه أنها مسبوقـة بعَدَمٍ بمعنى أنها لم تكن ثم كانت فهى لذلك محدثة ، وسيؤول أمرها إلى العدم مرة أخرى وهو الرجوع الى الأصل الذى هو العدم السابق . وهذا هو الهلاك والفناء الواردان فى قول الله تعالى : **﴿ كلُّ شىءٍ هالـكٌ إلا وجهـه له الحكمُ وإليـه تُرجعون ﴾** [(١)] وقـولـه : **﴿ كل من عليهـا فان ويبقى وجـهُ ربِّـك ذو الجلال والإكـرام ﴾** [(٢)] إن كل شىء ـ ما عدا الله جل جلالـه وهـو الخـالق البـارىء . الحى القيوم البـاقى يطرأ عليه الفنـاء والهـلاك كما طرأ عليه الحـدوث المسبوق بالعدم . أمّا الله تبارك وتعالى فإنه وَحده خالق العوالم وطينتها [(٣)] الأولى فهو لم يُسبق بعدم فيلحقه الفناء عز وجل ، إنه وحده الأول والآخر ، والوارث لهذه الحياة بكل ما فيها سبحانه لا إله إلا هو ولا رب سواه .

---

(١) الآية من خاتمة سورة القصص .
(٢) من سورة الرحمن .
(٣) المراد بالطينة : ما يسمى بالهيولى ، وهى مادة خلق العالم . ويعبر عنها بالسديم وهو كالدخان . لقول الله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهى دخان ﴾ .

ومن الظواهر الكونية المسلم بها والتى لايختلف فيها اثنان أن الكائن الحى أو النامى عندما يقرب طروء العدم عليه تحدث له ظواهر ذاتية تدل على قرب طروء العدم عليه ، وهذا مايسمى بالأعراض المرضية ، أو علامات الوفاة . أو مظاهر الضعف الدالة على قرب الهلاك والموت .

وأهل الاختصاص هم الذين يعرفون تلك الأعراض ، والظواهر الدالة على دنوّ أجل الإنسان أو هلاك الحيوان والنبات . وأجل الحياة العامة كالخاصة مجهول لكل الناس غير معلوم لأى أحد سوى الخالق عز وجل . والساعة التى تنتهى فيها هذه الحياة الدنيا ثَقُلَ أمر علمها فى الأرض والسموات . قال تعالى فى شأنها : ﴿ **يسألونك عن الساعة ، قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت فى السموات والأرض . لا تأتيكم إلا بغتة** ﴾ (١) بَيْدَ أن لها أعراضا وظواهر تظهر فى شكل علامات تدل على قرب الأجل ، وساعة نهاية الحياة العامة . وهذا عام فى الكائنات الحيّة والنامية فإنها إذا قرب طروُّ الفناء عليها تبرز فيها علامات تدل عليه يعرفها أهل الاختصاص كما قدمنا .

ومن هنا كان رسول الله ﷺ وهو صاحب الاختصاص العام يذكر لأصحابه رضى الله عنهم علامات قرب الساعة ونهاية هذه الحياة الدنيا لتبتدىء الحياة الآخرة الخالدة الباقية .

ومن تلك العلامات ماهو بعيد نسبياً عن ساعة نهاية الحياة ومنها ما هو قريب نسبياً أيضا . ومنها ما هو قريب قرباً حقيقياً .

وبالنظر الفاحص الدقيق إلى تلك العلامات والظواهر يُرى أن بعضها ظهر ويظهر فى الآفاق الكونيّة ، وبعضها ظهر أو يظهر فى الأنفس البشريّة . وما تزال كل يوم تظهر تلك العلامات حتى

---

(٢) الآية من سورة الأعراف .

لاتبقى منهـا علامـة إلا وقـد ظهرت . ويومئذ **يحصل الانقلاب** الكـونى الـذى ينتهى بنهاية هذه الحياة فتعود الأكوان كما كانت سديمًا وبخاراً وذلك فى قوله : ﴿ **يوم نطوى السماء كطىّ السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين** ﴾ (١) **وقوله** : ﴿ **أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حىّ ، أفلا يؤمنون** ﴾ (٢) .

وإلى القارىء الكريم تلك الظواهر والعلامات ، ليعلم **أن وعد الله** حق وأن الساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور . **وليعظم** من شأن رسول الله ﷺ . ويكبر من أمر رسالته الختامية ، **فيبلغ اليقين فى** إيمانه به ، فيتحمل واجب الدعوة إلى الايمان به ﷺ وبدينه **الذى هو سبيل** نجاة الانسان وسعادته فى كلتا الحياتين متى آمن به وتقيد بشرائعه . **وهذه** هى النتيجة التى توخيناها من كتابة هذه الرسالة ونشرها بين الناس . **والله** نسأل أن يحقق لنا وللقارىء ما قصدناه ورمناه ، إنه قوى قدير وبالاجابة جدير .

---

(١) الآية من سورة الأنبياء .
(٢) الآية من سورة الأنبياء .

العلامات الورادة

فى الآفاق

إن علامات قرب الساعة . وآيات ظهورها ليست محصورة فيما نورد من أحاديث فقط ؛ إذ مانذكره لا يمثل إلا جزءاً يسيرا وعدداً قليلا منها وإنما حسبنا أن نذكر طرفاً يحصل به الغرض من تقرير نبوة المخبر به ﷺ ويتأكد به مبدأ حتمية نهاية هذه الحياة . واستقبال الحياة الآخرة بكل ما فيها وهذه العلامات التى ظهرت فى الآفاق .

١ ـ وجود دويلة اليهود فى فلسطين :

إن اليهود بذهاب آخر مُلْكٍ لهم ، وتشردهم فى آلافاق ، وذلك على يد دولة الرومان المجاورة لبلادهم ، والمحادة لها شمالا وغرباً وقعوا فى شبه يأس كامل من أن يعود لهم ملك أو يرجع لهم دولة أوسلطان ، وزاد يأسهم بظهور دولة الاسلام وخاصة بعد أن ضمت تحت جناحيها مملكة فارس ودولة الروم فى أكثر ديارهم . وأجلوا عن الحجاز وأصبحوا أفراداً ذميين يعيشون تحت ظل دولة العدل والرحمة الاسلامية فى كل من الشرقين الأدنى والأوسط والشمال الأفريقى .

هذا وأما فكرة العمل على إعادة مملكة بنى إسرائيل فى أرض المعاد فإنها لدى المسلمين غير واردة بالمرة ، ولم تكن تخطر لأحد منهم على بال ، لما صرحت به آيات القرآن من كَتْب الله تعالى على اليهود الذلة والمسكنة . ولاعلام الله تعالى أنه يبعث عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب . أما عند خواص اليهود فإنها كانت تراودهم كأمل من الحين إلى الحين ، ولذا تعاونوا مع عناصر المجوس الناقمين على الاسلام الذى ثل عرش كسرى ، وهد أركان مملكة الساسانيين(١) بأرض فارس ،

(١) بنو ساسان أسرة . ملكية فارسة حكمت فارساً من سنة ٢٢٦ إلى سنة ٦٥١ م ، وهى التى جردها الفتح الإسلامى من ملكها فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . (أنظر دائرة المعارف) .

واستطاعوا أن يضربوا الاسلام ويدوخوه . وكانت أول ضربة وجهوها إلى الاسلام قتلهم الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، إذا قتله أبو لؤلؤة المجوسى بأمر من منظمة مجوسية سرية متعاونة مع اليهود ، ثم إحداث فتنة المال وقتل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكان حامل راية هذه الفتنة عبد الله بن سبأ اليهودى الصنعانى ثم إشعال نار الحرب بين على ومعاوية رضى الله عنهما ، وإذكاؤها كلما خبت أو كادت .

ولما استعصى عليهم أمر قطع حبل الإسلام بالحروب عادوا إلى الدس والمكر والخديعة فأوجدوا مذهب التشيُّع لآل البيت وهو المذهب الشيعى المدمر ، والذى برع اليهود فى صنعه متعاونين مع إخوانهم المجوس ، فكان هذا المذهب المدمر ، لايقل أثراً فى الدمار والتخريب عن المذهب الماركسى الشيوعى إلا أن الأول كان قاصراً على ضرب الإسلام والثانى عام فى الإسلام والمسيحيّة على حد سواء ، إذ الإسلام والمسيحيّة فى نظر اليهود أنهما السد الحائل دون عودة مملكة بنى إسرائيل إلى الوجود فلذا وضعوا المذهب الماركسى لنشر الإلحاد واللادينيّة فى العالمين الإسلامى والمسيحى معاً .

وفرغ اليهود من الإسلام والصليبيّة بعد حرب طويلة من الدس والمكر والخداع والتضليل دامت زهاء ستين وثلثمائة وألف سنة وظهرت دولة إسرائيل على ركام من جماجم وأرواح وأخلاق وآداب الأمتين الإسلامية والمسيحيّة . واندهش المسلمون وانتابهم موجة شديدة من الحيرة والشك وتساءلوا قائلين : كيف يكون لليهود دولة ؟ كيف يكون لليهود حكم وسلطان ؟ وكيف يتم ذلك على أرض الإسلام بلاد القدس ؟ وأكبروا الأمر واستعظموه ، وصدق رسول الله إذا يقول : « لا تقوم الساعة [1] حتى تروا أموراً عظاماً لم تكونوا ترونها ، ولا تحدثون بها أنفسكم » ويقول : « سترون

(١) رواه أحمد والبزار والطبرانى .

قبل أن تقوم الساعة أشياء تنكرونها عظاما ، تقولون : هل كنا حُدِّثنا بهذا[١]

والسؤال الآن هل أخبر النبىّ بوجود دولة إسرائيل ؟ .

والجواب : نعم وهذا مسلم يروى لنا فى صحيحه ما يثبت ذلك فقد أخرج قوله ﷺ : « لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم ياعبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود »[٢] .

هذه رواية أبى هريرة . أما رواية ابن عمر فنصها : « تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله » .

ودلالة هذين الحديثين الصحيحين على وجود دولة اليهود فى آخر الزمان هى فى قوله ﷺ : « لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى » الخ . . . إذ الوقت الذى أخبر فيه الرسول ﷺ بهذا الخبر كان اليهود قد أجلوا عن المدينة ، والإسلام قد عز فى كل الجزيرة ولم يكن لليهود وجود مخيف أبداً . وفى أى صقع من الأرض . إذا هم أقليَّات يعيشون هنا وهناك موزعين فى شتى أنحاء العالم . وكل الدنيا تلعنهم فكيف يصح منهم قتال للمسلمين الذين أخبر عنهم ﷺ أن ملكهم[٣] سيبلغ أقصى المشرق وأقصى المغرب ، وفعلا تم لأمة الإسلام ذلك . فيكف إذاً يتأتى لليهود قتال المسلمين اللهم إلاّ إذا اجتمعوا فى مكان واحد وكانت لهم فيه دولة وسلطان وعندها يمكنهم أن يقاتلوا المسلمين . وتمضى السنون وتتوالى القرون ويتجمع اليهود فى فلسطين ويكونون دولة يعترف بها أكثر دول العالم ويقاتلون المسلمين فى

---

(١) رواه البزار والطرانى فى الكبير من حديث سمرة بن جندب رضى الله عنه كالأول .

(٢) شجر الغرقد يوجد بالمدينة المنورة وكان ينبت بالبقيع مقبرة المدينة ولذا يقال بقيع الغرقد . بلغنى من الطلاب الفلسطينيين أن اليهود يعنون اليوم عناية كبيرة بشجرة الغرقد بفلسطين المحتلة .

(٣)من معنى حديث ثوبان عند مسلم : « أن الله زوى لى الأرض » الحديث .

أكثر من عشر حروب ، ولا يزالون يقاتلونهم حتى يتم وعد الله ويسلط الله المسلمين عليهم فيقتلونهم حتى يقول الحجر أو الشجر يا مسلم ياعبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله . وهذا الأمر موقوف على توبة المسلمين برجوعهم إلى الإسلام رجوعاً صحيحاً ينتظم العقيدة والعبادة والخُلق والأدب والحكم .

وأخيراً فقد صدق رسول الله ﷺ فيما أخبر به من قتال المسلمين لليهود فى آخر الزمان إذا ما قامت الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود وما زالوا يقاتلونهم حتى يغلبوهم بإذن ربهم . ودل ذلك على وجود دولة اليهود . وعلى قرب الساعة وبذلك تأكدت نبوة محمد ﷺ وتقررت رسالته . وعجبا للناس كيف لا يؤمنون به ولا يهتدون بهديه حتى ينجوا ويسعدوا ؟ .

٢ ـ تعدد الدول الإسلامية :

وهذه آية أخرى من آيات النبوة المحمديّة . وعلامة من علامات قرب الساعة تظهر واضحة جلية فى أفق الحياة الإسلامية بحيث لايستطيع أحد إنكارها ، تلك هى تعدد الدول الإسلامية حتى بلغت خمساً وعشرين دولة فى هذه الأيام وهى محصورة فيما بين أندونيسيا شرقاً والمملكة المغربية غرباً .

إن وجود هذا العدد من الدول الإسلاميّة ، كل دولة مستقلة تماما عن غيرها لم يكن يخطر على بال أحد من المسلمين ، وذلك لتحريم الإسلام لمثل هذا التعدد الناتج عن انقسام دولة الإسلام الواحدة ، والتى يجب أن لا تكون إلا واحدة لتعظم وتقوى وتقدر على حمل رسالة الإسلام إلى الناس كافة ليكملوا به ويسعدوا عليه فى الدنيا والآخرة ، إذ الانقسام يورث الضعف وذهاب الريح ، ويومئذ يعجز المسلمون عن أداء رسالتهم ويُعاقون عن هداية الخلق وإصلاحهم .

ومع هذا فقد انقسمت الدولة الإسلامية إلى دويلات عدّة بلغت خمسا وعشرين كما قدمنا ، وتم هذا مِصداقا لإخبار الرسول ﷺ به ، وذلك فى

حديث عبد الله بن مسعود الذى رواه الحاكم والدارمى وأبو نعيم وهذا نصه : « كيف أنتم إذا لبستم فتنة فتتخذ سنة يربو فيه الصغير ، ويهرم الكبير ، وإذا ترك منها شىءٌ قيل تركت سنة ؟ قالوا : متى ذلك يا رسول الله ؟ قال : إذا كثر قراؤكم وقلت علماؤكم ، وكثرت أمراؤكم ، وقلت أمناؤكم ، والتمست الدنيا بعمل الآخرة وتُفقه لغير الله » (١) .

إن هذا الحديث الشريف لم يتضمن ظاهرة تعدد الدول الإسلامية المشار إليها بكثرة الأمراء فحسب بل تضمن ظواهر أخرى كلها دالة على نبوة الرسول ﷺ وعلى قرب الساعة وهذا بيان ذلك :

١ ـ كثرة القُرَّاء : إذ نسبة الأميّة قد انخفضت جداً بين المسلمين فى هذه الأيَّام وما أصبح يوجد من لا يقرأ ويكتب إلا نادِراً وذلك لكثرة المدارس ونظام محو الأميّة بين المواطنين .

٢ ـ قلة العلماء ، انه على الرغم من كثرة القرَّاء ومعاهد العلم ومدارسه فقد قَلَّ العلماء المتبحرون فى العلوم الإسلامية وخَاصَّةً الشرعية منها حتى أصبح العديدُ مِنَ المدن وَ القُرى لا يوجد فيها عالم واحد يفتى المسلمين فى أمور دينهم .

٣ ـ كثرة الأمراء ، وهذا صادق بتعدد الدول الإسلامية وهو محل الشاهد كما قدمنا فبدل الأمير الواحد للمسلمين وما عداه ولاة وقضاة ورؤساء أجناد ، أصبحت الدولة الإسلامية دولا ، وأصبح أمير المسلمين أمراء .

٤ ـ قِلَّة الأمناء : إن الأمناء يقلون بقلة الأمانة وأول ماتفقد هذه الأمة الأمانة وقد فقدتها ، وبذلك قل الأمناء . وإن ارتبت أخى القارىء فتسمع أحاديث الناس وهم يطعن بعضهم بعضا فإنك تحسب بدون شك أنه لم يبق أمين بين الناس والعياذ بالله تعالى .

٥ ـ التماس الدنيا بعمل الآخرة : ولهذه الظاهرة وجوه كثيرة منها

(١) لبستم فتنة هو بمعنى تلبستم بفتنة ، والفتنة ما يفتن المسلم عن دينه الحق .

الرجل التاجر يبنى المسجد ويَسهم فى المشاريع الخيرية وماله حرام وهو تارك للصلاة أحياناً ويفعل ما يفعل من الخير من أجل الشهرة وحسن السمعة لتروج بضائعه وتربح تجارتـــــــه .

ومنها الرجل يعفى لحيته ويكثر التردد على المسجد للصلاة فيه .

وغرضه أن يؤتمن ويوثق فيه حتى إذا تم له ذلك خان الناس وأكل أموالهم .

ومنها طلب الوظائف الدينيّة كالأذان والإمامة والتدريس والقضاء فإن أكثر الناس اليوم لا يطلبون هذه الوظائف الدينيّة إلا للدنيا أى للحصول على الرواتب للعيش فقط .

٦ ـ التفقه لغير الله : ومعناه طلب العلم الشرعى وهذه الظاهرة أكثر فشوّاً من غيرها والعياذ بالله تعالى فإن طلاب الشريعة فى الكليات الشرعية قَلَّ من يطلب منهم العلم ليعبد الله تعالى به ، وإنما جلهم يطلبونه لوظيفة القضاء أو التدريس أو الإمامة أو الإفتاء ، ولا همَّ لهم إلا ذاك .

وساعد على وجود هذه الظاهرة وجود وظائف تمنح لأرباب الشهادات فحمل ذلك الطلاب على الجد فى الطلب للحصول على الشهادة غير ملتفتين إلى غيرها فكان الطلب إذاً لغير الله ، وصدق ماأخبر به رسول الله ﷺ : (و تُفقه لغير الله) .

فدلَّ قوله ﷺ على صدق نُبُوَّته وعلى قربِ الساعة . فهل من تائبٍ يا عباد الله ؟ .

٣ - نظريـــــة داروين :

هذه النظرية وإن أنكرها وكفر بها علماء الكون والطبيعة فى كل من أوروبا وأمريكا وبالغوا فى إنكارها حتى وصفها بعضهم بأنها نظرية أبوها الكفر ، وأمها القذارة ، فإن العالم الإسلامىّ قد قررها ضمنياً واعترف بـها رسمياً حيث مازالت تدرس فى المدارس الثانوية ولو على سبيل أنها مجرد نظرية تصح أو لاتصح . وحقيقة هذه النظرية الدارونية : أن الإنسان متطوّر عن القرد على قاعدة النشوء والارتقاء . وإذاً فلا آدم ولا حواء عليهما السلام وبالتالى فلا إله ، والحيـــاة مادة .

ومن هنا ما كانت النظرية الداروينية إلا لعبة يهوديّة أو ضحكة صهيونيّة ماسونيّة على أذقان العالَم . الهدف منها زعزعة الإيمان فى نفوس المؤمنين بإلقاء هذه الأوساخ من النظريات ، والأفكار الإلحادية التى تنبت الشك فى القلوب فى وجود الرب تبارك وتعالى وقيوميته على كل شىء ، وخَلقه لكل شىء وتدبيره لكل شىء .

لأنـه متى خلت القلوب من عقيدة الإيمان بالله ولقائه وعدله ورحمته خَوَتْ تماما من معانى الجمال والكمال وأصبح الإنسان بهيمة لاتعقل ولا تفكر إلا فى شهوتى بطنها وفرجها . وأصبح الآدمى آلة صمّاء لاتسمع ولا تبصر ، ولا تعقـل ولا تفكـر وإنـما تحركها أصابع اليهودية العالمية كيف تشاء . ويومئذ يحق لدولة إسرائيل أن تتحول إلى مملكة إسرائيل التى تمتد لا من النيل إلى الفرات فحسب ، بل من الغرب إلى الشرق واضعة العالم الإنسانى كله تحت كِلْكَلِها الثقيل وأنفاسها المنتنة الخبيثة .

لقد مرت الأجيال البشرية على ساحة الحياة يتلو بعضها بعضا وفيها الأنبياء والحكماء والعلماء والصلحاء والمفكرون والمصلحون ولقرون عديدة ولم يخطر على بال واحد منهم مثل النظرية الداروينية ، حتى ظهر فى ذيل الحَياة صنيعة اليهود ولعبة الصهيونيّة العالمية داروين اليهودى القذر يحمل

نظريته فى أصل الإنسان وخلقه ، ويشغب بها على العالم أجمع ، ويشكك كل إنسان فى أبيه وأمه ، وتصادف نظريته التعفّن البلشفى الشيوعى وقد عشىَ كوَباء خطير جلّ سكان المعمورة فاستجاب للنظرية التى أبوها الكفر وأمها القذارة فئام الناس وهم الذين فقدوا من قبل جمال الإيمان وحلية الفطرة فى الإنسان .

وعجب المؤمنون من هذه الفتنة وتساءلوا هل كان النبىّ ﷺ أخبر أصحابه بشىء عنها وهو الذى قد أخبرهم بكل شىء يأتى فى عمر هذه الحياة ؟

وإذا بالإمام مسلم يروى لنا فى صحيحة ما هو صريح الدلالة قطعيها فى رفض النظريَّة الداروينية واجتثاثها من أصلها والإلقاء بها فى سِلَّةِ المهملات .

وهذه روايته فى الصحيح : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا قَاتَل أحَدُكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورته [١] وتأويل هذا الحديث يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : باطل لأنه محال عَقْلاً وشرعا وهو كون الله تعالى خلق آدم على صورته عز وجل إذْ الله تعالى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، فلم يكن له تعالى كفؤ ولا مثل بحال .

والثانى : محتمل الجواز وهو أنه يكون الله تعالى خلق ادم على صورة الرجل المضروب .

والثالث : وهو المعجزة المحمدية وشاهد إبطال النظرية الداروينّة ، والإلقاء بها فى نِفَاية الزبالات . وهو أن الله تعالى خلق آدم على صورته التى ورثها أبناؤه عنه . ولاَزمُ هذا أن آدم عليه السلام لم يتطور فى خلقه

---

(١) من عجب تدبير الله تعالى أن هذا الحديث روى أيضاً بلفظ : فإن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن فأفاد الحديث باللفظ الأول إبطال فرية دارون ، وأفاد بالثانى شرف آدم وبنيه حيث ان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن أى صفته من العلم والسمع والبصر والكلام ، والحلم والرحمة . والله أكبر ولله الحمد .

بَلْ خلقه الله يوم خلقه على صورته التى توارثها أبناؤه جيلا بعد جيل كما هو الشأن فى سائر الحيوانات فكل جنس من أجناس الحيوان يتوَارث أفرادُهُ الشكل والصورة الأولى لأول حيوان . فلم يَطْرأ عليها تَغَيُّر ولا تَبدُّل يُذْكر . فَالفَرسُ منذ أن كَانَ الفرس ، والقرد هو القرد .

وبهذا ظهرت المعجزة المحمدية وكانت من أعلام نبوته ﷺ . والويل كل الويل لمن لم يؤمن به ويعمل بالدين الحق الذى جاء به ﷺ .

٤ ـ تسلط الكفار علـــى المسلمين

إن المسلمين الذين أصبحوا بعد نبيهم بأقل من رُبع قرن يمثلون أكبر دَولة فى العالم تضم تحت رَايتها أكبر امبراطوريتَيْن فى العالم : فارس والروم ، وبلغ رقيّهم الحضارى ، وتقدمهم الإنسانى شأواً لم يخطر ببال أحد أن أمة ما سوف يكون لها هذا الشأن . كما لم يكن يخطر ببال أحد أيضا أن هذه الأمة وقد أصبحت أكبر أمة على وَجْهِ الأرض سوف تضعف وتَهُون ، ويذهب سلطانها وتمزق بلادها ، ويحكمها الكفر والكَافِرُون وَيَسومُونَها الخَسْف وسوء العذاب . غير أنَّ رسول الله ﷺ قد أخبر بذلك فهو كائن لا محالة ، وقد كان ، وبذلك تأكدت النبوّة المحمدية ، وثبتت رسالة صاحبها عليه الصلاة والسلام ، وأصبح من فساد العقول وضعفها عدم الإيمان به وبما جاء به من الهدى والنور ، ومتابعته على دينه الذى هو الدين الحق الذى لايقبل الله دينا سواه .

وهـذا أبو داود وأحمد وأبو نعيم وغيرهم يروون لنا آية صدق نبوته فى حديثِ ثوبـان رضى الله عنـه والذى يحمل نبأ تسلُّطِ الكافرين على أمة الإسلام وإذلالهم لها ، وتحكمهم فيها زمناً غير قصير وهذا نصه : « يوشك أن تداعى عَليكم الأمم من كل أفق ، كما تداعى الأكلة على قصعتها ، قال ثوبان قلنا يارسول الله أمن قلّة بنا يومئذ ؟ قال : لا ، أنتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ، تنزع المهابة من قلوب عدوكم ،

ويجعل فى قلوبكم الوهن قال : وما الوهن ؟ قال : حب الحياة وكراهية الموت » .

فهذا الحديث أيها القارىء الكريم ووقوع مدلوله كما أخبر به ﷺ يعتبر عَلما من أعلام النبوة المحمدية ؛ إذ وقع ماتضمنه حرفياً ولم يتأخر منه شىء فقد تداعت الأمم على أمة الإسلام ، فاستعمرت هولندة إندونيسيا ، واستعمرت بريطانيا ممالك الهند الإسلامية وأمة الأفغان الأبية ، واجتاحت روسيا الشيوعية الجمهوريات الإسلامية فمزقتها وشتتت شملها وكفّرت أهلها وحولتها إلى بؤرة للكفر القذر والإلحاد العفن كما استعمرت بريطانيا شرق الجزيرة وجنوبها ، والعراق والأردن وفلسطين ومصر ، واستعمرت إيطاليا ليبيا . وفرنسا شمال افريقيا .

وهكذا تمزقت أمة الإسلام ، وتمزق ملكها وديارها ، بتداعى الأمم عليها ، وهى أكثر ماتكون عدداً غير أنها أصبحت بفساد عقائدها وتدهور أخلاقها ، وتعطيل طاقاتها لما رماها به أعداؤها من داء الفرقة والخلاف ، ومرض الخرافة والضلالة ، أصبحت لذلك غثاء كغثاء السيل لاتبدى ولا تعيد . نزع الله مهابتها التى كانت لها من قلوب أعدائها ، أولئك الأعداء الذين كانوا يرهبونها ويفزعون لذكرها وذكر إسلامها حتى كانت المرأة الأوربية إذا خوفت طفلها تقول له : (عربى عند الباب) . .

وكما نزع الله تعالى مهابتها من قلوب أعدائها لفسقها وخروجها عن طاعة ربها جعل فى قلوب أفرادها الوهن الذى فسره الرسول ﷺ بحب الحياة وكراهية الموت . والوهن داء الأمم والشعوب متى أصيبت به أمة من الأمم حل بها الذل وأصابتها المهانة ونزل بها الصغار ثم هى إذا لم يتداركها الله تعالى بتوبة يُوفقها لها ويقبلها منها آل أمرها إلى أحد شيئين : المسخ ، أو النسخ . . أما المسخ فهو أن يسلط الله تعالى عليها أمة من الأمم أقوى منها فتقهرها وتذلها . وأما النسخ فهو أن يسلط عليها أمة ملحدة كافرة لاتؤمن بالله ولا بلقائه فتنسخ وجودها بالمرة فلا يبقى لها دين ولا لغة ولا كيان

كما مسخت روسيا الإلحادية الجمهوريات الإسلامية مسخاً كاملا فلم يبق لتلك الأمة المسلمة وجود إسلامى بالمرة والعياذ بالله تعالى .

وأخيرا . فإن حديث ثوبان رضى الله عنه وَمَا تَضمنه من الإخبار بتسلط الكافرين على المسلمين يعد عَلَمًا من أعلام النبوة المحمدية وآية واضحة على قرب الساعة إذ وقع مدلوله كما هو بلا نقص . ولكن فهل من معتبر أيها المسلمون ؟ .

٥ ـ نظـــام الشرط (البوليس)

إن دولة الرسول ﷺ وكذا دولة الراشدين من بعده لم تكن تعتمد فى تحقيق الأمن والطهر والصفاء للمواطنين المسلمين على أنظمة الشرطة ، وقوانين البوليس الغربيَّة أو الشرقية ، إذ لم يكن بها رجل شرطة واحد . وإنما كانت تعتمد على إيمان الفرد المسلم وخلقه وأمانته ودينه . وكان الفرد المسلم يعتمد فى تقوية إيمانه وتهذيب أخلاقه ، وتزكية نفسه على طاعة الله تعالى ورسوله ومن أهم تلك الطاعات إقام الصلاة ، إذ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والفرد المسلم متى زكت نفسه وطهرت روحه كان أبعد الناس عما يشين ، ويضر ، وأقدر الناس على فعل مايجلب الخير والنفع له ولغيره من عباد الله . ولازم هذا الكمال فى الأفراد أنهم يتعاونون على البر والتقوى ، ولايتعاونون على الإثم والعدوان . ومن هنا لم يكن الأمر مُحْوجاً إلى وجود شرطة ولا نظامها فى ديار الإسلام . وبخاصة دولة الرسول ﷺ والراشدين . بيد أن الرسول ﷺ قد أخبر بأنه ستوجد شرطة فى آخر الزمان وهـو بإخبـاره ذلـك يحذر أمتـه من شر مايقـع ، لتـدفـع عن نفسها ما استطاعت . وهذا مسلم يروى لنا حديث الشرطة فيقول : عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذنـاب البقـر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائـلات كأسنمـة البخت العجـاف ، لايَدْخُلْنَ الجنة ولا يَجِدْنَ ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا . . . » .

كما أخرج الطبرانى فى الكبير عن عوف بن مالك أن النبى ﷺ قال : « أخاف عليكم ستاً : إمارة السفهاء و كثرة الشرط الخ .. » .

فدل كلّ من هذين الحديثين على وجود علامتين من علامات الساعة فحديث مسلم دل على وجود الشرطة وتبرج النساء تبرج الجاهلية الأولى ، وحديث الطبرانى دل على إمرة السفهاء وهم الذين لارشد لهم فى أعمالهم وتصرفاتهم لخفة عقولهم وأحلامهم وعلى وجود الشرط وكثرتهم وكان ماتضمنه الحديثان دليلاً قاطعاً على نبوّة محمد ﷺ وعلى قرب الساعة . إذ هو غيب محض أخبر به الرسول ﷺ فكان كما أخبر بلا زيادة ولا نقصان .

هذا وإن قيل : ماذنب رجال الشرطة حتى يدخلوا النار وهم يحفظون الأمن والنظام فى البلد ؟ .

فالجواب : إن ذنبهم الذى أوجب لهم النار وحرمهم من الجنة ليس هو حفظهم الأمن والنظام وإنما هو تركهم الصلاة ، وفعلهم المنكرات كشرب الخمور وأخذ الرشوة وظلم الناس إذ أكثر الشرط فى العالم الإسلامى لا يصلون ويرتكبون كبائر الذنوب ، ولا يامرون بمعروف ولا ينهون عن منكر وهم قادرون على ذلك بما خُوّلوا من سلطة وإن كانت محدودة فإنهم يستطيعون بها أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر فى حدود تلك السلطة المحدودة .

وأما كون النساء من أهل النار فالأمر ظاهر إذ المرأة التى تترك الحجاب وهو دين الله تعالى وأمره ، وتخرج متبرجة كاسية بعض جسمها كاشفة عن بعض آخر للإغراء بها والفتنة امرأة لم يبق لها من الإيمان حبة خردل ، وحينئذ فما الذى ينهاها عن فعل الشر ، ويأمرها بفعل الخير . والنار تُدخل بفعْل الشر وترك الخير ، والجنة تورث بفعل الخير واجتناب الشر ولا عجب إذاً فإن من كانت من النساء كما وصف رسول الله ﷺ أنها لاتدخل الجنة ولا تجد ريحها .

وأخيراً فإنه لا يسعنا أمام هذين الحديثين اللَّذين دَلَّا على نبوة رسول الله ﷺ وقرب الساعة إلا أن نتوب إلى الله ونكثر من ذكره عز وجل عملاً بقوله ﷺ فى رواية الطبرانى والبزار : « سترون قبل أن تقوم الساعة أشياء تنكرونها عظاماً تقولون : هل كُنَّا حُدثنا بهذا ؟ فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله تعالى واعلموا أنها أوائل الساعة » .

٦ ـ الحكـم بغير ما أنزل الله تعالى :

إن المسلمين سواء كانوا عرباً أو عجمًا بعد أن أنعم الله تعالى عليهم بنعمة الإسلام فذاقوا طعم عدالة الأحكام الإسلامية وتنسّموا نسيم الحريّة فى ظل [1] الأنظمة والقوانين الإلهية ، ما كان أحد منهم يخطر على باله أن يوماً سيأتى يرغب فيه المسلمون عن شرع الله تعالى وشرع رسوله مستبدلين بذلك شرائع وقوانين وضعها الكفار والفجار من أهل العداوة للإسلام والمسلمين ، لاسيما وأن القرآن الكريم محفوظ فى الصدور مكتوب فى السطور ولا يخشى عليه فوتٌ ولا ضياع . إن الله تعالى يقول : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ مع إفاضة علمهم التام بتكفير وتظليم وتفسيق من لم يحكم بما أنزل الله تعالى حيث جاء ذلك واضحاً صريحاً فى كتاب الله تعالى من سورة المائدة .

وتمضى القرون على المسلمين ولا شرع لهم ولا قانون إلا شرع الله وقانونه .

وديارهم ناعمة بالعدل والرحمة والنظام ، ثم داخلهم الفساد فى عقائدهم ، وعباداتهم وآدابهم وأخلاقهم نتيجة مكر أعداء الإسلام بهم ، فتعرضوا بذلك لمقت الله وغضبه فسلط عليهم النصارى فحكموهم بقوانين الكفر والباطل ، ولم يَنْجُ من هذه المحنة سوى حكومة الإمام العادل الملك عبد العزيز تغمده الله برحمته . ورحل النصارى فى الجملة عن بلاد

---

(١) الأولى أن يقال فى ظل الأحكام الشرعية لأن كلمة النظام والقانون لم ترد فى الكتاب ولا فى السنة .

المسلمين وبقيت قوانينهم هى السائدة تنفذ فى كل شؤون الحياة . ومن حاول من علماء الإسلام إنكار ذلك رُمِىَ بالخيانة والتعاون مع الأجنبى ونكّل به فسكت لذلك العلماء وساد **المسلمين قانون الكفر والكافرين وتبع ذلك ظلم وفوضى وذل ومهانة لايرجى أن ترفع إلاّ بعودة الحكم الإسلامى إلى الحياة .**

وبما تقدم لك أيها القارىء ترى أن المعجزة المحمدية قَد تَجلَّت . وأن أشراط الساعة قد ظهرت ؛ إذ وقع ماأخبر به الرسول ﷺ مِنْ أن أمته ستتخلى عن أحكام الشرع الإسلامى وتستبدل بها غيرها من شرائع وقوانين لم ينزل الله تعالى بها من سلطان .

وإليك الحديث النبوى الشريف المتضمن لترك أمة الإسلام الحكم بشرع الله عز وجل فقد رَوَىٰ أحمد والطبرانى عن أبى أمامة الباهلى عن النبى ﷺ أنه قال : « لتنقضن عرى الإسلام عُروة عُروة ، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتى تليها ، وأولهن نقضاً (الحكم) وآخرهن الصلاة » .

ويتعين علينا هنا أن نذكر بعض ما انتقض من عُرى الإسلام بعد تعطيل الأحكام الشرعية .

إنَّه أول ما انتقض من عُرى الإسلام بعد تعطيل الشريعة جباية الزكاة وأخذها ممن وجبت عليهم من المسلمين وصرفها فى مصارفها ، واستبدال الضرائب الفادحة بها ، وثانى عُرى الإسلام انتقاضاً ترك الجهاد والغزو فى سبيل الله تعالى وثالث العرى انتقاضاً ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ورابع العرُى انتقاضاً ترك الخلافة الإسلامية الجامعة لشتات المسلمين والحامية لهم من كيد وظلم أعدائهم ، والقناعة بدويلات صغيرة لاتبدى ولا تعيد ، لاتقدر على حماية نفسها ولا حماية غيرها . وخامس عُرى الإسلام انتقاضاً إماتة جماعة المسلمين . وإحياء الجمعيات والأحزاب

المتناحرة المتطاحنة مما زاد فى سوء حال المسلمين وأفقدهم الإخاء الإسلامى والتعـاون الإيمانى إذ جماعة المسلمين إذا ضعف السلطان تنهض بالمهام الـواجب القيام به بين المسلمين وذلك كإرشاد الضال وتعليم الجاهل ، وكسوة العارى ومداواة المريض ، وإطعام الجائع وتأمين الخائف إلى غير ذلك من النصح والإرشاد لكل مسلم فى البـلاد .

٧ ـ ظهـور الكشافـة :

إن الحركة الكشفية نظام حديث يدور على تجنيد الأحداث المميزين ، والذين لم يناهزوا البلوغ بعد ، لأجل رياضة أبدانهم وتهذيب أخلاقهم ، وتعـويدهم على أعـمال إنسـانية محضـة . هكذا زعم واضع هذا النظام ومؤيدوه من الناس . ومما يحكى فى هذا الشأن أن واضع النظام الكشفى العالمى هو رجل بريطانى موصوف باللوطيّة . ويدل لذلك إلزام الأحداث المنخرطين فى المعسكرات الكشفية بكشف أفخاذهم لمتعة النظر إلى الأفخاذ وهى عارية بيضاء نقية شأنهم فى ذلك شأن دعاة السفور والتبرج فى العالم إذ الحـامل لهم على ذلك رغبـة التمتع بوجوه الحسان والتحدث مَعَهُنَّ ليسهل بذلك إرواء غرائزهم البهيميّة . ومن هنا فلا غرابة فى ذكر هذه التهمـة إزاء واضـع الكشافة وأنظمتها ؟ إذ الريبة قائمة والوازع الدينى معدوم ، والشهوات عارمة وما وراء ذلك السكوت عنه أحسن .

وهل لفظ الكشافة مشتقة من الكشف عن الأفخاذ ، أو من كشف الغموم ؟ . .

لا مانـع أن يكون الاشتقاق منهما معاً بحسب مقاصد واضعى نظام الكشافة ومؤيديه والكشافة حديثة الوجود ، ولم تكن معروفة قبل ، ومع هذا فقد انتشرت فى العالم بأسره ، ولم ينج منها حتى العالم الإسلامى ، وقبلهـا المسلمون على عجرها وبجرها ، لأنهم أخذوها تقليداً للغرب ، والمقلد أعمى ، وإلا فكيف يجوز للغلام المناهز للبلوغ أو يكاد أن يكشف

عن فخذيه ويمشى فى الشوارع والأسواق بلا حياء ولا خوف ولا وجَل . وأغرب من هذا فى حال المسلمين أن يرضوا بوضع شعار الكشافة وهو عبارة عن خرقة على شكل صليب تسلك فى العنق ولا شك أن هذا من عمل النصارى الذين يحبون أن يتمثلوا الصليب فى كل شىء . ولو عرف المسلمون مكانتهم لما رضوا فى كشافتهم بهذين المعصيتين : كشف الأفخاذ ولبس الصليب . (١)

وكون ظهور الكشافة علامة من علامات قرب الساعة ظاهر فى أن النظام الكشفى لم يكن معروفا فى الشرق ولا فى الغرب . وتمضى القرون العديدة ولم يظهر للكشافة وجود . وفجأة تظهر بين الناس وتجد التحبيذ والاستحسان حتى من المسلمين ، وبذلك تحقق ما أخبر به الرسول ﷺ فى قوله وهو يذكر (٢) خصالاً عَمِلَ بها قوم لوط فأهلكوا « والمشى فى الأسواق والأفخاذ بادية » ولم يُعرف المشى فى الأسواق والأفخاذ بادية إلا عندما ظهرت المعسكرات الكشفية . وأخذ الكشافة يتجولون فى الأسواق وأفخاذهم مكشوفة . فكان هذا فى الواقع علما من أعلام النبوة إذ أخبر به الرسول ﷺ فكان كما أخبر . ف ﷺ تسليمًا .

٨ ـ المظاهرات بدل الغزو والجهاد :

إن المراد من المظاهرات هو خروج المواطنين من منازلهم ومحلات أعمالهم وتجمعهم فى الساحات العامة ، ثم سيرهم فى الشوارع يحملون لافتات قد كتب عليها بعض ما يطلبون بتحقيقه ، وهم يهتفون بأعلى أصواتهم مطالبين بما يريدون تحقيقه من إسقاط حاكم أو تعديل قانون ، أو دفع

---

(١) باستثناء المملكة العربية السعودية فإن الكشافة عندها ملتزمة بالشرع فلا كشف للأفخاذ . ولا تعليق ما يشبه الصليب والحمد لله .

(٢) رواه الديلمى فى مسند الفردوس وذكره ابن عساكر فى تاريخه .

ظلم ، أو تحقيق حق ، ويواصلون مظاهراتهم إلى أن يتعبوا فيتفرقوا . أو يحدثـون شغبـاً فتتصدى له السلطات الحاكمة فيفرقونهم بقوة السيف . ويعدون هذه المظاهرات من الجهاد فى سبيل الله ويفاخرون بها . وأسوأ ما رُوىَ من مظاهرات ما قام حجاج الروافض الشيعة فى الحرمين الشريفين بقصد الإساءة إلى حكومة المملكة العربية السعودية وذلك لما يحملون لها من الغيظ الذى كان يحطم صدورهم ويمزق قلوبهم ولا ذنب للحكومة السعـودية إلا أنها تحكم بالإسلام . ولا تسمح بمظاهر الشرك والخرافة الدينيّة ، والروافض يقوم معتقدهم وعباداتهم على أساس الخرافة والضلالة والشرك الأكبر والأصغر والخفىّ والجلى ، لأنهم قوم ضُللوا من قديم الزمان على أيدى التعاون المجرم المجوسى واليهودى ، ورضوا بضلالتهم وشركهم ويحسبون أنهم مهتدون .

وبعد فهل ذكر رسول اللّه ﷺ لأصحابه مثل هذه المظاهرات وأخبر بوجودها فى آخر الزمان ؟

والجواب : ـ نعم ـ أيها القارىء الكريم ـ لقد ذكرها رسول الله ﷺ بصريح العبـارة وجعلهـا من أشراط السـاعة وقرب قيام القيامة ، وهذا الطبرانى فى كبيره [١] يروى بسنده قوله ﷺ : « ثلاث إذا رأيتموهن فعِنْدَ ذلك تقوم الساعة » . وبينها فيقول : « خراب العامر ، وعمار الخراب ، وأن يكون الغزو نِداءً وأن يتمرس الرجل بأمانته تمرس البعير بالشجرة » [١]

والشـاهـد من هذا الحديث فى قوله ﷺ وأن يكون الغزو نِداءً . إن النداء . هو رفع أصوات المتظاهرين يحيا فلان ويسقط فلان ، أو يكون كذا وكذا وهم يعدون هذه النداءات بأعلى أصواتهم مع مظاهراتهم يعدونها غزواً وَجهاداً أو أعظم من الغزو والجهاد .

وأخيراً فإن وجود هذه المظاهرات فى العالم اليوم ، ولم تكن معروفة من

---

(١) ورواه أيضا البغوى فى معجم الصحابة ، وابن عساكر فى التاريخ .

قبل ، آية من آيات قرب الساعة ، وعلم من أعلام النبوة المحمدية إذ أخبر بها الرسول ﷺ قبل وجودها بمئات السنين فكانت كما أخبر . فتقرر بذلك نبوّته ، وقرب الساعة . فهل من تائب يا عباد الله ؟ .

٩ ـ فشو التجارة ، وكثرة المال وظهور القلم :

هذه ـ أخى القارىء ـ ثلاث علامات قد ظهرت وفق إخبار الرسول بها وهى معدودة من أشراط الساعة الصغرى . وفى القرآن الكريم : ﴿ **فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها . فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم** ﴾ . وهذه العلامات هى : كثرة التجارة وفشوها ، وكثرة المال وفيضه ، ورفع القلم وظهوره . أما التجارة فقد تعاطاها اليوم العام والخاص حتى الأحداث الصغار من بنين وبنات كما نشاهد فى شوارع المدينة المنورة ، فأصبحت التجارة مهنة كل الناس بعد أن كانت خاصة بفئة محدودة فى كل الأمم والشعوب من شأن تلك الفئة القليلة من أهل المدينة أو القرية أنه تقوى على السفر والسهر ، والنصب والتعب ، وكان من أسباب انتشارها يسر المواصلات وسرعة الاتصالات ، فالرجل على مكتبه وهو يبيع ويشترى مع من شاء من التجار فى العالم بأسره وأما المال فقد فاض فيضاناً لم يسبق له مثيل حتى أصبح المتسول يملك آلاف الدراهم أو مئات الدنانير الأمر الذى لم يسبق له نظير . وأما ظهور القلم وسيادته وهو مستلزم للكتابة و الكتاب فإن من ظهوره أن أصبح على جيب كل إنسان بل من الناس من يكون على جيب صَدْره أقلام لاقلم واحد . وأصبحت أمور الناس ومصالحهم تجرى على أيدى الكتاب أرباب الأقلام . فى كل البلاد ، وبين سائر العباد وهذا مادل عليه قطعا الأحاديث التالية :

١ ـ رواية أحمد والبزار والطبرانى وغيرهم من حديث ابن مسعود رضى الله عنه من أن الرسول ﷺ قال : « إن من أشراط الساعة أن يظهر القلم » .

٢ ـ رواية ابن المبارك عن الحسن (١) البصرى أن النبى ﷺ قال : « لاتقوم الساعة حتى يرفع العِلم ويفيض المال ، ويظهر القلم وتكثر التجارة » .

٣ ـ رواية النسائى من حديث عمرو بن تغلب عن النبى ﷺ أنه قال : « إن من أشراط الساعة أن يفشوَ المال وتفشو التجارة ، ويظهر القلم » إلـــخ . . . .

إن الأحاديث الثلاثة قد اشتملت على العلامات الصغرى للساعة ، وهى العلامات المذكورة أعلاه : ظهور القلم ، رفع العلم ، فيضان المال .

ومما يلفت النظر : تنافى رفع العلم وظهور القلم ، إن المفروض أن العلم يكثر مع ظهور القلم ، وإذا به يقل حتى يفشو الجهل . ولذلك كان رفع العلم مع ظهور القلم علامة من علامات قرب الساعة .

وبالجملة واختصار القول أنَّ العلامات الثلاث التى اشتملت عليها الروايات الثلاث قد ظهرت كما أخبر بها رسول الله ﷺ فَدلَّت على حقيقتين : الأولى صحة نبوّة محمد ﷺ وصدق رسالته . والثانية قرب الساعة لوجود أشراطها .

والسؤال الأخير هو هل من تائب ؟ هل من مراجع نفسه ليسير فى طريق الحق لينجو ويسعد ؟ .

---

(١) الحديث مرسل .

العـلامات الواردة فى الأنفـس

١ - شيـوع الربا وأكلـه :

إن تحريم الربا فى الإسلام وأمته من أبرز المظاهر الإسلاميّة التى جاء الإسلام بها ، فقد حرّم الله تعالى الربا فى كتابه بصيغ من الكلام بلغت من القوة والشدّة ما جعلت أكل الربا من أكبر الكبائر ، ومتعاطيه محارباً لله ورسوله قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تَفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله** ﴾ وأعلن رسول الله ﷺ عن تحريم الربا عام الفتح بمكة وقال : « وكل ربا فى الجاهلية موضوع تحت قَدَمىَّ هَاتَيْن وأول ربا أضع ربا عمى العباس » وما زال ﷺ يؤكد تحريم الربا ويعلن عن خطورته حتى قال « لَعَنَ الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه » وقال : « الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها أن ينكح الرجل أمه » (١) .

وحـرم المسلمـون الـربـا بتحريم الله ورسوله له . وأصبحت أمة الإسلام فى مأمن من هذه المفسدة ، ولم يبق بينها من يظن أنَّه يوماً مَّا من الأيام سيعلن فيه عن إباحة الربا بأكله جهرة وتعاطيه علناً بدون ما خوف ولا حياء . وتمضى الأيام والأعوام وتتوالى القرون ، ويظهر فى أمة الإسلام الربا ويفشو تعاطيه بين المسلمين ولم يبق بلد واحد من بلاد المسلمين لم يؤكل فيه الربا ويُتعامل به .

وهذا عائد غالبا إلى البنوك التى انتشرت فى ديار الإسلام وهى من وضع عبدة العجل اليهود وهم قد أقاموها أساساً على الربا أخذاً وعطاء فبواسطة هذه البنوك انتشر الربا وعم والعياذ بالله تعالى . وتساءل المسلمون : هل

---

(١) رواه الحاكم وصححه .

كان الرسول ﷺ قد ذكر أن مثل هذا قد يقع فى اخر الزمان ؟ وبالرجوع إلى أبواب الفتن وأشراط الساعة من كتب السنن وجدَ قطعاً أن النبى ﷺ قد أخبر به ، وأن أمته آكلة الربا لا محالة .

وهذا أبو داود وابن ماجه والحاكم يروون عن أبى هريرة رضى الله عنه قول الرسول ﷺ : « ليأتين على الناس زمان لايبقى منهم أحد إلا أكل الربا فمن لم يأكله ناله من غباره ». وفى رواية أخرى لأبى هريرة : « سيأتى على الناس زمان يأكلون فيه كلهم الربا . فقلنا يارسول ﷺ كلهم ؟ قال : نعم ، ومن لم يأكله أصابه غباره » وصدق رسول الله ﷺ فيما أخبر به ، فقد أكل المسلمون فى هذه الأيام الربا ومن لم يأكله مباشرة فقد أكله بالواسطة ، وهو معنى قوله : ناله من غباره ، إذ أصبحت الأموال كلها تمر بطريق البنوك فلا تصل إلى الموظف ولا إلى العامل فضلا عن التاجر إلا عن طريق البنوك الربويّة ، وبذلك أكل الناس الربا عامة ومن لم يأكله أصابه من غباره . والعياذ بالله تعالى وثبت بهذا أن رسول الله حق وأن أشراط الساعة قد ظهرت فهل من تائب منيب فيؤمن برسول الله ويلزم نفسه بحبه واتباعه ويتقيد بسنته ولزوم شريعته ، والإعراض عن الدنيا وقد أصبحت وشيكة الفناء والزوال .

اللهم توبة منك تنقذنا بها من وحلة الآثام ، وفتنة أكل الحرام ، وتحفظنا بها من سوء الختام إنك سميع الدعاء وتعلم السر والنجوى .

٢ ـ تشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال :

التّشبه : تفعّل من الشبه ، ومعناه : طلب الإنسان وتكلّفه أن يكون شبه كذا ممن يريد أن يكون مثله فى زيّه أو خلقه أو دينه ؛ لرغبة فى نفسه دعته إلى ذلك أو لغرض يريد تحقيقه من وراء التشبه بمن أراد أن يتشبّه

والتشبه منه ما هو محمود ، ومنه ماهو مذموم ، فالمحمود ما كان بالصالحين من ذوى الإيمان والتقوى ، والأخلاق الفاضلة كالصلحاء

والأتقياء ، والشجعان والكرماء فيتشبه بهم الرجل فيقلدهم ويحاكيهم فى منطقهم وزيهم وسلوكهم حبّاً فيهم ورغبة فى كمالهم . فيحصل له ذلك إن شاء الله تعالى .

ومثله المرأة تتشبه بفضليات النساء فتحاول تقليدهن فى الاحتشام والحياء . والعفة والسخاء وحسن التَّبَعّل للزوج وتربية الأولاد والمحافظة على الصلاة وخفض الصوت وغض البصر ، وما إلى ذلك من كمال النساء . فى الدين والخلق فهذا تشبه محمود مرغب فيه مدعوٌّ إليه .

وأما التشبه المذموم فإن منه ما هو كفر وذلك كالتشبه بالكافرين والمشركين إعجاباً بهم ، وحبّاً لهم ، ورغبة فى أن يكون مثلهم . ومنه ما هو حرام وذلك كتشبه الرجل بالمرأة فى تطويل ثيابه ، وحلق وجهه ، وترجيل شعره وإطالته حتى يكون كشعر المرأة ، وكاستعمال المساحيق بتزجيج الحواجب ، ونتف شعر الخدَّين ، وكالتكسر فى المشية والترقيق للصوت . ولبس مايختص بالنساء من النعال والثياب وغير ذلك .

ومثله تشبه المرأة بالرجل فى جعل ثيابها إلى نصف ساقها ، وكشف وجهها ، وتقصير شعر رأسها ، وإغلاظ صوتها ، وتكلف ترك الحشمة والحياء ، والإظهار فى مظهر الرجل فى المشية والسلوك . ومن ذلك طلب المهام الخاصة بالرجال ومحاولة مزاولتها كأعمال القضاء والشرطة والسفارة والوزارة والمحاماة وقيادة السيارات ، وإلقاء الخطب والمحاضرات فى المجامع والحفلات ، أو على أمواج الأثير ، وكالنفور من البيت ، والرغبة فى الجلوس فى الحدائق العامة والخاصة . والمقاهى والملاهى وما إلى ذلك .

فكل هذا تشبه حرام فلا يحل لمؤمن ولا مؤمنة فعله .

عرف المسلمون حكم التشبه الحرام فاجتنبوه طاعة لله ورسول الله فعاشوا قرونا طويلة لا يتشبه رجل بامرأة ولا امرأة برجل ، فضلا عن التشبه بالكفر وهو التشبه بالمشركين والكافرين ، بيد أنه قد ظهر فى هذه الأيام التشبه بالنساء من الرجال وبالرجال من النساء وبصور واضحة .

وبـأعداد هائلة بالرغم من قول الرسول ﷺ : « لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال » .

وتساءل الناس . هل أخبر الرسول ﷺ بأن هذه المفسدة قد تقع فى أمته فتهبط أمة الإسلام فى أخلاقها وتتنكر لآدابها ، وتخرج عن طاعة نبيهـــــا ؟ .

ووجدوا الجواب عن أبى نعيم فى حليته إذ يروى له عن حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ﷺ قوله : قال رسول الله ﷺ : « من اقتراب الساعة تشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال » . وبهذا تأكدت نبوة الرسول ﷺ كما تأكد قرب الساعة فهل من تائب يا عباد الله ؟ .

٣ ـ التشبه باليهود والنصارى :

لقد عرفنا فى المسألة الثانية قبل هذه حكم التشبه وعرفنا معناه ، غير أن تلك مسألة أخرى وهى أغرب وأعجب من تلك إلى حد أنَّ تصور وقوع هذه المسألة فى عهد الصحابة والتابعين يعتبر تصورا لوقوع شىء مستحيل ، وذلك لأن الله تعالى حذرنا من اليهود والنصارى وحرم علينا موالاتهم ، وذلك لأن الأولين مغضوب عليهم بما ظلموا ، والآخرين ضالّون لانحرافهم عن الدين الحق ، وكفرهم بالإسلام الذى هو خاتم الأديان السماوية والذى لايقبل من إنسان دِين غيْره . قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء** ﴾ ، **وقال** : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾ فرضاهم عَن المسلمين متعذر بل مستحيل ما لم يتبع المسلمون دينهم فيكفروا كما كَفروا ، والعياذ بالله تعالى . فإخبار الله تعالى المسلمين بعداوة اليهود والنصارى له وتحريمه تعالى على المسلمين مودتهم وموالاتهم حال تقتضى بالطبع والشرع أن لا يقلد المسلمون اليهود والنصارى ، ولا يتشبهون بهم فى شىء ؛ لأن التشبيه المطلوب يكون بالمهتدين الصالحين

واليهود والنصارى لاهداية معهم ولا صلاح فيهم . فكيف يجوز تقليدهم في شيء أو التشبه بهم في آخر .

بَيْدَ أن الرسول ﷺ قد أخبر بأن زمناً ما سيأتي يتشبه فيه المسلمون بكل من اليهود والنصارى ويقلدونهم في كل شيء من مظاهر الحياة ، وأنَّ هذا كائن لا محالة ووقوعه يوم يقع يكون آية صدق محمد ﷺ في نبوّته ورسالته ، وعلامة من علامات قرب الساعة .

ويعيش المسلمون قرونا عدة ، ولا مناسبة ولا ملاءمة بينهم وبين اليهود والنصارى فضلاً عن المودة والموالاة ، وذلك ليحفظ المسلمون قلوبهم من الزيغ ، وعقولهم من الضلال ، وأعمالهم من الفساد ، وسلوكهم من الانحراف وأثناء هذه الحماية للمسلمين كان اليهود والمجوس وأخيرا النصاري يتآمرون على المسلمين ويكيدون لهم ويدسون ويمكرون وما زالوا كذلك والمسلمون في غفلة حتى أفسدوا على المسلمين عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم ونزل المسلمون من علياء كرامتهم ، وسماء مجدهم وكَمَالِهِمْ بعد أن فَقَدُوا طُهرهم وصفاءهم . وفجأة وقعوا فريسة لأعدائهم فمزقوا دولتهم وتقاسموا بلادهم وحكموهم بقانون الكفر وساموهم الخسف والعذاب ، ووجد المسلمون أنفسهم تحت رحمة النصارى المتهودين يذيقونهم مُرَّ العذاب يتحكمون في رقابهم ويتصرفون في أموالهم ، فكانت هذه حالاً اضطر المسلمون معها إلى إظهار محبة الكافرين ، ومصانعتهم فأدى ذلك بهم إلى التزيي بزيهم ، والعمل بعاداتهم ، والتخلق بأخلاقهم والتأدب بآدابهم ، والتملق إليهم حتى بالتخلي عن الإسلام عقيدة وعبادة وقانوناً .

وبهذا وقع المسلمون فيما حذر منه رسول الله ﷺ وحدث به أخيراً بوقوعه ، والرسول ﷺ عندما يخبر عن المستقبل وما يقع فيه إنما قصده تحذير المسلمين ليأخذوا بالحيطة لأنفسهم ودينهم فينجوا . مع ما في ذلك الإخبار من آية النبوة ، وعلامات قرب الساعة ، فيقوى إيمان المؤمنين ويزداد احتياطهم لدينهم وأنفسهم .

وأخيراً إلى القارىء الكريم الأحاديث النبوية المتضمنة لتشبه المسلمين فى آخر الزمان باليهود والنصارى التشبه القائم اليوم ومنذ سقوط الخلافة واحتلال النصارى المتهودين لبلادهم ، والتحكم فى رقابهـــــم .

١ ـ حديث البخارى ومسلم ونصه : « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم [١] قيل يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن » ؟.

٢ ـ حديث أحمد عن سهل بن سعد الأنصارى رضى الله عنه عن النبى ﷺ : ونصه كالتالى : « والذى نفسْى بيده لتركبن سنن من قبلكم مِثْلاً بمِثْل ».

٣ ـ حديث البزار والحاكم من رواية ابن عباس رضى الله عنهما هكذا : « لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، وباعاً بباع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموهُ ولو أن أحدهم جامع أمه لفعلتم ».

٤ ـ حديث الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه ونصه هكذا : « أنتم أشبه الأمم ببنى إسرائيل لتركبن طريقهم حذو القذة بالقذة حتى لايكون فيهم شىء إلا كان فيكم مثله حتى إن القوم لتمر عليهم المرأة فيقوم إليها بعضهم فيجامعها ، ثم يرجع إلى أصحابه يضحك إليهم ، ويضحكون إليه ».

٥ ـ حديث الحاكم عن حذيفة رضى الله عنه ولفظه مايلى : « لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة ، ولتركبن سنن الأمم من قبلكم حذو النعل بالنعل لا تخطئون طريقهم ولا تُخطئنكم حتى إنه لو كان فيهم من يأكل العذرة رطبة أو يابسة لأكلتموها ».

---

(١) حضرت بمدينة وجدة بالديار المغربية مجلساً فقيل فيه إن الواعظ الفلانى قد فسر جحر الضب فى الحديث بالسروال الضيق الطويل فاستوجهت التأويل واستملحته للغاية لأن السروال الطويل الضيق أشبه بجحر الضب ، وقد قلد فيه المسلمون اليهود والنصارى ولبسوه مع أنه يكره فى الصلاة وينافى الحياء !!

وأخيرا فهذه الأحاديث الخمسة مصرحة كلها بأن هذه الأمة سيطرأ عليها من الضعف والفساد فى آخر الزمان ما يجعلها تتشبه باليهود والنصارى وتقلدهم وتجاريهم فى فسادهم حتى ترتكب كل ما ارتكبوه من الشر والفساد . وهذه نقاط سود فى جسم أمة الإسلام المنكوبة اليوم بالتبعيّة والتقليد لأعداء الحق ودين الإسلام فليتأملها القارىء وليستغفر الله له وللمسلمين والمسلمات .

● فسق اليهود والنصارى عن شرائع الله بتحليل الحرام وتحريم الحلال ففعل ذلك المسلمون تقليداً لليهود والنصارى .

● عطّل اليهود والنصارى أحكام الشرع الإلهى وفصلوا الدين عن الدولة فأقاموا دولهم على العلمانية البحتة ففعل المسلمون ذلك باستثناء المملكة العربية السعودية حماها الله ووقاها شر الغير إنه قدير .

● استراب اليهود والنصارى فى دينهم فاستراب وشك كثير من المسلمين فى دينهم ، وذهب عنه الاعتقاد الثابت القوى ، وعاشوا فى ذبذبةٍ وحَيْرةٍ ما هم بالمؤمنين ولا بالكافرين .

● ابتداع اليهود والنصارى البدع فى دينهم الأمر الذى خرجوا به حتى عن مسمّى الدين ، فابتدع المسلمون البدع فى العقائد والعبادات والأحكام مما خرج بكثير منهم عن الإسلام الحق ، والصراط المستقيم .

● تبرج وسفر نساء اليهود والنصارى فسفرت وتبرجت نساء كثير من نساء المسلمين .

هذه أخى القارىء نقاط قليلة وغيرها كثير ، والمقصود من ذكر هذا البعض هو الإشارة إلى أن ما أخبر به الرسول من تشبه هذه الأمة باليهود والنصارى وجعله علامة على قُرب الساعة قد وقع كما أخبر حرفيّاً ، وبذلك ظهرت أعلام النبوة المحمدية ، ولاحَتْ علامات الساعة ، ولم يبق إلا طلب النجاة فالنجاة النجاة يا عباد الله : آمِنوا بالله ورسوله وتخففوا من دنياكم فقد آذنت بالزوال ، وتزودوا لآخرتكم فإنكم على الأعتاب . ويَتُوب الله على من تاب .

٤ ـ استحـــلال المحرمات :

اعلم أيها القارىء الكريم أنه ما إن استقر الرسول الكريم ﷺ بالمدينة النبويّة وقد انتشر فيها الإسلام وكثر بها المسلمون حتى أخذت الأحكام الشرعية تَنْزل والمسلمون يتلقونها ببالغ الفرح وعظيم السرور . ففرض الله تعالى الصيام . والزكاة وحرم الخمر والقمار ، ولبس الذهب والحرير على الـرجال ، ونزلت حدود السرقة والقتل والزنا ، وأحكام البغى ، وما إلى ذلـك ، وتـوالى نزول القـرآن ، وبيان السنة ، فعرف المسلمون الحلال والحـرام ، والمباح والمحظور من المطاعم والمشارب والمناكح والملابس كما عرفوا العبادات وأحكام المعاملات ، وما أصبح بينهم من يجهل المحرمات مما ذكرنا وما لم نذكر ، وطهرت ديار المسلمين من كل خبث وعبث وَحَلَّ محل ذلك الحزام والجد ، والطهر والصفاء ، وعاش المسلمون دهراً طويلا وهم يعملون أن مستحل الحرام يكفر به وإن الجاحد لمعلوم من الدين بالضرورة كافر بجحوده ـ ولم يكن يخطر ببال أكثر المسلمين أن زمناً سيأتى يوجد بين المسلمين من يستحل ما حرم الله تعالى . غير أن الرسول ﷺ قد أخبر أن ذلك كائن لا محالة وأنه من أشراط الساعة .

وهذا البخارى رحمه الله تعالى روى لنا قوله ﷺ : « ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر (١) والحرير والخمر والمعـــازف » .

وكالبخارى الطبرانى إذ يروى عن سهل بن سعد الأنصارى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « سيكون فى آخر الزمان خسف وقذف ، ومسخ ، قيل ومتى ذلـك يارسـول الله ؟ قال : إذا ظهـرت المعـازف والقينات ، واستحلت الخمـــر » .

---

(١) الحر : فرج المرأة والمراد به استحلال الزنا .

وبإلقاء نظرة خاطفة أيها القارىء الكريم على بلاد المسلمين من أندونيسيا شرقاً إلى المملكة العربية المغربية غرباً تجد وكأن المذكورات فى الحديثين الشريفين قد استحلت فعلا .

فالخمـر تصنع وتصدر وتشرب فى كثير من بلاد المسلمين . وتستورد وتباع وتشترى وتشرب فى بلاد أخرى من ديار المسلمين أليس هذا باستحلال لها ؟ .

ودور البغاء استمرت معلناً عنها يأتيها المسلمون ليل نهار زمناً غير قصير أليس هذا باستحلال للزنا ؟ .

وفتـح دور الحضانة لإيواء أولاد الزنا والتقاط أبناء الخطيئة والتمدح بذلك وإطلاق أبناء الشعب عليهم وتربيتهم لادينيّاً ولا أخلاقيّاً للاستعانة بهم على سفك الدماء والقتل ، وفى كثير من بلاد المسلمين أليس هذا استباحة للزنا ؟ .

وإذاعة الأغانى الماجنة الخليعة بأصوات العواهر والمخنثين والزناة طوال الليل والنهار فى المنازل والدكاكين والشوارع وفى المراكب حتى الطائرات أليس هذا استباحة للمعازف والقينات ؟ .

لاأحسب أحداً يعرف عن الله ورسوله لايقول فى كل التساؤلات : بلى ، بلى ، بلى إى وربى إنه لحـــق . . .

وصدق رسول الله ﷺ فيما أخبر به فقد كان كما أخبر فتأكدت بذلك نبوّته وتحققت رسالته واقتربت الساعة بظهور أشراطها . فهل من منيب ياعباد الله ؟ هل من تائب فيترك الزنا والغناء وشرب الخمر وأكل الربا ؟ .

٥ ـ طلب العلم لغير الله تعالى :

إن العلم الـذى يرفـع الله به أهله درجات ، والذى هو غاية للعقلاء من أشرف الغايات ، وهو العلم الدينى الشرعىّ ، وحقيقته ، معرفة الله تعالى ، ومعرفة مايقرب إليه زلفى ، وهو العلم الذى يكسب العبد خشية الله وينيله تقـــواه .

العلم الذى أمر الله تعالى رسوله أن يسأله المزيد فقال : ﴿ وقل ربّ زِدْني علماً ﴾ ، وأهله هم المقول فيهم : ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾ .

هذا العلم الشرعى طلبـه الأولون وتحملوا فى طلبه المشاق ، وصبروا لأجل الحصول عليه على الشدائد وخاضوا فى سبيله الأهوال .

هذا العلم ما كان فى يوم من الأيام يطلب إلاَّ لله تعالى تقرباً إليه وتوسلاً إلى حبـه والقرب منه ، لأنه عبادة من أشرف العبادات ، والعبادات لا تكون إلاَّ لله خالصة . بَيْدَ أن الرسول ﷺ قَدْ أخبر أصحابه أن من أشراط الساعة وعلامات قرب مجيئها طلب العلم لغير الله تعالى ، والتفقّه فى الدين لأجل الدنيا . والروايات التالية تقرر هذه الحقيقة وتؤكدها فلننظر فيهـــا .

١ ـ رواية أبى نعيم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وفيها يقول الرسول ﷺ : « كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ، ويهرم فيها الكبـير . وتتخذ سنة فإذا ترك منها شىء ، قيل : تركت سنة ؟ قالوا : ماهى يارســول الله ؟ قال : إذا كثـر قراؤكم ، وقلّت علماؤكم وكثـرت أمراؤكم ، وقلّت أمناؤكم ، والتمست الدنيا بعمل الآخرة ، وتُفقه لغير الله » .

ففى هذه الرواية دلالة قويّة على ما سقناها لأجله من قرب الساعة إذ تضمنت كثرة من يقرأ ويكتب . وقلة من يعلم ، ثم كثرة الأمراء بتعدد دول المسلمين حتى أصبحت دولهم تزيد على خمس وعشرين دولة ، ثم طلب الدنيا بعمل الآخرة وأخيراً التفقه لغير الله تعالى وهو الشاهد من الحديث إذ هو بمعنى طلب العلم لغير الله تعالى .

وكل هذه المذكورات فى الحديث قد وقعت فعلا فى المسلمين ، وإنا لله وإنا إليه راجعــــون .

٢ ـ رواية الترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه ونصها : « إن من أشراط الساعة أن يتخذ الفىء دُولا ، والأمانة مغنما والزكاة مغرما ، وتُعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه ، وأدنى صديقه وأقصى أباه ، وظهرت الأصوات فى المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأُكرم الرجل مخافة شرّه ، وظهرت القينات والمعازف ، وشربت الخمور ، ولعن آخر هذه الأمة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام قُطع سلكه فتتابع » .

٣ ـ رواية الطبرانى عن عوف بن مالك رضى الله عنه وفيها : « وتُفقه فى الدين لغير الله » .

هذا ولْنلق نظرة أخرى على ما تضمنته الأحاديث الثلاثة من علامات الساعة ولنذكر كل علامة إزاء نقطة تحددها بها فنقول :

إن الحديث الأول تضمن ما يلى :

● كثرة القراء : وليس المقصود كثرة قراء القرآن الكريم وحفظه ومجوديه ، وإنما كثرة من يقرأ ويكتب ، وما يُعرف اليوم بمحو الأميّة ، إذ لم تعرف أمة الإسلام عهداً كثر فيه من يقرأ ويكتب كما عرفته اليوم . لقد كان فى عهد قريب من أهل القرية لايجدون من يقرأ لهم كتابا يرد عليهم حتى يركب أحدهم دابته إلى قرية أخرى يطلب من يقرأ له كتابه ، أما اليوم فإن أكثر المسلمين يقرأون ويكتبون . وهذا معنى قوله ﷺ : « ويكثر قراؤكم » .

● **قلة العلماء :**

إنه بالرغم من كثرة القراء فإن العلماء قد قلوا جداً ، وأصبح الناس فى كثير من القرى لايجدون من يُفتيهم فى مسألة من مسائل الشرع ، وهذه هى آية حيث قَلَّ العُلماء مع كثرة القراء

● **كثــرة الأمــراء :**

وهـذه ظاهرة سبق أن ذكرنا أنها من أشراط الساعة . وأنها ناتجة عن تعدد الدول الإسلامية كما أن الاعتماد على الأنظمة الغربية له دخل فى هذه الظاهرة ، وذلك عائد إلى انعدام الصدق والإخلاص والوفاء بين أكثر الناس .

● **قلّــــة الأمناء :**

إن قلة الأمناء أصبحت ظاهرة فاشية يعترف بها كل مسلم وهى ناتجة عن انعـدام الأمـانة وعن تضييعها بقلة من يرعاها ويحافظ عليها . لقد أصبح الرجل يطلب فى أسواق المسلمين عسلا أو سمنا خالصين من الغش فلا يجدهمـــــا .

● **طلب الدنيا بعمل الآخرة والتفقه لغير الله :**

هاتـان العـلامات قد ظهرتا بصورة واضحة فى مدارس العلم ومعاهده وجامعاته على كثرتها لم تفتح أبوابها منذ بداية العهد الجديد عهد الاستقلال عن الاستعمار الغربى من أجل أن يُعرف الله وتعرف محابُّه ومكارهه لُيعبد عز وجـل بفعـل محبوبه وترك مكروهه . وإنما فتحت من أجل الوظائف والأعمال الدنيويّة والدليل على صحة هذا فشو ترك الصلاة واتباع الشهوات من المتعلمين والمتعلمات حتى أصبحت التقوى فى الأميين اليوم أكثر منها فى غيرهم من المتعلمين ، وذلك لأن الأعمال بالنيات ، ومن طلب العلم للدنيا كان للدنيا حتى العلم الشرعىّ أصبح يطلب للدنيا ، وهذا معنى قوله ﷺ : « وتُفقه لغير الله » .

وأمـا الحديث الثانى فقد تضمن من علامات الساعة أكثر من عشر علامات وإليك هى إزاء النقاط التاليــــة :

● اتخـــاذ الفيء دولا :

الفيء ما يتركه العدو من مال فيحصل عليه المسلمون بدون قتال واليوم علم الجهاد منكس ، ورايته بين المسلمين ممزّقة فلا دعوة إلى الله تعالى ، ولا جهاد فى سبيله . فما هو الفيء إذاً ؟ لا يبعد أن يكون ما تأخذه الدول الإسلاميّة من ضرائب فادحة إذا استثنينا دولة الإسلام بالمملكة العربية السعـودية إذ هى الوحيدة التى لم تضرب الضرائب على مواطنيها إلا فى مجالات محدودة وبمقـادير زهيدة . فإن سائـر الدول فى العالم الإسلامى تضرب الضرائب الفادحة ، وتدور بين رجال السلك الحاكم فهى دول بين الحاكمين ولا يصل منها إلى غيرهم شيء يذكر . والله أعلـــــم .

● اتخاذ الأمـــانة مغنما :

هذه العـلامة تعرفها بعرضك أمانة مال أو حريم على أى مسلم فإنه لايتردد فى قبـولهـا وتلك علامة أنه يراها غنيمة سيقت إليه ، وإلاَّ لكان يرفض قبولها إلا بإلحاح منك ومن أمثلة العامة : الفارح بالأمانة خائنها . ويتجـلى هذا فى الوظائف الحكومية ترى الناس يتوسلون بشتى الوسائل للحصـول عليهـا . وأكثرهم لا همَّ له فى إصلاح . ولا محافظـــة على صلاح ولكن للحصول على شهرة المنصب ، ورغد العيش ، ولهذا فإن أكثرهم يضر بمصالح الدولة ولا ينفعها كأنه عدو لها وهو لايشعر . وهذا ما أشكوه إلى الله تعالى .

● اتخاذ الزكاة مغرما :

ويكفى فى ظهـور هذه العـلامـة أن نسبـة من يؤتى الزكاة اليوم بين المسلمـين ضئيلة جَداً ولا سيما بين الأثرياء وأرباب الأموال الطائلة ومن يزكى يشعر بتضايق فى نفسه حتى لكأنَّه يدفع غرامة لازمة لازكاة يتقرب بها عند الله .

● التعليم لغير الله تعالى :

وهـذا محل الشـاهد من الحديث فإن هذه العلامة قد ظهرت بصورة متأكدة إذ كل العلوم والمعارف التى تُطلب فى هذه الأيام إنما تطلب للدنيا فقط وقلما يحتسب طلبه العلم لله تعالى ليعبده ويعلّمه من يعبد الله به .

● طاعة الرجل لامرأته وعقوقه أمه وإدناؤه صديقه وإبعاده والده :

هذه العلامة قد ظهرت أيضاً بين المسلمين فى الجملة وإن لم تكن عامة بينهم والحمد لله .

● ارتفاع الأصوات فى المساجد :

وهذا صادق بجهل الناس اليوم بآدب المساجد وبالبدع وحلق الذكر بعد الصلوات بأصوات رفيعة وكذا قراءة القرآن جماعة وفرادى بأصوات عالية رفيعة ومن هذا مكبرات الصوت التى ارتفعت بها أصوات المدرسين والخطباء .

● سيادة الفسّاق :

وهى علامـة ظاهـرة فى أن أكثـر عمد الأحياء ومشايخ القرى وأمراء الأجناد فى العالم الإسلامى لا يحضرون الصلاة جماعة ويحلقون وجوههم ويدخنون ومنهم من لايصلى بالمرة ويتعاطون الكثير من المحرمات .

● كون زعيم القوم أرذلهم :

وهذا صادق بنواب المجالس حيث يتكلمون باسم القبائل والأحزاب والجماعات وأكثرهم يوجد فى الأمة من هو خير منهم وأصلح .

● **إكرام الرجل مخافة شره :**

هذه علامة ظاهرة لاشك فيها اليوم فإن كثيرا ممن على مصالح الأمة يكرمون لا لشىء إلا دفعاً لشرهم حتى لا يؤذوا مَنْ مصالحهم متعلقة بهم .

● **ظهور القينات (المغنيات) والمعازف :**

وهى آلات الطرب وشرب الخمور فهذه العلامة قد ظهرت فى أمة الإسلام اليوم ومنذ زمن غير قصير .

● **لعن آخر هذه الأمة أولها :**

هذه العلامة ظاهرة فى الروافض (الشيعة) إذ هم الذين يلعنون أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين ومن تبعهم بإحسان من أهل السنة والجماعة وقد لا يبعد أن يكون من جزئيات هذه العلامة عدم الاقتداء بسلف الأمة فى الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية المختلفة .

وأما الحديث الثالث فهو صريح فيما تضمن من علامة الساعة وهو التفقه لغير الله إذ لا يوجد فى الألف اليوم واحد يتفقه لأجل أن يعبد الله تعالى وحده بل لابد من ضميمة طلب الوظيفة للعيش .

وأخيراً فهذه سِتَّ عَشْرة علامة من علامات قرب الساعة قد ظهرت فى الجملة فدلت على صدق النبى ﷺ فى رسالته كما دلت على قرب مجىء الساعة . فهل من تائب قبل فوات الأوان فإن من تاب تاب الله عليه . ولا يهلك عند الله إلا هالك .

٦ - خفّة الأحلام ، وذهاب العقول

الأحلام جمع حلم ، وهو ما قابل النزغ والطيش أو الجهل والسَّفَه وخفة الأحلام معناها انعدام الصبر والأناة والسكون والهدوء عند المرء .

والعقول جمع عقل وهو نور باطنى تدرك به النفس ما لا تدركه بالحواس . وسُمِّىَ العقل عقلا لأنه يعقل أى يحبس صاحبه عن اعتقاد أو قول أو فعل ما ليس بحق أو خير كما يمنعه من الوقوع فى المهالك . وذهاب العقول معناه : انطماس ذلك النور فى القلب فيصبح العبد يعتقد الباطل ويقول القبيح ويفعل الشر وهو لايشعر بفساد اعتقاده ولا بقبح قوله ولا فساد عمله والعياذ بالله تعالى وقد جاء فى أشراط الساعة وعلاماتها الصغرى أن من أشراط الساعة ذهاب العقول وخفة الأحلام والروايات التالية تحمل ذلك وتدل عليه .

١ - رواية الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما وفيها أن رسول الله ﷺ قال : « إن من علامات البلاء وأشراط الساعة أن تعزب العقول وتذهب الأحلام ويكثر القتل وتظهر الفتن » والشاهد من الحديث فى قوله تعزب العقول أى تغيب وتذهب ويدل على ظهور هذه العلامة ارتكاس الناس فى الشرور والمفاسد مع اعتقاد أكثرهم الباطل وقولهم غير الحق وفعلهم غير المعروف وهم لا يرون ذلك ولا يشعرون به كما فى قوله وتذهب الأحلام فإن هذه العلامة قد ظهرت أيضا . يدل عليها ما عليه كثير من المسلمين من الطيش وقلة الصبر وانعدام التؤدة وكثرة الجهل والسفه .

٢ - رواية الطبرانى أيضا عن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه . ومنها أن من أشراط الساعة ان تنتقص العقول وتعزب الأحلام ويكثر الهم .

٣ - رواية احمد والحاكم وابن ماجه من حديث أبى موسى الأشعرى فيه قال رسول الله ﷺ : « أخاف عليكم الهرج . قالوا : وما الهرج يا

رسول الله قال : القتل قالوا : وأكثر مما يقتل اليوم إننا نقتل اليوم المشركين كذا وكذا فقال النبى ﷺ ليس قتل المشركين ولكن قتل بعضكم بعضاً قالوا وفينا كتاب الله ؟ قال وفيكم كتاب لله عز وجل قالوا ومعنا عقولنا . قال : إنه تنتزع عقول عامة ذلك الزمان ويخلف هباء من الناس يحسبون أنهم على شيء وليسوا على شيء» .

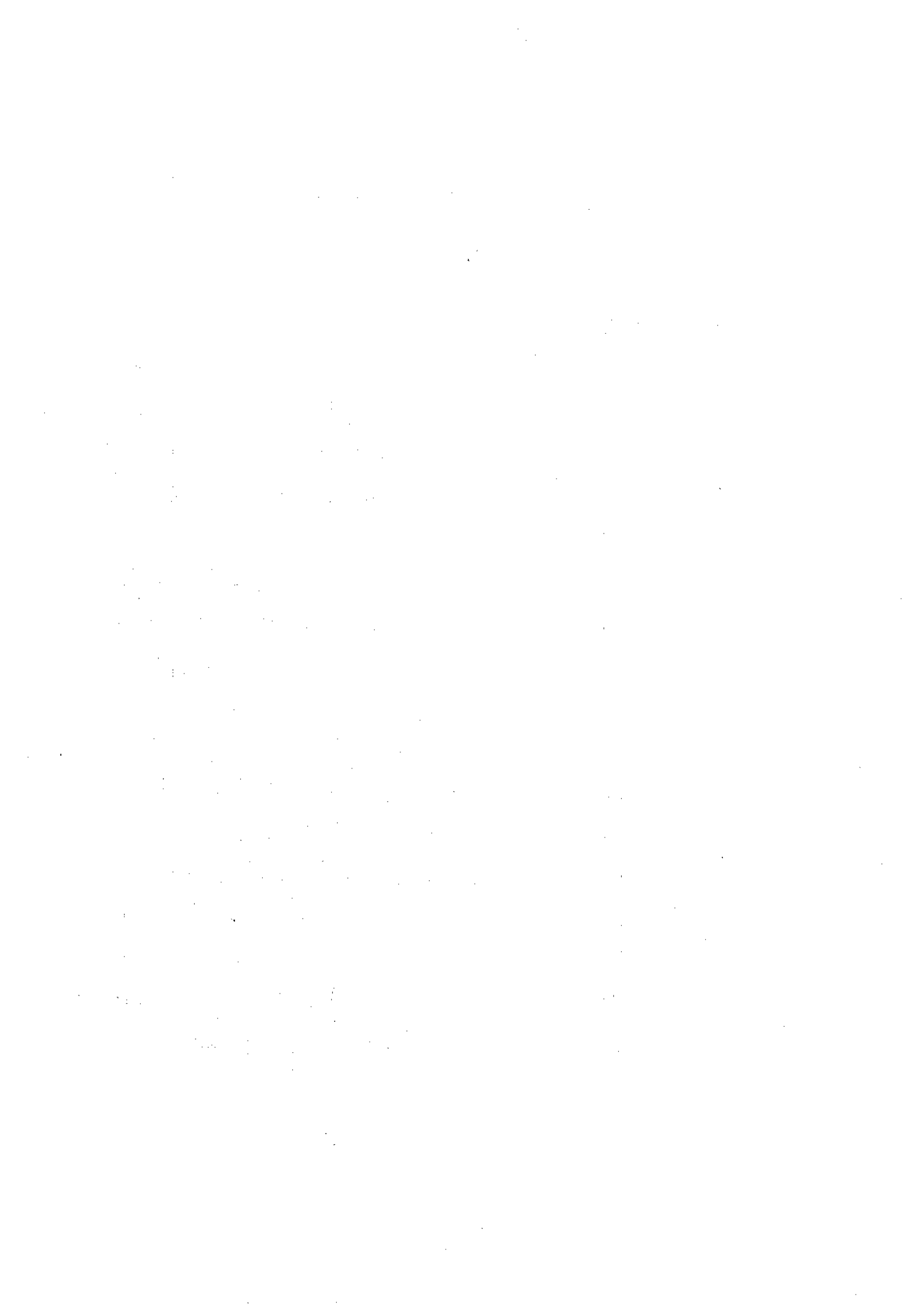
لقد دلت هذه الروايات الثلاث على ما عنونًا له من ذهاب الأحلام والعقول كما دلت على علامتين أخريين وهما كثرة الهم وكثرة القتل . وكانت العلامات أربعاً وقد ظهرت بصورة لاتحتاج إلى تدليل فذهاب العقول والأحلام لا امتراء فيه ولا جدل وذلك لكثرة اعتقاد الناس الباطل وقوله والعمل كما أن ذهاب الأحلام أمر ظاهر فى السفه والطيش عند أكثر الناس أيضاً إذ لم يبق من الصبر على الطاعة ولا عن المعصية ولا على البلاء إلا ما قل وندر كما أن كثرة القتل يدل عليه أن ما قتل فى حروب الإسلام الأولى لم يتجاوز عدد القتلى فيها أكثر من خمسمائة وألفين وهذا العدد يقتل فى يوم واحد فيما يدور بين المسلمين أنفسهم من حرب وقتال كما هو معلوم وظاهر . أما كثرة الهم فهو أمر يحمله كل إنسان اليوم وسواء كان غنياً أو فقيراً عالماً أو جاهلاً وصدق رسول الله ﷺ فى أخباره وإنها لمعجزة نبوته وآيات رسالته كما هى علامات الساعة وأشراطها . ألا فَلْنَتَّق الله يا عباد الله ولنعجِّل بالتوبة قبل الفوات فإن الساعة آتية لاريب فيها وقد أصبحت على الأبواب . والله المستعان .

الخاتمـــــــــــة

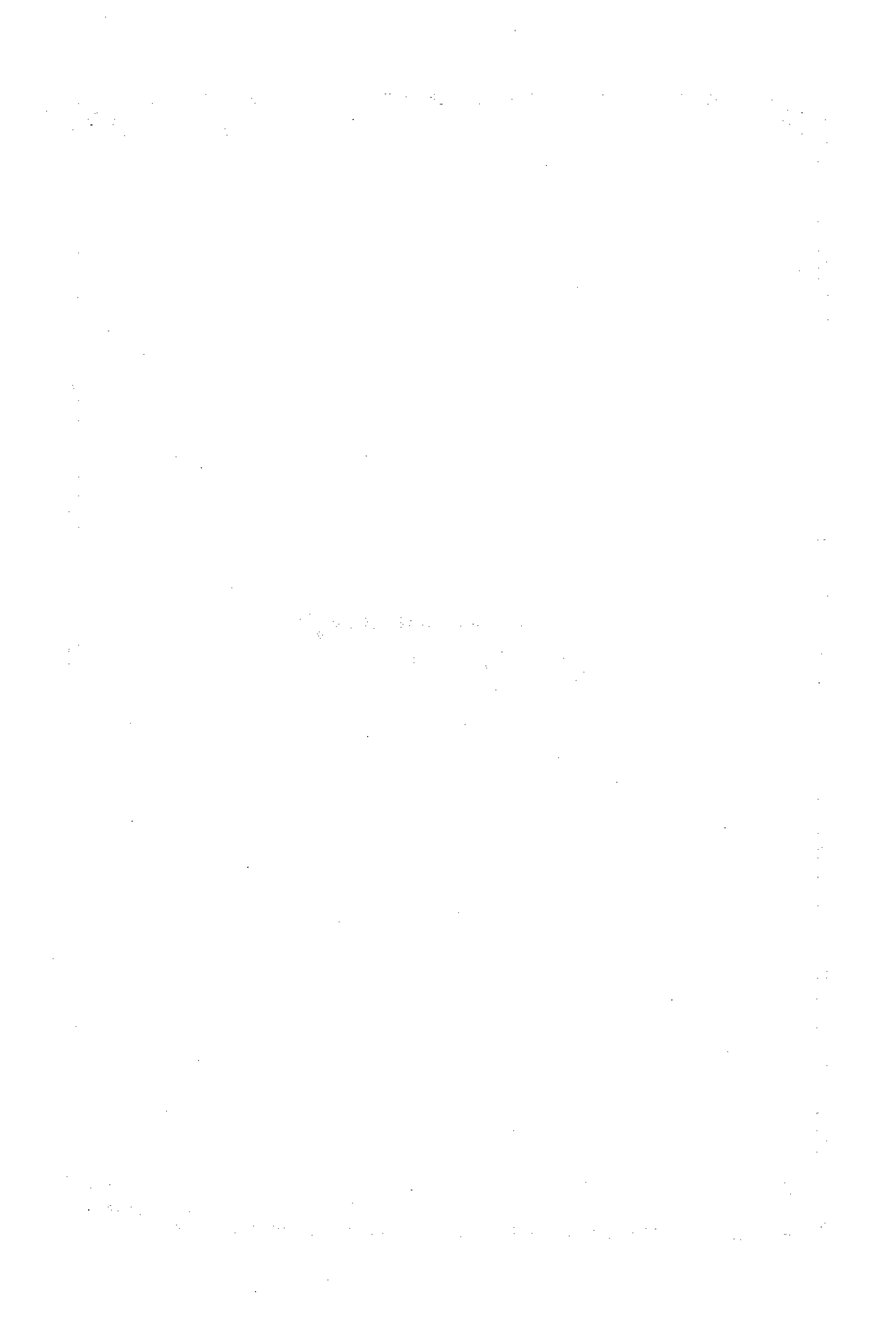
وختاما أقول إن القصد الأول من تأليف هاتين الرسالتين هو التذكير بحق الرسول ﷺ فى الإيمان به ، والتصديق بما جاء به ، والعمل بطاعته ، فى أمـره ونهيه . كما هو التذكير بقرب الساعة ووجوب الإعداد لها بفعل الخيرات ، وترك المنكـــرات .

والقصـد الثانى هو إعلام المسلم بأن ما حدث ويحدث من عجائب المخترعات ، وما ظهر منها من نقائص فى هذه الأمة أو كمالات كل ذلك قد أخبر به الرسول ﷺ وذكره لأصحابه ، فلا يتعجب المسلم من ذلك ولا يندهش ولا يحتار ، وما عليه إلا أن يواصل مسيرة إيمانه وصالح أعماله حتى يفوز بحسن الخاتمة فيلقى ربّه مؤمناً فيكرمه فى جواره ويسعده فى دار أوليائه الصـالحين وعباده المتقين . حقق الله لنا ذلك ؛ إنه بر رحيـــم . وصل اللَّهْم على نبيك محمد وآله وصحبه أجمعيـــــــــــــــن .

فهرست الأحاديث النبوية الشريفة



الرسالة السادسة عشـــر
منطلق الفكـــر الإِســـلامى



بسم الله الرحمـــن الرحيـــم

الحمد لله ، وعاقبته لمن اتقاه ، وصلاةُ الله وسلامُه على نبيه ومُصطفاه ، ورضاء الله تعالى على آل وصحابة رسول الله . .

أما بعد ـ أيها الإخوة والأبناء الحضور ـ فإن الفكر الإسلاميَّ يمتاز ، على غيره بخصـائص لم تكن لسـواه وهى أصالته ، وسموُّه ، وشُمولُه ، وصحّة مُنطلقه وسلامته . .

وها نحن فى هذه الكلمة القصيرة عن منطلق الفكر الإسلامى نشرح تلك الخصائص للفكر الإسلامى ونُجلّى حقائقها فنقـول :

الفكر بكسر الفاء ، وقد تُفتح وهو أجَود : مصدرُ فكَر يفكر فِكراً وفَكْراً من باب ضرب ، فلذا كان الفتح فيه أجودَ ، لأنه القياس ؛ اذ مصدر ضرب الضَّرْبُ بالفتـح . ومثـل الفكـر التفكـر . وهو إعمال الخاطر فى الشىء ، والتّأمل فيه للوصول إلى معرفة حقيقته .

والإسلامى : معناه المنسوبُ الى الإسلام الذي هو دين الحق الذى جاء به رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم .

وبناءً على هذا فالفكر الإسلامى هو إعمال المرء السليم خاطرَه فى تقويم الأشياء وإدراك معانيها ، وتعليل أحداثها ، والحكم عليها صحةً وفساداً .

وبعبارة أوضح أو أوسع وأشمل الفكر الإسلامى هو تفكير الإنسان المسلم فى الكون والحياة وما وراءها من عالم الغيب مما يَعرفُه غيُر المسلمين بما وراء الطبيعة أو بما هو ليس بمـادة .

أصالتـــــه :

هذا هو ـ أيها الإخوة والأبناء تعريف الفكر الإسلامى أما أصالتهُ .
فإن الأصالة مصدر أصل الشيء يأصل أصلا وأصالة كان له أَصْلُ فهـو
فهو ذو أصالة أى ذو أصل شريف فهو أصيل ، وأصالةُ الرأى : جودته
واصابته ومن هذا كان الفكر الإسلامى ذا أصالة كاملة ؛ لأنه من حيث
الجـودة أصيل لكـونـه تفكيراً لا يخرج عن دائرة الحقّ والعدل ، والخير ،
والمعروف بحال من الأحوال ؛ إذا المسلم لا يُعملُ خاطره فيما هـو شر ،
أو فيما يؤذى ويضر . ومن حيث القدم والرسوخ فإنه تفكير عاصر الحياة
البشريّة منذ أن كان الإنسان الأول آدم أبو البشر عليه السلام ؛ إذ التفكير
فيما ينفع لإحضاره والانتفاع به ، وفيما يضر لإبعاده وتجنّبه تفكير وجد مع
وجود الإنسان على هذه الأرض . فلهذا كله كان الفكر الإسلامى أصيلاً
فى شرفه وجودته ورسوخه وثباته

سمـــوّه

وأما سموّه فإن الفكر الإسلامى سام لا يهبط ولا يسف وذلك لسمو
مقاصد المسلم ، وارتفاع حاجاته النفسية فوق المستويات الماديّة الهابطة
التى يقتصر عليها الفكر المادى عادة فى هذه الحياة الدنيا !!
فسموّ الفكر الإسلامى يظهر بوضوح فى متطلبات المسلم وتطلعاته وهى
كلها سامية شريفة ؛ إذ متطلبات الإنسان المسلم تدور حول صفاء روحه
وكمال خلقه ، وحسن أدبه وما يهيّىء ذلك له ، ويوفّر عليه . ومتطلّعاته
تتّجه دوما وأبدا نحو سعادة الحياتين وكرامتهما .
ومن هنا كان الفكر الإسلامى ساميا سمواً يتميّز به بين سائر الأفكار

المـاديّة الهابطة التى لا يتجاوز بها أصحابها منطقة المادة بَحْثاً عن الأكل والشرب والتمتع الجنسى ، وما يوفر ذلك لهم ويهيّئه من أسباب .

شمــــوله

وأما شمول الفكر الإسلامى ، فإن المسلم الحق يفكر مثل كلّ إنسان ، ولكن تفكـيره شامل للحياة والكون ، وما وراء المادة ، أو عالم الغيب ، وغـيره يفكر ولكن فى حدود المادة غالباً ، فلا يتعدَّاها إلى غيرها من عالم الروح إلا نادراً ، فلهذا كان الفكر الإسلامى شاملا ، وكان الفكر المادى قاصراً محدوداً .

إن المسلم لمَاَّ يفكـر لا يفكر فى إسعاد نفسه فقط بل يفكر فى إسعاد البشرية جمعاء ، ولا فى نجاة نفسه دون غيره بل فى نجاة كل الناس أما غير المسلم فانه إن فكر فى سعادة أو نجاة من شقاءٍ يقصر تفكيره على نفسه ، وقلّما يفكِّر فى غيره من سائر الناس . ولهذا كان الفكر الإسلامى زيادة على أصالته وسموه شاملا عاما يعمُّ الحياة ويشملُ الكونَ كلَّ الكــون .

وعليه فمُمَيِّزات الفكر الإسلامى فى الجودة والرسوخ والأصالة والسمو والشمول وهى مميزات لا توجد فى فكر الإنسان غير المسلم بحال ؛ لأن منطلقات تفكير المسلم غير منطلقات تفكير غيره من سائر الناس .

منطلقات الفكــر الإسلامى

إن الفكـر الإسـلامى لينطلق من مبادىء ثلاثة أثبتها القرآن الكريم بالبرهان العقلى ، وقررها بالأسلوب العلمى فآمن بها المسلم فكانت منطلق تفكـيره فى الكـون والحياة . وتلك المبادىء هى : مبدأ التوحيد وحتميّة

المعاد . وضرورة الجزاء القائم على أساس تأثير الكسب فى النفس .
وإلى الإخوة والأبناء الحضور شرح هذه المبادىء الثلاثة التى هى منطلق الفكر الإسلامى قديما وحديثـــــا .

١ - مبـــدأ التوحيـــد :

إن مبدأ التوحيد وتمثله كلمة الإخلاص : لا إله إلا الله قائم على أساس أن الإله الحق الذى يجب أن تُؤلّهَه القلوبُ ذَلّاله ، ومحبّة وتعظيما ، والجوارح طاعة لهَ واستكانةً وضراعة هو من كان قبل تأليهه رَبًّا ، أى كان ربًّا قبل أن يكـون إلهـاً بمعنى معبود ، وأعني بكلمة الربّ : خالقَ الهُيُولى والطينة الأولى موجـد الحياة وواهبها مواتَ الأشياء ، فكانت بها أحياء . خالقَ الأرزاق وأسبابها وهادىَ الأحياء إلى متطلباتها ، كى يحفظ لها حياتَها ، إلى آجالها التى قدَّرها لها . مدبراً أمر الأحياء ، المستكين منها فى الأحشاء ، كالسابح فى الماء ، والساك الغَبْراء ، الكلُّ على حدّ سواء . ذاك الذى أمات وأحيا ، ومنع وأعطى ، وأضحك وأبكىَ ، وأضل وهدى . وأسعد وأشْقَى علمه أحاط بكل شىء وقُدْرَتُهُ على كل شىء . فالإله الحق إذاً هو من استجمـع هذه الصفـات صفـات الربوبيّة الحقّة ، التى هى الخلقُ والرزقُ والتدبير .

وهى صفات عاليةٌ لم تتوفر بعدُ لاى إله فى الأرض ، ولن تتوفر أبدا : إذ هى صفات الربوبية التى اختص بها الله جل جلاله وعظم سلطانه فكان الإ له الحق الذى لا اله غيره ولا ربّ سواه .

ومن هنـا كان الفكرُ الإسلامى أسلمَ الأفكار الإنسانية وأسماها ؛ إذ المسلم يفكر من منطلق مبدأ التوحيد الذى جماعه إثبات وجوب وجود الله تعالى لاستحالة وجود الأكوان بنفسها مع ظهور عجزها وافتقارها الى ذى ربوبيّة مطلقة يُمدُّها بوجودها ، ويدبِّر أمْرهَا ، لينتظم ذلك الوجود ويستمر

الى نهاية الأجل المحدود لـه .

وإثبات ألوهية الله تعالى للعالمين ، تلك الألوهيّة التى اقتضتها ربوبيته تعالى لكل شىء إذ ما دام الله تعالى خالقَ كل شىء فهو رب كل شىء ومليكه ، وتحتم أن يكون إله كل شىء ومعبـــوده .

وتحقيق ذلك بعبادة الله تعالى عبادة قائمة على أساس إخلاصها له تعالى بدءا وانتهـاء وبما أحبَّ أن يُعبد به من أعمال القلوب والجوارح . وعلى الكيفية التى أمر أن يعبد بها بلا زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخيـــر .

وانطلاقا من هذا المبدأ مبدأ التوحيد كان المسلم يرفض الإلحاد ويلعن أهله ؛ إذ الإلحاد باطل وأهله مبطلون . وينكر تعدد الآلهة ويلعن أهله ولا يقره ولا يقـر عليه ، وذلك لفساده وبطلانه عقلاً وواقعاً ، إذ لا اله الا الله ذو الربوبيّة المطلقة لكل شىء فأنى يكون معه آلهة أخرى ؟ ، والكل مفتقر إليه فى وجوده ، وحفظ ذلك الوجود له إلى نهاية أجله المقرر له . وينفى الشرك بجميع صوره وأنواعه ؛ لأنه ظلم ويمقت أهله لأنهم ظالمون

ولهذا كان المسلم ذا قناعة تامة فى أنه لا يستطيع أى عاقل تحت الشمس أن يبطل قضية التوحيد أعنى ما تضمنته كلمة الإخلاص « لا اله الا الله » من حكم صحيح هو إثبات وجود الله تعالى ونفى الألوهية الحقة عن كل ما سواه وإثباتها له تعالى دون غيره من سائر الكائنات .

وذلك لأن نفى وجود الله تعالى ـ كما هو مذهب الملاخدة الشيوعيين باطـل مردود بوجود مخلوقات لا عد لها ولاحد كلها مفتقرة إلى موجد لها ومخصص ولما لم يكن هناك من ادعى خلق هذه الكائنات وتخصيصها بما تتـمايز به عن بعضهـا فى الوجود الذاتى والصفات والأفعال ونوع الحياة وكيفياتها . وهى حتما مفتقرة الى ذلك كان الله تبارك وتعالى هو الخالق لها وبه أصبح وجود الله واجباً ضروريا فكيف يصح فى العقول نفيه .

كما أن إثبـات تعدد الآلهة كما هو معتقد المشركين ، والنصارى باطل مردود أيضا ؛ لانعدام صفات الربوبية عند غير الله تعالى والتى هى الخلق

والرزق والتدبير ومالم يكن رباً أى خالقا رازقا مدبّراً لا يكون إلها معبودا عقلا ولا شرعا .

إن قناعة المسلم هذه . . . فى أنه لايستطيع أى عاقل أن يبطل حكم لا إله إلا الله جعلته يجاهر بمعتقده ويفاخر به ؛ لأنه معتقد الحق الذى لا يبطل ولأنه مصدر الكمال الذى لا يعتريه نقصان .

وكنتيجة طبيعية لمبدأ التوحيد هذا فإن المسلم يسمو بتفكيره فوق المستويات الأرضية الهابطة كلها ؛ إذ مبدأ لا إله إلا الله لا يُبقى لمعتقده من الناس تفكيراً فى أن من الخلق من ينفع أو يضر بدون إذن الله تعالى فيتوجه اليه بقلبه أو عمله راجيا منه حصول نفع أو دفع ضرر .

ومن هنا كان المسلم يرتفع بتفكيره كله نحو محاب الله تعالى ومكارهه يتعرف إليها قصد أن يتجنب ذلك المكاره فيحتفظ بطهارة روحه وزكاتها وأن يصل الى مستوى من الكمال والمعرفة يصبح معه لا يتحرك الا فى دائرة تلك المحاب يقدمها عملا صالحا يرجو به المغفرة والرحمة فى الدنيا والآخرة .

٢ ـ مبدأ حتمية المعاد :

إن المعاد الأخروى والبعث الآخر كما جاء فى الحديث أيها الإخوة والأبناء لا يتخلف أبداً ؛ لأنه العلة لهذا الكون وهذه الحياة والعلة ـ عقلاً ـ لا تتخلف عن المعلول بحال ؛ ولذا فهو كائن لا محالة وأجله مسمى عند الله أو ساعته محدودة لا تتخطاه .

وهو معتقد أطبقت عليه جميع الأديان الإلهية فلم يكن دين سماوى صحيح يخلو فى أصوله من هذا المعتقد الهام العظيم وذلك لا ليتوقف إصلاح الفرد والمجتمع البشرى عليه فحسب بل لأنه أيضا الحق الثابت الذى لا يمكن أن يكون غيره ؛ اذ لولاه لكانت الحياة عبثا لا معنى لها قال

تعالى « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم » .

إن مبدأ حتمية المعاد أيها الاخوة والأبناء وهو أحد منطلقات الفكر الإسلامى الثلاثة يعتبر المكيف لحياة الفرد المسلم والموجه له ، إذ جميع تصرفاته نابعة منه متكيفة به ؛ لأن اعتقاد المرء الجازم بأنه مسئول عن كل تصرفاته محاسب على كل أعماله مجزىٌّ بها . خيرها وشرها ، وقليلها وكثيرها سواء ، من شأنه أن يجعله يفكر قبل أن يقول أو يعمل ، فيتحرى فى كل قوله وعمله مالا إثم فيه ، ولا تبعية يتحملها من أجله وهذه أقل أحواله وإلا فسوف لا يطلب من الأقوال والأعمال إلا ما يعلم أنه سيثاب عليه الحسنى ويُجزى عليه الغرفة إنه لأجل هذا كان مبدأ المعاد يمد الفكر الإسلامى بطاقات جديدة تدفعه الى السمو والكمال كلما فتر بملابسة المادة له وهو يعتمل فيها كضرورة من ضرورات هذه الحياة المادية يمده بالصفاء والإشراق ويمده بالقوة والأمل وهذه أى الصفاء والإشراق والقوة والأمل هى موجبات سموه وكماله اللذين يتفوق بهما على كل الأفكار المادية فى هذه الحياة .

إن الفكر الإسلامى وهو ينطلق من مبدأ البعث والجزاء يسمو بصاحبه أن يظلم أو يعتدى أو يكذب أو يفترى أو يفسد أو يجرم ، لإيمان صاحبه الراسخ بأنه اذا مات لا يُترك أبداً ولا يهمل وإنما يبعث ليحاسب ويعاقب ، حكم الله الذى لا يتخلف وقضاؤه الذى لا يرد . كما يرتفع به عن الدنايا والخبائث ليقينه الكامل أنها تلوث نفسه وتحجبها عن معانى الخير والكمال فى الدنيا ، وتحرمها السعادة فى الدار الأخرى . وبالجملة فإن المفكر الإسلامى يسمو بتفكيره الى مستويات من الخير والجمال والسمو والكمال لم يكن لغيره أن يصل إليها بحال من الأحوال وذلك لانطلاق فكره من مبادىء الحق والخير ، وانطلاق فكر غيره من مبادىء الباطل والشر وشتان ما بينهما . . !!

٣ ـ مبدأ ضرورة الجزاء القائم على أساس تأثير الكسب فى النفس :

إن هذا المبدأ مأخوذ من القرآن الكريم كتاب الله الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . مأخوذ من قوله تعالى : « **قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها** » وهو جواب أكبر قسم لله تعالى فى كتابه العزيز وهو قوله عز وجل « **والشمس وضحاها و القمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها . .** »

وشرح هذا المبدأ يقتضى تحليله إلى عناصره الأولى وهى : النفس البشرية ومدى قبولها لتأثير الكسب فيها ومظاهر ذلك التأثير ونتائجه فى الحال والمآل

أما النفس البشرية فهى ذلك الجوهر النورانى العلوى الخفيف المتحرك النافذ فى جوهر الأعضاء والسارى فيها سريان الماء فى الورد أو النار فى الفحم أو الكهرباء فى أسلاكها .

وأما مدى قبولها لتأثير الكسب فيها . فإن النفس البشرية بما أنها جوهر وليست بعرض فإنها حسب سنة الله تعالى فى الجواهر أى الاجسام قابلة لتأثير الكسب فيها بنوعيه أى الخير والشر شأنها شأن سائر الأجسام فالجسم البشرى تؤثر فيه الأحداث الداخلة فيه والخارجة عنه ، فهو يمرض ويداوى فيصح وتظهر عليه أعراض المرض والصحة وفى حال مرضه يظهر عليه الشحوب والاصفرار والهزال ويعجز عن الحركة والقول والعمل كلما

اشتد به المرض ، وفى حال الصحة يظهر عليه الحيوية والنشاط والسمن والقدرة على الحركة والقول والعمل الأمر الذى لا ينكر ولا يجهل بحـال .

وإذا كانت الأجسام على هذه السنة فى قبول التأثير فان النفس البشرية كذلك فإنها تمرض وتعالج فتصح وتظهر عليها أعراض المرض والصحة ففى حال مرضها يصبح يكذب ويخون ويغش ويخدع ويشح ويبخل ويرائى وينـافق ويتكـالب على الـدنيا ويصـارع على الشهوات ويعجز عن فعل المعروف والخير ويكره الطهر والصفاء ويحب الخبث والكدر النفسى ويؤثرهما .

وفى حال صحتها يصبح صاحبها صدوقا أمينا كريما رحيما مخلصا بعيدا عن النفاق والرياء ، زاهداً فى الدنيا راغبا عن شهواتها قادراً على فعل الخير والمعروف ، يحب الطهر والصفاء ويكره الخبث والخَنى وكل الشر والفساد فى الأرض .

الكسب المؤثر فى النفس وشروط ذلك :

إن المراد من الكسب المؤثر فى النفس البشرية أيها الإخوة والابناء هو ماكان من جنس الإيمان والعمل الصالح ، وهذا يؤثر فيها بالزكاة والطهر وما كان من جنس الشرك والمعاصى وهذا يؤثر فيها بالخبث والتدسيـــة .

وشـــروط الأول :

- أن يكون مما شرع الله تعالى لعباده أن يعتقدوه ، أو يقولوه ويعملوا به .
- وأن يقوم به العبد خالصا لوجه الله تعالى فلا تشوبه شائبة شرك أو رياء .

● وأن يؤديه العبد المؤمن أداء صحيحاً يوافق فيه مراد الله تعالى المبين على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

فيراعى فيه هيئته فلا يزيد فيها ولا ينقص منهـــا .

ويراعى فيه كيفيته فـــــلا يقدم فيها ولا يؤخــر .

ويراعى زمانه ومكـــانه فلا يوقعه فى غيرهمـــا .

وبذلك يولد هذا العمل الطاقة النورانية المطلوبة للنفس البشرية كى تطيب وتزكو وتطهـــــــــر .

هذه شروط هذا الكسب الصالح لكى يؤثر فى النفس بالزكاة والطهر فإن نقص منها شرط أو اكثر بطل مفعولها ولم تؤثر فى النفس التأثير المطلوب لها لتصبح اهلا لمرضاة الله ومجاورة الصالحين فى الملكوت الأعلى . فلواختل شرط كون العمل مما شرع الله تعالى لعباده من الطاعات والقربات بأن كان بدعة محدثة الصقت بدين الله تعالى فإن العمل لا ينتج الحسنات المطلوبة للنفس لتحسن بها وتشـــرق .

ولو اختل شرط الإخلاص فيه لله تعالى بأن أشرك فيه العبد غير الله تعالى أو راءى فيه أحداً من الناس بطل مفعول العمل ولم ينتج كذلك .

ولو اختل شرط الأداء الموافق لما شرع الله تعالى وبين على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بأن لم تراع فيه الكمية بأن زيد فيها ، أو نقص منها ، كزيادة ركعة أو سجدة فى الصلاة المكتوبة ، أو لم تراع فيها الكيفية بأن قدم فيها بعض أجزائها أو أخر أو غيرت بعض صفاتها من سر أو جهر أو طول أو قصر كأن يقدم السجود فى الصلاة على الركوع أو غيرت فيها صفة الجهر بالسر او العكس أو خافت بها المصلى فلم يطمئن فى ركوعها أو سجودها وقيامهـا .

أو أوقعها صاحبها فى غير زمانها أو مكانها كأن أديت الصلاة المكتوبة قبل دخـول وقتهـا أو بعـد خروجه أو وقف فى الحج فى غير تاسع الحجة أو أديت الصلاة فى بقعة مغصوبة أو نجسة أو فى مقبرة أو مجزرة أو معطن

إبل . أو وقف الحجاج بمكان غير عرفة بدلاً عن عرفة أو طافوا ببيت الله تعالى غير الكعبة بأن طافوا بمسجد من المساجد بطلت العبادة فى كل ذلك وفسدت ولم تثمر ما كان مرجوا منها أن تثمره للنفس من زكاة وطهر .

● ومن هنا أيها الإخوة والأبناء اشتد نكير العلماء على البدع والمبتدعين لما عرفوا من فساد البدعة وبطلانها وعدم جدواها وانعدام النفع منها « لأن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » .

وقوله : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » .

ومما يجب التنبيه عليه ولفتُ النظر اليه أيها الإخوة والأبناء هو أنه لافرق بين المبتدع الذى يضع للمؤمنين أنواعاً من الطاعات ويدعوهم إلى العمل بها لتزكو بها نفوسهم وتطهرُ فيرضى عنهم ربهم ،ويقربهم . وبين المبتدع الذى يُسمَّى فى عرف أهل العصر بالمشرع القانونى الذى يضع للمسلمين قوانين تحفظ دماءهم وأعراضهم وأموالهم وتنشر الرحمة وتشيع الاخاء والمودة بينهم فيشرع السجن المؤبد للقاتل العامد فى قتله والسّجن المؤقت للزاني المنتهك للحرمات أو للسارق المروع للآمنين والآمنات ويشرع الضرائب المالية الفادحة عوضاً عن الزكوات الواجبة وما الى ذلك من قوانين العقوبات التى استبدلها الحكام فى ديار المسلمين بأحكام اللّه تعالى وحدوده وحدوده .

أقول إنه لافرق بين المبتدع الذى يشرع للروح ما يزكيها ويطهرها وبين من شرع للجسم ما يحفظه به ناميا صالحاً يؤدى وظائفه على الوجه المطلوب له الكل مبتدع متكلف ما ليس له بحق . منازع لله تعالى فى حق التشريع الذى هو حق الرب وحده إذ الذى لم يكن خالقاً لم يكن شارعاً ؛ إذ لا يعرف ما يصلح المخلوق إلا خالقه ، فالذى خلق مخلوقا عليه أن يشرع له من الوظائف التعبدية ما يزكى به روحه ، ومن القوانين القضائية والجنائية ما يربى به جسمه ويحفظه له صالحاً ناميا .

وما دام الإنسان لم يخلق الإنسان فانه لم يكن من حقه أو مما يصح منه وله أن يضع للانسان المسلم من البدع والقوانين ما يدعى أنه يطهر به روحه ويحفظ به جسمه وعرضه وماله ؛ لأنه لا يملك القدرة الكافية لإيجاد المؤثر الخاص فى تلك البدعة الشرعية أو القانونية إذ الذى لايستطيع أن يوجد غذاء فى الخشب أو التراب للإنسان يتغذى به بعد أن أخلاه الله تعالى منه ، لايستطيع أن يوجد فى البدعة التى ابتدعها القوة المؤثرة فى النفس أو الجسم لإصلاحها واسعادها . ومن هنا كان المبتدع والمشرع ظالمين وكان العمل بالبدعة والقانون المناهض لشرع الله تعالى ظلما وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

● وشروط الثانى وأذكر بأنه الكسب المؤثر فى النفس مما هو من جنس الشرك والمعاصى شروطه هى :

(١) أن يكون مما حرم الله تعالى اعتقاده أو قوله أو عمله كسائر الاعتقادات الباطلة والأقوال السيئة والأعمال الفاسدة مما جاء تحريمه فى كتاب الله تعالى أو على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) أن يصدر هذا الكسب عن مكلف شرعا وذلك بأن يكون عاقلاً مميزاً يقظاً غيرنائم فما يصدر من أعمال أو أقوال عن غير المكلفين كالمجانين والأطفال لا تأثير له على النفس البشرية لخبر « رفع القلم عن ثلاثة عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبى حتى يحتلم »

(٣) أن يكون الكاسب مريداً مختاراً وأعنى بالمريد : من يصدر عنه الفعل أو القول وهو قاصد فعله أو قوله بحيث لم يقع منه نسيانا ولا خطأ .

وأعنى بالمختار من لم يقع منه الفعل او القول مكرهاً عليه مضطراً إليه وإنما وقع منه فى حال حريته واختياره ، فغير المريد وغير المختار إذا صدر عنهما القول أو الفعل لا يؤثر فى نفسهما لعلة عدم القصد والإكراه . وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان

وما استكرهوا عليه » وفى القرآن الكريم معنى ذلك قال تعالى من سورة البقرة : « **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا** » . وقال تعالى من سورة النحل : « **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** » .

مظاهر تأثير الكسب فى النفـــس :

إن للكسب تأثيرا على النفس البشرية متى توفرت له شروطه التى قدمنا بيانها آنفا ، والجزاء سواء كان دنيويا أو أخرويا مرتب على تأثير ذلك الكسب فى النفس وفى القرآن الكريم « **من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيراً** » « **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** » ومن مظاهر تأثير الكسب فى النفس حب الفضائل والرغبة فيها والعمل على تحصيلها والتحلى بها وبذل الجهد والوسع فى ذلك كما هو ظاهر مشاهد فى أهل الإيمان والعمل الصالح بين الناس وفى كل زمان ومكان وما ذاك إلا مظهر من مظاهر تأثير الإيمان والعمل الصالح فى نفوسهم ، ظهر وكأنه عرض من أعراض نفوسهم لسلامة تلك النفوس وطيبها وطهارتهـــا .

كما أن حب الرذائل والرغبة فيها وطلبها والتلوث بها وبذل الجهد والطاقة فى سبيل الوصول إليها كما هو مرئى ومشاهد فى أصحاب الشرك والمعاصى والذين يوجدون فى كل زمان ومكان ما هو الا مظهر من مظاهر تأثير الكسب فى النفس فالجرائم التى ترتكب فى دنيا الناس على اختلافها وتنوعها ما هى إلا أعراض تظهر فى سلوك المرء نتيجة تأثير كسبه فى نفســـه .

هذه نتائج تأثير الكسب فى النفس فى الحياة الدنيا أما فى الآخرة فقد بين القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى « **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** » فقد قضى الله عز وجل بفلاح من زكى نفسه بالإيمان والعمل

الصـــالـح اعتقـادا وعمـلا كما قضى بخسران من دسى نفسـه بالشرك والمعاصى اعتقاداً وعملاً أيضاً .

والفلاح المحكوم به لذوى النفوس الزكية هو ما بينه تعالى فى قوله « **كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** » .

والخسران المقضى به لأهل الأرواح الخبيثة والنفوس المدساة الشريرة هو ما ذكره تعالى فى قوله : « **قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة . ألا ذلك هو الخسران المبين** » .

هـــــذا . . . . .

وخلاصة القول فى منطلق الفكر الإسلامى أيها الإخوة والأبناء أن الفكر الإسـلامى من أسلم الأفكار وأسماها وأنه فكر يمتاز بالأصالة والشمول والسمـو فلا يقـاس بالأفكـار المادية الهابطة بحال من الأحوال ذلك أن الأفكـار المادية منطلقاتها : الأهواء والشهوات وحب التسلط والرغبة فى القهر والاستعلاء على الناس أما الفكر الإسلامى فإن منطلقاته التوحيد الذى يربط البشرية لو آمنت كلها برباط العبودية لله تعالى فيسوى بين قويها وضعيفها وغنيها وفقيرها وأبيضها وأسودها ويحررها من كل عبودية إلا لله تعالى فتسمو وتبلغ الكمال الذى خلقت مستعدة له لو آمنت واتقـــت .

وحتمية المعـاد الذى يعتق المؤمن من أسر الشهوات ويخلصه من رق الرغبة فى الدنيا والتكالب عليها ويكون منه مثالاً صادقا للعدل والاستقامة فى الحيـاة .

وضرورة الجزاء القائم على أساس تأثير الكسب فى النفس :

وهو أحد منطلقات الفكر الإسلامى الثلاثة وهو منطلق يوجد من نفس المرء المسلم رقيباً عليه ومهيمناً طوال حياته يمنعه من الظلم ومن كل شر وفساد فى الأرض ويحدوه الى فعل الخيرات والإكثار من عمل الصالحات كما ينمى فيه خلق العدل والإنصاف من النفس ويحبب اليه الفضائل ويكره إليه الرذائل ويجعله من أرشد الناس بين الناس .

وكلمة أخيرة فى هذاالحديث وهى أن العالم الإنسانى اليوم قد سادته الأفكار المادية وهى تقوده الى هاوية الهلاك والخسران وإن كان هناك أمل فى خلاصه مما تردى فيه وما يتوقع له فهو فى عودة الفكر الإسلامى المنطلق من ينابيع الحق والخير والصادر عن وحى الكتاب والسنة .

أما كيف تعود تلك القيادة ؟ فإنا نقول : إن هناك سبلا كثيرة لذلك ومن أخصرها طريقاً وآمنها وأسلمها سبيلاً أن يتحمل إمام المسلمين خالد ابن عبد العزيز وولى عهده حفظهما الله تعالى وأيدهما بروح منه أن يتحملا دعوة الملوك والرؤساء لمؤتمر قمة يعقد بالمدينة النبوية لاتخاذ قرار بما يلى :

١ - الإعلان عن اتفاق المؤتمرين على ضرورة عودة الحياة الإسلامية فى بلاد المسلمين عقيدة وعبادة وادباً وخلقاً وحكماً ونظاماً وشرعا لإنقاذ المسلمين مما حل بهم ونزل بديارهم من ضعف وذل وهون ودون .

٢ - تكوين لجنة موسعة من علماء الشريعة فى البلاد الإسلامية وأن يعهد إليها بوضع دستور إسلامى لأمة الإسلام تؤخذ كل بنوده ومواده نصا وروحاً من الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة والفقه الإسلامى المستنبط من الوحيين فى عصر الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام الصالحين .

٣ - الإعلان عن استئناف الحياة الإسلامية فور صدور هذه القرارات

وذلك بوجوب اقامة الصلاة بين كل أفراد الأمة الإسلامية إقامة إجبارية وبوجوب منع الخمر شرابا وتجارة وإنتاجاً بين كل افراد المسلمين وبوجوب إلزام الفتاة المسلمة والمرأة المسلمة بالزى الإسلامى والحجاب الإسلامى ومنع الاختلاط بين النساء والرجال منعاً كلياً وفى كل المجالات وبوجوب تطهير الإعلام فى ديار المسلمين صحافة وإذاعة وتلفازا ومسرحاً تطهيره من نشر وإذاعة وإظهار كل ما يمس العقيدة الإسلامية والخلق الإسلامى أو يتنافى مع مبادىء الإسلام وتعاليمه القائمة على اساس الطهر والكمال النفسى والخلقى فى الحياة .

وبوجوب إيقاف سائر المعاملات الربوية وتصفيتها وتستبدل بهذه البنوك الربوية (مصارف وبنوك إسلامية يسهم فيها كل مسلم ، ومسلمة تقوم على أساس منع الربا وحظر التعامل به . وبوجوب تعقب الملاحدة فى بلاد المسلمين واضطرارهم الى العودة الى حياة الإيمان والعمل والجهاد فى الحياة . ومن رفض منهم ذلك يحكم فيه السيف فهو الحد الفاصل بين الكفر والإيمان .

٤ ـ الإعلان عن موعد بدء تنفيذ مواد الدستور والأخذ بها وتطبيقها يوم الفراغ من وضعه ، وتقديمه لأعضاء مؤتمر الفقه الإسلامى الذى انعقد أول مرة فيبدأ بتعيين إمام المسلمين ومجلس حكومته المكون من ممثلين صالحين لكل الأقاليم الإسلامية التى رضى حكامها بالوحدة الإسلامية فى ظل الحياة الإسلامية والدستور الإسلامى ، ثم التطبيق الحرفى لكل مواد الدستور وبنوده شريعة وسياسة بكل صدق وجد وإخلاص .

هذا والله أسال آن يحقق عودة الفكر الإسلامى ليقود ويسود على يد هذه الحكومة الإسلامية فى ديار الإيمان هذه إنه قدير وبالاجابة جدير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الفهارس

الرسالة الاولى

الرسالة الثانية

الرسالة السادسة

الرسالة التاسعة

الرسالة العاشرة

الرسالة الخامسة عشرة

تم الجمع والتصوير بدار الغد العربى
٣ شارع دانش باشا بالعباسية - القاهرة

* وُجِدَتْ فى الطبعة الأولى بعض الأخطاء المطبعية ـ الغير مقصودة ـ لذا وجب التنبيه عليها.

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصـواب
٣٤٦	١٦	ورحتمه	ورحمته
٣٤٨	٦	فيستكثر	فليستكثر
٣٥٦	١٣	أعبدوا اله	اعبدوا الله
٣٦١	١١	إلا له	إلا لله
٣٦٧	٩	وحلال	وإحلال
٤٦٤	١٨	فيكف	فكيف
٤٨٨	١٢	يعمملون	يعلمون
٥١٣	١٨	وحدوده وحدودهش	وحدوده

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٢٢٣ / ١٩٩١